

مجلة كلية الآداب



المجلد الخامس عشر - الجزء الأول

مايو سنة ١٩٥٣

تصدر هذه المجلة مرتين في السنة . في مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة فؤاد الأول بالجزء . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها حضرة عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالجزء

تبعه جاءه من فؤاد الأول

١٩٥٣

الفهرس العربى

صفحة

- الدكتور السيد محمد يوسف : علاقات العرب التجارية بالمند منذ أقدم المصور
إلى القرن الرابع الهجرى ١
- الدكتور عبد الحليم النجار : فى الهجرات العربية وأصول اختلاطها . . . ٣٥
- الدكتور محمد كامل حسين : التشيع فى الشمر المعرى فى عصر الأيوبيين
والمماليك ٥٧
- الدكتور أحمد فؤاد الازهرانى : الفلسفة فى الأندلس ، الدور الاول ،
دور النشأة ٨٩
- الدكتور يحيى نامى : الهجرات البينية الحديثة ، المجموعة الثانية . ١٠٣
- الدكتور محمد محمود الصياد : تطور ساحل دلتا النيل ١١٥
- الدكتور جمال محرز : المراهب المدنية الاسلامية ١٢٩
- الدكتور محمد متولى : المياه الباطنية فى مديرية التحرير ١٣٩

علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري للكاتب السير محمد يوسف

امتازت الهند منذ أقدم العصور بوفرة وتنوع إنتاجها النباتي والحيواني والمعدني كما أنها اشتهرت بجودة الصناعات المختلفة المرتكزة على ذلك الانتاج الطبيعي ، ثم هي تصاقب من الناحية الشرقية بلاد الصين التي اخصت ببطاقة أخرى من الحاجيات والكاليث التي لم يكن للعالم الغربي بذمتها ، ومن هنا نشأت « التجارة الشرقية » التي تنافس عليها المتنافسون من الفرس والعرب والروم ، وأخيراً أقوام أوروبا الغربية ، أعني البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والآنجليز ، وقد استمرت هذه التجارة العالمية تجرى من الشرق إلى الغرب حتى غير مجراها الآلات والمخترعات الحديثة وما أدت إليه من الانقلاب الصناعي والتقدم الاقتصادي في الممالك الغربية .

لقد كان لهذه التجارة أثرها الفعال في مداولة الأيام بين الناس ، فثلاً يقول العلامة بارتولد : « صارت إيران مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن الساسانيين . . . واستولت برأ وبحراً على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم المتحضر ، وبهذا الحادث يتبدى انتقال التفوق في الحضارة من أوروبا إلى الشرق الأدنى » (الحضارة الاسلامية ، ١٩٥٠ ، ص ٤) . كذلك يحبر اهتمام واسكو دي كاما (Vasco da Gama) إلى طريق الهند نقطة التحول في العلاقات بين الشرق والغرب ، وحقاً لئن كانت صفقة تفوق صفقة أبي غهشان في الحسارة والغبن ، فهي تلك التي جعلت أسد البحر ابن ماجد يقود رائد البرتغاليين إلى ميناء كاليكت (Calicut) في سنة ١٤٩٨ م .

فأثر تجارة الهند والصين في التطورات السياسية بين الأمم الشرقية والغربية معروف عن كثير من المؤرخين بأبرازه وتقدير خطورته ، إلا أن

هناك ناحية أخرى طالما بقيت غامضة مطوية لم تلق الاهتمام اللائق بها إلا منذ زمن قريب، ألا وهي تأثير العلاقات التجارية بالهند وما وراء الهند في حضارات الفرس والعرب والروم في العصور القديمة والوسطى، ولا أجد ما أقدم به لهذا الموضوع أحسن مما يكتبه البروفسور هيرن (Heeren) العالم المتخصص في العلاقات التجارية الدولية القديمة وهذا نصه :

“ Of all the divisions of Asia the southern, containing the territory of Hindustan, is distinguished by the richness and diversity of its productions. Here we not only find, (with very few exceptions), all the products of other parts of civilised Asia, but so great a variety peculiar to its own climate, that it would appear as if a new and more beautiful creation had sprung up under the hand of nature. Nearly all the spices, which become necessary to mankind in exact proportion to the progress of luxury and refinement, have at all times been peculiar to this region, while two of the most important articles used in clothing, viz., cotton and silk, were first produced here, and continue to be so in an especial degree, though their cultivation has been gradually extended to other countries The influence which an intercourse with India may have had on the civilisation of mankind, is a question worthy the close attention of the philosophical student of history ; and one which, notwithstanding the important illustrations it has of late received, has been by no means sufficiently elucidated. It is of the greatest consequence to ascertain the channels through which, at various periods, it found its way, or into which it was conducted ; and the whole course of history tends to prove that the countries which became the staples or depots of this commerce, uniformly attained a high degree of opulence and refinement ; which, however, gradually changed the habits and corrupted the manners of their inhabitants ; at the same time that these were softened, sowing among them the seeds of luxury, and consequently of decline and ruin.” A. H. L. Heeren : *Historical Researches into the Politics, Intercourse and Trade of the principal Nations of Antiquity*. Oxford, 1833. vol. I. pp. 35-36.

إذن كان من أثر تجارة الهند أن تطورت سبل المعيشة وأساليب الحياة ، بل وتغيرت الأمزجة والطباع لغير واحد من الشعوب القاطنة غربي الهند ، وغنى عن القول أن العرب ، بالاشتراك مع الفرس سكان الخليج الفارسي ، كانوا ، بطبيعة مركزهم الجغرافي ، أكثر تلك الشعوب اتصالاً وحرصاً على الاحتفاظ بدورهم في حركة استيراد للسلع الهندية المختلفة ونقلها عبر أراضيهم إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، ولئن كنا نأسف حقاً لعدم وجود المصادر اللازمة للحصول على معلومات وافية عن نشاط العرب في هذا الميدان فيما يتعلق بالمصور السابقة للإسلام ، ففي وسعنا أن نتلافى هذا النقص بالجوع إلى لغة العرب وأدبهم ^(١) وقد استهنا دراسة مقارنة إلى جانب اللغات الهندية مثل ما يفعل العلماء الإفرنج بشأن درامية علاقات الروم بالهند ، وبما أن العرب كانوا في موقع وسط بين الروم والهند ، فقد ألقت بحوثهم أضواء على العلاقات العربية الهندية إلا أنها ، بطبيعة الحال ، أضواء جانبية فقط ، أما موضوع العلاقات العربية الهندية بالذات فقد بقي مغموراً محجوراً لا بشئ إلا لعدم اتساع علم اللغويين الأول والمختصين بالعربية والدخيل في العربية إلى الهند ولغاتها ، نراهم ^(٢) وكثير منهم يندمون إلى أصل فارسي . — يقتصررون على إرجاع الكلمات إلى الفارسية ، وفي بعض الأحيان يقفون حائرين أمام كلمات لا يجدون لها أصلاً بالفارسية فيأتون بتعديلات من الخيال ^(٣) إن ذلت على شئ فهو أن الكلمة عدت غريبة في نظرهم ، وأخيراً لفتت دراسات الفريين النظر إلى هذا الموضوع الشيق فأقبل عليه العلماء الهنود بجد واهتمام ، وفعلوا

(١) يقرأ الأستاذ هيرن هذا الأصل بقوله :

" We too often find ourselves without the information necessary to follow the course of trade into the most remote regions ; but when we meet with the mention of article which are unquestionably peculiar to certain countries , we are warranted in concluding that a communication then existed with those countries , though we may be unable to define its nature and extent . A piece of sugar or a morsel of pepper in a neglected corner of a village would be a certain proof of the trade with either India , even if we possessed no other evidence of the commerce of the Dutch and English with these countries . " (H. on 139-40.)

(٢) راجع مثلاً كلمة « السندرة » و « الشال » في مقدمة السابق من « الكلمات الهندية المربة » في عدد مايو سنة ١٩٥١ م من هذه المجلة ، كذلك الكلام على « الفخ » و « القاني » في الجزء الثاني من هذا المجلد .

أثمرت جهودهم ثمرة طيبة من حيث أنها مهدت الطريق أمام الباحثين في المستقبل إلى ميدان واسع بكر .

• • •

هناك ثلاثة طرق سارت عليها تجارة الهند إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط :
(أ) برا من الممرات على الحدود الشمالية الغربية للهند إلى بلخ ، ثم على خط سير القوافل شمال صحراء كرمان إلى المدائن إلى أنطاكية والموانئ المجاورة لها .

(ب) بحراً من الساحل الغربي للهند إلى الخليج الفارسي مصعداً بالفرات ثم براً إلى أنطاكية والموانئ المجاورة لها .

(ج) بحراً من الساحل الغربي للهند إلى ساحل عمان إلى ساحل اليمن ومن هناك إما على طول ساحل البحر الأحمر أو على خط سير القوافل إلى موانئ سوريا وفلسطين .

غنى عن القول أن الطريق البري استخدم قبل أن يستخدم الطريقان البحريان ، وفلا وجد علماء الآثار ما يؤكد أن العلاقات بين أرض الأنهار الخمسة (البنجاب) وأرض الرافدين ترجع إلى عشرات القرون قبل عهد التاريخ المنتظم^(١) إلا أن التجارة عن هذا الطريق كانت عبارة عن انتقال البضائع من قبيلة إلى أخرى ضد أحوال طبيعية صعبة وكانت أيضاً متأرجحة لعدم استقرار الأحوال السياسية ، ولذلك كان التحول إلى الطريق البحري ايذاناً بزيادة ملحوظة في التبادل التجاري بين البلدين .

والدليل الموثوق به على جلب البضائع براً من الهند فيلة^(٢) على مسلة (Shalmanassar) (٨٥٨ — ٨٢٤ ق . م) ذكرت باسم غير معهود في الآشورية هو (Baziati) عن السسكرتيه (Vasita) وبما أن الفيلة ذكرت إلى جانب « الابل من (Bactria) ذات السنامين » يتأكد لدينا أنها نقلت بالطريق البري عبر الحدود الشمالية الغربية للهند^(٣) .

(١) Wilson : The Persian Gulf, p. 28.

(٢) الفارسية " pil " السسكرتية " pīla " إلا أن بعض العلماء يذهبون إلى أن هذه الكلمة ليست أصلية في السسكرتية . انظر " Elephant " , Hobson-Jobson, (Supplement).

(٣) Kennedy, J. ; Early Commerce of Babylon with India. JRAS. 1898. p. 242-288

ولا بأس بأن نقف قليلا عند ذكر « الابل من Bactria » في القرن التاسع ق.م فتلاحظ أن من أشهر وأعز أصناف الابل عند العرب « البختية » وهي على حد قولهم « الابل الخراسانية تفتح من بين عربية و فالح » (اللسان) والفالح : البعير ذو السنامين . . . يحمل من السند للفعلة (المصاح) وقد وصف الفالح بهذه الصفة ابن حوقل سنة ٣٥٠ هـ ^(١) والمقدمي سنة ٣٧٥ هـ حيث يقول هو الآخر :

« (من خصائص السند) « الفالح : الذي تراه بالشرق وفارس يولد البختي وهو أعظم من البخت له جنتاهان مليح لا يستعمل ولا يملكه الا الملوك ولا تكون البخت الا منه »

١٠. والفالح بكلمة سندية محلية والحليم فيها علامة العجمة لا غير مع أن بعضهم لم يعد مهم التعليل بأن الفالح « يسمى بذلك لأن سنامه نصفان » (الخصص ٦٨/٧) . . . وكذلك البختية « دخيل في العربية أعجمي معرب » (اللسان ومثله في الخصص ١٣٥/٧ عن صاحب العين) . إذن لما هو أصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتموا اليه حتى أن بعضهم اجترأ على القول بأن الكلمة عربية (انظر اللسان) . . . على كل حال ما من شك في أن « البختية » لم تكن غير « الابل من Bactria » ^(٢) .

ومن الجدير بالملاحظة أيضا في هذا الصدد أن أصحاب المعاجم قد فرقوا ، جريا على عاداتهم ، بين مادتي « بخت » و « بختر » الا أن مشية الجمال البختية طوال الاعناق ذات السنامين هي أشبه شيء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال في قولها « تفخخت » من مشى الفاخته (الخصص ١٠٩/٣) ومن الثابت أيضا أنها كانت تصف النساء « بالبخت » قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبجيلة تكاد على غر السحاب تروق ^(٣)

(١) المسند والمهالك ص ١٣٦ .

(٢) أحسن التقاسيم ص ٨٢ .

(٣) انظر Davis : Supplement

(٤) سميت الآلى ٣٠٦

أما العلاقات التجارية البحرية بين المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر وبين الهند فمن المقطوع به أنها راسخة في القدم إلا أن الأدلة فيها يتعلق بالفترة السابقة لسنة ٧٠٠ ق م ليست بكثيرة ، من أهمها :

١ — ورد في الكتابات التي ترجع إلى ما قبل ٢٠٠٠ ق م أن الأكاديين كانوا يستوردون الأخشاب من (Magan) (عمان) ، ويرجح أن تلك الأخشاب إنما كان أهل عمان بدورهم يجلبونها من الساحل الغربي للهند^(١) .

٢ — كلمة (Sindhu) الواردة في مكتبة (Assurbanipal) (٦٦٨ — ٦٢٦ ق م) إنما يرجع أصلها إلى الهند وهي تعني « القطن الهندي » ومنها العربية (Sailū) والعربية « سدين »^(٢) .

٣ — كلمة « Karpas » العربية « قرفس » بالعربية (توافق السانسكرتية « Karpasa » .

٤ — في القرن العاشر ق م استعان سليمان ، جزياً على سياسة أبيه داود ، بالتبشيعين لتنشيط حركة الملاحة والتجارة بين ميناء « Ezion Gēber » (العقبة)^(٣) و « Abhira=Ophir » أعالي الساحل الغربي للهند^(٤) وتعد الكليات الآتية من آثار هذه الحركة التي كانت ولا شك أقدم بكثير من عهد سليمان ، ولم يكن منه إلا أن جعلها مباشرة بعد أن كانت تجري على أيدي وسطاء كنعانيين .

٥ — العربية « Shen Habbin » = « شن القيل » (العاج) عن السانسكرتية « ibha-dantu » .

(١) انظر Wilson: The Persian Gulf, p. 27 ولعل Magan هي « مزون » بالعربية [وقد انتقل هذا الاسم فيما بعد إلى شبه جزيرة سيناء حيث بق بشكل « مان » في المملكة الأردنية ، كذا في تاريخ العرب لمحق ص ٣٦] .

(٢) H. J. Rawlinson: Intercourse Between India and the Western World. Cambridge, 1926, p. 2-3.

(٣) لقد أمكن تحديد الموقع بتل الخليفة غربي العقبة على أثر الأعمال التي قامت بها بعثة أمريكية هناك أثناء ٤٠ — ١٩٣٨ م .

(٤) اختلف كثيراً بشأن (Ophir) . بعضهم قرأوا الكلمة Suphir « سوبارة » بالهند أيضاً أو « طلار » باليمن أو « سفاة » الأرمن ، إلا أن المرجح أنها كانت بالهند .

(٢) العربية (almug) ^(١) عن السنسكريتية والتاميلية (valgu) .

(٣) الصربية (Koph) القردة عن السنسكريتية (Kapi) [قارن المصرية القديمة (Kafu)] .

(٤) العربية (thuki-in) عن التاميلية (tokei-touai) وعنها الفارسية والبربرية «طاووس» .

هذا بالإضافة إلى الذهب والفضة والأحجار الثمينة التي تتألف منها قائمة البضائع المستوردة من الهند على ذلك العهد ^(٢)

ولا يخفى أن هذه الأدلة قليلة كما هي قد تناوفا بعض العلماء بالتجريح والرفض إلا أنهم في الوقت نفسه أكدوا أن عدم توفر الدليل لا يبيح وجود ما يمنع التجارة البحرية بل بالعكس اعجاز الدراويش (Dravidians) سكان جنوب الهند منذ قديم الزمان بالأبحار إلى الملاحة . ومنذ القرن السادس ق.م ينفتح الظلام وتعرف لدينا الأدلة القاطعة على ازدهار التجارة البحرية ، منها :

(١) العثور على قطع من الساج [المرهتية (Sag)] وغيره من الأخشاب الهندية في قصر نبخت نصر (Nebuchadnezzar) (٦٠٤ — ٥٦٢ ق.م) وفي معبد إله القمر الذي جدد نبخت نصر بناؤه به (Ur) .

(٢) انتشار عدد كبير من البضائع الهندية في اليونان حيث كانت ترد عن طريق بابل ولا تزال أسماءها اليونانية والعربية ترشدنا إلى أصلها مثلاً :
السنسكريتية (Chandan) = العربية (صندل) .
التاميلية (Arixi) = العربية (الأرز) الخ .

(١) نوع من الخشب الثمين الصندل الأحمر على الأرجح . راجع Cheyne , Ency. Biblica

Rawlinson, pp. 10-11. (٢)

٣٠ في مقدمة هؤلاء الأستاذ J. Kennedy الذي مضت الإشارة إليه .

(٤) الرز والآرز والرز لغات نيه (< الإنجليزية "Rice") وقد انجبه بعض العلماء أخيراً إلى الاعتقاد بأن المركز الذي تنشر منه الأرز في العالم هو التركستان وذلك قاروا إن أصل الكلمة هو "virinzi" virinza بالفارسية القديمة = "brimj" بالفارسية الجديدة =

التاملية (Karppu) = العربية (قرقة) .

التاملية (Iuchiver) = العربية (زنجبيل)

التاملية (Pipruli) = العربية (فلقل) .

السنسكزية والتاملية (Vaidurya^(١)) = العربية (بلور) .

السنسكزية (Kirmi) = العربية (قرمز) .

فهذه هي بعض الكلمات الهندية الأصل التي دخلت اللغة اليونانية عن طريق
بابل في الفترة التي نحن بصدها^(٢) .

وقد بحث العلماء عن التطورات التي أدت إلى نمو التجارة البحرية بين بابل
والهند في القرنين السابع والسادس ق. م فوجدوا أن تلك الظاهرة توافق
تشكيل (Sennacherib) بالكلدانيين واحلال الفينيقيين محلهم في سنة ٦٩٤ ق. م
لأن الكلدانيين الذين سكنوا « سيف البحر »^(٣) منذ القرن التاسع ق. م
لم يكن لهم من التفوق في الملاحة ما كان لأقربائهم الفينيقيين الذين جلبهم الملك
الآشوري من أعلى دجلة والفرات وعلى هذا يمكن القول بأن شجاعة
الفيينيقيين وخبرتهم بأعمال الملاحة والتجارة التي اكتسبوها في موطنهم
الغربي هما اللتان قلعا على غاوى البحر الهندي^(٤) . ومن ناحية أخرى
نجد في المصادر الهندية الراجعة إلى هذا العهد ولا سيما المجموعة المنماة
بـ « Baveru Jataka » قصة عن التجار الهنود (أغلبهم من الدراورين)

« Baveru Jataka » بالسنسكريتية : انظر Sir George Watt: The Commercial Products of India: London, 1908, p. 824, seq.

وليس أن كلمة أخرى مماثلة « البوط : الأرز يطبخ بالبن والبن خاصة » هندية
أيضا كما جاء في المصنف « bhuta » .

(١) بالبراكزية « Vaidurya » . انظر « Hobson-Jobson » Beryl

Rawlinson p 14 (٢)

(٣) « Sealand » الوارد ذكره في الكتابات للملاحة والمعدن من مصب الفرات
إلى Dilmun = البحرين ويظهر أن العرب كانوا يسمون بـ « سيف » هذا السيف
الفر في قنيلج الفارسي خاصة ، قال الأخنسن بن صهاب :

لكيز لها البحرين والسيف كله وان يأتيها بأس من الهند كارب

[للفضيلة ١/٩]

(٤) راجع مقال Kennedy السالف الذكر .

الذين مضى الالامع إليهم) قيل إنهم أثاروا إعجاب أهل بابل بالغراب نادرة وبالطائوس نادرة أخرى .

ولا يغوتنا في هذا المقام التنويه بأن تجارة الهند هذه كانت السبب الرئيسي في رخاء بابل وعظمتها التي بلغت أوجها في هذا العصر حتى أثارَت جسد فرعون مصر (نخاو) (Necho) (٦١٢ — ٥٩٦ ق . م) لما كان منه إلا أن بذل الكثير من الاموال والأرواح في سبيل إعادة بناء القناة الموصلة من النيل إلى البحر الأحمر ، تلك التي كان افتتاحها لأول مرة (Sesotris) في القرن العشرين ق . م

• • •

وقد كان لهذه العلاقات أيضاً أثر خالد في أريضة من أم نواحى الحضارة في الهند :

(١) الخط البراهمى (Brahmi) ، الذى تفرعت منه المخطوط الهندية المختلفة ، إنما كان من أصل سامى قوى الشبه بالحروف الفينيقية إلى درجة تؤكد أنه دخل الهند عن طريق الساحل الغربى على أيدي التجار الفينيقيين وقد حدد الدكتور بوهلر (Dr. Bühler) تاريخ دخوله الهند بسنة ٨٠٠ ق . م ومع أن هذا التحديد لا يزال موضع نقاش إلا أنه من اليمى أن الخط لابد وأن يكون قد مضى عليه قرون قبل أن يتطور فيتلاءم مع مقتضيات اللغات الهندية كما يبدو في الكتابات التى ترجع عهدها إلى القرن الثالث ق . م وفى أقدم الكتابات التى عثر عليها في الهند (١)

(٢) نظام منازل القمر المعهود عند الهنود (Nakshatras) إنما هو مأخوذ من بابل .

(٣) يرجح الأستاذ كيليدى (Kennedy) أن الهنود إنما اقتبسوا نظام التعامل بالعملة الفضية المعروفة بـ « Purāṇas » مما كان متبعاً عند

(١) Cam. Hist. of India I, pp 140-142 وانظر أيضاً دائرة المعارف البريطانية — "Sanakrit" كذلك الخط الخروشتى الذى انتشر في المناطق الصحالية الغربية لهند كان من أصل سامى آراى .

أهل بابل^(١) ولا يخفى أن (Purāṇas) أقدم عملة عرفت بالهند وقد استمر التعامل بها إلى عهد قريب، ويرى كاتب هذا المقال إنها هي المعنية بـ «القهرى» عند مسعر بن مهبل^(٢) و«القهرى» (تصحيف «القهرى» أو «القهرى»)، عند المقدسي^(٣).

٤ — يتبين بعض العلماء علاقة ما بين الأوزان الهندية القديمة وبين ميقاتها عند أهل بابل مثل «المن» إلا أن أمرها مشكوك فيه جداً^(٤).

في سنة ٥٣٨ ق. م: امتدت سيطرة الفرس على بابل وغرب آسيا كلها وامتازوا بالجمع بين مصر من جهة ووادى السند من جهة أخرى في حوزتهم إلا أن هذه الميزة التي لا يمكن التقليل من أهميتها، لم تستخدم، كتلبية للمنازعات السياسية، لتسهيل التبادل بين المناطق الثلاث (البنجاب وبابل ومصر) التي كانت أهم مراكز التجارة الدولية، ومن ثم يحصر هذا العهد — عهد الأكشيين (Achaemenians) الذي امتد إلى ظهور الاسكندر (القرن الرابع ق. م) — عهد ركود على الرغم مما هو معروف عن دارا الأكبر (٥١٩ — ٤٨٥ ق. م) — أنه جهز وحدة بحرية تحت قيادة (Seylax) اليوناني للسفر وتفتد الأحوال من نهر السند إلى مصر كما أنه أنشأ قناة من النيل إلى السويس وأرسل من هناك سفناً إلى فارس.

لكن العلاقات التجارية بالهند كانت قد انقطعت إلى حد أنها أبت ألا أن تصخذ لها مجرى آخر^(٥)، فان الفرس لما لجأوا إلى التمكنيل بأهل بابل

(١) راجع الجزء الثالث من مقال الذي سبقته الاشارة اليه .

(٢) البلدان لياقوت « الصين » : « درهمم (أهل كاه) » وزن ثاق درهم ويرف بالقهرى .

(٣) أحسن التقاسيم ٤٨٢ — في نسخة « المنهرى » ونعيم ال المقدسي نفسه يفسر أن القهرىات غير « القهرىات » أو « القندهاريات » كما عند ابن حوقل (٢٢٨) — كل درهم منها خبة دراهم .

Railton P 15 (٤)

(٥) لعل محو تجارة الهند من طريق الخليج الفارسي إذ صريق البحر الأحمر كان قد بدا في عهد نبخت نصر ويصل ولست Vincent تخريب ذلك الملك لمدينة صور بهذا السبب نفسه . انظر Wilson p. 13

وتخريب موانئهم وسد دجلة والفرات ما كان من الكلدانيين ، الذين قد عرفناهم من قبل ، إلا أن نقلوا أنفسهم ونشاطهم إلى (Gerrha) (على شاطئ البحر) التي برحان ما أصبحت مدينة تجارية معروفة ، وبعد قليل ظهر الجنيون كتنافس قوى للكلدانيين في هذا الميدان فأنحدوا من (Mouza) = موغا وقنا (Kane) وعدد من أكنز لهم ومالئوا أن جذبوا إليها معظم تجارة الهند وأفريقيا الاستوائية أيضا بالإضافة إلى التجارة في أنواع الطيب المحلية من جنوب جزيرة العرب وكما تدفقت هذه التجارة على خط سير القوافل من اليمن إلى الشام — ذلك الخط الذي ربما سارت عليه بلقيس لزيارة سليمان — أشهر قوم سبأ بالثروة والبسطة اللتين ضرب بهما المثل وسنرى كيف أن فقدان هذه التجارة أدى إلى خراب العمران الذي أصبح هو الآخر مضرب المثل .



في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. قلب الاسكندر الاوضاع ببسط سلطانه إلى حدود السند وسمران ما أدى اهتمامه بإعادة النشاط التجاري بين ساحل السند والخليج الفارسي فأرسل بعثة استكشافية لهذا الغرض تحت قيادة (Nearchus) على غرار ما كان فعله دارا الأكبر من قبل إلا أن موته حال دون القيام بأي عمل آخر في هذا الشأن . أما خلفاؤه الذين اقتسموا المملكة بينهم فقد شغلوا بالحروب الأهلية حتى أن السلوقيين (Seleucids) لم يكن يهمهم غير الحصول على القبلة من الهند عن طريق إيران كما أن خصمهم في مصر بطليموس الثاني كان معنيا بحلب ذلك الحيوان من الحبشة لأغراض حربية ولكن إلى جانب ذلك نلاحظ أن العلاقات بين ملوك الهند من جهة وملوك الشام ومصر من جهة أخرى كانت في هذه الفترة أكثر توتقا من ذي قبل ، لا أدل على ذلك من وفود (Megasthenes) و (Dionysius) سفيرين لسوكس و بطليموس على الترتيب لدى بلاط جندر كيت موريا (Chandragupta Maurya) ومما يذكر عن ملك الهند هذا أنه أقام عدداً من الموظفين للاتصال بالأجانب والهر على راحتهم أثناء زيارتهم للهند ويستنتج من هذا كله أن التجارة بين الهند والخليج الفارسي لم تكن قد وقفت أو هبطت إلى درجة كبيرة ، ثم ساعدت الأحوال السائدة بأطالي الخليج على تركيز هذه التجارة

في أيدي أهل (Gerrha) الذين ربما كانت تتألف أغليتهم الآن من العرب وفي نفس الوقت كان نشاط سبأ في ازدياد مستمر وقد شاركهم في هذا النشاط النبطيون بأعلى البحر الأحمر، أولئك القوم الذين ما كانت عاصمتهم الرقيم (Petra) لتتال شهرتها في التاريخ لولا أنها وقعت موقعاً هاماً على خطى سير للقوافل من اليمن ومن العقبة (Aelana) أيضاً .



لقد انفتح لنا سبيل أن نصير سبأ ورخاءها ونحضراتها كانت مرتبطة ارتباطاً تاماً باستمرار تجارة الهند على الخط البري المهادي لساحل البحر الأحمر إلى أسواق الشام، وفعلنا برى تيجار سبأ تحرك ضمن حوضاً بالقاء على الاحتفاظ بهذا الخط إلى حد أن الروم واليونان كانوا يفتقدون طوال هذه المدة أن المنتجات الهندية التي كانت تنقل إليهم عن هذا الطريق كانت من منتجات اليمن المحلية (١) . ونجدد بالملاحظة في هذا المقام أن الأخطار الشديدة التي كانت تهدد بالملاحاة في البحر الأحمر فوق عدن من عدم وجود موانئ ضالحة وقلة الماء والفرصة وما إليها كانت من أهم العوامل التي جعلت من الخط البري الطريق المفضل قروناً عديدة، إلا أن اليونانيين كانوا دائماً يبدلون محاولات جديدة للتغلب على تلك الصعاب من قاعدتهم في مصر مما جعل اليمنيين يربكون تجارتهم ببقطة وحذر، مثلاً لما عهد بطليموس الثاني (٢٨٥ - ٢٤٦ ق. م) ، الذي كانت سلطته تمتد إلى فينيقية وفلسطين ، إلى إعادة فتح القناة القديمة بين النيل والسويس (Arsinoe) أولاً وإنشاء الطريقين الصحراويين من (Kopros) إلى (Berenike) ومن (Kopros) إلى (Myos Hormos) . ثانياً أحدث ذلك رد فعل قوى بين اليمنيين على كل حال أقصى ما توصل إليه اليونان، بعد هذه الجهود المضنية، هو اتباع البضائع الهندية من حين إلى آخر في الموانئ اليمنية، خاصة (Mouza) ، ثم نقلها إلى (Kopros) كما مر بدون أن يقسى لهم الاستغناء عن وساطة سبأ ومن المعتقد أن النساء والكلاب والثيران والأبقار والتوابل الهندية المحملة على الجمال ، تلك التي ازداد

بها المركب التاريخي لبطليموس الثاني سنة ٢٧١ - ٢٧٠ ق. م إغما وصلت إلى عاصمة مصر بعد إعادة شحنها في الموانئ النينية . ثم وقد برز في هذه الآونة أيضاً اسم جزيرة سقطرة ^(١) كسوق دولي هاجر إليها واستوطنها اليونانيون ^(٢) للمشاركة في تجارة الهند والحبشة .

غلاصة القول ان تجارة الهند مازالت تتحول من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر منذ بداية عهد الفرس الأكانيين ، بل وقبل ذلك منذ أيام بخت نصر إلى أن أصبح الطريق الأخير هو الطريق الرئيسي في القرن الثاني ق. م وفي هذه الفترة بالذات أي منذ انتقال الكلدانيين إلى (Gerrha) بدأ العرب سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية والجنوبية يمارسون هذه التجارة ويستولون عليها أكثر فأكثر حتى أصبحوا محكرين لها يصفون على احتكارهم بالنواجذ ولم يستطع عملاؤهم اليونان ، مع شدة قلقهم ، إحداث أي تغيير جوهري في الوضع حتى القرن الثاني ق. م .

ولكن ما كاد القرن الثاني يقترب من النهاية حتى حدث ما كان في الواقع بداية نهاية أمر العرب وهو أن ملاحاً هندياً غرقت سفينته فوصل في قارب النجاة إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث تولى الخفر نقله إلى الاسكندرية ، وبينما هو في تلك المدينة وقد أخذه الحنين إلى الوطن إذ التقى (Eudoxus of Cyzicus) الذي كان له باع في علم الجغرافيا ، ولم يمض وقت طويل حتى تواعد الاثنان وحصل على موافقة الملك (Euergetes II) ومساعداته للقيام برحلة إلى الهند وقد تم ذلك فعلاً ما بين ١٢٠ - ١١٠ ق. م ^(٣) فرجع الملاح الهندي إلى أهله بعد أن دل يودوكسس على الطريق إلى الأرض التي كان يسمع عنها اليونان أن بها « أشجاراً تنبت الصوف » و « أحجاراً تذوب

(١) السنسكريتية "Dripa Sukhatara" أي جزيرة السادة .

(٢) يقول أبوزيد السمرائي ، سلسلة التواريخ ، باريس ١٨٤٥ ، ص ١٣٢ - ١٣٤ ، إن الاسكندر هو الذي أهتم بالسكان اليونانيين تلك الجزيرة متحقيقاً لرغبة ارسطاطاليس في الاستيلاء على منابت الصبر بها .

(٣) انظر : Rawlinson p. 96-99

في القم فتكون أحلى من العين ومن العسل » (التطن والسكر على حد تعبير Herodotus, Megasthenes على الترتيب) .

ولم تكن نتائج هذه الرحلة ، التي كانت الأولى من نوعها ، لتضيق على الملاحين اليونان فقد أتبعها يودوكس نفسه على الأقل رحلة أخرى وما من شك أن آخرين حذوا حذوه من حين لآخر لأننا نقاباً قبل مضي فترة طويلة يسبق الملاح اليوناني ، المتمثل في (Hippalus) ، على العرب إلى الاكتشاف عن طريقة استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في السفار إلى الهند أيام الصيف . من المؤكد أن العرب لم يكونوا يجهلون الرياح الموسمية ، كفى دليلاً على ذلك أن الكلمة العربية « موسمية » هي التي اعتُقلت وتطورت إلى (monsoon) ليكنهم . لسبب ما ، لم يكونوا قادرين على استخدام ما كان هياج البحر في فصل الصيف بالذات ^(١) . وهنا يمكن من أمر أن ما اعز به اليونان كان كشفاً عظيماً أدى إلى انقلاب خطير في طرق الملاحة والتجارة ويؤرخ هذا الكشف — كشف (Hippalus) — في سنة ١٠٠ م إلا أن بين أيدينا أدلة على تफल اليونان وكثرة ترددهم على المناطق التجارية بالهند قبل ذلك ، منها إضاد بعثة من قبل الملك (Pandion) بأقصى جنوب الهند ^(٢) إلى (Augustus) بمصر في سنة ٢٠ ق م ، كذلك شهادة استرابو (Strabo) الصريحة بأن ١٢٠ مركباً سارت إلى الهند في سنة واحدة (٢٥ ق م) من ميناء (Myos Hormos) ، ثم لا يخفى أن حملة (Aulus Galus) على اليمن في عهد (Augustus) نفسه سنة ٢٤ ق م لم تكن إلا حلقة في سلسلة الخطوات لاتتزع تجارة الهند من أيدي العرب ^(٣) وذلك بالتواطؤ مع النبطيين شركاء سبأ الذين سبقت الإشارة إليهم ، لكن الحملة فشلت فشلاً ذريعاً وظل مركز العرب قوياً ، إنما كان ناقوس الخطر قد دق وكان الحراب يتسرب إلى اليمن وريداً وريداً .

(١) سيجد القارئ بحثاً ثانياً عن هذا الموضوع في : Georgeadlo Hourani :

Arab Seafaring in the Indian Ocean, Princeton, 1951, p. 25

(٢) " Pandion " = Pardya هذا هو التفسير السائد وقد ذهب البعض إلى أن

المراد به Porus (كوروس) بالمنطقة الشمالية الغربية انظر R. Robinson p. ١٠٨

(٣) انظر Hani p. ١٦

وبمناسبة ذكر الملك (Pandion) لا بأس بأن نستطرد قليلا لنضرب مثلا للقائدة التي تعود على الأدب العربي من الدراسات المقارنة فنقول ان ملكة (Pandye) بأقصى جنوب الهند قد اشتهرت من قديم الزمان بمفاصات اللؤلؤ الواقعة في المياه الضيقة بين ساحل الهند وجزيرة سيلان وجاء عنها في الأساطير الهندوكية أن الاله كرشن (Krishna) جمع اللاكئ من أنعام العالم وركزها في تلك المنطقة لتترن بها ابنته ملكة (Pandye). لقد ذكر (Megasthenes) المفاصات والأسطورة المتعلقة بها^(١) كما لم يغفل الأشادة بها أحد من الزائرين لتلك المنطقة في جميع العصور من بينهم سليمان التاجر^(٢) وماركوبولو^(٣). الا أنه كان بهذه المنطقة ميناء هام ربما سار اسمه مع اللاكئ التي كانت تصدر منه وهو (Kolkui)^(٤) وبما أن مياه البحر انحسرت وابتعد الساحل من موقع هذا الميناء أثناء العصور القديمة نفسها اختفت الإشارة اليه فيما عدا المصادر اليونانية الراجعة الى الفترة التي نحن بصدددها، ثم مضت قرون فاجأنا على أثرها الشاعر العربي علقمة بقوله :

بحال كأجواز الجراد ولؤلؤ من القلقى والكبيس الملوب^(٥)
كذلك قول ابن الرومي أيضاً :

يفتر ذاك السواد عن يلقى من ثمرها كاللاكى القلقى^(٦)
«القلقى» = (Kolkui) لا غير. لكن أنظر ما جاء عنه في اللسان
«القلقى ضرب من الحلى، قال ابن سيده: ولا أدري إلى أى شئ نسب إلا
أن يكون منسوباً إلى القلقى الذى هو الاضطراب كأنه يضطرب في سلكه

(١) Cam Hist of India ٤٢٣/١

(٢) سلسلة التواريخ ص ١٢٠

The Travels of Marco Polo Broadway Travellers, London, 1931 (٣)

pp. 292-293.

(٤) على شهر Tamraparni بإقليم Tinnevely انظر The Peoples of the Kershavan

Sea (Schoff), 1912, p. 237.

(٥) المقد اللقيق ٤/١

(٦) كتاب التشبيهات لى أبي عون - تذكرك - ص ٩٧

ولا ثبت ... ١ وفي بعض الأحيان ألجأت الحيرة الفساح إلى التحريف :
« القلعي » بدل « القلبي » — إلا أن الأمر لم يزل مغلقاً .

لقد سبق أن رأينا ما كان له (Gerrha) من شأن كبير في التجارة الدولية،
يبين لنا (Eratosthanes) (٢٧٦ — ١٩٤ ق.م) كيف أن أهلها — ولا شك
أن غالبيتهم كانت من العرب — كانوا يقومون بنقل أنواع الطيب والبضائع
الأخرى المأخوذة من جنوبي جزيرة العرب والحبشة إلى بابل و (Seleucia)
كانوا ينقلونها بالقوافل البرية ورياً أيضاً بالسفن التي كانت تصعد بدجلة
إلى (Seleucia) قسماً^(١) ، وقد كان لهم نصيب من بحارة الهند أيضاً مع
أن معظمها كانت قد تحولت إلى اليمن والبحر الأحمر . ومن الجدير بالملاحظة
أن هؤلاء التجار الوسطاء على ساحل الخليج الفارسي استعمروا في أعمالهم
ونشاطهم طوال قرون عديدة بدون أية محاولة للتدخل من قبل السلوقيين
الهم إلا ما كان من (Antiochus III) الذي أغار على (Gerrha) حوالي
سنة ٢٠٥ ق.م لكنه شرعان ما رضى بالرجوع قائلاً بالفنائم والهدايا
من البضائع التي كان الأهالي يصحرون بها ولا ينبغي أن السلوقيين كانت لهم
تجارة واسعة بالهند عن طريق البر (إيران) وهكذا ظل الحال أيام البارثيين
(Parthians) الذين استولوا على بابل والمدائن ما بين ١٤٠ و ١٣٠ ق.م فهم
أيضاً قصرُوا اهتمامهم على تجارة الهند (والصين أيضاً) عن طريق البر
فقط^(٢) وقد كانت تكتفي لتدر عليهم أرباحاً طائلة . على كل حال لم يحدث
في منطقة الخليج الفارسي مثل ما حدث في منطقة البحر الأحمر من منافسة
اليونان للعرب .

لم تؤكد دعائم الامبراطورية الرومانية تتوطد في سوريا وفي مصر قبيل
بده التقويم للمسيحي حتى نعمت البلاد بالاستقرار وتأمين السبل والقضاء

Wilson p. 45 (١)

Hourani p. 14 (٢)

على القرصنة مما أدى إلى شدة الاقبال على السلع الكماليات المستوردة من الهند والصين في روما والاسكندرية والمدن الأخرى ، ولذلك يعتبر القرن الأول المسيحي أزهى عصور تجارة الهند بالغرب ، أما التطورات التي كانت قد حدثت في سير هذه التجارة بالنسبة إلى العرب فتبينها بوضوح في مذكرات بحار يوناني مجهول كتبها حوالي سنة ٨٠ م باسم (The Periplus of the Erythraean Sea) — تبين منها أن للملاحين الروم كانوا إذ ذاك يحرون رأساً من قنا أو من (Ocelis) إلى (Cranganore=Muziris) بالجزء الأسفل من الساحل الغربي للهند وذلك في الحقيقة يمثل تقدماً كبيراً على ما جرت عليه العرب من السير بمحاذاة الساحل إلى « منطقة البوازيج » ^(١) أي كجرات (Gujerat) وربما انحدروا من هناك إلى ساحل المليبار أيضاً إلا أن الروم ، على الرغم من تفوقهم هذا ، كانوا لا يزالون بعيدين من القضاء على نفوذ العرب القديم في الأسواق الهندية ، يذكر أن الروم لم يكونوا يستطيعون الحصول على القرفة (اللحاء) إلا في رأس (Guadrufui) لأنها كانت تحجب عنهم في الأسواق الأصلية بينما كان ورق تلك الشجرة — شجرة القرفة تقسمها ، معروضا عليهم في المليبار حتى اشتهر بينهم باسم (Malabathrum) ^(٢) وهذا أطرف مثال للأواصر الوطيدة بين المصدرين من التجار الهندوس والوسطاء العرب ضد عملائهم الروم .

لكن لا يظن أن الاتفاق بين الشرعيين القديمين كان كفيلاً بمقاومة تغفلل الدخيل الجديد الذي اقضم الميدان مسلحاً بالتفوق في طرق الملاحة فان المصدر نفسه أعنى (Periplus) يحددنا أيضاً عن الموالاة بين الروم وبين حمر ملوك ظفار الذين كانوا قد حلوا محل سبأ منذ حوالي ١١٥ ق م ، وذلك شاهد على أن العرب وإن لم يكونوا قد تركوا الميدان إلا أنهم كانوا قد بدءوا يهادنون خصومهم وهل ذلك إلا كنتيجة للضعف والوهن ؟

(١) هكذا يسميها أبو الفداء : التتويج (باريس) ص ٣٥٨

(٢) Periplus ص ٤

ومما زاد الطين بلة ظهور منافس جديد للعرب في تجارة الهند . لا يخفى أن الهندوس كانت لهم علاقات تجارية قديمة جداً بساحل الصومال والحبشة ، لا أدل على ذلك من أن المصادر الهندوسية تحتوي على أقدم الاشارات إلى « رجال القمر » و « جبال القمر »^(١) ، ثم ان العرب ، وإن لم يرجعوا بالتجار الهندوس في الموانئ اليمنية ، كانوا قد أمسكوا عن مزاحمتهم في منطقة شرق أفريقيا^(٢) حتى أصبحت ملئى للتجار الهنود والعرب واليونان والروم أيضا وقد ظلت على حالها هذه إلى أن بدأ الحبشيون يظهرون في الفترة التي نحن مهتدون بها إلى نصيب أكبر لأنفسهم من تجارة الهند وسرعان ما راحوا يندشون تحالفاً مع الروم ضد العرب لهذا الغرض^(٣) وهكذا أصبحوا عاملاً جديداً كان له شأن يذكر فيما بعد .

على كل حال بلغ استهلاك البضائع الشرقية ، ولا سيما أنواع الطيب ، ذروته في عهد نيرو (Nero) — ٥٤ — ٦٨ م — فقد ذكر بليني (Pliny) أن المملكة الرومانية كانت تستكبد ما يقدر بمليون ومائة ألف جنيه سنوياً تمناً لمشترياتها من جزيرة العرب والهند والصين وكان نصف هذا المبلغ تقريباً من نصيب الهند وحدها^(٤) وقد اضطروا الملوك الذين جاءوا من بعد إلى فرض بعض التقشف صوماً للتركز المالي إلا أن حركة الاستيراد ما زالت قوية حتى كان عهد طراجن (Trajan) — ٩٨ — ١١٧ م — الذي سعى لتضييق الخناق على العرب وذلك بإعادة فتح القناة القديمة بين النيل والبحر الأحمر وكانت قد انسدت منذ عهد البطليموس الثاني) وتوصيلها إلى بابل مصر ثم بضم أقليم التبطين ، الذين كانوا قد ساعدوا (Aulus Galus) ضد اليمانيين ، إلى مملكته وإنشاء طريق رئيسي من العقبة إلى دمشق وأخيراً بإتراءه جميع الأراضي الممتدة إلى (Charox) و (Apologus) بأعلى الخليج الفارسي من أبدي البارتيين . لا شك أن فكرة السيطرة على هذين المينائين كانت فكرة سليمة

(١) المصدر نفسه ص ٨٧ قلا من J. K. D. Discov. of the source of the Nile

(٢) المصدر نفسه ص ٣

(٣) Hitti ص ٥٩

(٤) Rawlinson ص ١٠٣

جريئة لأنهما كانا على اتصال بحري شرقاً بالهند وقد اتفق لطراجن نفسه حينما كان واقعاً على رصيف Charax أن رأى سفينة تنأهب للاقتلاع إلى الهند فأبى على أنه لم يكن في وسعه التقدم إلى تلك البلاد لكبره وكانت تمتد أيضاً من المينائين خطوط تجارية غرباً إلى موانئ الشام وعلى ذلك فقد أراد طراجن أن يتم له الجمع بين منطقتي الخليج الفارسي والبحر الأحمر تحت سيطرته وتلك ميزة لم تيسر من قبل لغير دارا الأكبر والإسكندر، وكان يرجي أن تكون مثل هذه الخطوة آتية بعيدة لولا أن البارتيين سرعان ما استردوا ما كانوا قد فقدوه فاقصرت النتيجة على أن يرأس مدينة (Plamyra) يدمر، يخلف للرقم التي خربها طراجن سنة ١٠٥ م وقد قال هذا المركز التجاري الجديد قسماً وإفراً من الإزديهار لأن الفريقين رأيا من مصلحتهما عدم التعرض له حتى يفي أهله بحجروني في كلتا المملكتين المتخاصمتين ويتقنون البضائع بينهما وذلك إلى سنة ٢٧٣ م - الوقت الذي رأي فيه الروم أن الفرصة قد سنحت للاستيلاء على يدمر كما كانت قد استولت على الرقيم من قبل.

يتجلى لنا في جغرافية بطليموس (حوالي ١٥٠ - ١٢٠ م) مدى التقدم الذي كان قد أحرزه التجار الروم في الاستيلاء على التجارة الشرقية وذلك طبعاً على حساب نفوذ العرب ومصلحتهم فقد كانوا عرفوا خليج البنغال بما فيه مصب نهر الكنك (Ganges) و «بلاد الذهب» (جنوبي بورما وملايو) كما أن واحداً منهم على الأقل يسمى الإسكندر كان قد زار طونكينج (Tong King)، كذلك وصل وفد منهم في سنة ١٦٦ م إلى عاصمة الصين ليشتكو من احتكار الإيرانيين لتجارة الحرير ويعرض إنشاء علاقات مباشرة عن طريق الهند^(١) ومن جهة أخرى تفيدنا المصادر الهندية لتأملية (Tamil) عن وجود جاليات للروم في جنوب الهند وأنخراطهم في خدمة الأمراء الهنود^(٢) كما أن ظهور التجار الهنود في أسواق

١٦٠ انظر The Journal of the Asiatic Society, 1887, 1: 87. ١٧٣ - ١٢٨

١٢١ The Journal of the Asiatic Society, 1887, 1: 87

الاسكندرية — الأمر الذي يشهد به Dio Chrysostom على عهد طراحي^(١)
بعد دليلاً على نمو العلاقات التجارية المباشرة بين الروم والهند .

وبكذا استمرت هذه الحركة قوية طيلة القرنين الثاني والثالث بينما
أصبحت العرب غير ذات شأن إلى أن حدثت تطورات سياسية جديدة وساءت
أحوال روما الاقتصادية وانخفضت قيمة عملتها التي كان يتعامل بها كل
من العرب والهنود فكانت النتيجة أن ركدت التجارة وتضاءلت إلى أدنى
حد بدليل أنه لم يعثر في الهند على العملة الرومانية الراجعة إلى ما بعد ٢١١ م
إلا القليل النادر^(٢) .

* * *

لقد رأينا أننا كيف أن العرب غلبت على تجارة الهند ولكن القضاء
لم يعمل الروم طويلاً ليحتجوا من ثمرات نصرهم فسرى كيف أن الفرس حلوا
على العرب والروم جميعاً أثناء القرون التالية ، نعم وقد اشتد أيضاً في الوقت
نفسه مركز الأجاش حتى أصبحوا المنازع الوحيد للفرس في تجارة الهند :—
انقل زمام الحكم من البارتيين إلى الساسانيين في سنة ٢٢٥ م ومن أهم
ما امتاز به الساسانيون اهتمامهم بتشجيع الملاحة عند الفرس — الناحية
التي لم يلتفت إليها أسلافهم قط ، يجعل هذا الاهتمام فيأقام به أول ملوك الأسرة
الجديدة ، أردشير الأول (٢٢٥—٢٤١ م) من إنشاء الموانئ وما إليها . وفي مطلع
القرن الرابع نسمع عن حملة العرب سكان الساحل الغربي على الفرس بالساحل
الآخر عبر الخليج الفارسي ثم عن انتقام سابور الثاني من العرب بعد ذلك
بزمن قليل مما يدل على تقدم الملاحة واجتياز العنصرين دوراً من المزج والصهر
في بوتقة واحدة . وفي هذه الأثناء زالت روما وخلقتها قسطنطينية سنة ٣٣٠ م
كما أن حمير استعقلت سيادتها على الجزء الجنوبي من جزيرة العرب حتى أصبح
البيع « ملك سبأ وحضرموت وعمات وتهامة » ولكن حمير كانت الآن
مهدة تماماً من قبل الحبشيين الذين كان يجري في عروقهم دم المهاجرين

(١) المصدر نفسه ص ١٤٠

(٢) المصدر نفسه ص ١٥١

من اليمن نفسها وفعلأ بدأ ملوك أكسوم (Axum) يحرشون بسكان الساحل الشرقى للبحر الأحمر منذ أواخر القرن الثالث حتى نجحوا فى النصف الأول من القرن الرابع فى إخضاع حمير لسيادتهم، ومع أن سيادتهم لم تدم إلا برهة قصيرة استأنفت حمير بعدها استقلالها إلا أن الحبشيين بقوا عاملا يعتد به فى كل ما يتعلق بالتجارة والسياسة فى البحر الأحمر.

إنما مررنا مرعباً بالقرن الثالث والرابع والخامس لقلة المصادر عنها غير أن الوقائع التى سردناها تفتينا فكرة عن التيارات الآخذة فى النمو والأشداد وتنا إن فعل إلى القرن السادس حتى ترى نتائجها واضحة مستكيلة وهي قلخص فى استيلاء الحبشيين مرة أخرى على حمير سنة ٥٢٥ م، وبما يستقر على الالتقاء أن ذانوس لم يكن يملك أسطولا ولم يظهر أية مقاومة إلا بعد وصول المهاجرين إلى البر، ثم جاءت النهاية الكبرى للخراب الذى كان يقرب إلى اليمن منذ قرون بشكل انشقاق سد مأرب ما بين ٥٤٧-٥٧٥ م^(١) أما الفرس فكانت مكانهم طالية متمتزة جداً، كانوا قد اكتسحوا الروم من الموانئ الهندية وكانوا كما يشهد به (Procopious) و (Cosmos) يستلمون الحرير الوارد عن طريق البحر من «الصين» (Sinae) الساحلية فى سيلان بينما كانوا هم أنفسهم مسيطرين على المخطوط البرية الموصلة عبر وسط آسيا إلى (Sere) مصدر «الشرق»^(٢) أى الصين الشمالية. خلاصة القول أنه لم يكن أحد ينفذ من الحصار المضروب من قبل الفرس على الموانئ الهندية

(١) المهم أن انشقاق سد مأرب كان نتيجة لاسباب خراب اليمن ونشأت سبباً.

انظر Atlas ص ٦٥

(٢) ظل العالم الغربى يجهل حقبة طويلة أن (Sinae) التى كان الوصول إليها عن طريق البحر و (Sere) التى كان الوصول إليها عن طريق البر إنما كانتا تمثلان جزئين لبلد واحد، كما أن سكانهما كانوا من شعب واحد، ويختل كلمة «الشرق» بالبرية (س) بلا محليزية «Sik» الحرير الوارد عن طريق البر إلى إيران (بالفارسية «سره») والاصل بالثنوية (ark) والصينية («-») . انظر Periplos ص ٢٦٦ .

كذلك يقول ابن خرداذبه (ص ٧٠) : «الذى يجيء من الصين ... السروج والسمور» — «الرج» هنا توازي «serge» بلا محليزية فى الأصل ثوب مصنوع من الحرير ؟

إلا الحبشيون الذين كثيراً ترددوا ببعضاتهم . ولا سبباً عاجلاً ، على سيلان
والساحل الغربي للهند حتى عى موانئ الفرس أنفسهم وكانت (Adulis)
(حالياً Massawa) . مينة خبشة الرئيسى (وقاعدة الهجوم على اليمن) .
فى هذا الوقت مركزاً تجارياً هاماً لأن الروم كانوا قد اضطروا إلى فصر
نشاطهم على الاتصال بها واحصول على طلباتهم منها ولم يكونوا يستطيعون
التجاوز عن باب المندب إلا قليلاً ، وهل أدل على تخرج موقف الروم وعجزهم
من أنهم تقوا ماسعوا عن استيلاء الحبشين على اليمن بعثوا بعيد ٥٣١ م بسفارة
من قبل الامبراطور (Justinian) إلى اكسوم يطلبون من الحبشين أن يحاولوا
شراء الحرير رأساً من الهنود ويبيعه لهم (الروم) لكي تتوفر الأموال
التي كان الروم مضطرين إلى دفعها لأعدائهم الفرس ، وفعلوا حاول الحبشيون
العمل بهذا الاقتراح إلا أنهم لم ينجحوا فى ذلك لما كان يمتنع به الفرس
من التنفيذ وجبن إدارة الأمور فى أسواق سيلان والهند . ولم يقتصر نفوذ الفرس
عند هذا الجذب بل تعداه إلى إنشاء مراكز لهم فى سقطرة وفى (Adulis) نفسها
وأخيراً تزامم يطردون الحبشين من اليمن ويتزعونها لأنفسهم حوالى ٥٧٠ م .
هكذا تمت للسيطرة على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة
وساحل شرق أفريقيا من جهة أخرى ، وكان من الطبيعى أن يصبح الخليج
الفارسى الطريق الرئيسى لتجارة الهند فى عهدهم ، كما كان البحر الأحمر
إبان نبوغ الروم من قبل . ونجد هذه الأحوال منعكسة على الشعر الجاهلى
العربى والروايات التى وصلتنا عن ذلك العهد : أفهل أدل على الاتصال
الوثيق المستمر بين الهند والخليج الفارسى من أن الأبهة كانت تعرف
بـ « فرج الهند » ؟ (١) كذلك يرجح أن « عدولية » فى قول طرفة :

عدولية أو من سفين ابن يامن (٢) يحجور بها الملاح طوراً ويمتدى

(١) تاريخ الطبرى (إيدن ١٢ / ٢٠٢١) . انظر أيضاً ٢٠٢٣ حيث جاء « كان فرج الهند
أعظم فرج فارسنا واخذها توكه وكان صاحبه يحارب العرب فى البر والهندى والبحر » .

(٢) ورد ذكر ابن يامن فى بيت لأمراء القيس أيضاً :

أو للكروحات من نخيل ابن يامن دبرن الصفا اللأنى يلين المشقرا
المشقر : قصر بالبحرين (البلدان لياقوت) . يرجع الدكتور سليمان البدوى انه كان
تاجراً عربياً يهودياً هناك (عربونى كى جهاز رانى ص ٢٦) .

هي السفينة المنسوبة إلى (Adulis) ^(١) مما يدل على الاتصال بينهما وبين الخليج الفارسي .

بقي أن نتساءل : ماذا كان نصيب العرب من الملاحة والتجارة في هذا العهد ؟ يبدو أنه لم يكن لهم صفة مستقلة ، إنما كان أهالي عمان وماحواليها قد اختلطوا اختلاطاً كبيراً بحيرانهم الفرس ، وكان من الطبيعي أن يشاركون أعمالهم بما أكسبهم دراية وخبرة . أولاً نرى إلى أزد عمان وهم يحرقون لكونهم « جزوئين » وملاحين زكاً . أن كبراهم ربما تسبوا في مغرض المبحر إلى أصل فارسي ^(٢) . أما البصور الرائعة لمناظر البحر وأحواله وسفن السفن فيه التي يخرجهما ديوان العرب ، فلا يصح أن نتخيل دليلاً على متراولة العرب للبلاحة أو اهتمامهم بها ولا سيما إذا كان هناك ما يؤكد استعجالهم لها ، إنما كانت تلك البصور كإشنيات نقلت إلى داخل الجزيرة من المناطق الساحلية ^(٣) .



على ضوء ماوردناه آنفاً من الأوضاع السائدة في القرن السادس نستطيع أن نفهم جيداً بعض الحوادث التي وقعت في أوائل العهد الإسلامي ، فمثلاً جملة أهل عمان البحرية على فارس وحتى سواحل السند وكجرات بدون سابق إذن من الخليفة الثاني عمر إنما تدل على المعرفة القديمة والتحمس الجديد لاثبات استقلالهم عن الفرس الذين كانوا متفوقين عليهم من قبل ، كذلك نرى كيف أن عمر الذي كان حذراً خائفاً من « حمل الدود على العود » اضطر إلى السماح بمهاجمة (Adulis) لاشعار الحبشيين بانتهاء سيطرتهم السابقة على المياه المجاورة ثم توسعت الفتوح الإسلامية حتى شملت مصر من جهة والسند من جهة أخرى فكانت النتيجة أن أصبح طريق الخليج الفارسي

(١) انظر (Hourani) ص ٤٢ . أما الآخرون فنجد أقوالهم متناقضة مما ينم عن نوع من التضييق : عن الأصمعي عدوى قرية بالبحرين ، وقيل موضع يسمى عدولاء ، وعن ابن السكيت : عدوى إيسو من ربيعة ولا مقر ولا من يعرف من اليمن إنما م أمة على حدة (كذا في اللسان « عدل ») .

(٢) المهلب بن أبي صفرة مثلاً .

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية « السفينة » .

والبحر الأحمر تحت سلطة واحدة وتلك غاية طامنا تأت الحكومات المختلفة إلى تحقيقهم فلم توفق إلى إزالة الحدود بين العراق وسوريا كما قد رأينا من قبل وتبع هذا التطور الجديد أن ارتفع التنافس والتسابق بين المنطقتين ورجع نشاط كل منهما إلى ما كانت تقتضيه طبيعة العمران والاستهلاك المحلي، وبما أن خط الخليج الفارسي كان أكثر استقامة وأقرب مسافة وأوثق اتصالاً وأن التجار لم يلجأوا إلى البحر الأحمر إلا للضرورة، لذلك استمر هو الأول الطريق المفضل لتجارة الهند كما كان منذ عهد الساسانيين وبما زاد في نشاط هذه الناحية زيادة ملبوسة انتقال عاصمة الخلافة ومركز الحضارة إلى بغداد ولعل قول مستشار المنصور الذي يبسط فيه مزايا الموقع الجغرافي لتلك المدينة يقوم أوضح دليل على أهمية العلاقات التجارية التي نحن بصدددها، قال دهقان بغداد للمنصور: «... تحمل إليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجله...» (١١).

يصدق هذا القول ما أورده الرحالون والجغرافيون أمثال سليمان التاجر (٢٣٧ هـ) وابن خرداذبه (٢٣٢ هـ) والمسعودي (٢٣٢ هـ) والمقدسي (٣٧٥ هـ) بشأن ازدهار التجارة والعمران في الأبله وسيراف والبصرة، لقد كانت المراكب تفلح من هذه الموانئ إلى مسقط ومن هناك رأساً إلى كوملى (Quilon =) بجنوب الهند حيث كانت تتفرق الطرق فاما إلى ساحل الدكن (جنوب الهند) الشرق واما إلى سرنديب (جزيرة سيلان) وكله (Kedah =) بملايو على الطريق إلى الصين، هذا فضلاً عن حركة التجارة المتصلة بالموانئ القائمة على الساحل الغربي للهند فوق كوملى ومن أشهرها الدليل على مصعب نهر السند وكنبات وبروص (Branch الحالية) بكيجرات وتانه وصيمور (= Chinnur) وسوباره (= Chūrparaka = Sopara) بأقليم بومباي ولقد رمدى توثق العلاقات بين المصدرين الهنود وزبائنهم بقول سليمان عن ملوك الككم (Konkon) أنهم «يعمرون ربما ملك أحدهم خمسين سنة وتزعم أهل مملكة بلهرا (= Vallabhrai = Rashtrakuta) إنما يطول مدة

ملكهم وأعمارهم في الملك لمحبتهم للعرب وليس في الملوك أشد حباً للعرب منه
وكذلك أهل مملكته «^(١)» لم لا والرغاء الاقتصادي في البلاد كان يتوقف
على تصريف المنتجات في أسواق العرب ؟

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن انتشار الاسلام إلى الجانب الشرقى للخليج
الفارسي ساعد كثيراً على تكوين شعب واحد من الفرس والعرب سكان
السواحل في تلك المنطقة وقد كانوا اختلطوا وامتزجوا إلى حد كبير
في العصر السابق، ولذلك زام في العصر الاسلامي يشتركون في أعمال الملاحة
والتجارة اشتراكهم في استعمال اللغة العربية ككتابة وخطابة مما يجعل من الصير
التمييز بين العنصرين، إلا أن نظرة واحدة على أسماء النواخذة الوارد ذكرهم
في كتاب عجائب الهند لبزرك بن شهریار^(٢) تكفي للتدليل على وجود العنصر
الفارسي بل وعلى غلبته أيضاً .

أما مقدار التجارة عن طريق البحر الأحمر فكان وفقاً لحاجة مصر
لا غير وللسبب نفسه يرجح أنه زاد كلما ارتفع شأن مصر على إثر انحلال
الدولة العباسية ؛ لا شك أن عمر كان قد جدد فتح القناة القديمة بين النيل
والقلمز إلا أنه لم يكن يهدف من ورائه غير نقل المرة إلى الجارميناء المدينة .
وأخيراً يجب التنبيه على أن ظهور الاسلام وإن أذى إلى قيام دولة
واحدة تشرف على طريق الخليج الفارسي والبحر الأحمر إلا أنه في الوقت
نفسه سبب القطيعة بين الدولة الجديدة ويزنطينية ، تلك القطيعة التي استمرت
طوال القرون المتعاقبة بحيث لم تكن تسمح لتجار إحدى الدولتين بالاطمئنان
إلى إنشاء صلات مستديمة مع الدولة الأخرى فكافت النتيجة أن انحصرت مهمة
نقل البضائع بين دار الاسلام وبلاد المسيحية في أيدي اليهود الذين يتحدث
عنهم ابن خرداذبه بقوله :

« يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندرلسية
والصقلية وأنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق

(١) سلسلة التواريخ ص ٢٧ .

(٢) Leide, 1883-86

برأ وبحراً ، يحملون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والدياج وجلود الخنز والقراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجية في البحر الغربي فيخرجون بالفرما (Pelusium) ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم . . . ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدة ، ثم يمشون إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلزم ثم يحملونه إلى الفرما ، ثم يركبون في البحر الغربي فرما عدلوا بتجاراتهم إلى القسطنطينية فيأخذونها من الروم ويرمونها صاريها إلى ملك فرنجية فيبيعونها هناك ، وإن شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجية في البحر الغربي فيخرجون بأبطاكية ويسيرين على الأرض ثلث من أجل إلى الجاية ثم يركبون في القرات إلى بغداد ، ثم يركبون في دجلة إلى الأبله ومن الأبله إلى جبلين والسند والهند والصين كل ذلك متصل ببعضه ببعض (١) .

ثم يحدثنا ابن خردادبه عن التجار الروس الذين كانوا يقومون بالعمل نفسه :

« ثم جئنا من الصقالية فأنهم يحملون جلود الخنز وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقالية إلى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم وإن صاروا في تنيس نهر الصقالية مروا بخليج مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون إلى بحر جرجان . . . وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الأبل إلى بغداد ويترجم عنهم الخدم الصقالية ويدعون أنهم قصارى فيودون الجزية ، فأما مسلمكم في البرقان الخارج منهم يخرج من الاندلس أو من فرنجية فيعبر إلى السوس الأقصى فيصير إلى طنجة ثم إلى إفريقية ثم إلى مصر ثم إلى الرملة ثم إلى دمشق ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم إلى كرمان ثم إلى السند ثم إلى الهند ثم إلى الصين . . . » (٢)

(١) المسالك والممالك ١٥٣ — ١٥٤

(٢) المسالك والممالك ١٥٣ — ١٥٥

هاتين نورد فيما يلي قائمة بأسماء البضائع التي كانت تستورد من الهند في هذا العصر وقد التزمنا أن نمد خطا تحت الكلمات التي تحققنا من أصلها الهندي ويمكن الرجوع بشأنها الى مقالنا السابق عن « الكلمات الهندية العربية » في عدد مايو سنة ١٩٥١ م من هذه المجلة وإذا فائقنا كلمة هناك عرضنا لأصلها بالهامش .

سأل الحاجج أيوب ابن القرية (من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث) عن الهند فأجاب بقوله : « بحرها در ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عطر »^(١) وقد عرض لهذا الموضوع بالتفصيل أبو زيد السيري في حيث قال :

« . . . بحر الهند والصين الذي في بطنه اللؤلؤ والعنبر ، وفي جباله الجواهر ومعادن الذهب ، وفي أفواه دوابه العساج ، وفي مناجه الأبنوس^(٢) ، والبقم والخيزران وشجر العود والكافور والجوزبوا والقرنفل والصندل وسائر الافواه الطيبة الذكية ، وطيبوره الففاغي (يعني البهاوات والطاوويس) وخرشات أرضه الزباد ، وطلباء المسك وما لا يحصىه أحد لكثرة خيره »^(٣).

والحقيقة أن الأحجار الثمينة والافاوية وأنواع الطيب تسمى على رأس قائمة المنتجات الهندية التي اشتهرت بين العرب والروم على السواء .

(١) الأحجار الثمينة :

« ياقوت ألوانه كلها وأشباهه والماس^(٤) ، والدر^(٥) ، والبلور ، والسباذج الذي يعالج به الجواهر^(٦) » .

(١) الاخبار الطوال لدينوردي ص ٣٢٦ .

(٢) كلمة من الهند الصليية صارت شرقا وغربا ، هي بالصينية "wu-mou-tri" وبلجة Amoy :

"n-ban-tri" . أنظر Chan Ju kua بطر سبرج ١٩١١ م ص ٢١٦ .

(٣) سلسلة التواريخ ١٣٧ — ١٣٨

(٤) أصلها "Ind-mash" وقد وردت في كتب عجائب الهند ص ١٢٨ «الاماس» .

(٥) معنى الكلام على « التلقى » .

(٦) من سرديب ، أنظر ابن خردادبه ص ٧٠

(ب) الأفاوية وأنواع الطيب والبهار والتوابل والأزهار^(١) : الكافور
والسك والصندل والعنبر والعود الهندي^(٢) و المندلي^(٣) والهارى
والصنفي^(٤) والقاصرونى^(٥) والغار والألوة والجوزبوا والبساسة والكيابه
والقاقة ، والهيل^(٦) والسبل والنردين^(٧) والرند^(٧) والزباد وفار

(١) بالسكترية "Paohala" = كل ما يصلح الطعام (أنظر Williams : Sanskrit- Eng. Dict. ص ٥٦١) والكلمة بالأدوية « مسالة » مع أن بعضهم يبدوا يكتبونها « مصالح » وقالوا إنها مع مصلة أو تخفيف « ما يصلح » كذا في أبي حيان لأزاد - المقدمة : وأظن أيضا "Mussalla" (Holson-Jabson) .
(٢) « مى عودا حق صار اسما عاما من قبل انه أعرف انواع العود » (الخصص ١١٠/١٩٨) .

(٣) نسبة الى مندلي (Mandali) وهي بمعنى « الإقليم » عامة والجمهور « كورومندك »
بجانب الهند الا انه قد ورد في بعض المصادر ما يشير بوجود « مندك » (= إقليم)
أخر بالقرب من قاصرون بفرق الهند . أما ما ذهب اليه (Ferrand) من ان النسبة الى (Mandri)
مكان بينه على الساحل الجنوبي لهند فاجتاك بعيد جداً . انظر حدود العالم ، تذكركب ،
١٩٣٧ م ص ٢٤٠ . هذا وقد سجل الشاعر ضياء الدين نسبة المندلي الى الهند بقوله : —
« المندلي كرم سقيا له وفسره
لما اراد يريشا لهند نسبة جنسه

غدا على النار ملق يوجد فيها بنفسه » (حلية السكيت ص ١٥٢)
وذكر ان الحسين بن برمك هو الذى حل العود « المندلي » (كذا في صبح الاعشى
١٢٦ / ٢ ، ول النورى ١٢ / ٢٩ « الهندي ») منه اثر عودته من الهند وعرضه
على المنصور فاستحسنه واسر ان يكتب الى الهند بحمل الكثير منه فاشتهر بين الناس ومن
من يومئذ واحتمل ما فيه من مرارة الرائحة وزحارتها لانها تقتل القمل وتمنع من تكونه
في الثياب .

(٤) نسبة الى قار "Khmer" = Cambodia وصف "Champa" = South Cochiu China
(٥) نسبة إلى قاصرون "kamurupa" = Assam بهرق الهند وأظن وصف هذا العود
في سلسلة التواريخ ص ١٣٠ .

(٦) « الهيل » أو « الهاك » هي بالسكترية « ايل » وبالفارسية « هيل » وكان
معدنه رأس هيل / ايل على الساحل الشرقى بجانب الهند وذكره الجغرافيون العرب
واين بطرطة (الرحلة ٨١ / ٤) .

(٧) النردين وهو السبل الهندي (باليونانية "Nardos") أصلها بالسكترية
"Nalada" (بالفارسية القديمة « ناردا ») . أنظر ادى شيرى « الرند »

المسك ^(١١) والزنجبيل والقسط والفوفل ^(١٢) والفلفل والقرنفل والكرم
(= المهرد) ^(١٣).

(ج) العقاقير ومفردات الأدوية :

هذا باب واسع يحتاج إلى البحث من قبل المتخصصين ، إنما نذكر
على حيل المثال :

الاطرنفل ^(١٤) والهلبلج ^(١٥) والبليج ^(١٦) والبلاذر ^(١٧) .

ومن هذا القبيل السم [البيش] ودواء السم [الجودوار وبازهر] اللذين
اشتهرت الهند بهما عند قدماء اليونان ^(١٨) والعرب .

و " Nard " Hobson-Jobson . والرند شجر طيب الرائحة أيضا ، قال الشاعر :-

أرى في الهوى نارا لظبية أوقدت تشب وتذكي بدهن وقودها
تشب ببيدال الينجوج موهنا وبالرند أحيانا فذاك وقودها
(النجلاء ، قال طوق ، ص ٢٥٨)

ولعل أصل الكلمة " Karan / Iwaran (kuan) " بالغة البنغالية . انظر watt ص ٤٦١ .
وربما فسر الرند بـ " المود الذي يتغير به " (اللسان) .

(١١) دابة الزباد مثل السنور الصغير (بالانجليزية " civet-cat ") كانت تجلب من مواحي
الهند (المخصص ١١ / ٢٠٥) ويؤكد ابن الفقيه (البلدان ص ١١) " ان الزباد اطيب
رائحة من المسك والاني تجلب مسكا وإذا مضى في بيت نجت منه رائحة المسك وإذا
لمسته بيدك عقت بيدك " .

كذلك فأر المسك كان يجلب من الهند . انظر المصادر نفسها .

(١٢) بالفارسية " pupal " [السنسكريتية " kubara "] قال السموذي : « الفوفل وهو
القوى قد جلب على اهل مكة وغيرهم من الحجاز واليمن في هذا الوقت مضته بدلا من الطين »
(مروج الذهب ، باريس ، ٨٤ / ٢) .

(١٣) سيجيء السلام على المهر في باب الاصباغ .

(١٤) الهندية " Tiriphal " .

(١٥) الهندية " Harra " .

(١٦) الهندية " Behira " .

(١٧) الهندية " Bhitawa " [Anacardiaceae =] جيد لفساد الدهن وجميع الاعراض الحادة
في الدماغ من البرد والرطوبة ، وهو من جملة السموم أيضا (ابن البيطار) وقد لقب
صاحب فتوح البلدان بـ « البلاذى » لانه شرب من عصير هذا النبات لجن ومات .

(١٨) Cam. Hist. of India ١ / ١٠٠

(د) الأخشاب :

قد رأينا أن سكان الخليج الفارسي اعتادوا استيراد الأخشاب من الهند
(الحبشة أيضاً) ، منذ فجر التاريخ وها هي أسماء بعض الأنواع المشهورة منها :
الساج والسامس^(١) والقنا والوشيج والعراء والبان والخيزران .

(هـ) الألوان والأصباغ :

الأرجوان والقرمز والنيلج^(٢) والهرد^(٣) والبقم ووالصرف
والورس^(٤) والقطن ومنسوجاته :

لا شك أن الهند هي الموطن الأصلي لشجرة القطن إلا أن الشجرة الهندية
الأصلية كانت طويلة العمر كما يدوم أقوال القدماء ، أما الشجرة التي تزرع
سنوياً فالمطنون أنها فصحت على أيدي العرب في العراق وسوريا والبلاد
المجاورة ، على كل حال افترقت هذه الشجرة بالعرب إلى حد أنها هي والسكر
والدين ربما اعتبرت المقومات الثلاثة لحضارتهم في نظر الأوربيين^(٥) .

هذا وقد اشتهرت الهند منذ قديم الزمان بالجودة ودقة منسوجاتها التي
كان الثوب منها يدخل في حلقة خاتم ، كما شهد بذلك سليمان التاجر (سلسلة
التواريخ ص ٣٠) ويذكر ابن خردادزبه (ص ٧٠) أن الثياب القطنية المخملة

(١) الهندية "Shalapa" السنسكريتية "Sineapa" ولعل « شيزي » هو الخشب من هذا
النوع كان يستعمل لعمل التصاع والجفان خاصة (انظر السان « شيز ») و « سم » .

(٢) السنسكريتية "nil" .

(٣) السنسكريتية "hari dra" = الخشب الأصفر ، الاودوية "haldi" أنظر watt
ص ٤١٥ — وهو السكر كما كانوا يأتون به من الهند (ابن البيطار) ول الحديث
ينزل عيسى ابن مريم في ثوبين مهرودين (المخصص ٢١١/١١) .

(٤) البقم = "Vakwa" بانه مالايو والصرف = "Shappa" ماتاملية — وتأت
كلمة « الورس » وانتقلت من العربية إلى اللغات الاوربية في المصور الوسطى حتى أنه
يقال إن Brail من الورس ، سميت تلك الحطة من العالم الجديد كذلك لوجود هذا النوع
من الخشب فيها . أنظر "Hobson Johnson 'Sapan Wood' and 'Brazil Wood'" .

(٥) أنظر watt ص ٥٦٩ .

كانت تنحى من الهند كما أن « الشيت » و « الفوط » من الأسماء الهندية المعربة .

وبالإضافة إلى منسوجات القطن امتازت الهند أيضاً بصناعة النسيج من الخشيش^{٢١} .

(ز) العراق .

النارجيل واللوذ والأزج^(٢٢) والليمون والنارنج^(٢٣) والتمر الهندي .

(ح) الحيوانات والطيور :

الفيل [والعاج] وقرون الكركدن^(٢٤) والطاووس^(٢٥) والجاموس^(٢٦) .

(١١) قال الازهرى : رأيت بالكوفة أزراً مخططة يشترها الملون والخدم فيثرون بها ، الواحدة فوطه ؛ قال الجواليقي : فلا أدري أهربي أم لا (أنظر للعرب) والأصل بالهندية "Pata" .

(٢٢) أنظر ابن خرداذبه ص ٧٠

(٢٣) الترنج لغة فيه والأصل بالسكرتية "mentuluna" .

(٢٤) بالسكرتية "Nagaranga" . قال السعدي « شجر النارنج والأتراج المدور جلب من أرض الهند بعد الثمانية فروع بهان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بمارسوس وغيرها من الثغر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يبعد ولا يعرف فهدمت منه الروائع الحمرة الطيبة واللون الحسن الذي يوجد به بأرض الهند لمدد ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة البلد « مروج الذهب ٤٣٨ / ٢ - ٤٣٩ » .

(٢٥) « لا أحسبه عربياً لأنه مفارق لابنيتهم » (المخصص ٥٨ / ٨) الأصل بالسكرتية "Khadgaranta" أى ذو سن كالسيف .

(٢٦) قال السعدي قطواويس بأرض الهند شأن عجيب والذي يحمل منها إلى أرض الاسلام ويخرج من أرض الهند تبيض وتفرخ تكون صغيرة الاجسام كدودة الاولوان لا تغطي أنواراً للأبصار بأدراكها وإنما تشبه بالهندية بالشبه اليسير . . « المروج ٣٨ / ٢ » .

(٢٧) « يقال إن سبب اخراجه من معادتها هو أن الطريق الذي بين انطاكية والمصيرة كانت مسبعة فشكى ذلك الى الوليد بن عبد تلك لحعل فيها أربعة الف جاموس وجاموسة مما كان الحجاج بن يوسف يشتبه لما فتح بلاد الرط من أرض الرطما على يد محمد بن القاسم وجعل الى جاموس وجاموسة في آجام كسكر لما بنى واسط فهربت السباع حتى لا يبقا (كذا) منها شيء » عن الفراء الثالث من مباهج الزنكرو ومباهج العرب تأليف الشيخ برهان الدين ابراهيم بن شرف الدين يحيى انواراً دار الكتب المصرية ، طبعه رقم ٣٢٤ ورقة ١٢١ .

(ط) المعادن :

الآنك و الاسرنج و الكلس و التنكار ^(١) بالإضافة إلى الذهب .

(ي) المصنوعات المختلفة :

السيوف والأرماح و الفانيد ^(٢) و الأنبيجات ^(٣) و الداذي و الغضائر ^(٤) و التوتياء ^(٥) و النعال الكتبتية ^(٦) .

وأخيراً بعض ما بمن لنا من ملاحظات بشأن « الكلاب السلوقية » .

يكثر عند العرب ذكر الكلاب « السلوقية » وهي على حد قولهم منسوبة إلى سلوق قرية باليمن إلا أنهم لا يستقرون على رأي بل يظهرون كأنهم يحومون حول (Seleucia) = سلقية التي يصفونها بمدينة الروم (معجم البكري) ومدينة اللان ومدينة بالشام (البلدان لياقوت واللسان) . لكن الجدير بالاهتمام تصریح القزويني بأن « الكلاب يسفدها الذئاب » ^(٧) فعلى

(١) من السليكرية انتقلت الكلمة إلى الفارسية والفنات الأخرى . انظر (watt)

ص ١٧١ ، السنكري والسمكري بالفامية = التنكاري (محيط المحيط) .

(٢) نوع من الحلوى كان يصدر من السند ومكران . انظر ابن حوقل ٢٣٢ و المقدسي ٤٨١

(٣) هي المربيات (أو المربيات = الممولات بالرب) جمع « أنبيج » وهي فاكهة هندية تربي فأطلق منه الأطباء على ما سواه . كذا في شفاء الغليل .

(٤) قال مسعر ابن مهران عن مدينة كولم بمجنوب الهند : « وبها تعمل غضاير تباع في بلداننا على أنه صيني وليس هو صيني لأن طين الصين أصلب منه وأصبر على النار ... » البلدان لياقوت « الصين » .

(٥) انظر قول صفوان : « ومن توتياء في حمادته هندی » البيان والتبيين (تحقيق ميد السلام هاوون) ٢٨ / ١

(٦) انظر المقدسي ٤٨١ ، نسبة إلى كتابات (Cambray) وكانت النعال الكتبتية من الجودة والحسن بحيث أنها كانت تعتبر هدية فاخرة من الشاق إلى عشيقاتهم . انظر كتاب الموشى لوشاه (ليند) ص ٩٤

(٧) من طرائف السناخ ان « الذئاب » تحولت إلى « الثعالب » حيث جاء في صحيح الأعمى ٤٢ / ٢ نقلا عن المقرئ الشهابي ابن فضل الله ان السلوقية « مولدة به الثعالب والكلاب » ١

بالكلاب السلوقية « (الآثار ص ٢٩) وذلك يذكرنا بمشاهدة الاسكندر
 بأرض الهند وبصحبة الملك (Saubhāti) لكلاب لا ترخي قبضتها على الأسد
 حتى ولو قطعت أرجلها ، قيل إنها نتاج الكلاب من الثور^(١) ثم نذكر
 أيضا أن أهل بابل كانوا يستوردون الكلاب من الميناء الهندى المعروف
 (Barygaza) = بروص^(٢) كما نعرف أن الموكب التاريخى للبطليموس
 Philadelphus كان حافلا بالكلاب الغمواى الهندية إلى جانب النساء
 الهنديات والتوابل الهندية، وبعد هذا كله نعرض على قول ابن رسته الآتى
 فى معرض الكلام على ملوك الهند :

« وبعده ملك يقال له نجا به (؟) وهو شريف فيهم وبلهرا الملك
 يتزوج فيهم وهم السلوقيون ولا يتزوجون الا فيهم لشرفهم وهذه الكلاب
 السلوقية يقال أنها وقعت من بلادهم ولم الصندل الأحمر فى بلادهم
 وغياضهم... الخ^(٣) .

(١) ٤٠٢ / ١ Camb. Hist. of India

(٢) أفضل Heeren ج ٢ ص ٢٠١

(٣) الاعلاق النفيسة ص ١٣٥

في اللهجات العربية وأصول اختلافها

للككتور غير المحلّم النجار

- ١ -

كجميع اللغات الأصلية، التي توافرت لها عناصر الحيوية والنمو والانتشار، وجدت بذلك السبيل إلى التأثير والتأثير بكل العوامل اللغوية المتيسرة، التي من شأنها أن تجري عمل التبديل والتجديد في خلايا اللغة بين حين وآخر، كما تتبدل خلايا الكائن الحي وتتجدد، اجتازت العربية أيضاً أدواراً من الحياة والنمو ستمتها من الركود على صورة واحدة، والظهور بملاح جامدة كملامح التمثال التي تفاد روح النمو وحرارة الحياة.

وكما يتباين أفراد الانسان بعضهم مع بعض في الملامح، والمظاهر، والصفات، كذلك تتباين أنواع الأصل اللغوي الواحد في ملامحها، ومظاهرها، وصفاتها، تبعاً لتباين بيئاتها، والفصائل الانسانية الناطقة بها، والملابسات المادية والمعنوية التي تكتنفها.

ومن هنا تفرعت العربية منذ القدم إلى ألسنة ولهجات، بعد أن تكاثرت شعوبها، واختلفت مواطن الناطقين بها، وتبعاً لها من أسباب البيئة، والجوار، وتنوع الحياة الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، ما جعلها تتلون بطبيعة الوسط الذي تعيش فيه، وتتكيف حسب مقومات المحيط الذي يحيط بها.

من هذه اللهجات ما هو قديم عني عليه القدم، وما هو وسيط نلحظ أثره ولا نرى مظهره، وما هو حديث متجدد نشهده ونلمسه. ومهمة الباحث اللغوي أن يفحص ويدقق في تيار اللغة الدافق المتدافع، حتى يهتدى

إلى تقسيم جواهرها ، وتحليل عناصرها ، وتمييز فروعها المختلفة : ولهجاتها المتباينة بما يتلوه لذلك من الأصول والضوابط : فية تنبئ له بذلك كشف لقضاء عن طبيعة تكوينها ، وطابع شعوبها ، ومبلغ ما قطعته هذه اللغة وشعوبها من أشواط الحضارة والمعرفة ، واستشعرته من جوانب الشعور والفن ، وسمت إليه من مجد الإصالة وعراقة التاريخ .

- ٢ -

ولقد نشأت العربية في جوار قريب من اللغات السامية الأخرى [ولهجاتها ^(١)] كالحبشية غرباً جنوياً ^(٢) ، والسكتمانية والأرامية وفروعهما شمالاً ، والآكادية بابلها وأشوريا شرقاً ، وأخذ هذا الجوار بعد تلك النشأة صوراً شتى من الاحتكاك القوي أو الضعيف بوساطة الهجرات التي صدرت عن قلب جزيرة العرب متجهة إلى الشمال في غزوات الحروب ، أو الرحلات القاصدة إلى تبادل البضائع والمنافع ، كما بوساطة الحملات أو الهجرات القادمة من خارج الجزيرة إليها ، مثل ما حصل من الحبشة واليهود والآكاديين ، ونشأ من ذلك كله أن ورثت العربية كثيراً من خصائص اللغات السامية وظواهر استعمالها الأصلي والشعبي جميعاً .

وتمتاز العربية من اللغات السامية الأخرى ولهجاتها باحتفاظها — على صورة أكل — بالتحصيل الصوتي الأصلي الصامت للسامية الأولى ، وعلى الأخص بحروف الخلق ، والصفير ، والتفخيم ، كما تمتاز بدقة أدائها [وثروتها ^(٣)] للحروف الصائتة القديمة ^(٤) .

وفي العربية يظهر نظام تكوين الصيغ السامية الأولى في أغنى مظاهره ، ويدو مستوعباً — على وجه التقريب — لكل القوالب الممكنة . وبهذا

(١) هذه الزيادة من ملاحظة الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على رئيس فرع الهجرات بكلية الآداب .

(٢) هذا التعدد من الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين ، وكان الأصل : جنوباً أو غرباً جنوبياً .

(٣) هذه زيادة من الدكتور فؤاد حسنين .

(٤) أنظر C. Bruckmann. Grundriss d. vergl. Gramm. d. Sem. Sprachen, I. 21

تنضاعف مثلاً طاقة الفعل في التعبير عن كثير من المعاني ومتعلقاتها من ناحية ، كما أن صيغ جموع [التكسیر^(١)] الكثيرة التنوع والتعقيد ، بل الزيادة عن الحاجة أيضاً ، قد تبدو مضرة موجبة للخلط في التعبير من ناحية أخرى^(٢).

- ٣ -

ولم يعن علماء العربية القدامى بالبحث عن أصل العربية الأولى ، وعلاقة ذلك الأصل باللغات السامية الأخرى ، وإن أحسوا إحساساً صريحاً بأن لغات الجزيرة ولهجاتها ، قبل الإسلام إلى العهد الذي قبلت منه روايات وآثار ، تختلف اختلافاً غير يسير عن أصولها الأولى ، وأنها ورثت خصائص شتى ، وعناصر مختلفة ، إما من لغات عربية متوغلة في القدم عقب ودست ، وإما من لغات مجاورة كان بينها وبين العربية احتكاك وصراع واختلاط ، كما أن هؤلاء العلماء أو المحققين منهم ، كانوا يؤمنون بأحكام التطور اللغوي ، ويدركون كثيراً من أسرار نشأة اللهجات وتعددتها ، وعوامل احتفاظها بأصالتها ، أو خضوعها للتغيرات اللغوية المختلفة .

فهم قد خلط كثير من علماء العربية في تبيان أصل العربية ، وأنها جاءت إلى العرب بتوقيف من الله وإيحاء منه إلى آدم ، لقوله سبحانه : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، لا بمعنى أنها^(٣) « جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد ، بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً^(٤) ما شاء الله أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر

(١) هذه الزيادة من الدكتور فؤاد حسين .

(٢) المرجع السابق .

(٣) مجلة بن الملائتين من كتاب الصاحي في فقه اللغة للامام القنوي أحمد بن فارس

(المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) ص ٦ طبع السلفية ١٣٢٨ هـ .

(٤) أنظر كيف يتفق هذا مع تقسيم ابن فارس نفسه لغة العرب إلى فصحي وضيعة وذميمة ، وحديثة في اختلاف لغات العرب ، وذكره أن القرآن نزل بأفصح اللغات وعدم إنكاره أن تكون لكل قوم لغة أي لهجة ، وذكره أن قحطان تذكر أنهم العرب الدرية ، وأن من سوام العرب المتعربة ، وإن إسماعيل عليه السلام باسمهم خلق ومن لهم أخذ ، وإسماعيل كانت لغة أبيه العبرية الخ . . أنظر : الصاحي في الأبواب المشار إليها .

إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فاتاه الله من ذلك ما لم يؤت به أحداً قبله
تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة ، ثم قر الأمر قرأراً ، فلا نعلم لغة
من بعده حدثت .

كذلك قال آخرون : إن العربية تنقسم إلى قسمين : عربية حمير ،
وعى التى تكلموا بها من عهد هود ومن قبله وبقي بعضها إلى وقتنا هذا .
والعربية المحضة التى نزل بها القرآن . وأول من أطلق لسانه بها اسماعيل ،
فعلى هذا القول يكون توقيف اسماعيل على العربية المحضة يحتمل أمرين :
إما أن يكون اصطلاحاً بينه وبين جرم النازلين عليه بمكة ، وإما أن يكون
توقيفاً من الله تعالى وهو الصواب ^(١) .

إلى غير ذلك من الأقوال التى تم على قصر فى النظر التاريخى لتطور
اللغات ، وتكتفى بالحكم على المشاهد المحسوس ، دون محاولة التطلع إلى فهم
علله وأسبابه ، واستكناه مبادئه ومقدماته . وربما كان قد بلغ الذروة
فى الصدور عن هذا رأى العالم اليمنى اللغوى الجغرافى المشهور : الحسن
ابن أحمد الهمداني ، المعروف بابن الخائك ، صاحب كتاب : الاكليل فى معارف
اليمن وعجائبه وعجائب أهله ، وكتاب الممالك والمسالك فى عجائب اليمن وجزيرة
العرب وأسماء بلادها . والظاهر أن هذا الأخير هو الكتاب المعروف بعنوان :
صفة جزيرة العرب ^(٢) .

فقد تعرض الهمداني فى كتابه : صفة جزيرة العرب ، إلى وصف لهجات
الجزيرة فى القرن الرابع الهجرى ، ولكنه فى وصفه للهجات اليمن انطلق
فى الحكم على تلك اللهجات على أساس يفهم منه أنه كان يقيس كل لهجة
بمقاييس النحو العربى ، ويحكم على تلك اللهجات من حيث الفصاحة والغنمة
من وجهة نظر واحدة هى مطابقتها أو مخالفتها للقواعد ، وهو ينظر بعد هذا
هل هى مفيدة صعبة الفهم على من خرج عن محيطها ؟

(١) انظر المزمع للحيوطى (بولاق) ج ١ ص ١٥

(٢) انظر ترجمته فى كتب إنباء الرواة على أنباء النعاج القنطلى ج ١ ص ٢٧٩
(طبع دار الكتب المصرية) والتعليق عليه للنشر . وكتاب صفة جزيرة العرب نشر
فى لندن سنة ١٨٨٤

وهكذا نراه لا يفترض أن للهجيين : المهرية والشجرية أساساً من لغة أخرى تبعد عن عربية الشمال إلى حد يصدر معه التفاهم ، بل بصور سكان الشجر والأنساء على أنهم قوم لا ينطقون نطقاً فصيحاً ، والمهرين على أنهم غم يشاكلون الصم ^(١) .

أى أن الحمداني ربما كان يرى أن العربية الفصيحة لغة أصلية احتفظت بمقوماتها الأولى في بلاد الحجاز وقاب الجزيرة ، على حين فقدت كثيراً من أصلاتها في أطراف الجزيرة كبلاد اليمن . وربما كان ذلك في نظره من أثر اختلاط اليمن بالجنش وغيرهم كالهنود والفرس ^(٢) . وهذا قالب للاوضاع التي يطمئن إليها النظر العلمي ، من أن العربية الفصحى وليدة تطورات وتفاعلات طويلة العهد في الجزيرة ، وأنها لا يمكن أن تكون لذاتها أصلاً لغوياً أصيلاً إذا لاحظنا أن الناطقين بها ، وهم العدنانيون أو الاستماعيليون ، كانوا طارئين على الجزيرة ، وأنهم أخذوا اللغة عن سكانها الأصليين وهم القحطانيون .

كذلك اضطرب العلماء العرب أيما اضطراب في النظر إلى علاقة العربية باللغات السامية الأخرى . فعلى حين نرى كثيراً منهم يذكرون أن في العربية كثيراً من العناصر الأجنبية ، ومنها اللغات السامية كالحبشية والبربرانية والبربرانية وغيرها ^(٣) ، بل يرى كثير منهم أيضاً اشتغال القرآن على عناصر مختلفة من تلك اللغات وغيرها حتى ألف بعضهم رسائل خاصة في الألفاظ الأعجمية التي وردت في القرآن ^(٤) ، نراهم يحولون كثيراً من الظواهر اللغوية

(١) أنظر كتاب : العربية ، بقلم المستشرق « يوهان فك » ، ترجمة الدكتور

عبد الحليم الجار من ١٥٥

(٢) يرى الأستاذ الدكتور فؤاد أن الحبشة في أصلها قبيلة بختية لغتها بختية فلا يصح

ذكرها أن جاب لغة الهنود والفرس .

(٣) أنظر كتب العرب والفخيل وهي كثيرة في العربية ، وعلى الأخص : المغرب

لجوابي ، وشدة ، الدين للفتاحي . وأنظر المزهري لسيوطي . النوع التاسع عشر . مرة

المغرب الح .

(٤) أنظر : الآلات وعلوم القرآن لسيوطي ، النوع الثامن . الثلاثون فيها وقع

فيه بغير لغة العرب .

التي يبدو أنها تسربت من اللغات السامية الأخرى : مثل إبدال تاء الضمير كافاً مطلقاً ، أى سواء أكانت ضمير المتكلم أم ضمير الغائب . وهى لغة حميرية وردت لها شواهد متفرقة فى كتب التاريخ والأدب :

١ — فمن ذلك ما رواه عبد الله بن العباس الرازى فى كتابه تاريخ صنعاء ، حيث قالت أم وهب بن منبه قبل أن تلد ابنها : « رأيتُ يَنْحُلُم كولدكُ ابناً من طيب » أى رأيت فى الحلم أنى ولدت ابناً من ذهب ^(١) . فهنا وضعت الكاف موضع ضمير المتكلم فى لفظين ، كما استعملت الكاف مصدرية فى موضع أن ^(٢) ، واستعملت فى التعريف : أن بدلا من أل ، وظاهر أن ذلك تفريع عن طمطمانية حمير أى التعريف بلفظ : أم بدلا من الألف واللام .

٢ — ذكر أبو زيد فى النوادر ص ١٠٥ ، والبلاذرى (نشر الآرود) ص ٤٨ ، أن رجلا من جيش يزيد بن معاوية قال فى أثناء حصار مكة سنة ٧٢ — ٧٣ هـ يخاطب ابن الزبير :

يا بن الزبير طالما عصيتك وطالما عنتنا إليك
لنعزبن بالذى أتيتك لننضربن بسيفنا قعيتك

أى طالما عصيت ، وطالما عنتنا إليك ، لنعزبن بالذى أتيت الخ ، مع ملاحظة نصبه لفظ : « قعا » بالياء ، إما على نون ذلك ، أو على التثنية والمراد جانباً قفاه ، كما أنه قد يكون أيضاً لهجة خاصة . وفى هذا المثال نرى الكاف بدلا من ضمير المخاطب لا المتكلم كما فى الشاهد الأول .

٣ — روى ابن قتبية ^(٣) ، وابن جنى ^(٤) أن سحيا عبد بنى الحسحاس الشاعر الحبشى المنحصر كان إذا أنشد شعره يقول : أحسنك أى أحسنت .

(١) أنظر : Landberg : Arabica V, 112 و Chaim Rabin, Ancient west-Arabian, p. 48 .

(٢) ويمكن أن تكون كاف التشبيه أى كأتى ولدت الخ .

(٣) أنظر : الشعر والشعراء لابن قتبية ص ٢٤١ .

(٤) أنظر ما نقله صاحب خزائن الأدب عن ابن جنى فى سر الصناعة ، ج ٢ ص ٢٥٧ .

وأقصى ما يصل إليه علم العرب في تأويل ذلك أنه لكنته أجنبية ، وإن وجد أيضاً من كان أكثر اطلاعا وبصرا باختلاف اللهجات فرأى أنه تعبير حميري الأصل .

وإذا نحن عرفنا أن هذه الظاهرة موجودة في كل من اللغتين الحبشية والأكادية ؛ وإن يكن ذلك بالنسبة إلى ضمير المتكلم فقط ، أدركنا أن ذلك إما أن يكون بقية باقية في اللهجات الحميرية من أصلها الأول ، أو أنه من تأثير احتكاك الحميريين بالحبشة ^(١) .

وقريب من ذلك نظرة العرب إلى إبدال الهمزة عيناً ، ومن ذلك عننة نعيم . فقد أخذوها على أنها لهجة انفردت بها هذه القبيلة من بين العرب ، ولم يحاولوا البحث لها عن أصل سامي أو نحوه ، كما أنهم اقتصرُوا في إبدال الهمزة عيناً على التلبه إلى العننة التي حددوها بأنها إبدال الهمزة عيناً إذا وقعت بعدها النون ، ومنه سميت عننة بالجمع بين العين والنون ، وإن توسع بعضهم فزعم أنها جعل الهمزة المبدوء بها عيناً مطلقاً ، أي سواء أكان بعدها نون أم لا ، ومن الأخير قولهم في : أسلم عسلم ، وفي : اذن عذن ^(٢) .

ولكن إبدال الهمزة عيناً ظاهرة لغوية يغلب أنها كانت قديمة في الأصل السامي ، كما أنها موجودة في اللغة الحبشية . فقد ذكر « إوليئان » في بحث له في اللهجات العربية ^(٣) أن أهل الحبشة الشمالية يقولون : جميع عوضاً عن خبأ ، وهو يستظهر من ذلك أن العننة كانت ترد في أول الكلمة وآخرها ، ثم أخذت تقل رويداً رويداً بعد ما طاردها لهجات أخرى فلم تبق منها إلا بقايا قليلة .

وفي الحق إن المتتبع للمهاجم اللغوية العربية بدقة وامعان يرى أن الكلمات التي تتجاوز عليها الهمزة والعين بمعنى متحد أو متقارب كثيرة كثرة تدل

(١) انظر : الصاحبى لابن قارس في باب القاذات للذمومة ، والمزهر السيوطى في النوع الحادى عشر معرفة الرديء المذموم من القنات .

(٢) انظر ملاحظة الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على الحبشة .

(٣) انظر مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ، عدد مايو ١٩٤٨

على أن إبدال الهمزة عيناً كان أوسع مما أدركه علماء العربية من العننة المحدودة المجال ، وأن هذا الإبدال كان يحصل في أوائل الكلمات وأواسطها وأواخرها ، وأن ذلك يشهد بصحة ما يقيد به كلام « ليتان » من أن هذا الإبدال عريق في السامية بدليل أنه لا يزال موجوداً في الحبشية .

وقد يبدو لنا أن بعض الألسنة استغفلت نطق العين فاطرحتها من كلامها ، كما حصل ذلك في كثير من اللغات السامية ، وعلى الأخص الأكادية ، ومن هنا لجأت إلى إبدال العين بالهمزة كما هو مشاهد في الأجنبي الذي تعلم العربية في العصر الحديث ، إذ يبدل العين همزة لصعوبة العين على لسانه

ويحتسب بنا في هذا المقام أن تعرض قائمة مختصرة ، مما تفرق في القواميس العربية ، لأمثال متنوعة من إبدال العين بالهمزة في غير العننة المشهورة :

(١)

الأحد = العهد ، وأحد إليه عهد إليه .

أما والله = عما والله .

الأنكال والأثكول = العشكال والعنكول .

الأربون = العربون .

أربت معدته = عريت أى فسدت .

الأنم = العثم وهو زيتون البر .

أذج = عذج أى شرب .

أوقه = عوقه ، وتأوق تعوق .

الأككة = العككة وهي شدة الحر .

الأيبة ناظم وتشديد الباء والياء . - العيبة ، أى الكبر والنخوة .

الأباب = العباب أى معظم السيل .

أبد = عد أى غضب .

أبت لفرس النحام = عنك الفرس النحام .

آداه أعداه ، واستأدى عليه استعدادى عليه .

آد يؤود = عاد يعود .

آض = عاد .

آل يؤول = عال يعول .

الآر = العار .

أن = عن أى ظهر .

العنة = الاحنة .

العصّ بالفتح ولتشديد = الأص أى الأصل ومثله : الأض .

العتف الشىء = اعتنف الشىء .

(ب) .

دأم الحائط = دعمه

دانى = دعنى .

قأه = قعه .

آناه = أعطاه .

سفت يده = سفت أى تشققت والدأف حركة سفع النخل .

موت ذؤاف = ذعاف .

التأرض للشىء = التعرض له .

لأناه = التعتة .

رأه = رعنه وهى لغة فى لعله .

ذأته = ذعته أى خنقه .

الدعث = الدعث أى الحقد الذى لا ينحل .

ازدأب الشيء = ازدعبه أى حمله .
 المأص = المص وهو المصص .
 اجأرت الخيل = اجعرت ، أى ركضت للمبادرة .

(ج)

بدأ = بدع ، والبدىء البدع .
 الفتأ = الفتح وهو الكترة .
 الطبع = الطبع .
 الخبيص = الخبء ، والخبايع الخباء ، وخبت الشيء خبأته .
 تشاءى ما بينهم = تشاعى أى بعد .
 كسأه بالسيف = كسفه أى طرده .
 تجمأ فى ثيابه = تجمع .
 ترأزا = ترزعزع .
 تجأجا = تجمع .
 تصاصأ = تصصع .
 اندرأ يفعل = اندرع بمعنى اندفع .
 ذرأ الأرض = زرعها .
 التأ لونه = التمع أى تغير .

وكثير غير ذلك من اختلاف علماء العرب فى رد الكلمات الى أصولها دون
 عناية بالبحث اللغوى التاريخى فى نشأة اللغات وعلاقتها بعضها مع بعض ،
 وتأثيرها وتأثرها فيما بينها . وهنا يمتاز العصر الحديث بالدراسة المقارنة
 للغات السامية ، وقد يرجى من ذلك جزيل العوائد على تقدم دراسة اللغة
 ونشأتها .

يبد أن بعض المحققين من علماء العرب من ناحية أخرى — كما ذكرنا — كانوا أبعد نظراً ، وأدق فهماً ، فأدركوا كثيراً من عوامل اختلاف اللهجات وأسرار نشأتها . ومن هؤلاء أبو نصر الفارابي اللغوي صاحب ديوان الأدب ، الذي أدرك أن لغة أطراف الجزيرة أبعد عن الفصحاة والاصالة^(١) ولذلك لم تجمع عنهم اللغة ، بل اقتصر العلماء في جمعها على لغات القبائل التي كانت تقطن في قلب الجزيرة منزلة عن الاحتكاك بأمم أجنبية^(٢) .
ومعهم أيضاً على وجه العموم أصحاب السكتب . للمؤلفة في نوادر اللغات ومقاريدها وأشعار القبائل ، مثل أبي زيد الأنصاري وأبي علي الفارسي ، ومثل أبي عبيد القاسم بن سلام الذي تنسب إليه رسالة فيما ورد من الألفاظ في القرآن الكريم بلغات القبائل العربية المختلفة^(٣) .

— ٤ —

أما علماء اللغات في العصر الحديث فقد رأوا من الضروري ، لتحديد الدراسات اللغوية وتمييز الفروق بينها . أن يحددوا الغوايط التي تميز بين اختلاف اللغات فيما بينها ، والتي تميز اختلاف لهجات اللغة الواحدة بعضها مع بعض ، فأرجعوا اختلاف اللغات فيما بينها إلى الاختلاف الأساسي في طبائع الأصوات (Phonetics) ، وفي أبلية الكلمات وموادها : (Morphology)

(١) ينبغي هنا توجيه النظر إلى تحديد معنى الفصحاة اللغوية التي اضطرب فيها كثير من المؤلفين القدماء والمحدثين ولا سيما مؤلفي مذكرات لغة اللغة ، مثل الاستاذ ابراهيم الايباري المدرس في كلية اللغة العربية . فقد أشكل عليهم الأمر في تفسير الفصحاة اللغوية وخلطوها بالفصحاة البلاغية ، وصرح هذه الأخيرة هو ما ذكر في كتب البلاغة من تفسيرها وتقسيمها إلى فصاحة المفرد والكلام والمكتمل وإرجاع ذلك كله إلى خلوص الكلمة أو الكلام من التناثر والتفراقة ومخالفة القياس العربي الخ . أما صريح الفصحاة اللغوية فهو خلوص لغة من الدخيل وعدم تأثرها أو تلته بالمؤثرات الأجنبية بقطع النظر عن اغرابة أو التناثر أو مخالفة القياس الخ .

(٢) انظر المظهر السيوطي (بولاق) ج ١ ص ١٠٤

(٣) طبعت الرسالة المذكورة على هامش كتاب التيسير في علوم التفسير لعبد العزيز الدميري ص ١٠٩ فما بعدها . وانظر هذا ذلك الفهرست لابن النديم في المقالة الثانية وما ذكره من تراجم النحويين والفنويين وأسماء كتبهم .

وفي التركيب الجملى العام (Syntax) ؛ على حين أرجعوا اختلاف اللهجات بعضها مع بعض إلى الاختلاف الصوتى فى الكثير الغالب ، والاختلاف فى بقية العناصر الأخرى فى القليل النادر ، مع ضرورة احتفاظ جميع لهجات اللغة الواحدة بمقدار مشترك من ذلك كله يحول دون تباعد هذه اللهجات عن اللغة الأصلية ، أو تباعدها بعضها مع بعض إلى حد يخرجها عن فصيحيتها اللغوية .

ينبغى أن المتخصصين فى علم اللغة العربية من المحدثين زام عند محاولة تطبيق ذلك المنهج على العربية — ولاسيما العربية القديمة — لم يكادوا يخرجون به عن دائرة البحوث الفردية ، ولم ينتقلوا إلا قليلا نحو الملاحظات الكلية ، والمبادئ العامة الأساسية ^(١) . وعذرهم فى ذلك واضح لأسباب عدة ، منها :

(أ) ان النهضة العربية بعد الاسلام فتحت أبواب الجزيرة العربية على مصراعيها ، فزح العرب الى أوطان غير أوطانهم أخضعت لهجاتهم لكثير من المؤثرات التى لم يكن لهم بها عهد ، كما جعلت أوطانهم الأصلية حى مباحا ومرعى خصيبا لغيرهم من الأمم التى دخلت فى الاسلام وأحتكت به ، فكان ذلك سببا فى خروج العربية من نطاقها الضيق المحدود الذى حفظ لها مقوماتها زمنا طويلا ، ونحوها الى لهجات جديدة تخالف اللهجات الأولى فى كثير من الخصائص والألوان ، مع ملاحظة قوة العربية وشدة حيويتها حيث لم يؤد ذلك بها الى التفتت والاحلال .

(ب) أن العلوم الاسلامية قامت على أساس القرآن ، وكذلك علوم العربية إنما كان محورها هو حفظ كلام الله من تسرب اللحن والخطأ اليه ،

(١) أكثر الكتب والبحوث التى طالع بها المستشرقون والعرب اللهجات العربية فى العصر الحديث متسم بذلك الطابع . ومن ذلك بحوث نولدكه وفلها وزن وفلايشر ويوهان فك وغيرهم . نعم حاول بروكلمان فى كتابه فى مقارنة النحوى السامى بناء منهج لدراسة اللهجات فى اللغات السامية ، ولكن ذلك كما يدل العنوان يتجه الى المبادئ النحوية والعرفية بصفة أساسية ، كما أنه يلقى أكثر انضغاط على اللهجات الحديثة فقط .

والاستعانة على ذلك بكل ما يجري معه في نسق من آداب العرب وآثارها ،
مع إخراج ما عدا ذلك مما لا يتفق مع لغة القرآن وأسلوبه ^(١) .

وقد شهد العالم العربي معارضة عنيفة في ذلك السبيل . فصرعان ما نشأ
بعد الاسلام بقليلين مذهب لغوي جعل هدفه تنقية اللغة العربية وتطهيرها
لا من الدخيل فحسب ، بل كذلك من كل ما لا ينسجم مع أساليب التعبير
في اللغة العربية المعصية ، أي لغة قريش ، أو على أوسع الفروض اللغة
التي كانت سائدة في الاستعمال الفصيح العام ، سواء أكانت كلها قريشية ،
أم كان بعضها راجعاً إلى لهجات عربية أخرى . ومن حملة لواء هذا المذهب
أكثر علماء العربية ، ابتداء من أبي الأسود الدؤلي — إذا صححت
الروايات — حتى أواخر العصر الاسلامي الوسيط ^(٢) .

بل قد نستطيع أن نذهب الى أبعد من ذلك فنزعم أن الخلاف بين المدرستين
التحويتين العربيتين : البصرية والكوفية ، إنما كان في حقيقة الأمر خلافاً
بين تلك اللغة العامة السائدة في الاستعمال الفصيح المشهور بوجه عام ،
وإن كان النعيب الأغلب في ذلك اللهجة قريش ، وبين العربية ، أي اللغة
العربية التي حلت ، وحيث ارتحلت ، وأياً كانت لهجة العربي الذي نطق بها
وثبتت عنه الرواية والنقل .

فإن البصريين وإن بنوا مذهبهم على تفكير علمي بحث ، يقوم على القاعدة
العامة ، والقياس المطرد ، والكثير الغالب في الاستعمال ، مع مراعاة جانب
الحكمة والمعدلة في كل الأحكام والظواهر النحوية ^(٣) . إلا أنهم كانوا
ضيق العطن إزاء اللغات والنوادر وإن صححت عربيتها ، وثبتت روايتها ،
حتى إنهم أجازوا للعربي أن يقول ما شاء ، وبالي الكلام على عواهنه ،

(١) انظر كلمة الفارابي السائدة الذكر في الزهر للسيوطي ج ١ ص ١٠٤ (بولاق)

(٢) بقى يوهان فك كتابه : العربية (ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار) على بحث
هذا المذهب وتبني اتجاهاته .

(٣) انظر مقدمة كتاب الانصاف في مسائل الخلاف ، التي كتبها : G. Weil ص ٧
فأبعدها .

على حين منعوا غير العربي أن يستعمل في التعبير إلا ما قضت به القاعدة العامة ،
والقياس المطرد ، والاستعمال الغالب :

بل إنهم كانوا يفلطون العرب أنفسهم إذا شذوا عن قواعدهم ،
ويستحلون لهم وجوه الضرورات والمعاذير . بل كذلك في القرآن نفسه
كانوا إذا وجدوا ما لا يفتق مع أسسهم وقواعدهم يلجأون إلى تلحين القراء .
كالحنو لأجد قراء السبعة المشهورين وهو نافع بن أبي نعيم في قراءته .
معائش ، بالهمز بدلاً من الياء وغيره (١) .

ولعل الكوفيين من هذه الوجهة ، كانوا أقرب إلى الانصاف العلمي
التاريخي ، إذ كانوا يزعمون أن العرب أولى وأحق بلغتهم ، فلم أن يسلكوا
في التعبير ما نهبوا لهم من وسائل ، وأن يكتفوا لهجاتهم طبقاً لما تقضى به
نوعيات الاختلاف القبلي وما يتبعه من عوامل مادية ومعنوية تختلف بسببها
ألسنتهم ، وعلى اللغويين أن يسجلوا ذلك ويجمعهوا إذا حرصوا على التعرف
إلى العربية المطلقة ، كما على النحويين أن يتبعوا ذلك كله ويجمعهوا ،
ويضبطوه بضوابطهم ومقاييسهم .

ولكن كلامنا هؤلاء وهؤلاء — أي اللغويين والنحويين — تقيدها
بالاستعمال القرآني ، وحرصوا على التزام جادته . وكما ذكرنا وقف على أسس
لا غناء عنها في دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة ونشأتها لو أن
الأقدمين كانت عندهم حاسة علمية تاريخية ، أو لو لم يحل حائل دون السير على
هدى تلك الحاسة ، فعنوا بجمع ألسنة القبائل جميعاً .

وتلك المدرسة الكوفية ، الحرة المذهب ، الواسعة الصدر ، لم يقدر لها
الاستمرار والازدهار كما قدر ذلك للمدرسة البصرية التي سبقتها في النشأة ،
ثم قضت عليها أخيراً . بل كذلك أكثر آثار الكوفيين وكتبهم لم يقدر
لها البقاء في الغالب . وكان الزمن ، والاحسن ، والتعصب المذهبي .

(١) انظر هذا المثال وغيره في كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢

قد تضافت كلها على وأد ذلك للمذهب وآثاره إلا ما تفرق في بطون الكتب ،
وكان الاعتماد في نقل القسم الأكبر منه على خصومه أصحاب المذهب
البصري أنفسهم .

(ج) ان للقليل من اللهجات الذي جمعه علماء العربية القدامى لم يجمع
بطريقة منهجية منظمة ، ولم يدون بالدقة اللازمة في نسبة اللهجات إلى قبائلها ،
حتى إننا — كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الخامس بالعنقة — نرى للعاجم
العربية تسوق الحشد الكثير من الألفاظ والمواد المختلفة ، وتذكر لها تفسيرات
يلدو بصراحة بوضوح أن جائئاً كبيراً منها لم يكثر إلا بسبب اختلاف
اللهجات ، وتعدى نتائجها في التعبير الصوتي أو غيره ، ومع ذلك لا نجد
إلا في القليل التادير من جنبه إلى ذلك .

— ٥ —

يبد أن هناك محاولات متواضعة قد انتهت في عصر مبكر من عصور
العلم العربي إلى دراسة اللهجات بطريقة مباشرة أحياناً ، وغير مباشرة أحياناً
أخرى . وذلك بتحديد مظاهر اختلاف اللهجات ، ووضع منهج عام
لذلك الاختلاف .

ولم تؤت تلك المحاولات ثمراً ناضجة في هذا السبيل ، ولا سيما في ذلك
العصر القديم ، لما توافر من أسباب الانصراف التي أشرنا إليها عن متابعة
ذلك . ولكن بعض الباحثين المحدثين اتجه إلى الانقفاع بذلك المنهج ،
والبناء على أساسه ، وأغلب الظن أننا في أشد الحاجة إلى إحيائه ، واستخدام
مثل طرائقه ، والتوسع في ذلك توسعاً كبيراً ، فقد فصل على ضوءه إلى حل
كثير من المعضلات التي تكثفت دراسة اللهجات ، والكشف عن كثير
من مخبات الكنوز الأدبية ، والمعاجم اللغوية العربية .

وقد صدرت تلك المحاولات عن دائرتين مختلفتين نوماً من دوائر
العلم العربي : دائرة اللغويين ، ودائرة القراء .

(١) من أقدم من يمثل دائرة النغوين الامام النغوى أحمد بن فارس،
الذى عقد في كتابه : الصحاح في فقه اللغة . فصولا مختلفة في لسكلام على لغة
العرب ، وفي القول في اختلاف لغة العرب ، وفي القول في أفصح العرب ،
وفي اللغات المذمومة الخ .

وأخص بالذكر من ذلك الفصل الذى عقده للقول في اختلاف اللغات ،
ومحاولته فيه ضبط وجوه الاختلاف بما يلي :

- ١ — الاختلاف في الحركات : تسعين وتسعين..
- ٢ — الاختلاف في الحركة والسكون : معكم بفتح العين ومعكم بسكونها.
- ٣ — الاختلاف في إبدال الحروف : أولئك وأولئك .
- ٤ — الاختلاف في الهمز والتلين : صمتزؤن وصمتزؤن .
- ٥ — الاختلاف في التقديم والتأخير : صاعقة وصاعقة .
- ٦ — الاختلاف في الحذف والاثبات : استحييت واستحييت .
- ٧ — الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حركات معتلا : أمزيد
وأمزيد .

- ٨ — الاختلاف في الإمالة والتثقيب : في مثل قضى ورى .
- ٩ — الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله : فبهم من يكسر
الأول ، ومنهم من يضمنه : اشتروا الضلالة ، يكسر الواو أو ضمها .
- ١٠ — الاختلاف في التذكير والتأنيث : هذه البقر وهذا البقر ،
هذه الغنم وهذا الغنم .

- ١١ — الاختلاف في الادغام : مهدون ومهدون .
- ١٢ — الاختلاف في الاعراب : ما زيد قائما ، ما زيد قائم ، ان هذين ،
ان هذان .

- ١٣ — الاختلاف في صورة الجمع : أسرى وأسارى .
- ١٤ — الاختلاف في التصديق والاختلاس : يأمركم بضم الراء ويأمركم
بإختلاس الضم قريبا إلى السكون ، وكذلك : عني له .

١٥ — الاختلاف في الوقف على هاء التانيث بالماء أو التاء :
هذه أمة ، هذه أمت .

١٦ — الاختلاف في الزيادة : أنظر وأنظور ..

١٧ — اختلاف التضاد : وثيب بمعنى قفز ومعنى جلس .

وهناك من يتحو مناحي أخرى ، ويتوسع في زيادة جوارب كثيرة
لضبط وجوه الاختلاف ، وليس هنا مجال استقصاء ذلك .

•••

(ب) وإلى جانب ذلك وجدت طريقة القراء في تحديد مظاهر اختلاف
القراءات، ومرد تلك المظاهر التي اصطلاحوا على تسميتها بالأصول، أي أصول
القراءات وأسباب اختلافها، ويقابل ذلك في اصطلاحهم: القروش، وهو
عرض سور القرآن وإحدى بعد أخرى، وتطبق ما تشبهل عليه كل آية
عنها من اختلاف في القراءة على تلك الأصول، وهي طريقة متداولة معروفة
عند علماء القراءات . وقد وفي الكلام عليها ابن الجزري^(١) وألم بها
السيوطي^(٢)، وغيرها من المؤلفين في هذا العلم . ولما كان كثير من اختلاف
القراءات — إن لم يكن أكثره — راجعاً إلى اختلاف اللهجات ،
كان في هذه الطريقة من الصلاحية لدراسة اللهجات على ضوءها ما يسمع
بإتخاذها أساساً لذلك .

ولعل أول من تنبه إلى استخدام هذه الطريقة توسع في دراسة اللهجات
العربية ، مع الإضافة إلى الطريقة اللغوية التي أشرنا إليها من قبل ، هو
الشاعر العالم الموهوب ، المنفرد له : حفي ناصف (١٨٥٦-١٩١٨) الذي
كان كما يبدو من مؤلفاته^(٣) على قدم راسخ ، وعرق عريق في الدراية بعلوم
القراءات وأسبابها من الأصوات وعلوم النحو واللغة والبلاغة . فقد اقتبس

(١) أنظر : النثر في القراءات المعر لاين الجزري ج ١ ص ٢٦ فما بعدها .

(٢) ألم بها السيوطي في أنواع متفرقة من كتابه : الاطلاق في لوم القرآن ج ١

(٣) من أم مؤلفاته : مميزات لغة العرب . وهو بحث ألقاه في مدينة فينا ، بولاق

سنة ١٣٠٤ هـ : وتاريخ الأدب وحياة اللغة العربية . محاضرات بالجامعة المصرية

في سلقى ١٩٠٩ — ١٩١٠

كثيراً من أصول القراءات في تمييز اللهجات العربية ، وولد على أساسها
بعض ما لم يكن معروفاً أسبقه من اللهجات .

على أنه ربما كان قد سبقه الى ذلك — وإن يكن في قالب غير منهجي —
العالم اللغوي الضليح : أحمد فارس الشديق (١٨٠٩ — ١٨٨٧) الذي عني
بتطبيق كثير من المبادئ المقررة في منهجي اللغويين والقراء — وإن لم
يصرح بذلك — في كثير من مؤلفاته ، وأتى بمادة غزيرة من اللهجات
القديمة والحديثة المختلفة ^(١) .

وعلى هذين اللغويين المذكورين بنى كثير من المؤلفين في العصر الحديث
بحوثهم في دراسة اللهجات ، وفتح اللغة العربية دون تنمية هامة للطريقة التي
اقتبسوها . ولعل النهضة العلمية الملموسة اليوم في معاهد التعليم ، وتخصيص
معهد لدراسة اللغات الشرقية ، واللهجات بوجه خاص في كلية الآداب بجامعة
القاهرة ، يشر بدفع هذه الدراسة خطوات موفقة الى الأمام .



أما تلك الطريقة التي رسمها القراء لبيان أصول اختلاف القراءات فقد
ذكرت وجوه عدة في تصوير نقاطها . وقد صدر علماء القراءات في ذلك
عن محاولة التوفيق بين هذه النقاط التي يرجع اليها الاختلاف وبين الحديث
التبوي المتواتر : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر
منه » ، فترام يقفون عند سبعة وجوه — في الغالب — يحاولون بها حصر
أسباب الاختلاف جميعاً ، وإن ذهبوا في هذه الوجوه وبيانها مذاهب شتى .
ولم يكن غرضهم من الحصر في الوجوه السبعة بيان أن الحديث يقصد
إلى ذلك ، بل مجرد الاستئناس بالحديث : والتبرك بما ذكر فيه من عدد .

(١) أنظر : C. Brockelmann, Gesch. d. ar. Lit. B 2. 505 Suppl. 2. no 7

ومن أم مؤلفات الشديق :

سر الببال في القلب والابدال ، الجاوس على القاموس ، الساق على الساق ، الواسطة
في آحوال مالطة ، وفي الكتاب الأخير تحليل قيم مختصر لهجة العربية الحديثة
في جزيرة مالطة .

على أن بعض العلماء ظن خطأ أن ذلك هو مقصد الحديث . وقد أبطل ذلك علماء القراءات ^(١) . ونكتفي هنا بمرض صورة واحدة من الوجوه التي صورت بها قاطب الاختلاف المذكور . فمن ذلك ما ذكره الامام أبو الفضل الرازي إذ يقول ^(٢) :

ان الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه :

الأول : اختلاف الأسماء من الافراد والثنية الجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال وما يستدل اليه من نحو الماضي والمضارع والأمر ، والاستناد إلى اللذكروالمؤنث والتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به .

الثالث : وجوه الأعراب .
الرابع : الزيادة والنقص .

الخامس : التقديم والتأخير .

السادس : القلب والابدال في كلمة بأخرى وفي حرف بأخر .

السابع : اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفتيح وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك .

وهناك وجوه أخرى — كما ذكرنا — لا داعي إلى الاطالة بها . وهذه الوجوه وإن قصرت بادىء ذي بدء على القراءات القرآنية ، فهي تصلح أساساً للاقتباس في دراسة اللهجات وفروعها ، وقد يحسن هنا أن نختار منها نقطة لبيان ما نحدثه من الأثر في اختلاف اللهجات .

(١) أنظر ابن الجزري في كتاب النشر ص ٢٣ فما بعدها .

(٢) أنظر ابن الجزري ج ١ ص ٢٧ .

الإدغام

هذا الأصل بعيد الأثر في اختلاف اللهجات القديمة والحديثة ، وتطور اللهجات الحديثة بوجه خاص .

وربما استطعنا أن نلمح فيه سبباً وجيهاً لظاهرة هامة في لهجاتنا الحديثة ، تقف أمامها حائرين دون أن نجد السبيل إلى ربطها بالعربية القديمة ، وطريقة تفرعها عنها .

تلك هي ظاهرة تلاشي الأعراب السائدة في اللهجات الحديثة ، مع ما يكاد يشبه الإجماع بين علماء اللغات على أن الأعراب كان من أهم الظواهر العربية الشديدة اللصوق باللغة ، والتي تعد جزءاً من ماهيتها ، ووسيلة أساسية في التمييز بين مختلف المعاني والأغراض .

والإدغام — وخاصة الإدغام الكبير المعروف عند القراء واللغويين — هو تسكين أول الحرفين المتماثلين أو المتجانسين أو المتقاربين ، ونطقه مثل الحرف الثاني ، أي إهمال إعرابه وحذفه .

وهذا الإدغام منتشر انتشاراً كبيراً في العربية ، وفي القرآن الكريم نفسه ، وحسبنا أن نستعرض صوره ومواضعه في القرآن لنطمئن إلى صحة ما ذكرنا :

١ — يقع إدغام المتماثلين في سبعة عشر حرفاً ، هي : الباء والتاء والهاء والحاء والراء والسين والميم والظين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والواو والياء .

أمثلة

الكتاب بالحق ، الموت تحسونهما ، حيث نفقتموه ، النكاح حتى ، شهر رمضان ، الناس سكارى ، يشفع عنده ، يتبع غير الاسلام ، اختلف فيه ، أفاق قال ، إلك كنت ، لا قبل لهم ، الرحيم مالك يوم الدين ، فهو وإيهم ، فيه هدى ، يأتي يوم .

وهو كثير أيضاً في الأدب والشعر العربي ، ومنه قول عدى بن زيد :
وتذكر رب الخورق اذ فك ر يوما وللهدي تمكير
وقال غيره :

عشية تمنى أن تكون حمامة بمكة يؤويك الستار المحرم
٧ — ويقع إدغام المتجانسين والمتقاربين في ستة عشر حرفاً جميعها بعض
من جداول تسهيل حفظها في : « رضى سئدد ججكك بذل قشم » .
أخلاء تدغم في الميم نحو : يطذب ابن يشاء .

والناء في عشرة مواضع :

الناء : ١ . جالينات نعم . ٢ .

الجيم : الصالحات جنات .

الذال : السيفات ذلك .

الزاي : الجنة زمراً .

السين : الصالحات بسندخلهم .

الشين : بأربعة شهداء .

الصاد : والملائكة صفأ .

الضاد : والعاديات ضبيحا .

الطاء : أقم الصلاة طرفي النهار .

الظاء : الملائكة ظالمى أنفسهم .

والثاء في خمسة مواضع :

في الثاء : حيث تؤمرون .

الذال : الحرث ذلك .

السين : وورث سليمان .

الشين : حيث شئنا .

الغداد : حديث ضيف إبراهيم .

والجيم في موضعين :

في الشين : أخرج شطاه .

القاء : ذى المعارج تعرج .

وهكذا الى آخر الحروف المذكورة . وهذا برهان ظاهر على أن العربية
الفصيحة ، بل الفصحى أيضاً ، كانت تهمل الاعراب في كثير من المواضع
بل في أكثر من الكثير . أفلا يصح اتخاذ ذلك أساساً سليماً لتفسير انتشار
هذه الظاهرة في اللهجات الحديثة ؟

وفي غير الادغام من وجوه الاختلاف الأخرى تفصيل وكشف عن كثير
من الأسرار في تطور اللهجات ، ولذلك مقام آخر .

التشيع في الشـعـر المـصـري

في عصر الأيوبيين والمماليك

للدكتور محمد كامل حسين

(١) لمحة عن التشيع في مصر الى سقوط الدولة الفاطمية :

في بحث لنا تليعننا فكرة التشيع في مصر الإسلامية حتى دخل الفاطميون مصر سنة ٣٥٧ هـ^{١١} ، وتلخص هذه الفكرة في أن أكثر مسلمي مصر في هذا العهد كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ، وأن قليلا منهم كانوا يدينون بالتشيع ، ولكن هؤلاء الشيعة من المصريين لم يشتركوا اشتراكا إيجابيا في حركات فرق الشيعة التي ظهرت في الأقطار الإسلامية الأخرى ، إذ لم يذكر مؤرخو مصر شيئا عن صدى حركات الشيعة في مصر سوى حركة محمد النفس الزكية سنة ١٤٤ هـ ، ولكن هذه الحركة سرعان ما مهد أوارها ، ولم تظهر لها في مصر نتائج سياسية أو مذهبية . ولم يكن للمصريين في هذا العصر رأى شيعي خاص بهم ، ولم تظهر لهم فلسفة شيعية مثل هذه الفلسفات التي نراها عند فرق الشيعة في العراق وفارس والشام ، إنما كان التشيع في مصر يكاد ينحصر في حب أهل البيت ، وهذا رأى كثير من المسلمين غير المتطرفين ، فعلماء أهل السنة في مصر وفي غير مصر كانوا يحبون أهل البيت ، وعندنا الشافعي والنسائي المحدث وغيرهما دليل على ذلك ، بل من العلماء من كان يفضل على بن أبي طالب على الشيخين ، وفي مصر

M. Kamil Hussein : Shi'ism in Egypt before the Fatimids (I. R. A. Nile-Hangy (١)

Vol. I, p. 73. 1948.

وكتابات في أدب مصر الفاطمية ص ٨ مقدمة (طبع دار الفكر العربي) .

كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم رئيس المدرسة السالكية وابن الحداد القاضي وغيرهما كانوا يفضلون علياً على أبي بكر وعمر^(١).

ومع ذلك لم يتعرف هؤلاء الأعلام عن مذهب أهل السنة والجماعة.

وهكذا عاش المصريون بعيدين عن التيارات والمعتقدات الشيعية التي كثرت في غير مصر من البلدان، حتى ظهر عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب سنة ٢٩٦ هـ، وكانت دعوته دخلت مصر من قبل علي أيدى بعض دعاته من أمثال فيروز بن أبي علي وأبي جعفر بن نصر وغيرهم^(٢)، واعتنق بعض المصريين هذه الدعوة سرّاً وكاتبوا المهدي لفتح مصر، فأرسل المهدي هذه الحملات المعبدة التي ذكرها المؤرخون، وكان قواد هذه الحملات يكتبون إخوانهم من المصريين لتأييدهم والعمل على نجاح حملاتهم، وحفظ عريب بن سعيد مقطوعة شعرية من قول أبي القاسم بن المهدي (القائم بأمر الله الخليفة الفاطمي الثاني) يخاطب بها جماعة من المصريين الذين استجابوا لدعوة الفاطميين^(٣)، ومع ذلك لم يذكر المؤرخون شيئاً عن تحرك المصريين لتأييد حملات الفاطميين، ولم يعرف أن عقائد الفاطميين انتشرت في مصر انتشاراً كان له أثر في الحياة الفكرية، فقد ظلي أكثر المصريين على مذهب أهل السنة والجماعة يختلفون فيما بينهم بين آراء مالك والشافعي، وقيل أن تجمد بينهم من كان على مذهب أبي حنيفة أو من يقول بمقالات المعتزلة أو الشيعة.

ولما فتح جوهر الكاتب أحمد قواد المعز لدين الله الفاطمي مصر سنة ٣٥٨ هـ كتب أماناً للمصريين، ونص على أن يترك للمصريين حريتهم في اختيار العقيدة التي يرضونها لأنفسهم، وأن لا يحملهم كرها على تغيير مذهبهم أو دينهم الذي دانوا الله به^(٤)، ولكن الفاطميين لم يحترموا هذا الأمان

(١) ابن حجر للمصطفى: رفع الأمر عن قضاء مصر ص ٩٩

(٢) ابن زولاقي: سيرة سيدي المصري ص ٤٠ وجعفر بن منصور: الفترات والقرائن (نسخة خطية بمكتبي).

(٣) عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطبري ص ١٢، طبع المطبعة الحسينية بمصر.

(٤) القرطبي: إتمام الحفظ ص ١٤٨ - ١٥٣ (طبع دار الفكر العربي).

فقد قامت دولتهم على أساس عقيدتهم المذهبية فكان من الطبيعي أن يعملوا على صبغ البلاد التي تخضع لحكمهم بهذه الصبغة المذهبية التي تميزوا بها ، فلا غرابة أن رأينا دعواتهم ينشطون في كل البلاد وفي كل المجتمعات يكالبون أصحاب المذاهب الأخرى ويسقذون مجالس الحكمة التأويلية ويأخذون العهد على كل مستجيب ، وانخذلوا للدعوة لمذهبهم وسائل وتدبير مختلفة ، فاستجاب كثير من المصريين إلى دعوتهم وعقيدتهم وظل بعض المصريين على عقيدته ومذهبه ، ولكن عقائد الفاطميين شغلت أذهان المصريين طوال الحكم الفاطمي حتى تأثر بها المصريون جميعاً سواء من دخل منهم في الدعوة أو من ظل مستمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة ، حتى خيل إلى كثير من الباحثين أن المصريين جميعاً أصبحوا يمهذبون بعقيدة الفاطميين ويتبعون العقائد الفاطمية ، أي أن مصر قد طبعت بطابع العقائد الفاطمية طوال السنين التي خضعت فيها لحكم الفاطميين .

وبالرغم من أن نفوذ العقائد الفاطمية كان متغلغلاً في مصر فإن هناك عدة عوامل عملت على إضعاف هذه العقيدة في قلوب المصريين ، ولعلنا لا ننالي إذا قلنا إن هذا الضعف بدأ في عهد الحاكم بأمر الله (المتوفى حوالي سنة ٤١١ هـ) ولا سيما بعد أن وفد على مصر دعاة تآليه الحاكم أمثال الدرزي وحزبة والأخرم القرغاني (١) ، ونحن نعلم أن المصريين ثاروا على هؤلاء الدعاة ، وقتلوا الأخرم سنة ٤٠٤ هـ ، وأن الدرزي وحزبة هربا ، وأن الحاكم اقتحم من المصريين غرق القسطنطين وقتل عدداً كبيراً من المصريين ، وكافأ طائفة حياة الحاكم نهاية لهذه الدعوة الألحادية الجريرة في مصر ، ولكن كان من نتائجها أن بدأ الناس يشكون في عقيدة الفاطميين وفي كل ما قاله الدعاة عن الإمامة والأئمة ، وظهرت هذه النتيجة بشكل لافت في عهد المستنصر بالله (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) ولا سيما في تلك السنوات من حكمه التي ضعفت فيها الحياة الاقتصادية وبلغت درجة من الانحطاط جعلت الناس

(١) راجع الرسالة الواضحة لأحمد حميد الدين الكرماني نمر محمد كامل حسين (مجلة كآبة الآداب عدد مايو سنة ١٩٥٢) .

لا يرون للإمام حرمة ولا للعقيدة وزنا ، فضعفت ثقة المصريين في عقيدة
الإمام المعصوم وأنه الواسطة بين الله والخلق ، وفي عقيدة النص على ولاية
العهد ، وهي العقيدة التي كانت أساس مذهب الاسماعيلية وسببا في انقسام
الشعبة الامامية إلى إسماعيلية وموسوية ، فتهاون المصريون بهذه العقيدة
مما سهل الأمر للأفضل بن بدر الجمالي في تحويل الامامة بعد المستنصر إلى
المستعلي وحرّم منها صاحب النص زار بن المستنصر ، فانقسمت الدعوة
إلى فرعين رئيسيين هما : الاسماعيلية النزارية . التي عرفت بالاسماعيلية
الشرقية أحيانا ، وبالاسماعيلية الحشيشية أحيانا أخرى ويعرفون الآن بالخوارج
أو الأفاغانية ، وإمامهم الآن هو أبا خن المعروف . والأمرع الآخر
هو الاسماعيلية المستعلي أو الاسماعيلية الغربية وهي التي ظلت في مصر واليمن ،
فكان هذا الانفصال من عوامل ضعف العقيدة وزعزعها من نفوس المصريين .
أضف إلى ذلك أنه لما قتل الأمر بأحكام الله سنة ٥٢٤ هـ ولم يكن له ولد ،
ذهب الصليحيون أصحاب الدعوة في اليمن إلى أن الأمر لما قتل كانت
إحدى جهاته حاملا ، وأنها أنجبت ولداً له هو الطيب بن الأمر ، وأن
الامامة للطيب هذا ، وأنه دخل الستر وجعل الملكة الحرة الصليحية حجة
وصاحبة الستر عليه ، فوجد بذلك فرع جديد للاسماعيلية وعرفت هذه
الدعوة بالدعوة الطيبية ولا يزال يعرف بهذا الاسم إلى اليوم وأتباع هذه
الدعوة يعرفون الآن بالهرة ، وداعيتهم المطلق هو طاهر سيف الدين ،
وإمامهم من نسل الطيب بن الأمر لا يزال في دور الستر . أما في مصر
فلم يعترف المصريون بشيء اسمه الطيب بن الأمر ، وأقيم عبد المجيد بن محمد بن
المستنصر المعروف بالحافظ لدين الله كفيلا للإمام المنتظر في أول الأمر
ثم اعترف بإمامته بعد ذلك . فكان الاعتراف بإمامته خارجا عن أسس الامامة
عند الاسماعيلية ، إذ الامامة عندهم لا تكون إلا في الأعقاب ، وأن الامام
ينص على حجة وولي عهده من أبنائه ، ولا تنتقل الامامة من أخ إلى أخ
بل لا بد أن تكون من أب إلى ابن ، والحافظ لم يكن ابنا لامام فليس له حق
في الامامة ، ومنع ذلك اعتراف به المصريون إماماً لهم تهاونا منهم بالعقيدة

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٥ (نسخة خطية بمكتبة المجلدات والمطبوعات) ورقة ٧٩
نسخة خطية بمكتبة . .

الاسماعيلية مما أدى إلى زيادة استخفافهم بالفاطمين وعقائدهم ، وإلى نزوعهم من نفوس كثير من مسجويها من المصريين .

وبلغ انتهاور حداً بعيداً حين نرى الوزير الفاطمي أبا الحسن بن السدري المنعوت بالملك العادل سيف الدين الذي تولى الوزارة للشافر سنة ٤٤٤ هـ ينظاهر بالقسطنطين على مذهب الشافعي ، ولما وصل الحافظ أبو طاهر أحمد السلفي إلى الاسكندرية واتخذها دار مقامه احتفى به العادل ابن السلار وعمر له هناك مدرسة فوض تدريسها إليه ، ولم يكن للشافعيين بالاسكندرية سواها^(١) وهو عمل لا يقدم عليه الوزير إلا إذا كان على ثقة تامة أن أتباع العقيدة الفاطمية لا يستطيعون مقاومتها ، وذلك لضعفهم ونزوع العقيدة من نفوس أكثر المصريين ، وهناك قصة عمارة البيني مع سيف الدين الحسين بن أبي الهيثماء صهر الملك الصالح طلائع بن زريك ، وهي إن دلت على شيء فإنه تدل على أن الشك في العقيدة الفاطمية دب في نفس سيف الدين^(٢) ، وقصة أخرى ذكرها عمارة أيضاً تريتنا كيف كان الداعي ابن عبد القوي والوزير شاور وابنه الكامل يفكرون في تسخير الدعوة لولدي صاحب عدن ونقل مركز الدعوة إلى عدن ، فاستشاروا عمارة في ذلك فقال : « إن أهل اليمن إنما يعمثون لكم الهدايا والصحف والنجاوي ويتولونكم لأجل الدعوة : فإذا تبرعتم بها فقد هونتم حرمها »^(٣) فهذه كلها أدلة نسوقها على ما نذهب إليه عن مدى ضعف العقيدة في نفوس أكثر المصريين في أواخر أيام الفاطمين ، حتى في نفوس بعض الدعاة وكبار رجال الدولة .

(٢) الفسيع بصر الفاطميين :

ومع هذا الضعف الذي حل بمذهب الفاطميين في مصر ، فقد كان مظهر التشيع واضحا بين بعض المصريين ، وليس أدل على ذلك من تلك الصورة

(١) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٠ (طبع المطبعة الميمنية) .

(٢) عمارة البيني : النكت المصرية ص ١٢٦ (طبع سالون) .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٩٢

القوية التي رسمها القاضي الفاضل في إحدى رسائله ، يصور فيها مدى تظاهر
المصريين بالشعير والتقاليد الباطنية فقد قال :

إن كلمة السنة بها وإن كانت مجموعة فانها مقموعة ، وأحكام الشريعة
وإن كانت سماه فانها متعامدة ، وتلك البدع بها على ما يعلم ، وتلك الضلالات
فيها على ما يغنى فيه براق الاسلام ويحكم ، وذلك المذهب قد خالط من أهله
العلم والدم ، وتلك الأنصاب قد نصبت آلهة تعبد من دون الله وتعظم
وتعظم ، فبما الله عن شبه العباد ، وويل لمن غره قلب الذين كثفروا
في البلاد . . . ووصلنا البلاد ، وبها أجناد عديم كثير وسوادهم كبير ،
وأموالهم واسعة ، وكثرتهم جائرة ، وم على حرب الاسلام أقدر منهم
على حرب الكفر ، والحيلة في الشر فبهم أنفذ من الغزيرة في الجهر ، وبها راجل
من السودان يزيد على مائة ألف كلهم أغنام أعجم ، إن هم إلا كالأنعام
لا يعرفون ربا إلا ساكن قصره ، ولا قبله إلا ما يوجهون إليه من ركنه
وامتثال أمره ، وبها عسكر من الأزمن باقون على النصرانية ، موضوعة
عنهم الجزية ، كانت لهم شوكة وشبكة وحمة وحمة ، ولم حواش لقصورهم
من بين داح تطلعت في الضلال مداخلة ، وتصيب القلوب غثاته ، ومن بين
كتاب تفعل أفعالهم أفعال الأسفل ، وخدام يجمعون إلى سواد الوجوه
سواد النحل ، ودولة قد كبر فعملها الصغير ، ولم يعرف فيها غير الكبير ، ومهابة
تمنع ما يكتنه الضمير ، فكيف بخطوات التدبير ، هذا إلى استباحة للسحار
ظاهرة ، وتمطيل للقرائض على عادة جارية جائزة ، وتحريف للشريعة بالتأويل ،
وعدول إلى غير مراد الله بالتزويل ، وكفر سمي بغير اسمه ، وشرع يتستر
به ويحكم بغير حكمه ، فإزلنا نسحتهم سحت المبارد للشفار ، ونحفهم
تحيف الليل والنهار ، بصعائب تدبير لا تختملها المساطير ، وغرائب تقدير
لا تحملها الأساطير ولطيف توصل ، ما كان من صلة البشر ولا قدرتهم
لولا إغاثة المقادير . . . (١)

(١) أبو شامة : الرضوي ج ١ ص ٢٤١

هذه صورة لحالة الدعوة الفاطمية في مصر حين قام صلاح الدين الأيوبي بهجومها من البلاد . رسم هذه الصورة رجس عاش في بلاط الفاطميين في أواخر أيامهم ، فقد كان كاتباً من كتابهم . مطلقاً على أسرارهم . ثم انقلب عليهم واستوزر لصلاح الدين فكان عضده الأيمن في القضاء على الفاطميين ، ولنا في مجال الحديث عن القاضي الفاضل ، وإعلاء الذي يهمننا في وصفه أن العقيدة الإسماعيلية قد خالطت من المصريين اللحم والدم ، وأنه دبر تدابير مختلفة للقضاء على الفاطميين وكان نجاحه من المقادير ، والذي يقرأ هذه الرسالة للقاضي الفاضل يروعه وصف القاضي الفاضل بتفعل العقيدة الفاطمية في المصريين ، بينما نذهب نحن إلى أن العقيدة ضعفت عند المصريين ، فالقاضي الفاضل قد وصف القصر والحاشية من كبار رجال الدولة من دعاة وكتاب : « هؤلاء يحكم طاعتهم بالامام الفاطمي كانوا على نحو ما ذكره القاضي الفاضل ، ثم إن القاضي الفاضل قد بالغ في تعظيمه هذا ليضفي على مقامه به صلاح الدين الأيوبي من تقويض أركان الدولة الفاطمية قيمة وخطراً ، ولم يحدث القاضي الفاضل عن الشعب نفسه ، فالشعب المصري كان موزعاً الميول بين هذه التيارات الفاطمية التي ورثها عن قرنين من الزمان ، وبين ما نطرا على هذه العقيدة الفاطمية من ضعف ، لهذا تحول عند من شيعه مصر إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وبقي عدد آخر على تشيعه وتأثره بالفاطميين ، ولا سبيل لصلاح الدين الأيوبي ولا لغيره صلاح الدين إلى انتزاع عقيدة من العقائد بمحض السميت أو بالتدبير التي أشار إليها القاضي الفاضل في رسائله السابقة ، فليس من الجهل البسيط أن يقتلع دين من الأديان بمجرد تغيير النظام السياسي في بلد من البلاد ، إنما يحتاج التغيير إلى سنوات عديدة وإلى تدابير ليستحق من تدابير القوة والبطش فحش ، وإذا نظرنا إلى الذين استجابوا لصلاح الدين وناضروه فسنجد أن جلهم بين هؤلاء الذين لم يعتنقوا المذهب الإسماعيلي ولم يتحولوا عن عقيدتهم ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، وثبتوا أمام دعاة الإسماعيلية وسلطان أمهم ، وبين هؤلاء الذين استجابوا إلى مذهب الإسماعيلية ولكن ضعفت عقيدتهم من قوسهم لم يروا أن القائمين على هذه العقيدة انحرفوا عنها

ولم يعملوا بأصولها ولا بفروعها . فتحول هؤلاء عن اسماعيليتهم وهم مطمئنون بعد أن دب الشك في نفوسهم ، وفريق ثالث من الذين ساعدوا صلاح الدين في قطع الخطبة للفاطميين ونحويلها إلى العباسيين هم هؤلاء الذين يعرفون بأنهم يأكلون على كل الموائد ، ولا يعملون إلا لأنفسهم ، ويحاولون الاغادة من كل تغير ، فهم أتباع كل جديد لا شيء سوى الاغادة من النظم الجديدة ، فكثير من رجال الدولة الفاطمية أصبحوا من أعدائها في عصر الأيوبيين ، ومن هؤلاء القاضي الفاضل نفسه والقاضي ابن سناء الملك ، والقاضي ابن الزبير وابنا القاضي الجليلين ابن الجباب وغيرهم . أما الشعب ولا سيما طبقة الجهال فقد ظلوا على اسماعيليتهم .

هكذا انقسم المصريون بين مؤيد لصلاح الدين وجركته في إبادة التشيع من مصر ، وبين مستمسك بتشيعه يتدب أيام الفاطميين ويكي على أمته ، وقد حاول هؤلاء مراراً أن يعيدوا الخلافة الفاطمية ، فكان يظهر من حين لآخر من كان يدعو في البلاد إلى الفاطميين فيلتف الناس حوله ، وتخف جنود الأيوبيين للقضاء على حركته ، فن ذلك ما كان في سنة ٥٩٦ هـ إذ قام بعض رجال الدولة الفاطمية برئاسة هبة الله بن كامل قاضي القضاة وداعى الدعاة بحركة لإعادة ملك الفاطميين في مصر ، وأسهم في هذه الحركة عمارة الغنى بالرغم من تسننه ، والداعى عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوى وغيرهما وامتدت هذه الثورة إلى حد أنهم كاتبوا العلبيين وشيخ الجبل « راشد الدين سنان » زعيم الاسماعيلية الزارية في الشام ، ولكن هذه الحركة فشلت وقبض على رؤسائها وقتلوا صلباً ، كذلك نقول عن حركة الداعى قديد القفاص بالاسكندرية وهى الحركة التى وصفها القاضي الفاضل فى إحدى رسائله بقوله : « وما يطرف به المولى أن نعر الاسكندرية على عموم مذهب السنة فيه ، أطلع البحث أن فيه داعية خبيثاً أمره ، بحتقر شخصه ، عظيماً كفره يسمى قديد القفاص ، وأن المذكور مع نحوله فى الديار المصرية قد فشلت فى الشام دعوته ، وطبقت عقول أهل مصر فتته ، وأن أرباب المايش فيه يحملون إليه جزءاً من كسبهم ، والفسوان يبعثن إليه شطراً

وافيا من أموالهن . ووجدت في منزله بالاسكندرية عند القريض له والمجوم عليه كتباً مجردة فيها خلع المدار وصرح المكفر الذى ماعنه اعتذار ، ورتاع يخاطب بها فيها ما تقتصر منه الجلود ، وبالجملة فقد الاسلام أمره ، وحقا به مكروه وصرعه كفره (١) .

ونذكر ثورة كثر الدولة بن المتوج أمير أسوان الذى جمع حوله عددا كبيراً من السودان وحاول أن يعيد الأمر للفاطميين فقدم بجنوده حتى بلغ مدينة قوس ، فسار إليه لذلك العادل أخو صلاح الدين فى جيش كثيف سنة ٥٧٠ هـ . فهزم كثر الدولة وهرب رجاله إلى بلاد النوبة (٢) فطاردهم العادل وشنت عليهم ، فاستقروا فى السودان ولم يعودوا إلى إقليم أسوان إلا بعد سنة ٥٧٩ هـ (٣) . وكان ابن المتوج مقبض الشعراء فى عصره ، اتصل به عدد كبير تذكروا منهم أحمد بن محمد الأسوانى الفقيه البلاقى (٤) ، وعبد الله بن أحمد بن سلامة الفقيه (٥) ، وسهل الأسوانى (٦) ، وعبد الله بن محمد بن زريق (٧) وغيرهم من الشعراء ذكروا الادنوى فى كتابه الطالع السعيد ومع ذلك لم تصلنا أشعارهم التى أنشدها فى ثورته ضد الأيوبيين التى أراد بها إعادة الدولة الفاطمية ، ولكن وصلتنا رسالة بقلم القاضي الفاضل فى ذكر انتصار جيوش الأيوبيين وفتح بعض بلاد النوبة أرسلها إلى الخليفة المستنصر العباسى عن صلاح الدين ونجد هذه الرسالة فى صبح الأعشى (٨) فليرجع إليها الباحثون . ويرى ابن الأثير أن جماعة من الشيعة فى مصر ثاروا سنة ٥٨٤ هـ بالقاهرة ولادوا ليلاً بشعار الشيعة : يا آل على . يا آل على . وسلخوا الدروب

(١) الروشتين ج ١ ص ٢٢٠

(٢) المقرئى : المختلط ج ١ ص ٣٢٠ وابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) الادنوى : الطالع السعيد ص ٦٦

(٥) نفس المرجع ص ١٤٤

(٦) نفس المرجع ص ١٣٤

(٧) نفس المرجع ص ١٤٦

(٨) صبح الاعشى ج ٦ ص ٥٠٦

ينادون الناس، ظناً منهم أن أهل البلد يلبون دعوتهم ويخرجون معهم لإعادة الدولة العلوية، وإخراج من كان محبوساً في القصر من أسرة الفاطميين، ولكن لم يلتفت أحد من المصريين إليهم ولا أعارم سمعه، فلما رأوا ذلك تفرقوا، ثم أخذوا، وكتب بذلك إلى صلاح الدين فأهمه أمرهم وأزعجه^(١).

وفي أواخر القرن السابع في سنة ٦٩٧ ظهر شخص في الصعيد ادعى أنه داود بن العاضد الفاطمي، ودعى لنفسه فاستجاب له عدد كبير من أهل الصعيد ومدحه بعض الشعراء على نحو ما سند كرمه، ولكن حر كته فشلت.

تبين من ذلك أن الأيوبيين لم يستطيعوا أن ينتزعوا العقيدة الفاطمية الإسماعيلية من نفوس جميع المصريين دفعة واحدة، وأن التشيع ظل في مصر بعد زوال الدولة الفاطمية وكان بعض المصريين يحتنون إلى عهد الفاطميين، وبذهب صاحب الطالع السعيد إلى أن بلاداً بأكملها في مصر كانت تدين بالتشيع حتى القرن الثامن من قرون الهجرة، ففي حديثه عن أدق قال: كان التشيع بها قاشياً، وأهلها طابعتان الإسماعيلية والامامية، ثم ضعف حتى لا يكاد يجيز به إلا أشخاص قليلة^(٢).

ويقول عن إسفون: بلدة معروفة بالتشيع البشع، لكنه خف بها وقل^(٣)، وعن إسنا قال: وكان التشيع بها قاشياً، والرفض بها ماشياً نجف حتى خف^(٤)، وفي حديثه عن بهاء الدين القفطى هبة الله بن عبد الله ابن سيد الكل حاكم إسنا ومدرس مدرستها المتوفى سنة ٦٩٧ هـ قال: إنه فتح إسنا، فإنه كان بها التشيع، لما زال يجتهد في إخماده وإقامة الأدلة على بطلانه وصنف في ذلك كتاباً سماه «النصائح المفترضة في فضائح الرفض» وهو ما يقتله فخاه الله منهم^(٥). وفي حديثه عن ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

(١) ابن الأثير الكامل: حوادث سنة ٨٤ هـ.

(٢) الأدقوى: الطالع السعيد ص ١٦

(٣) الأدقوى: الطالع السعيد ص ١٧

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٧

(٥) نفس المصدر ص ٣٩٧

قال : أتى إلى الصعيد في طالع لأهله سعيد ، فتمت عليهم ، بركانه وعتمهم
 غلومه ودعوته ، وكان مذهب الشيعة طائشاً في ذلك الاقليم ، فأجرى مذهب
 السنة على أسلوب حكيم ، وزال الرفض وانجاب ، وثبت الحق حتى لم يبق
 فيه شك ولا ارتياب ^(١) .

وحفظ أسماء عدد من العلماء والأدباء من رجال القرنين السابع والثامن
 من قرون الهجرة كانوا يدينون بالتشيع تذكر منهم عبد القادر بن مذهب
 الادفوى — ابن عم صاحب الطالع السعيد — وقيل انه رحل إلى قوص
 للاشتغال بالقرع لحفظ أكثر التفهيم ، وكان اسماعيلي المذهب مشغولاً بكتاب
 الدلائل تصنيف القاضي النعمان بن محمد متفقاً فيه ، وكان فيلسوفاً يقرأ الفلسفة
 ويحفظ من كتاب زجر النفس وكتاب اثولوجيا وكتاب التفاحة المنسوبة
 إلى أرسطو كثيراً وتوفي سنة ٧٢٥ هـ ^(٢) . وكان عبد الملك بن الأعز بن
 عمران الذي أخذ النحو والأدب عن الشمسي الرومي متهما بالتشيع مشهوراً
 به وتوفي سنة ٧٠٧ هـ ^(٣) . وأن الشاعر المحدث محمد بن محمد بن عيسى الشيباني
 النصيبيني كان مذهباً ^(٤) . أما القاضي جلال الدين الحسن بن منصور
 المعروف بابن شواق المتوفى سنة ٧٠٦ هـ فقد كان يتشيع ويدرس مذهب
 الشيعة ثم قبض عليه ، ورحل إلى القاهرة بعد أن صودرت أمواله ^(٥) . ويذكر
 ابن حجر أن علي بن المظفر بن ابراهيم الوادعي الكندي المتوفى سنة ٧١٦ هـ
 وكان كاتباً في ديوان الانشاء كان يتشيع ^(٦) .

ويطول بنا الأمر لو حصرنا في هذا البحث القصير من كان يعرف
 بالتشيع من علماء وأدباء مصر في عصر الأيوبيين والمماليك : وهذا يدل على أن
 العقيدة الشيعية لم تقتل من نفوس المصريين جميعاً ، بل ظلت عقيدة بعض

(١) نفس المصدر ص ٢٢٩

(٢) نفس المصدر ص ١٧٦

(٣) نفس المصدر ص ١٨١

(٤) نفس المصدر ص ٣٥٤

(٥) الادفوى : العالم السيد ص ١٧٦

(٦) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٣٠

المصريين بالرغم مما أصاب الشيعة في مصر في ذلك العصر من أوزان الاضطهاد وبالرغم مما قام به علماء جمهور أهل السنة والجماعة من جهود متواصلة في تعليم المصريين علومهم وآرائهم بفضل تلك المدارس المذهبية السلفية التي انتشرت في مصر انتشاراً عظيماً ، فكافت هذه المدارس هي لسبب الأول في تحول الشيعة في مصر إلى رأي الجماعة والسنة وسنن ذلك في بحث مستقل إن شاء الله .

(٣) شعر المتبصعين :

كان بين بقايا الشيعة في مصر عدد كبير من الشعراء ، حفظت بعض قصائدهم التي يظهر فيها أثر العقيدة الشيعية التي دانوا بها . نذكر من هؤلاء الشعراء أبا العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزازي [٦٣٤ - ٧١٠ هـ] التاجر بقيسارية جهاركس بالقاهرة ^(١) . كان أديباً بارعاً ولا سيما في نظم الموشحات وكان يتشيع ويظهر تشيعه في شعره فمن ذلك قوله :

إذا أنا لم أبت داني الأماقي	عليه وداني الكمد القصي
وأعسى فيه ذا وسن ضنين	وأصبح فيه ذا شجن شجي
فلا سارت بحافية ركابي	ولا عادت بناجحة مطي
وإلا لا اعتقدت ولا على	ولا أضمرت حب بني على
أناس أدركوا أمد للعالي	ونالوا رتبة الشرف العلي
ثم سحب الندى يوم العطايا	ويوم الفخر أقمار الندى
إذا كررت ذكرهم كأي	فتقت لعلايم المسك الزكي
أبوم ذو الجلالة من قرش	وذو النسب الصحيح من النبي
وناصر دينه سرأ وجهرأ	خلافأ للفریق الجاهلي
وقاهر كل كفار عتيد	وقاتل كل جبار عني
وضارب يوم صفين وبدر	أعلى هامة البطل الكمي
وكاشف كل مشكلة ولبس	وغامضة بلا حصر وعي

(١) أبو المحاسن : المنهل الصالح ج ١ ص ٣٤٠ (طبع دار الكتب المصرية) .

ألباغى عليهم يوم نخر
 ألساعى بهم نحو المنايا
 أقدر ظلمة الليل الدياجي
 ترى بعد الحسين يسوغ ماء
 وأية عيشة تحلو وتصفو
 لقد ظللوا وما حازوا حقوقاً
 بكم يا آل يس وطه
 ويحظى بالشفاعة كل عاصي
 سلام الله والرضوان منه
 كاصلهم وفرعهم الزكي
 كقدرهم ومجدهم العلي
 تغطي آية الصبح الجلى
 ويحلو مورد العيش الحنى
 وقد جار العدو على الولي
 لفاطمة البتول ولا الوصى
 تحبط خطية الجاني النسي
 ويسعد كل مجرم شقي
 عليكم في القدر وفي المشي^(١)

فهذه المعاني التي وردت في هذه المقطوعة لا يمكن أن تصدر إلا من شاعر
 يعتنق التشيع له ديناً، فولايته لآل البيت، وإسباغ الفضائل عليهم، وشفاعته
 بهم، وحزنه على الحسين بن علي وعلى من قتل من العلويين، كل هذه معاني
 شيعية خالصة لا يشدها إلا شاعر شيعي، ولكن الغزالي في هذه القصيدة
 وفي غيرها من قصائده الشيعية في ديوانه لم يلم بالمعاني الفلسفية الشيعية
 التي كنا نراها عند شعراء الفاطميين، بل اكتفى بإيراد المعاني الشيعية العامة
 التي يقول بها كل فرق الشيعة غير المتطرفة على اختلاف مذاهبهم، ولذلك
 صار من الصعب علينا أن نتعرف الفرقة الشيعية التي كان ينتمي إليها الغزالي.

وكذلك نقول عن الشاعر ابن شوق الاسناني جلال الدين الحسن
 ابن منصور الذي وصفه الادفوى بقوله: رأجه وصحبته مدة، وكان رئيس
 الذات والصفات، حسن الأخلاق، كريماً في نهاية الكرم، حليماً في الحلم
 علم، وقد ذكرنا كيف صودرت أمواله لتشيعه وأنه رحل إلى القاهرة
 فاجتمع بالصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب نخر الدين فأعجب هذا به وعرض
 عليه العمل في ديوان الانشاء فرفض، كان هذا الرجل يقشيع وكان تشيعه
 على النحو الذي كان عليه شيعة مصر قبل عصر الفاطميين أى حب الصحابة
 وتعظيمهم والاعتراف بفضلمهم إلا أنه كان يقدم على بن أبي طالب عليهم^(٢)،

(١) ديوان الغزالي نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٧٩، أدب.

(٢) الطالع السعيد ص ١٠٨ وما بعدها.

ومع ذلك كان هذا الملتحق شاعرا وقد وصلنا قصيدة له يمدح بها أهل البيت ويصنفهم بصفات هي أقرب ما يكون الى الصفات التي يذكرها علماء الشيعة الاسماعيلية عن الأئمة ، فهو يقول :

وأنا من غبوق واصطباح	كيف لا يحلو غراي وانفضاحي
أسمر فائق على سمر الرماح	مع رشيق القند مصبول اللبا
رفع المرضى لتعليل الصبحاح	جوهرى الشعر ينحو عجياً
واجدا بالعد جدّاً في مزاح	نصب الحجر على تميزه
شاع في الآفاق بالقول الصراح	فلماذا صار امرئ خيرا
تجبروا قلب أسير من جراح	يا أهيل الخى من نجد إغسى
ماله نحو حاكم من براح	لم خلفتم حال صبب جازم
فعلى ماذا سمعتم قول لاح	ليس يصغى قول واش سمعه
وهو في رسم هواكم غير ماح	وعوتم اسمه من وصلكم
ورأيتم بعده عين الصلاح	فلئن أفرطتموا في هجره
معدن الاحسان طراً وللصباح	فهو راج لأولى آل العبا
فهو في أعناقهم مثل الوشاح	قلدوا أمرا عظيما شأنه
عجزت عن حمله أهل الصلاح	أمناء الله في السر الذي
وهم أسد الثرى عند الكفاح	هم مصاييح الدجا عند السرى
ضوءها يربو على ضوء الصباح	تشرق الأنوار في ساحاتهم
لجميع الرجس عنهم في انتراح	أهل بيت الله إذ طهره
رجعت منا صدور في انتراح	آل طه لو شرحنا فضلهم
من قريظ وثنائى وامتنادحى	أتم أعلى وأعلى قيمة
في مقام وغدو ورواح	جدكم أشرف من داس الحصا
فارس الفرسان في يوم المكفاح	وأبوكم بصدده خير الورى
ما طلى من قال حقاً من جناح	وارث المهادى النبى المصطفى
لرجعتهم جمعهم كل رجاح	لوقياس الناس جمعاً بكم
بكم الخلد مع الحور الصباح	يا بنى الزهراء يرجو حسن

قد أفاكم بديع نظمته . كجلاز البر في جيد الرراح
 فاسمعوا يا خير آل ذكركم . يتعش الأرواح مع مر الرياح
 وعليكم صلوات الله ما . غشيت شمس الضحى كل الضواحي
 وسرى ركب وغنى طائر . ألف النوح بتكرار النواح^(١)

فالشاعر في هذه القصيدة لم يبعث عقائد الشيعة ، فالأمة قد قلدوا أمرا
 عظيما شأنه ، وهي مرتبة الامامة ، وأن الأئمة « أمناء الله في السر »
 أي في العالم الباطنية التي ائتمنوا عليها والتي عجز عنها غيرهم ، وضمن في شعره
 الآية القرآنية « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
 تطهيرا^(٢) » ، وهي الآية التي ذهب الشيعة على أنها أنزلت في أهل البيت
 من نسل فاطمة بنت الرسول . ثم ذكر أن عليا وصي النبي ووريثه ، وهي العقيدة
 التي يتأيز بها الشيعة بل هي أساس التشيع ، فهذه كلها معتقدات شيعية بها بعض
 التأثير بالمعتقدات الشيعية الاجتماعية ، مما يدل على أن الشاعر قرأ كثيرا
 عن الشيعة وعقائدهم ، ودان بهذه العقائد ، وتوفي هذا الشاعر سنة ٥٧٠ هـ .

والشاعر الفقيه الشافعي محمد بن علي بن منجي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ
 لم يعرف عنه أنه تشيع ، بل اتجه في أواخر أيامه إلى التصوف وبني بأدق
 رباطا ووقف عليه وفقاً^(٣) ، كان متأثراً بأراء الشيعة ، ولا سيما في عقيدتهم ،
 أن بولاية أهل البيت ينال العفو في الآخرة ، ففي قصيدته التي أولها :

حاديها خليها وصراها للحمى إن شئت أن تسعداها
 ختمها بقوله :

ولئن جرت عليه في الهوى وعدلت نحو عدال عداها
 فهو يرجو العفو يوم العرض عن ما جناه بولاء آل طه^(٤)
 ولم تصلنا من أشعار هذا الفقيه الصوفي شيئا في التشيع سوى هذا البيت الأخير
 وإنما أوردناه للدلالة على أن أثر الشيعة كان قويا في نفوس بعض المصريين .

(١) الطالع السعيد ص ١١٠ — ١١١

(٢) سورة الانزاب آية ٣٣

(٣) الطالع السعيد ص ٣١٠

(٤) نفس المصدر ص ١٣٣

وقد ذكرنا أنه في سنة ٦٩٧ هـ ظهرت حركة داود بن سليمان (ويقال ابن شعبان) بن العاضد، التي دعا فيها لنفسه، وأن الناس اجتمعوا حوله. ومدحه الشعراء بمقطوعات تظهر فيها أثر عقائد الفاطميين. من ذلك قول الشاعر ابراهيم بن محمد بن علي بن نوفل الادفوي المتوفى سنة ٧٣٥ هـ في مدح داود هذا:

ظهر النور عند رفع الحجاب فاستنار الوجود من كل باب
وأنا البشير يخبر عنهم ناطقا عنهم بفصل الخطاب^(١)

فالشاعر في هذين البيتين مدح داود بهذه الصفات التي أسبقها شعراء العصر الفاطمي على الأئمة، متخذاً المصطلحات الفاطمية الخالصة، « فظهر النور عند رفع الحجاب » هو ظهور الامام بعد استتاره، وفي البيت الثاني يشير إلى أن داعية الامام — الذي عبر عنه بالبشير — جاءهم بفصل الخطاب، وقد رأينا أن وظيفة الحجّة في الدعوة الاسماعيلية هي فصل الخطاب^(٢). فالشاعر كان يتحدث إذن كما كان يتحدث شعراء الفاطميين بالرغم من مرور قرن ونصف تقريبا على زوال الدولة الفاطمية من مصر.

وعندما انتشرت دعوة داود هذا في بلدته أسفون أنشد الشاعر الماسجن الهجاء قطبنة الأسفوني — الحسين بن محمد بن هبة الله — مقطوعة شعبية في هجاء هذه الدعوة وهجاء داعيها فقال:

حديث جرى يا مالك الرق واشهر بأسفون مأوى كل من ضل أو كفر
لم منهم داع كبتيس معمم وحسبك من تيس تولى على كفر
ومن نعمهم لا أكثر الله منهم يسبوا أبا بكر ولم يشتهوا عمر
نخذ ما لهم لا تحتش من ما لهم فان مآل الكافرين. إلى سقر^(٣)

لمن هذه المقطوعة الشعبية التي أنشدها قطبنة نستطيع أن نعرف أن الدعوة انتشرت بقوة في بلدة أسفون، وكان لها داعية يأخذون العمود

(١) نفس المصدر ص ٣١

(٢) راجع ما كتبناه عن ذلك في كتاب أدب مصر الفاطمية ص ٢١، وكتاب راحة العقل لسكرماني: المربع السادس من السور الرابع (نظر الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلي، ص ١٣٦ وما بعدها).

(٣) الطالع السعيد ص ١١٢

والواثيق ، وأنهم كانوا يسبون الصحابة على نحو ما كان يفعل الباطميون .
 ويُنقل إلى أن داود بن سليمان هذا ما هو إلا دعي وأنه أحد دعاة الاستيعالية
 الزارية (الاستيعالية الشرقية) فأن من عقائد هذه الدعوة أن يحمل الامام
 فرائض الدين عن المستجيبين وبذلك دعي داود هذا ^(١) ، ولذلك لم يجد
 الدعوة قبولاً عند أكثر المسلمين ، وهجاه الشاعر علاء الدين الأسفوني
 علي بن احمد بن الحسين المتوفى سنة ٧٣١ هـ فقال :

ارجع سلتقى بعدها أهوالا لا عشت تبلغ عندنا آمالا
 يا من تجمع فيه كل تقيصة فلاضربن بسيرك الأمثالا
 وزعمت أنك لتكلف حامل وكذا الحمار يحمل الأثقالا ^(٢)

فلا غرابة إذن أن نرى هذه الدعوة التي هي أقرب إلى دعوة القرامطة
 القديمة قد فشلت في مصر سريعاً ، وأن تنفر من داود ومن الذين استجابوا له
 قلوب سواد المصريين ، ولذلك لم نعد نسمع عن محاولات أخرى في مصر
 لإمادة الدعوة الفاطمية بعد محاولة داود هذا .

ومن الطرائف التي حدثت في النزاع بين أهل السنة والشيعة في هذا العصر
 ما سجله الشعر فيما كان يحدث في ماثوراء ، ففي هذا اليوم من كل عام كان
 الشيعة يقيمون مأتم الحسين بن علي جرياً على السنة التي كان يتبناها الشيعة
 في جميع البقاع الاسلامية ، وتقليداً لما كان متبعاً في مصر الفاطمية ، وكان
 الشعراء ينشدون أشعارهم في هذه المناسبة مثل ما أنشده العزازي في قصيدته
 التي ذكرناها من قبل ، ومثل قول الشاعر شهاب الدين أبي العباس أحمد بن
 صالح وقد وقع مطر غزير في ذلك اليوم :

يوم عاشوراء جادت بالحيا سحب تهطل بالدمع الممول
 عجيباً حتى السموات بكت رزه مولاي الحسين بن البتول ^(٣)

(١) نفس المصدر ص ١٩٧

(٢) الطالع ص ١٩٧

(٣) الصقدي : الوالي بالولايات الجزء الثاني من المجلد الثالث لوحة ٣٠٩ (نسخة

مترجمة دار الكتب المصرية) .

ولكن أهل السنة أرادوا أن يكيدوا الشيعة فكانوا يخرجون في هذا اليوم وقد كحلت أعينهم وخضبت أيديهم . وفي ذلك يقول الشاعر المصري أبو الحسين الجزار :

وبعد عاشوراء يذكرني رزء الحسين ، فليت لم يعد
يا ليت عيناً فيه قد كحلت لشامة لم تخل من رء - د
وبداً به لمرة خضبت مقطوعة من زندها يسدي
أما وقد كحل الحسين به فأبو الحسين أحق بالكبد (١)

وأبو الحسين الجزار نفسه هو الذي داعب الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء ، فكتب إلى الشريف ليلة عاشوراء عندما أخرجه ما كان من جاريه :

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالقرء العلى الصمد إن لم يادر لتجاز موعدي
لأحضرن للهناء في غد مكحل العينين مخضوب اليد (٢)

فالشاعر بداعبته هذه أعطانا صورة لما كان يجري في ذلك العصر بين المتعصبين من أصحاب المذهبين : المذهب السنى الذين كانوا يخرجون ليلة عاشوراء للهناء ، والمذهب الشيعى الذين كانوا يخرجون للعزاء ، ويخيل إلى أن عادة المصريين الآن ولا سيما في الأرياف بصنع أطباق الحلوى المعروفة باسم عاشوراء ، هى أثر من تراث هذا النزاع بين المذهبين في عصر الأيوبيين والمماليك .

(٤) أثر الفاطميين في شعر أهل السنة :

وإذا تركنا هؤلاء الشيعة الذين أظهروا تشيعهم في أشعارهم ، وصوروا لنا لوناً من ألوان الفن المتأثر بهذا المذهب الدينى ، فالتناجى ناحية هامة عند شعراء هذا العصر الذى تحدث عنه ، تلك الناحية هى تأثر الشعراء

(١) ابن شاعر : فوات الوفيات ج ١ ص ١٤٨

(٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٨٥

بالآراء والصور التي تركها شعراء المدح في عصر الفاطميين ، فنحن نعلم أن الفاطميين جعلوا للأئمة صفات خاصة أخذت من صميم عقيدتهم ومذهبهم : واستخدم جميع الشعراء الذين اتصلوا بالأئمة سبيل المدح بذكر هذه الصفات (٢) ، واستمر هذا الضرب من المديح طوال عصر الفاطميين في مصر ، وبالرغم من أن الدولة الفاطمية دالت على يد الأيوبيين ، وأن الدعوة الفاطمية اضمحل أمرها فلم يعد الدعاة يقومون بنشاطهم ، فإن الشعراء استمروا في مديحهم في نفس التيار الذي رأيناه عند الفاطميين ، بل خلعوا على سلاطين الأيوبيين نفس الصفات التي خلعها الفاطميون على أئمتهم ، بل غلب بعضهم في المدح فلسب إلى السلاطين والخلقاء العباسيين ما لم ينسبه الفاطميون ، إلى أنفسهم ، فإن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ هـ مدح صلاح الدين بقوله :

أعدت إلى مصر سياسة يوسف وجدت فيها من سميك موسما
وأحييت فيها الدين بعد مماته فأنت ابن يعقوب وأنت ابن مريما
قيمت إلى أن تملك الأرض كلها ودمت إلى أن يرجع الكفر مساما (٣)

فاذا كنا نقبل أن تكون المقارنة بين صلاح الدين ونبي الله يوسف لتشابههما في الاسم ، فأننا لا نقبل أن يكون صلاح الدين هو « ابن يعقوب » أو هو عيسى بن مريم لأنه أحبي الدين بعد مماته ، إلا إذا كنا نتمذهب بالعقيدة الفاطمية التي تؤول الآيات القرآنية التي ورت في المسيح بأن إحياء للوتى هو نشر الدين وإحياء النفوس حياة صحيحة بالعبادة العامة (٤) ، أو نقول كما قال الفاطميون بالدور وانتقال النبوة والأئمة بالتسلسل

(١) راجع ماكتبه عن ذلك في مقدمة ديوان اللؤي في الدين داعي الدعاة (نشر دار الكتاب المصري) .

(٢) في أدب مصر الفاطمية ص ١٤١ وما بعدها .

(٣) ديوان ابن سناء الملك (مخطوط رقم ٢٣٣٣١ بمكتبة جامعة قزاق) .

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧ (نسخة خطية بمكتبي) .

والصالحين ، وأن الخليفة يرث دور السلف تماماً ويحدث في أيامه ما حدث في أيام من سبقه ، فإذا بـ محمد هو عيسى وهو موسى وهو نوح .. الخ^(١).

فقول ابن سناء الملك « فأنتم ابن يعقوب وأنتم ابن مريم » هو أثر من آثار الطائفة الفاطمية .

وفي قصيدة أخرى مدح هذا الشاعر صلاح الدين بقوله .

نصرت بأفلاك السماء فشبها بحبس به ردى الخبيث العرمرما
رقبت إلى أن لم تجد لك مرتقى وأقدمت حتى لم تجد متقدما
فأبهر للمقدار ما كنت ناقضا وما ينقض المقدار ما كنت مبرما^(٢)

ففي البيت الأول يحدث عن « أفلاك السماء » التي نصرت السلطان ، وأفلاك السماء في التأويل الفاطمي يعني الملائكة ، وهم العقول في الاصطلاحات الفلسفية والاسماعيلية أيضاً^(٣) ، وفي البيت الثاني دفع الشاعر شدة المبالغة والغلو في المديح إلى أن جعل صلاح الدين في مرتبة ليس فوقها مرتبة ، وهذا المعنى كثير جداً في شعر العصر الفاطمي لأن الامام مثل للبديع الأول الذي ليست فوقه مرتبة^(٤) ، والبيت الثالث نفس معنى بيت ابن هاني الأندلسي في مدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم فأنتم الواحد القهار
ثم اقرأ لابن سناء الملك أيضاً قوله في مدح علي الشهيد نور الدين زنكي :
مولي الأنام (علي) هكذا نقلت لنا الرواة حديثاً غير مختلق^(٥)

فالشاعر هنا نقل الحديث النبوي « من كنت مولاه فعلي مولاه » الذي قيل في علي بن أبي طالب إلى علي الشهيد نور الدين ، وتبع سنة شعراء الفاطميين الذين مدحوا الأئمة بأنهم موالى الأنام .

(١) راجع ديوان المؤيد في الدين ص ١٣٥ وما بعده .

(٢) ديوان ابن سناء الملك .

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١٧ .

(٤) نفس المرجع ج ١ ص ١٠٩ .

(٥) ديوان ابن سناء الملك .

ومرة أخرى يمدح صلاح الدين بقوله :

قد ملكت البلاد شرقا وغربا
واغتندى الوصف عن علاك حسيرا
أى لفظ بقال أى معنى
ورأينا ربنا قال : أطيعوه سمعنا ربنا وأطعنا^(١)

وشعراء الفاطميون كانوا يضمنون في أشعارهم الآية القرآنية : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . وقال الدعاء إن هذه الآية أنزلت في علي بن أبي طالب . فأخذ ابن سناء الملك هذا المعنى وأودعه شعره . ولم يجعلها في الأئمة من أهل بيت علي بن أبي طالب إنما جعلها في صلاح الدين . ولم يكتف ابن سناء الملك بأن يتأثر بهذه العقائد الفاطمية ورتبها في الشعر الفاطمي في مدحه لصلاح الدين الأيوبي أو نور الدين زنكي ، بل نراه في مدائمه للقاضي الفاضل يأتى بالمعاني التي كانت تقال للأئمة الفاطميين ولها من عقائدهم سند ، أما أن تقال للقاضي الفاضل فهذا هو الأثر القوي على شعر ابن سناء الملك ، فنحن نعلم أن الفاطميين وصقوا الأئمة بأنهم رحمة للعالمين^(٢) ، فجاء ابن سناء الملك وقال للقاضي الفاضل :

عبد الرحيم على البرية رحمة أمنت بصحبتها حلول عقابها^(٣)

وقال الفاطميون إن قصر الامام هو في العبادة العلمية (التأويل الباطن) هو الكعبة وأن الحج الباطن هو زيارة الإمام^(٤) . فقال ابن سناء الملك للقاضي الفاضل :

يا كعبة طاف الملوك بها بل قبلة حج الأنام لها^(٥)

وهكذا نستطيع بسهولة أن نتكبح أثر العقائد الفاطمية في شعر ابن سناء الملك وهو من شعراء الدولة الأيوبية ومن كبار رجالاتها .

(١) نفس المرجع .

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠٢ .

(٣) ديوان ابن سناء الملك .

(٤) القاضي النعمان : تأويل دعائم الاسلام ج ٢ ورقة ٦١ (١) نسخة تنويعرافية بمكتبة جامعة فؤاد .

(٥) ديوان ابن سناء الملك .

وهاهو الشاعر الدمشقي ابن الساعاتي الذي وفد على مصر. واتخذها دار
إقامته ، نراه قد تأثر بما كان في مصر والشام من عقائد الفاطميين ، ونهج نهج
شعراء المدح في العصر الفاطمي ، فراه يمدح الخليفة العباسي الناصر لدين الله
بما كان يمدح به الأئمة فهو يقول مثلاً :

فروع إلى العباس تنمى أصولها وما خير فرع أسبته أصول
هو السبب الزاكي أناف بفضله «وصى» حوى سبق العلاء رسول «
ترى اليوم طلقا حين يذكر «جعفر» ويسمى إليه حمزة وعقيل
له شرف البيت العتيق وزمزم وما ساقه حاد إليه عجول
وفضل الذي يحين الذي ما لفضله نظير ، وهل للخيرين عديل
يعلاه على السبع الشداد محله وعبد قديم لا يرام أثيل
ففي كل يوم للملائكة العمل طواف على أياتكم وزول^(١)

فهو يمدح الخليفة العباسي بأنه ينتسب إلى الرسول والوصى علي
ابن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب وعقيل بن أبي طالب وحمزة
ابن عبد المطلب ، وهذا مدح شيعي خالص ، لا يمدح به إلا الأئمة من نسل
علي بن أبي طالب . وفي البيت الرابع معنى من المعاني الفاطمية التي تؤول
شعائر الحج: على أنهم الأئمة وقد شرفهم الله تعالى بذلك^(٢) . وفي البيت السادس
يضمن عقيدة باطنية خالصة بأن جعل الخليفة العباسي فوق السبع الشداد
أي في منزلة المبدع الأول (العقل الأول أو القلم) وقد ذكرنا أن هذا المعنى
لا يمدح به إلا إمام اسماعيلي على نحو ما أوردناه في نظريتنا التي أطلقنا عليها
(نظرية المثل والمثول) لأن الإمام في العالم الجسماني مثل العقل الأول الروحاني .
ولكن ابن الساعاتي أتى بهذا المعنى غلواً منه ومبالغة وتأثراً بما كان في العصر
الفاطمي . وفي البيت الأخير جعل الملائكة يطوفون ببوت العباسيين ،
وهو معنى لم يلبس إلا في بلاط الخليفة الفاطمي ، فإن الفاطميين أولوا الملائكة

١ ديوان ابن الساعاتي ج ١ ص ٥٣ (ضبع دمشق) .

٢ القاضي النعمان : تأويل دلائل الإسلام ج ٢ ورقة ٦٠١ فتوغرافية . كتب

الجالس المستنصرية ص ٧٥ - ٧٨ (نصر محمد كامل حسن) .

وطواهم بيت الإمام على الدعاة والحجج الذين يزورون الإمام ويتجهون إليه لأنه قبله قلوبهم . وهكذا نرى شاعراً آخر من شعراء الأيوبيين جاز بالشعراء الفاطميين .

ن

أما الشاعر ابن النبيه المصري المتوفى سنة ٦١٩ هـ فقد كان أجراً شعراء مصر في الأخذ من عقائد الفاطميين ، وكان أشدهم مبالغة في مدحه للخليفة الناصر العباسي حتى إن القدماء أقسمهم طابوا عليه هذه المبالغة وأتهموه في دينه ، ولابن النبيه عذره ، فقد وجد في عصر كانت عقائد الفاطميين لا تزال ماثلة في أذهان الناس ، وكان شعر شعراء الفاطميين لا يزال يروى بين الناس ، فسار ابن النبيه في تيار هؤلاء الشعراء وخيل له أنه يمدح إمام الفاطميين لا الإمام العباسي عدو الفاطميين ، بالرغم من أن الإمام الناصر العباسي نفسه كان متشيعاً .

فانظر إلى ابن النبيه في إحدى قصائده في مدح الخليفة الناصر يقول :

بغداد مكننا ، وأحد « أحمد »	حجوا إلى تلك المنازل واسجدوا
يا مذبذبين ، بها ضموا أوزاركم	وتطهروا بترابها وتهجدوا
فهناك من جسد النبوة بضعة	بالوحي جبريل لها يتردد
« باب النجاة » « مدينة العلم » التي	ما زال كوكب هديها يهوقد
ما بين سدرته وسدة دسسه	نبأ يقر له الكفور الملحد
هذا هو السر الذي بهر الوري	من ظهر آدم والملائك سجد
هذا « الصراط المستقيم » حقيقة	من زل عنه ففي الجحيم يقيد
هذا الذي يسقى العطاش بكفه	والخوض ممتنع الحمى لا يورد
« القائم المهدي » أنت بقيت للاسـ	لام تمهد تارة وتشد
بعداً « ولنتظر » سواء ، وقد بدت	منه البراهين التي لا تجحد
إن كان فوق الطور ناجي ربه	موسى ، فبالهراج أتم أزيد
أو كان يوسف عبر الرؤيا ، فكـ	للتيب منكم مصدر . أو مورد
الله أنزل وحيه لحمد	وإليكم وصى بذلك محمد
الدهر في يده فجور مرسل	سبط وبأس مكفر أجعد

يا من يخفضه الجحيم قوادة ولن يواليه النعيم المرمد
 "لولا التقية كنت أول معشر غلوا فقالوا : أنت رب يعبد" (١)

هذا ما أنشده ابن النبية في الخليفة العباسي ، وواضح كل الوضوح مدى غلو هذا الشاعر في مدحه ، هذا الغلو الذي لا أكاد أبجد له مثيلاً بين شعراء الفاطميين أنفسهم على ما وصفوا به أنفسهم من صفات ، وأسبغوا عليهم من نعوت ، ولكن شعراء الفاطميين أموا بهذه الصفات والنعوت من العقيدة الفاطمية نفسها : ومن التأويلات الفاطمية التي تميز بها الفاطميون ولم يقرم عليها فرق من فرق المسلمين : إنما ابن النبية وهو شاعر سني في دولة أطاحت بالخلافة الشيعية وحاولت أن تمحو من البلاد العقيدة الشيعية ، وكان يدخل الخليفة العباسي ، ثم يغلوا هذا الغلو في المدح ، فهذا هو الشيء الذي لم نكتفِ نتوقه في شعر المدح في مصر في عصر الأيوبيين . والذين لم يسلم بالمعتقد الفاطمية يستطيعون في سهولة ويسر أن يدركوا تأثير هذا الشاعر بالفاطميين ، فالشطر الأول من البيت الأول هو نفسه رأى الفاطميين في عقيدة الأدوار التي تمتدنا عنها من قبل ، والحج في الشطر الثاني من البيت الأول وكل البيت الثاني هو نفسه رأى الفاطميين في الحج الباطني .

وعجيب أن يذهب الشاعر إلى أن الخليفة العباسي الناصر بضعة من جسد الرسول ، لأنه ليس من نسل الرسول ، والحديث النبوي يقول : « فاطمة بضعة مني » ولكن مبالغة الشاعر وغلوه في المدح جعل الخليفة الناصر من أبناء فاطمة — مثله في ذلك مثل أئمة الشيعة — .

ومثل ذلك قوله في قصيدة أخرى :

أهل بيت قد أذهب الله عنهم كل رجس وطهروا تطهراً

وكذلك قوله « مدينة العلم » التي جعلها النبي لنفسه دون سواه فقال « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وشعراء الشيعة لم يذهبوا إلى أن علياً أو أحد

(١) ديوان ابن النبية ص ٣ (طبع الطبعة العادية بمصر سنة ١٣١٠ هـ) .

أبنائه « مدينة العلم » ولكن هذا الشاعر السني أبي إلا أن يجعل الخليفة
الناصر في مقام النبي نفسه .

أما قوله : « باب النجاة » فهو من أقوال شعراء الفاطميين وكذلك قوله
بعد ذلك إن الناصر هو « الصراط المستقيم » فهذا تأويل باطنى خالص
لا يقول به إلا شاعر اسماعيلي في مدح إمام اسماعيلي (١) ، أما في قوله :
هذا هو السر الذي بهر الورى . . . البيت ، فهو نفس ما قاله الفاطميون عن
مرقية الاستيداع (النبوة) ومرتبة الاستقرار (الإمامة) وتقلعها بهذا
خلق آدم هذا الدور (٢) . وهي نفس النظرية التي اعتنقها الصوفيّة في هذا العصر
وهي نظرية « النور المحمدي » . ويظهر تأثر ابن النيه بالمصطلحات والعقائد
الفاطمية تأثراً واضحاً في وصفه للخليفة العباسي بأنه « القائم المهدي » ، فقوله
هذا أخذ أخذاً من أقوال الفاطميين وهو اصطلاح من مصطلحاتهم الخاصة
الذي تميزوا به عن الفرق الأخرى في وصف « المهدي المنتظر » الذي
هو عند الفاطميين آخر دور آدم الحالى « وخاتم السبع المثاني » ، وهو عند
الفاطميين الناطق السابع وآخر النطقاء ، فإذا كان الفاطميون قد انحرفوا عن
الدين القويم بأن جعلوا نبياً بعد محمد (ص) فإن أسفنا أشد حين نجد شاعراً
يحذو بحذوهم أهل السنة والجماعة يصف خليفة عباسياً بهذه الصفة
الفاطمية . وإذا كان أهل السنة يرون أن النبي (ص) قبض ولم يوص لأحد
بعده ، خلافاً لقول الشيعة الذين ذهبوا إلى أن النبي أوصى لعلي بن
« غدير خم » فإن الشاعر هنا جعل وصية محمد للعباسيين وهو قول لم نسمع به
إلا من شعراء مصر في عصر الأيوبيين .

ومن الصفات التي خلعتها الفاطميون على علي بن أبي طالب أنه « قسيم
الجنة والنار » أى أنه يقسم الناس بين الجنة والنار ، فبقضه في النار ووليه
في الجنة .

(١) ديوان المؤيد في الدين ص ٨٧ والمجالس المؤيدة ج ١ ص ١٤٧

(٢) ديوان المؤيد ص ٨٠ وما بعدها

وفي ذلك قال المؤيد في الدين يمدح الامام المستنصر الفاطمي :

مولانا الامام بنى نبيه هدمت الى الصراط المستقيم
قسيم النار مولانا معد وجنات العلى وابن القسم

فجاء ابن النبيه وجعل هذه الصفة للعباسيين ، وبختم ابن النبيه هذه القصيدة بقوله لولا تقاه لباغ به غلوه الى تأليه الخليفة العباسي ، بينما لم يذهب الى تأليه الأئمة الفاطميين سوى الذلة الذين طردوا من حظيرة الدعوة الفاطمية ومن هؤلاء دماء الحاكم ولم يذهب شاعر من شعراء الفاطميين الى القول بهذه الدعوى فرى المؤيد في الدين مثلاً يقول لامامه :

لست دون المسيح صماه ربا أهل شرك ولا نسيمك ربا

وفي قصيدة أخرى لابن النبيه في مدح الخليفة العباسي الناصر لدين الله أيضاً يقول :

خذ من زمانك ما أعطاك مفتياً	وأنت فاه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكناس تسحلي أوائله	لكنه ربما جت أو اخره
واجسر على فرص الذات محترقا	عظيم ذنبك إن الله غافره
فليس يخذل في يوم الحساب فتى	و«الناصر» ابن رسول الله ناصره
تجسد الحق في أنشاء برده	وتوجت باسمه العالي منابره
له على ستر سر القينب مطلع	فما سوارده إلا مصادره
يقضى بفضيله سادات عترته	لو كان «صادقه» حيا «وباقره»
كل الصلاة خداج لا تمام لها	إذا تقضت ولم يذكره ذاك ره
كل الكلام قصير عن مناقبه	إلا إذا نظم القرآن شاعره
رأيت ملكا كبيرا فوق سدنه	جبريل داعيه أو ميكال زائره (١١)

فابن النبيه في هذه الأبيات يرى أن الخليفة الناصر من نسل رسول الله ، وهو نفس الرأى الذى قاله من قبل في قصيدته السابقة :

فهناك من جسد النبوة بضعة بالوحى جبريل لها يتردد

فإذا كانت هذه هي نظرة ابن النبيه إلى الخليفة العباسي فلا غرو أن نراه يوصف هذا الخليفة بالصفت التي قالها الشيعة عن أئمتهم ، فهو إذن الشفيع يوم القيامة ، ويكرر هذا المعنى في قصيدة أخرى فيقول :

بولائي أمنت من سيئاتي يوم ألقى كتابي المشورا

... بل يذهب في الغلو إلى مدى أبعد مما ذهب إليه شعراء العصر الفاطمي إذ نسب إلى الخليفة العباسي معرفة الغيب ، وكرر هذا المعنى فذكره في هذه القصيدة وفي القصيدة السابقة ، فبينما طعن علماء أهل السنة أئمة الفاطميين بأنهم يدعون معرفة الغيب وتبرأ الفاطميون من هذه المقالة ومن قال بها ^(١) ، نرى ابن النبيه يلصقها بالخليفة العباسي ، ويذهب ابن النبيه إلى أن أئمة الشيعة وخاصة جعفر الصادق ، وعبد الباقر بن علي زين العابدين ، لو كانوا أحياء لقدموا الناصر العباسي عليهم ، ونلاحظ أنه خص جعفر الصادق والباقر دون غيرها أولاً للضرورة الشعرية في القافية الرائية ، وثانياً لأن جل علوم الشيعة إنما رويت عن طريقهما ، ثم يعود ابن النبيه إلى عقيدة الفاطميين التي تذهب إلى أن الصلاة لا تقبل ما لم يصل على الأئمة ، فالشاعر هنا أخذ هذه العقيدة ونظّمها مستعملاً ألفاظ الفقهاء فزعم أن الصلاة خداج إن لم يكن بها الصلاة على الناصر ، فإذا كان الشيعة يقولون ذلك بناء على عقائدهم فمتصن لا ندري على أي أساس قال ابن النبيه ذلك إلا إذا اعتبر الخليفة العباسي من أئمة الشيعة ، وكررا بن النبيه هذا المعنى في قصائد أخرى فمن ذلك قوله :
أنت يا ابن النبي خابت صلاة لم تكن في خلاها مذكورا

ونحن نعلم أن الشيعة ذهبوا إلى أن في القرآن الكريم عدداً من الآيات أنزلت في أهل البيت ^(٢) ، وعدوا ذلك من فضائل أئمتهم ومن مناقبهم ، وها هو ابن النبيه يمدح الناصر بهذا المعنى الشيعي ، وختم الشاعر هذه القصيدة بأن الناصر ملك كبير وأن جبريل داعيته وأن ميكائيل زائره ، وهذه

(١) النعمان بن محمد : المجالس والمسايرات ورقة ٨٩ (نسخة خطية بمكتبة) .

(٢) في أدب مصر الفاطمية ص ٦ والمجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٩ . وبحار الأنوار ج ٧ ص ٣ والمجالس للصنوبرية في مواضع متفرقة . ديوان المؤيد في الدين ج ٧٤ وما بعدها .

من المعاني الباطنية الاسماعيلية التي لم يقل بها سوى الاسماعيلية وذلك
أن تأويل الملائكة على الدعاة والحجج ، وفي ذلك يقول المؤيد في الدين داعي
الفاطميين :

أنا آدمي في الرواء حقيقي ملك تبين ذلك للاستشرد

فأخذ ابن النبيه هذه العقيدة الباطنية ونظمها في شعره وجعلها في الخليفة
الناصر العباسي . من هذه الأمثلة التي أوردناها من شعر ابن النبيه ،
ومن أشعاره الأخرى التي يجمعها ديوانه نستطيع أن نلصق مدى تأثر هذا
الشاعر بالتعاليم الشيعية عامة والفاطمية منها على وجه الخصوص .

ولم يكن ابن النبيه هو الشاعر الوحيد الذي ترى في شعره أثر هذه التعاليم
فها هو زميله ابن مطروح المتوفى سنة ٦٤٩ هـ يتأثر بما تأثر به ابن سناء الملك
وابن الساماني وابن النبيه وغيرهم من شعراء ذلك العصر من تعاليم شيعية
ومن تراث الفاطميين ، ففي مديحه للخليفة المستنصر بالله العباسي خلع عليه
صفات الإمام الفاطمي فهو يقول :

أم أي ذى لسن يقول فيصيح
فمن العجائب أن لفظاً يخرج
أنا نقدر عنده ونصبح
غراً لفتخر به يستنبح
وبمثل ذا يمدح المتدح
عن أنفس تسمو وأيد تسمع
فلغلبهم مبرى هناك ومسرحة
والبرق منها بالسنايك يقدح
بمحوحة الفردوس باب يفتح
ما قلز إلا من به يفتح
ما زال يغبق بالنسيم ويصبح
أرج السعادة من تراها يفتح
فيأى شيء بعد ذلك يمدح

الله أكبر أى طرف يطلع
حرم الخلافة والإمام إمامنا
عظم المقام عن المقال فحبنا
شرفاً بنى العباس ما أجهتم
من معشر جبريل من خدامهم
لما سموا سمحوا فحدث صادقاً
فوق السماء خيامهم مضروبة
حيث النجوم تعد من حصبائها
أخليفة الله الرضى ، هل لي إلى
حتى أطوف ذلك الحرم الذى
وأجبل في ملكوت قدسك ناظراً
وأقبل الأرض المقدسة التي
هذا الذى نزل الكتاب به مدحه

هذا نذير النفخة الأخرى الذي من لا يدين بحبه لا يفلح
إن الخلافة لم تكن إلا لكم من آدم واهل جبرائيل^(١)

فابن مطروح في هذه الأبيات التي يمدح فيها الخليفة العباسي لا يجاري شعراء العباسيين في مدائحهم ، إنما هو يجاري شعراء الشيعة في مدح أئمتهم ، ويهجو شعراء الفاطميين خاصة الذين أسبقوا على الأئمة لونا من التقديس ، ورفضوا مرتبة الأئمة فوق السموات العلى ، وجعلوا بيد الأئمة دخول الجنة أو النار ، وذهبوا إلى أن القرآن الكريم آيات وردت في الأئمة دون غيرهم وأن من لا يدين بحب الامام ويؤله فهو بعيد عن زمرة المؤمنين ، وأن الامام هو نذير النفخة الكبرى ، وأن الامامة تنقلت من آدم إلى أن استقرت في امام العصر . فهذه كلها من المعاني الشيعة التي لم يمدح بها إلا أئمة الشيعة ، ولم نسمع أن شاعراً من شعراء الأمويين أو العباسيين مدح خلفاء الأمويين والعباسيين يمثل هذه المعاني إلا في هذا العصر المتأثر بالتقاليد الشيعة الفاطمية .

فإذا اغتفرنا لابن مطروح أن يعصف الخليفة العباسي يمثل هذه المعاني الشيعة لأن المستنصر بالله كان امام المسلمين وخليفة رب العالمين ، ويمت إلى النبي (ص) بصلة القرابة القريبة ، ففلا الشاعر في مدحه غلو الشيعة في مدح أئمتهم .

فما عذر ابن مطروح في مدائحه للملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل الأيوبي الذي لا يمت إلى الخلافة بصلة ولا ينتسب إلى النبي صلوات الله عليه بسبب ؟ ففي قول ابن مطروح في الملك الكامل :

« قدست » من ملك عظيم الشأن	متتابع الخسرات والاحسان
تزاحم التيجان في أبوابه	عند السلام ، ولا بسوا التيجان
حتى إذا بصرت به أبصارهم	خروا لهيبته إلى الأذقان
أفد المواقب كالكوكب والحق	« بشريف ذلك العالم الروحاني »
ألقى مقابلد المالك عنوة	لك حسن تدبير وثبت جنان

١ - ديوان ابن مطروح (طبع الجواثب سنة ١٢٩٨ هـ) .

وتشوف الأملاك لاسمك كلما ذكروا سميك عند كل أذان
أما وقد علقت يدي « بمحمد » وظفرت منه « بيعة الرضوان »
أنافيك « حسان » وأنت « محمد » « بمحمد » عطفك على « حسان »

لما معنى تقدّيس هذا الملك ؟ وما الذي صمغ عليه هذه القدسية ، وما الذي
يجعل للملك الكامل الأيوبي شرف الانتساب إلى العالم الروحاني ؟ وما هذه
البيعة التي وصفها بأنها « بيعة الرضوان » هذه كلها مسائل نرجعها جميعها
إلى مبالغة الشاعر في مدحه وهي المبالغة التي ورثها شعراء عصره عن شعراء
الفاطميين ، وإذا كان ابن مطروح هنا قد أساء في مبالغته لأنه مدح الملك
الأيوبي بصفات دينية ليس بينه وبينها سبب ، لكنه سار على سنة شعراء
الفاطميين وجرى في تيارهم متأثر بهم . ومثل هذا قوله في مدح الملك الأشرف
مظفر الدين أبي الفتح موسى :

الأشرف للملك الكريم المجتبي موسى وتم بالرحيم المحسن
يا أيها الملك الذي من فاته نظر إليك فما أراه بمؤمن
والبيعة الأفلاك ما حركاتها إلا مخافة أن تقول لها اسكني (٢١)

فالشاعر هنا جعل النظر إلى الملك الأشرف لوناً من ألوان العبادة ،
وأن الأفلاك تسير بأمره ، وهي صفات خلعها عليه الشاعر مبالغة وغلو ،
بينما هي صفات شيعية هي من صميم عقائد الشيعة في الإمامة ، فإذا قيلت هذه
الصفات في الملك الأشرف أو في غيره من ملوك الأيوبيين أو سلاطين المماليك
فهي السخف بعينه لأنها لا تقوم على أساس مذهبي أو عقيدة دينية ولكنها المبالغة
والتقليد كما كان يجري في العصر الفاطمي في مصر ، فبالرغم من أن الأيوبيين
في مصر عملوا على نحو التشيع ، ونجحوا سياسياً في تقويض أركان دولة الفواطم
فإنهم استطاعوا أن ينتزعوا من عقول المصريين هذه الآراء الشيعية أو أن يجوها
عجواً تماماً ، فقد رأينا من تلك الأمثلة التي أوردناها من الشعر كيف كان قائم

(١) ديوان ابن مطروح ص ١٧٥ — ١٧٦

(٢) ديوان ابن مطروح ص ١٧٧

عقيدة الشيعة عظيما في هؤلاء الشعراء حتى خيل البنا أننا أمام شعراء من الشيعة بمدحون أئمة الشيعة .

على أننا نستطيع أن نقول إنه بالرغم من ذلك كله فإن التشيع ضعيف في مصر شيئا فشيئا ، حتى كان يمضى منها وأصبحت مصر في القرن العاشر الهجرى وما بعده تدين بذهب أهل السنة والجماعة ، ولم يكن ذلك عن طريق السيف والارهاب بحسب بل كان هنالك سبب أقوى من الارهاب 'والسيف' ، وهو نشر العلم في مصر .

انتشر المذهب الفاطمى بمصر على يد عدد من الدعاة ، واهتم الفاطميون بالدعاة اهتماما عظيما فوضعوا للدعاة أسسا وللدعاة شروطا ^(١) فانث الدعاة بين الناس يكالبون أصحاب الفرق الأخرى ويحتجون عليهم ويطلقون آراءهم ، وأوعموا الناس أن الحق فيما يقوله الدعاة عن الأئمة ، وما زالوا بالناس حتى أقبل على دعوتهم عدد كبير اعتنقوا المذهب رغبة أو رهبة ، فشغل عقائد الفاطميين أذهان الناس طوال العصر الفاطمى ، وجاء عصر الدولة الأيوبية فأراد الفاطميون عليها أن يغيروا عقائد الشيعة في مصر ، ورأوا أن الفاطميين نشروا مذهبهم عن طريق العلم ، فخاربوا التشيع بنفس السلاح الذى استخدمه الفاطميون ، وهو الدعوة الى أهل السنة والجماعة عن طريق فتح المدارس السنية أولا ، وتشجيع حركة التصوف ثانيا ، وتشجيع المدائح النبوية ثالثا .

الفلسفة في الأندلس

الدور الأول - دور النشأة

للدكتور أحمد فتواو الدهواني

١ - أول من اعتنى بالكتابة عن تاريخ الفلسفة في الأندلس هو « رينان » الذي طبع رسالته عن ابن رشد والرشدية لأول مرة سنة ١٨٥٢ ، فوضع بذلك المخطوط الرئيسية في نشأة الفلسفة وظهرها ثم زوالها من الأندلس ، راجعاً في ذلك إلى مختلف المظاهر التاريخية . ولا تزال هذه المخطوط الرئيسية سليمة ، ولم تؤد الباحث الجديدة التي قام بها المستشرقون إلى إضافة جديد ذي بال .

وهو يجعل بداية الحركة الفلسفية منذ الحكم الثاني فقال^(١) : ما كانت الفلسفة العربية في الأندلس تبلغ قرنين من الزمان حتى وقعت فجأة بسبب التصصب الديني ، والاضطرابات السياسية ، والعزوات الخارجية ، ويعزى إلى الحكم الثاني (٣٥٠ - ٣٩٦) فضل إدخال هذه السلسلة المشرقة من الدراسات التي أثرت في أوروبا المسيحية ، وتبوءت منزلة عظيمة في تاريخ الحضارة . ويقول المؤرخون المسلمون إن الأندلس أصبحت تحت حكمه سوا عظيمة يفد إليها الآثار الأدبية من كل قطر . قال ابن أبي أصيبعة عند الكلام عن ابن باجة : « فإن هذه الكتب الفلسفية كانت متداولة بالأندلس من زمان الحكم مسجلها ومستجلب غرائب ما صنف بالشرق »^(٢) .

(١) Renan : Averroes et L'Averroisme, Paris 9ème édition- P. 3-7.

(٢) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٦٤ - ٦٣

وكانت الكتب التي تؤلف في فارس والشام تعرف بالأندلس قبل أن تعرف في المشرق ، فقد أرسل الحكم ألف دينار من انذهب إلى أبي الفرج الأصمغاني ليقتني منه أول نسخة من كتاب الأغاني . وقد قرئ هذا الكتاب بالفعل في الأندلس قبل أن يقرأ في العراق .

وكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ، ويرسل إليهم الأموال لشراؤها . وجمع في قصره الخذاق في صناعة النسخ ، والمهرة في الضبط ، والإجادة في التجليد فأوعى من ذلك كله ، واجتمعت بالأندلس خزان من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده .

قال أبو محمد بن حزم إن يمدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وفي كل فهرسة عثرون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير .

وكان العرب بالأندلس ، حتى قبل الحكم ، قد انجموا إلى دراسة العلوم وتذوقها ، إما بسبب لطافة الجو ، وإما للصلة المستمرة باليهود والنصارى . وكل ذلك مع ما بذله الحكم أدى إلى حركة أدبية من أزهر الحركات في البصر الوسيط .

ثم يمد لنا ريتان عن حرية البحث في التفكير ، وعن الحرية الدينية ، وعن مساجد قرطبة وكيف كانت مراكز للتعليم ، ثم عن التعصب الديني بعد الحكم ، وعن المنصور بن أبي عامر حاجب هشام بن الحكم وكيف كان يؤيد التقهاء ضد العلماء والفلاسفة ، وعن حرق الكتب وغير ذلك .

٢ - وما ذهب إليه ريتان في جملته صحيح ، فنعى ظهور الفلسفة في زمن الحكم الثاني ، أي في القرن الرابع الهجري .

أما في المشرق فقد كان لظهور الفلسفة قبل ذلك أسباب أخرى : أولها أن المريان كانوا قد نقلوا الفلسفة اليونانية إلى المريانية فبقيت محفوظة في مدن الشام . فلما خضعت الشام للإسلام وانتهى عهد الفتح والتوسع ،

واستقرت الدولة الأموية . لم يجد العرب جهداً في نقل الفلسفة اليونانية .
 ثم بها سرعان بنشجيع الخلفاء والأمراء . بدأت حركة الترجمة منذ عهد
 خالد بن الوليد . ويقال إنه ترجم كتاباً في الكيمياء . أو أفلد ، ثم دويت
 في عهد المنصور العباسي بسبب اصطناعه الأطباء من المريران ، ثم اشتدت
 في عصر المأمون بسبب إيشاء بيت الحكمة .

واتجه المسلمون أولاً نحو نقل هذه العلوم وهي الفلك والهندسة والطب .
 ثم تبع ذلك نقل الفلسفة المحضة ممثلة في كتب أرسطو ومنطقه بوجه خاص .
 وكانت الحال مختلفة في الأندلس ، فلم يكن بها علم أو طب أو فلسفة
 قبل غزو العرب لها^(١) .

بل العرب هم الذين نقلوا إليها الحضارة الإسلامية بعد أن امتزجت
 بالفلسفة اليونانية .

وكان علماء المغرب يرحلون إلى الشرق في طلب العلوم ويعودون
 بها إلى الأندلس^(٢) .

وأول^(٣) من يذكره ابن أبي أصيبعة من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق

(١) يقول مساعد في طبقات الأمم « وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم
 غالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالامتناء به ، إلا أنه يوجد فيها طليعات قديمة
 في مواضع مختلفة وقم الاجماع على أنها من مل ملوك رومية ، إذ كانت للملكة منتظمة
 بمملكتهم . ولم ترك كذلك طائفة من الحكمة إلى أن اقتنحها المسلمون سنة اثنين وتسعين ،
 فتادت على ذلك أيضاً ، لا يبق أهلها بقى . من العلوم إلا علوم الشرية وعلم الفقه ،
 إلى أن توطد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفتنة فتحرك ذور الحكم منهم لطلب العلوم
 وتلقبوا بالاشارة الحقائق . [ص ٧١] »

(٢) يقول مساعد « لما كان في وسط المائة الثالثة في تاريخ الهجرة وذلك في أيام
 الأمير الخامس من ملوك بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
 الداخل ، تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم ، ولم يزالوا يظهرن ظهوراً يغير شأنهم
 إلى قريب وسط المائة الرابعة [ص ٧٢] »

(٣) يذكر مساعد علماء أسبق مما ذكرهم ابن أبي أصيبعة ، وفي ذلك يقول لافن
 اشتهر من العلماء ما بين وسطى هاتين المائتين ، أي المائة الثالثة والرابعة ، فامتق يعلم
 الحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة البلخي المعروف بصاحب الديلة .
 وكان عالماً بمركبات الكواكب وحكامها ، وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث . وقد نقل
 إلى المشرق . . . وتوفى في سنة خمس وتسعين ومائتين [ص ٧٤]

ومادوا بالعلم هو يحيى بن يحيى المعروف بابن السمنية ، عاش في قرطبة ووفى
بها سنة ٣١٥ هجرية ، وكان بصيراً في الحساب والنجوم والطب .

وبذلك نجد أن علم الحساب ، وكذلك علم الطب هو الذي دفع
أهل الأندلس ، مسلمين أو يهود أو مسيحيين إلى الرحلة نحو المشرق لتعلمه ،
وجمعوا بين الطب وبين الهندسة والنجوم .

وفي بعض الأحيان نجد علماء يقدون من المشرق ويستوطنون
الأندلس . مثل أحمد الحراني الذي ورد من المشرق . كان في أيام الأمير
محمد بن عبد الرحمن [توفي ٢٧٣] وكانت عنده مجربات حسان بالطب فاشتهر
بقرطبة وحاز الذكر فيها . قال ابن جليل رأيت حكاية عند أبي الإصبع
للرازي بخط أمير المؤمنين المستنصر وهي أن هذا الحراني أدخل الأندلس
معجوماً كان يبيع الشرية منه بخمسين ديناراً لأوجاع الجوف فكسب به مالا .
فاجتمع حشدة من الأطباء مثل حدين و جواد وغيرها وجمعوا خمسين ديناراً
واشتروا منه شرية من ذلك الدواء ، وانفرد كل واحد منهم بحصة يشبهه
ويذوقه ويكتب ما تأدي إليه منه بحصة . ثم اجتمعوا وانفقوا على ما حدسوه
وكتبوا ذلك ثم نهضوا إلى الحراني وقلوا له : قد نفعتك الله بهذا الدواء
الذي انقردت به ، ونحن أطباء اشترينا منك شرية وفعلنا كذا وكذا
وتأدي إلينا كذا وكذا ، فإن يكن ما تأدي إلينا حقاً فقد أصبنا
وإلا فأشركنا في علمه فقد انتفعت . فاستعرض كتابهم فقال ما أعدتم
من أدوية دواء ، لكن لم تعيبيوا تعديل أوزانه . وهو الدواء المعروف
بالهيت الكبير فأشركهم في علمه وعرف من حينئذ بالأندلس (ابن أبي أصيبعة
ج ٢ ص ٤٣) .

وقد ترجم ابن أبي أصيبعة لحدين و جواد ، أما الأول فهو حدين
ابن أبان ، كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وكان طبيباً
حاذقاً مجرباً وله بقرطبة أصول ومكاسب .

أما جواد فهو طبيب نصراني كان في أيام الأمير محمد أيضاً وله اللعوق
المفسوب إلى جواد ، وله دواء الراهب . والشرابات والسفوفات المنسوبة إليه
وإلى حدين كلها شجوية (ص ٤١) .

يستفاد من ذلك أن هؤلاء الأطباء كانوا مجربين واشتهروا حاجة الناس إليهم ، ولم يحدوا عن علماء يعرفون الأصول . ولم يكن هم أثر فيمن جاء بعدهم .

ومن درس الطب علماً ، أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الخوافي « رحلا إلى المشرق في دولة الناصر سنة ٣٣٠ ، وأقاما هناك عشرة أعوام ، ودخلا بغداد ، وقرأ فيها على ثابت بن قرة كتب جالينوس وانصرفا إلى الأندلس في دولة المستنصر بالله سنة ٣٥١ ، وأسكنهما مدينة الزهراء (ص ٤٢) » .

وظهر في دولة عبد الرحمن الناصر عدة أطباء مثل إسحاق الطيب ، ظهر قبل ذلك في أيام الأمير عبد الله الأموي ، ويحيى بن إسحاق وألف في الطب ، وسليمان أبو بكر بن تاج الذي طالع الناصر من رمد أصيب به .

٣ — ومن الذين مهدوا لظهور الفلسفة عن طريق علم الهندسة والنجوم ، وكان له تلاميذ كثيرون المجريطي أبو القاسم مسلمة بن أحمد ، من أهل قرطبة ، وكان في زمان الحكم . . . كان إمام الرياضيين بالأندلس في وقته وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم . وكانت له عناية بأرصاء الكواكب وشفق بتفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي . . وتوفي سنة ٣٩٨ هـ ، وقد أنجب تلاميذ جلة لم ينجب عالم بالأندلس مثلهم ، فمن أشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهرادى والكرماني وابن خلدون (ص ٣٩) .

ابن السمح توفي في غرناطة سنة ٤٢٦ هـ وكان عميقاً بعلم العدد والهندسة متقدماً في علم الهيئة وحركات النجوم ، وكانت له مع ذلك عناية بالطب .

وكان ابن الصفار متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم ، وقد في قرطبة لتعليم ذلك ، وله زيج مختص على مذهب السند هند ، وكتاب في العمل بالأسطرلاب موجز حسن العبارة قريب للمأخذ .

وكان ابن خلدون (أبو مسلم عمر بن أحمد) من أشراف إشبيلية ، وكان متصرفاً في علوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة ، توفي سنة ٤٤٩ هـ .

وأشهر تلامذة الجريطى هو الكرمانى أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن ابن أحمد بن على ، من أهل قرطبة ، أحد الزاسخين فى علم العدد والهندسة . رحل إلى ديار المشرق وانتهى منها إلى حران ، وعنى هناك بطلب الهندسة والطب ، ثم رجع إلى الأندلس ، واستوطن مدينة سرقسطة ، وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا ، ولا تعلم أحداً أدخلها الأندلس قبله . توفى ٤٥٨ هـ ولم تسعون سنة .

فهذه هى مدرسة أبى القاسم مسلمة الجريطى ، الذى نشأ فى زمان الحكم أى فى القرن الرابع ، واهتم تلاميذه بالعلوم الرياضية والفلكية ففوت على أيديهم علوم الحساب والهندسة والفلك . وكان من أثر ذلك أن اتصلت دراساتهم بالفلسفة أيضاً ، وبخاصة عندما أدخل الكرماني رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس ، وهذه الرسائل تعد دائرة تعارف فلسفية .

ويؤخذ من استعراض هذه الأسماء التى ذكرناها ، أن الحركة الفلسفية نشأت فى أحضان الطب من جهة ، وفى أحضان الرياضة والفلك من جهة أخرى . وأنها نشأت ضعيفة جداً فى أواخر القرن الثالث ، ثم اشتدت فى منتصف القرن الرابع فى زمان الحكم الذى اعتلى العرش سنة ٣٥٠ هجرية وأبنتى مدينة الزهراء ، وكان جماعاً للكتب مشجعاً للعلماء ، كما ذكرنا من قبل رواية عن المقرئ^(١) .

(١) ويؤيد ما نذهب إليه رأى ابن طليح فى مقدمته لمحي بن يقظان حيث يقول عن الفلاسفة فى الأندلس إن أحداً لم يكتب فيها « شيئا فيه كفاية وذلك أن من بالأندلس من أهل الفطرة النافذة تيل شيوع علم المنطق والفلسفة فيها قطعوا أعمارهم بعلوم التعاليم وبلغوا فيها مبلغاً رفيعاً ولم يقدروا على أكثر من ذلك . ثم خلف من يمدم خلف زادوا عليهم بعض من علم المنطق ففهموا فيه ولم يفسح لهم إلى حقيقة السكال . ثم خلف من يمدم خلف آخر أخذ من منهم نظراً واقرب إلى الحقيقة . ولم يكن فيهم أكتب ذهناً ولا أصبح نظراً ولا أصدق رؤية من أبى بكر بن الصانع » محي بن يقظان — طبعة الطارف ١٩٥٣ ص ٦١ ، ٦٢

ويستفاد من هذا النص أن أهل الأندلس يدهوا بالعلم الرياضى ، ثم بالمنطق ، ثم بالفلسفة فكان ابن باجة أولى الفلاسفة .

٤ — وقد لدح في الأندلس بيت توارث صناعة الطب أباً عن جد ،
هذا هو بيت ابن زهر ، نحس أن نفرد له كلمة خاصة .

أولهم أبو مروان عبد الملك بن زهر ، أبوه الفقيه محمد بن مروان بن
زهر الزبادي الإشبيلي ، كان فاضلاً في صناعة الطب مشهوراً بالحدق . رحل
إلى المشرق ودخل القيروان ومصر ، وقطب هناك زمناً طويلاً ثم رجع
إلى الأندلس ، وقصد مدينة دانية ، واشتهر فيها بالتقدم في صناعة الطب
وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس . قيل وله في الطب آراء شاذة منها
منه من الحمام ، واعتقاده فيه أنه يفسد الأجسام ويفسد تركيب الأمزجة .

ثم ابنه أبو العلاء ، وكان في دولة المرابطين ، وله علاجات مختارة تدل
على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها ، وكانت له نوادر في مداواة
المرضى ومعرفة أحوالهم وما يجدونه من الآلام من غير أن يستخبرهم
بل ينظر إلى قواريرهم أو عند ما يجس نبضهم . وكان معتداً بنفسه وعلمه ،
حتى ذكر ابن أبي أصيبعة أنه في زمانه وصل كتاب القانون لابن سينا . . .
وذكر أن رجلاً من التجار جلب من العراق إلى الأندلس نسخة من هذا
الكتاب قد بولغ في تحسينها ، فأتحف بها لأبي العلاء بن زهر تحريفاً إليه
ولم يكن هذا الكتاب وقع إليه قبل ذلك ، فلما تأمله ذمه واطرحه ولم يدخله
خزانة كتبه ، وجعل يقطع من طرده ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستغيثه
من المرضى . . . ص ٦٥

ثم ابنه أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر ، لحق بأبيه في صناعة الطب ،
وكان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة . وفي زمانه
دخل المهدي ابن تومرت الأندلس ومعه عبد المؤمن الذي استقل بالملكية
وأصبح يعرف بأمر المؤمنين ، وقرب أهل العلم واختص أبو مروان بن زهر
لنفسه . بروى أن الخليفة عبد المؤمن احتاج إلى شرب دواء مسهل وكان
يكره شرب الأدوية المسهلة ، فتلطف له ابن زهر في ذلك ، وأتى إلى كرمه
في بستانه ، فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد أكسبه قوة أدوية مسهلة
يتنقعها فيه أو يغليها معه . ولما تشربت الكرمه قوة الأدوية المسهلة التي أرادها

وطلع فيها العنب وله تلك القوة ، أحمى الخليفة ثم أتابه بمنقود منها وأشار عليه أن يأكل منه ، وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر ، فلما أكل منه وهو ينظر إليه قال له يكفيك هذا يا أمير المؤمنين فأنك قد أكلت عشر حبات من العنب ، وحى تكفيك عشر مجالس .

وله كتب كثيرة منها كتاب التيسير ألغى للقاضي أبي الوليد بن رشد . وقد ذكر ابن رشد في مقدمة كتاب الكليات في الطب ، أنه ألف الكليات ، أما الأموذ الجزئية في فأرفق الكنايش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألغى في زماننا هذا أبو حنيفة بن زهر . وهذا الكتاب سأله أنا إياه واتتبعته فكان ذلك سبيلا إلى خروجه

ثم ابنه أبو بكر بن زهر ، ويسمى الحفيد ، ولد بإشبيلية ونشأ بها وأخذ بصناعة الطب عن أبيه ، خدم دولة الموحدين وهم بنو عبد المؤمن ، خدم عبد المؤمن ، وابنه يعقوب يوسف ، وابنه الملقب بالمنصور .

قال صاحب تمح الطبيب ، « جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بن الفقيه أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما أقول ، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية » ج ١ ص ١٤٧

وتدل هذه الرواية على اشتها قرطبة بالعلم والكتب ، وإشبيلية بالفناء ، كما تبلي على استعلاء ابن رشد على ابن زهر ، في العلم والفلسفة . ولم تكن منزلة ابن زهر كمنزلة ابن رشد . بل المأثور أنه كان حرباً على الفلسفة ، حين نهى المنصور عن الاشتغال بها ، وذلك بعد الفتنة التي دفع إليها الفقهاء نحو الفلاسفة .

وكانت أداة المنصور في تنفيذ هذا الأمر ابن زهر . وهذه رواية القاضي أبي مروان الباجي تقي الدين ابن أبي أصيبعة ص ٩٩ « كان المنصور قد قصد أن لا يترك شيئاً في كتب المطلق والحكمة باقياً في بلاده ، وأباد كثيراً منها باحراقها بالنار ، وشدد في أن لا يبقى أحد يشتغل بشيء منها

رأه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فإنه يلحقه ضرر عظيم ، ولما شرع في ذلك جعل أمره مفوضاً إلى الخفيد أبي بكر بن زهر وأنه الذى ينظر فيه .

وسوف نعود إلى الكلام عن أسباب الحرب على الفلسفة فيما بعد تفصيلاً . وقد عرضنا لهذا البيت بوجه خاص لما كان له من شهرة في الطب ، وأثر في صلاته بالفلسفة من جهة أخرى ، وذلك لما كان بين الطب والفلسفة من أواصر .

هـ — ونحب أن نتحدث أيضاً في عصر نشأة الفلسفة بالأندلس عن شخصية فائضة ، كشف الستار عنها آسيف بلاسيون^(١) . وترجع أهميته إلى أنه تآزر خطى الفلسفة المنسوبة إلى أنبا دقليس ، وكذلك الأفلاطونية الحديثة ، وإلى أنه أثر بظرفته في يحيى الدين بن عربي المتصوف ، كما تعد تأثيره إلى فلاسفة اليهود مثل ابن جبرول وإلى أوروبا اللاتينية .

ولد سنة ٢٦٩ هجرية في قرطبة ، وكان أبوه عبد الله من المعزلة ولكنه أخذ عقيده خوفاً من الاضطهاد ، وكذلك ابنه محمد بن عبد الله بن مسرة ، الذى رحل إلى الشرق وعاش زمناً في البصرة ، وانتقل منها إلى القيروان ، ثم عاد إلى قرطبة ، وعاش عيشة النساك في الظاهر ليرضى الفقهاء والجمهور ، وأخذ يث في تلاميذه من الخاصة تعاليمه التى يؤمن بها وأهمها أنه كان يفسر القرآن مع كثير من التأويل واستعمال الرمز ، وألف كتاباً لا نعرف الآن إلا اسم كتابين منها وهما : كتاب التبصرة ، وهو في التفسير ، وكتاب الحروف . ويبدو أن الفقهاء من أهل السنة رأوا في كتبه . وفي سيرة أتباعه ، ما يخالف الدين ، فأحرقوا كتبه ، واستقربوا أصحابه ، وألقوا في الرد على آرائه . روى النباهي في تاريخ قضاة الأندلس عند الكلام على ابن زرب قال : « واعتنى القاضى ابن زرب بطلب أصحاب ابن مسرة ، والكشف عنهم ،

(١) انظر Acta Palencia, Menemassarra su escuela Madrid 1914

Quadr: La Philosophie Arabe, Paris 1917, P 63-65

وثرات الاسلام الجزء الأول ص ٢٨٤ — ٢٨٨

واستقابة من علم أنه يعتقد مذهبهم ، وأظهر للناس كتابا حسنا وضعه في الرد على ابن مسرة ، قرئ عليه وأخذ عنه . وكان سنة ٣٥٠ استتاب جملة جيء بهم إليه من أتباع ابن مسرة ، ثم خرج إلى جانب المسجد الشرقي وقعد هناك فاحرق بين يده ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه « (١١) .

. وكتب النباهي أيضاً في باب الشهادة على الخطوط مانصه : « من وجد يخطه شيء من المذاهب الفلسفية المخالفة للشرعية ، أو ما بمنزلتها في هذا المعنى ، حكمها أن ينظر في المكتوب ، فإن كان فيه تصريح أن قائله يقول به ويرتضيه إلى قوله ... وقد تقدم في اسم محمد بن يحيى بن زرب ما كان من عمله سنة ٣٥٠ في جملة من أتباع ابن مسرة الجبلي ، وأنه استتابهم ، وأحرق ما وجد من كتبهم . وأوضاعهم عندهم » (١٢)

وقد ذهب المحدثون إلى تأثر ابن مسرة بالفلسفة المنسوبة إلى أنبادقليس ، ونحن نجد هذا المذهب المتحلل ميسوطا في الملل للشهرستاني ، وقد اعتمدوا في هذا التأثير على ما ذكره القفطى في أخبار الحكماء عند الكلام على أنبادقليس ، قال : « ومن المشتهرين في الملة الإسلامية بالانتماء إلى مذهبه محمد بن عبد الله الجبلي الباطني من أهل قرطبة ، كان كلفا بفلسفته ملازما لدراستها ، وهو محمد بن عبد الله بن مسرة بن نعيم القرطبي أبو عبد الله سمع من أبيه ومن ابن وضاح والغشني وخرج إلى المشرق فأرا لسااتهم بالزندقة لإكثاره من النظر في فلسفة أنبادقليس ولهجة بها . وتردد في المشرق مدة ، واشتغل بملاحاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة ، ثم عاد إلى الأندلس وأظهر النسك والورع ، واغتر الناس بظاهره واختلقوا إليه وسمعوا منه ثم ظهروا على معتقده وبيع مذهبه فأنقبض عنه بعض ولازمه بعض ودانوا بتبعته . وكان له لسان خلوب يتوصل به إلى مراده . وكان مولده ليلة الثلاثاء لسيح مضين من شعبان سنة تسع وستين ومائتين ، وتوفي يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة تسع وستين وثلاثمائة وهو ابن محسين سنة وثلاثة أشهر » (١٣) .

(١١) النباهي : تاريخ قضاء الأندلس ص ٧٨

(١٢) المرجع السابق ص ٢٠١

(١٣) القفطى ص ١٣

واختصر ابن أبي أصيبعة ترجمته وأوردها عند الحديث عن أنبادقليس ، ونسبها إلى مصدرها . وهو القاضي صاعد في طبقات الأمم قال : « وكان محمد ابن إسماعيل الله بن مسرة الجبلي الباطني من أهل قرطبة كلفاً بفلسفته دقاً وروياً على دراستها » .

واتفقت كلمة المؤرخين للفلاسفة على أن الباطنية أخذت عن أنبادقليس قال صاعد ، ثم ابن أبي أصيبعة : « وطائفة من الباطنية تنتمي إلى حكمته وتزعم أن له رموزاً قلما يوقف عليها » . وقال القفطي : « ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه وينتسب بذلك إلى مذهبه . وزعموا أن له [ربيد أنبادقليس] رموزاً قلما يوقف عليها ، وهي في غالب الظن اتهامات منهم ، فالتأثير ما رأينا شيئاً منها ، والكتاب الذي رأيته ليس فيه شيء مما يزعمونه » . أما الكتاب الذي يشير إليه القفطي فقد قال عنه إنه رآه في كتب الشيخ أبي التتج نصر ابن إبراهيم المقدسي التي وقفها على البيت المقدس الشريف ، ولأرسطوطاليس عليه كلام وردود .

وقد حل الشهرزوري في تواريخ الحكماء هذه الرموز وقال في تسويها « إن الأظهر أن هذا الكلام المنقول عن هؤلاء وغيرهم من القدماء كان رمزاً عن أمور وأحوال وأسرار لهم وإلا فقتل عنهم أشياء لا يقولها من له أدنى تمييز فضلاً عن الحكماء الفاضلين » مخطوط لوحة ٩ بمكتبة جامعة فؤاد

أوسع مصدر يذكر فلسفة أنبادقليس هذه هو الشهرستاني ، قال : « إن الباري لم تزل هويته فقط لم يكن معه شيء ، فأبدع الشيء البسيط المعقول وهو العنصر الأول ثم كثر الأشياء المبسطة من ذلك النوع البسيط الواحد الأول ، ثم كثر المركبات من المبسوطات » . ومن فلسفته قوله : « إن الباري تعالى أبدع الصور لا بنوع إرادة مستأنفة بل بنوع أنه علة فقط فالمعول الأول هو العنصر ، والمعول الثاني هو وسطه العقل ، والثالث هو وسطهما النفس وهذه بسائط ومبسوطات وبعدها مركبات » . وقال أيضاً : « العنصر

(١) ابن أبي أصيبعة : ج ١ ص ٣٦ ، ٣٧ ، وصاعد : ص ٢٤ (مع التنبية إلى خطأ صاعد وابن أبي أصيبعة في كتابة اسمه حيث يقولان « ابن مسرة ») .

الأول بسيط من نحو ذات العقل الذى دونه وليس هو دونه بسيطاً مطلقاً
 أى واحداً بحثاً من عو ذات العله بلا موصول إلا وهو مركب تركيباً عقلياً
 أو حسياً فالعنصر فى ذاته مركب من المحبة والغلبة ، وعنهما أبدعت الجواهر
 البسيطة الروحانية والجواهر التركيبية الجماعية وقال أيضاً :
 « ولكلام أنبىدقليس مساق آخر قال : إن النفس النامية قشر النفس المنطقية ،
 والمنطقية قشر العقلية ، وكل ما هو أسفل قشر لما هو أعلى ، والأعلى له .
 وربما يعبر عن القشر واللب بالجسد والروح ، فيجعل النفس النامية جسداً
 للنفس الحيوانية ، وهذه روح له وعلى ذلك ينتمى إلى العقل » . وذكر كيفية
 تدرج الخلق ، فقال : « لما صور العنصر الأول فى العقل ما عنده من الصور
 المعقولة الروحانية ، وصور العقل فى النفس ما استفاد من العنصر ، صورت
 النفس الكلية فى الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل فحصلت قشور
 فى الطبيعة لا تشبهها ، ولا هى شبيهة بالعقل الرخاى اللطيف ، فلما نظر العقل
 إليها وأبصر الأرواح واللبوب فى الأجساد والقشور ساح عليها من الصور
 الحسنة الشريفة البنية » ثم قال : « وخاصة النفس الكلية المحبة
 لأنها لما نظرت إلى العقل وحسنه وبهائه أحبه حب واملق عاشق لمعشوقه
 فطلبت الاتحاد به وتحركت نحوه »

ويوضح من هذه المقتطفات التى نقلناها اختلاط مذهب أنبىدقليس
 بالأفلاطونية الحديثة ، وأن هناك وحدة وجود الله باطنها والأشياء ظاهرها ،
 أو برزخم عن الباطن والظاهر « الباب والقشر » ، وأن حياة النفس فى زهدا
 واجتهادها عن المادة واتحادها بمجورها .

ولنخص صاعد الأندلسى فلسفته على نحو آخر ، ويذهب إلى أنه « أول
 من ذهب إلى الجمع بين معانى صفات الله تعالى ، وأنها كلها تؤدى إلى شىء
 واحد ، وأنه وإن وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة
 تختص بهذه الأسماء المختلفة ، بل هو الواحد بالحقيقة الذى لا يتكثر
 بوجه ما أصلاً بخلاف سائر الموجودات وإلى هذا المذهب فى الصفات
 ذهب أبو الهذيل العلاف » (١)

ومن هذا كله يتضح تأثير هذه الآراء في فلاسفة الأندلس ومتصوفهم ، فقد شغلت مسألة الواحد والكثير ابن باجة ، وكان له طريق صوفي إلى معرفة الله ، بينه في رسالة الاتصال . كما تأثر به ابن عربي في مذهب وحدة الوجود .

٦ — جملة القول اجتازت الفلسفة دور النشأة ، ويمتاز هذا الدور بعدة أمور :

أولها : أن الأندلس كانت غاطلة تماماً من العلوم .
وثانيها : أن العلماء رحلوا إلى المشرق وطلبوا العلوم المختلفة في مدارسها وعادوا بها إلى الأندلس .

ثالثها : أن علماء هذا الدور لم تكن لهم شهرة ، أو على حد تعبير صاعد « ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة »^(١١) . ورابعها : أن هؤلاء العلماء لم يؤلفوا كتباً إلا في النادر ، ولم تشتهر هذه الكتب لضعفها ، ولأنها كانت تهدف إلى سد الحاجة العملية .

وخامسها : أن العناية بعلوم الحساب والفلك والهندسة والطب كانت أسبق من العناية بالفلسفة المحضة . ولو أننا نقرأ لبعض المتقدمين في هذا الدور أنهم اشتغلوا بالمنطق والفلسفة في بعض الأحيان .

وسادسها : أن علماء الأندلس كانوا يجهلون اللغة اليونانية وهي لغة الفلسفة التي ينقلون منها ، على عكس الشرقيين الذين كان منهم كثيرون يعرفون اليونانية أو السريانية^(١٢) .

(١١) قال صاعد : ص ٨٨ « وأما صناعة الطب فلم يكن بالأندلس من استوعبها ، ولا لحق بأحد المتقدمين فيها . وإنما كان لغرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكتابات في المؤلفات في فروعه فقط دون الكتب المصنفة في أصوله مثل كتب أبقراط وجالينوس ، وليستعملوا بذلك ثمرة الصناعة ويستفيدوا به خدمة الملوك في أقرب مدة » .

(١٢) ذكر ابن أبي أصيبعة عند ترجمة ابن جنبل ج ٢ ص ٧ ، أن اصطفي ترجم كتب ديسقوريدس ، وترك فيه أسماء باليونانية لم يستطع إيجاد مقابل عربي لها . وردد الكتاب إلى الأندلس ، وانتفع به الأطباء . وفي سنة ٣٣٧ هـ أدى أرمانيوس ملك قسطنطينية هدايا لها قدر عظيم فكان من جهة هديته كتاب ديسقوريدس =

وليس من الغريب أن تشتمل الفلسفة على سائر العلوم ، فقد كانت هذه هي السنة التي أصبحت متبعة في العصر الوسيط ، أو في الفلسفة المدرسية ، سواء في الشرق أو في أوروبا اللاتينية . ومن المعروف أن الفنون الأربعة المنفردة عن الحكمة أو الفلسفة هي « الحساب والهندسة والموسيقى والفلك » . ومن قديم قسم أرسطو العلوم ثلاثة أقسام : الطبيعية ، والرياضيات ، وما بعد الطبيعية . فلما نقلت الفلسفة إلى العرب ، جروا على سنة الجمع بين سائر العلوم ، فكان الكندي عالماً بالحساب والهندسة والفلك والموسيقى والطب والمنطق وما وراء الطبيعة . وكذلك كان الفارابي ، وابن سينا من بعده .

فلا غرابة أن نجد اهتمام علماء الأندلس في أول الأمر بالرياضيات والطب ، ثم ظهرت عناية المتأخرين بالفلسفة المحضة واشتغلوا بها ، فنبغ عندهم ثلاثة : ابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد .

== مصور الحقائق بالتصوير الروي العجيب . وكان الكتاب مكتوباً بالانغريزي الذي هو اليوناني . . . وكتب أرمانيوس في كتابه إلى الناصر أن كتاب ديمقوريدس لا يجتهد قائده إلا رجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف أشخاص تلك الأدوية ، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فزت أيها الملك بمائدة الكتائب . . . ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس من يقرأ اللسان الانغريزي الذي هو اليوناني القديم ، فبق كتاب ديمقوريدس في خزنة عبد الرحمن الناصر باللسان الانغريزي ولم يترجم إلى اللسان العربي .

من اللهجات اليمنية الحديثة .

المجموعة الثانية^(١)

لدر كنور نبليل يحيى نامى

(١) نصوص من مدينة تعز وقرية تربة ذبحان :

nezeit 'iastūk 'agīb 'aṣṣabūh hīk sīdī weba 'dēn reg'et 'ela
almkān 'aṣtebeh, weba'dēn gassaynā kalil amad fi el'urđī, wene-
zelnā almadīnah šerekt weba'dēn gassayt 'adbūhā fi 'elmakūn
'ela mā nezel sīdī wetgaddah, weba'dēn ṭele'nā 'al'urđī kayyalnā
we'akalnā alḳāt weḥazzannā weḳumt sabart nār weḳahwah,
weba'dēn 'azzen 'elmaḡareb welasṣenā 'allambah wesernā neḡallī
'elmaḡreb wal'eṣab werege't 'aḳahwī men 'elṣalah.

waštarēt margenī ḥamaltuh fawḳ 'elḥumār walḥumār
makūr andal, weba'dēn berek mennī 'elḥumār fi elṭarīḳ la ḳeder
heyeḥmel 'almarkenī, wastakrēt ḳārīš tānī.

weba'dēn bellāl wanū nuwwam wāḥed sārek sarak 'alay
al'adāh walḥumār weba'dēn rahalt ta'iz 'aṣteki fama laḳēt
naṣafah, weba'dēn gaza't arđ allah.

mū tušā yabnī, we'ēš tešī, mū bak, wana mū 'arīd 'u'mellak.
ḳannā aḳullak men awwal 'itruk 'alhangamah, 'israh menawnā.
'irḡinī 'amad māḡī, mā hallawš ḥaḡuḥ mī rakkū.

الصبوح = الفطور ، والفعل اصطبح (iṣṭabaha) ومعهم يقولون أيضا
في تعز وفي قرية التربة بداء (budā') بمعنى صبوح = فطور ، ومعهم يقولون
في بيت الفقيه وحى من بلاد تهامة — تنبدى = تغذى .

١١) ذكرت المجموعة الأولى من هذه النصوص في مجلة كلية الآداب — العدد
الثامن ، المجلد الأول ص ٦٩

حق سيدى : - ملك سيدى ، تستخدم كلمة حق في كل بلاد اليمن
للدلالة على الملكية وهي تشبه كلمة شح في اللهجة المنسية

جسينات - جاسنا .

وسمعتهم يقولون في تعز جسيب (191-1915) بمعنى جلست ، ويقولون
في قرية التربة - اجس (1915) بمعنى اجلس بكسر الألف وكسر الجيم ،
ومن الجائز أن فعل جلس قد أصبح فعلاً ناقصاً مضعفاً وقد حذفت الياء
من فعل الأمر اجس وكسرت الجيم للتعويض عن حذف الحرف المحذوف ،
وذلك في لغة التخاطب ومن الجائز أن أصل هذا الفعل الناقص بالياء المضعف ،
هو فعل جثا يجثو = جلس على ركبتيه .

شركت = اشترت لهما .

وسمعتهم في قرية التربة يستخدمون وزن تفاعل في نفس هذا المعنى ،
ويطلقون على اللحم في كل بلاد اليمن اسم - شركة .

أديخها = أطبخها .

وسمعتهم يقولون أيضاً - ادبخها بالناء ، ولتعليق هذا أقول ، أن الطاء
وهي مجهورة شديدة خففت إلى الناء المهموسة الشديدة ثم بعد ذلك أبدلت دالا
لوقوعها قبل الباء المجهورة الشديدة .

وأكلنا القات وخزنا .

يخضع اليمنيون طامة القات ويمصون مائه ويخزنون البقايا في أشداقهم
مدة من الزمن ، ثم بعد ذلك يفلوه ، والقات نبات منه يشعر الانسان بعد
تعاطيه بسرور وانشراح ونشاط ، ومن يعضه لأول مرة ويفرط في تعاطيه
لا ينأى حتى يألفه ويعتاده ، ويعتبر القات المحصول الرئيسى في بلاد اليمن
وتصدر الحكومة اليمنية كميات كبيرة منه إلى عدن ، وقد ألف اليمنيون
عدة رسائل في مناقبه كما مدحه كثير من شعرائهم ، وقد نشرت إحدى

هذه الرسائل وهي عبارة عن مناظرة بين القهوة والقات في مجلة الراوى الجديد (١).

استيقنا اللبنة . أسرجنا المصباح .

ورجعت أقهوى من الصلاة = ورجعت من الصلاة لأشرب القهوة .
سمعتهم يقولون في كل بلاد اليمن — قهوت وقهويت للمتكلم وقهوى
للقائب ، ولا يشرب اليمنيون البن ولكنهم يشربون قشره ، ويسمون المكان
الذى يشربون فيه قشر البن مقهاية ، ويطلقون هذا الاسم أيضاً على الخان .

واشتريت مرجنى .

يطلق اليمنيون على المنسوجات الأمريكية الرخيصة وخصوصاً البنز الأسمر
اسم مرجنى أو مركنى وقد جاء في كتاب تاريخ اليمن للشيخ عبد الواسع
النجاشى ص ١٣١ ما يلى — المريكنى ويسمى في مصر دمر بضم الدال المهملة
وتشديد الميم المفتوحة — والذي أعرفه أن البنز الأسمر يعرف في مصر باسم
الدمور بفتح الدال وتشديد الميم المضمومة ، كما يعرف أيضاً باسم
البفطة السمرة .

اندل = يلهو .

جاء في القاموس المحيط في مادة نذل ما يلى : — النذل والتذيل الخسيس
من الناس والمحتقر في جميع أحواله .

استكرت قارش تانى = اكترت دابة أخرى .

القارش في اليمن هو البغل أو الحمار والواحدة قارشة والجمع قراش
بضم القاف .

سرق على الأداء = سرق من الملابس .

جزعت أرض الله = قطعت أرض الله .

(١) مجلة الراوى الجديد — أول أبريل سنة ١٩٤٣

موتشا بضم التاء = ما تشاء = ماذا تريد .

ومن الجائز أن التاء قد ضمت لتتفق في الجرس مع الواو المشبعة التي تسبقها .

وايش تشقى = وأى شيء تشتهى = ماذا تريد .

موبك يفتح الباء = ما بك .

وسمعتهم يقولون أيضاً في تعز موبينك في معنى ما بك .

قانا أقولك = قد أنا أقول لك = قد قلت لك .

أترك المهنجة = أترك التهديد والوعيد .

من الجائز أن هذه الكلمة أصلها المهنجة من فعل هنقم صيغة أفعل من نقم مثل فرق = أراق ، ونعلم أن صيغة هفعل كانت تستخدم عند السبائين كما كانت تستخدم صيغة سفعل عند الميعيليين والقنعبانيين والحضرميين ، وتستخدم الصيغتان في بعض اللهجات العربية الجنوبية الحديثة مثل المهرية غير أن السين القديمة صارت شيناً ، كما تبدل الهاء حاء في بعض الأحيان ، وسمعتهم يقولون في قرية القرية — حنقر — بمعنى أنظر ، ومن الجائز أن أصلها هنقر صيغة أفعل من فعل نقر = نظر = أنظر — وسمعتهم يقولون في منطقة تعز — خليني شوسح لى ساعة في معنى دعنى أو اتركني أستريح ساعة ، ومن الجائز أن شوسح صيغة شغل من فعل وسح أو فسح .

متوننا ومن أوننا = من هنا .

تستخدم أوننا وهنا في لواء تعز وكذلك في صنعاء وسمعتهم يقولون في بيت حميد بوادي شراع وحى من بلاد أرحب بشمال اليمن — هنا — وفي بيت اللقيمه بهامة — هينا أو هنة بالهاء المكسورة والنون المكسورة وكذلك في الحديدة وعند الزرانيق بشمال الحديدة .

وسمعتهم يقولون في قرية التربة : أوناك ، في معنى هناك بسكون الواو
وفي الحديدة هناك بكسر الهاء ^{هـ} ، وفي ناعط هانك بفتح النون ، وفي بيت
حين بواى شراع هانكة بفتح النون وتشديد الكاف المفتوحة ويقولون
أيضاً فيها هنيكة بضم الهاء وفتح النون وسكون الياء وفتح الكاف .
أرجئى قليل أمد ماجى = أرجئى قليلا إلى أن أجى .

ماهلوش = غير موجود .

المعنى الحرفى لهذا التركيب هو — ما وجد شيء — وهو بفتح الهاء
واللام المشددة وسكون الواو وسمعت في قرية التربة أنها لا تستخدم
إلا في هذا التركيب السابق الذكر ومعناها — موجود — ويذكرنى
هذا الفعل الماضى بفعل هلو (halláwu) في اللغة الجعزية أو اللغة الحبشية
القديمة ومعناها هو نفس المعنى المستعمل الآن في قرية التربة وهو —
كان . وجد .

موركو = ما رأيت فيه = ماذا تريده .

سمعت هذه الصيغة في قرية التربة وأخبرونى بأنها من لغو العدين ^(١)
كما أخبرونى أيضاً بأنهم يقولون — أركو (arakkū) بمعنى رأيت ،
والكاف في ركو هي ضمير المخاطب المرفوع كما أن الكاف في أركو
هي ضمير المتكلم المرفوع ، ومن الجائز أن أركو صيغة أفعل من فعل رأى
أى أن أصلها ، أراكو ثم خففت الهمزة وحذفت ، وقد سمعت وأنا في صنعاء
أن الكاف تستخدم ضميراً للمخاطب والمتكلم المرفوعين في قضاء حواز
الواقع في غربى صنعاء وكذلك في قضاء الطويلة الواقع في شمال غربى
صنعاء ، وتستخدم الكاف أيضاً ضميراً للمخاطب والمتكلم المرفوعين
في لهجات منطقة ظفار كاللهجة المهرية ، وروى أبو الحسن الهمداني

(١) العدين بضم العين وفتح الدال قضاء من أفضية لواة لب ، ويقع هذا القضاء
جنوب هربى صنعاء .

في الجزء الثامن من كتابه الأكليل ج ٨ ص ٢٦ بيتاً من الشعر قال بأنه حمير وقد نشره الأب أنستاس الكرملي محرراً وبعده كما يلي :

أني أنا القليل إلى شرح حصنك غمدان بمنهمات

ومعنى هذا البيت المكتوب بلهجة يمنية حديثة هو أني أنا القليل البشرح حصلت غمدان بمخارة مصقولة .

(ب) نص من لغو جيس :

جيس بلدة من بلدان تهامة اليمن وهي واقعة في قضاء زيد بلواء الحديدة :

wāḥundallah 'ekēs inālāk sīdī, ked bukt awwādī
'llakūdāk, 'edā 'antā mabuktes šanabūk 'anā 'yūk nāḥid 'aunmāy
'eda nazal mūyu 'awwādy šanabūk netma 'kam wāšunerid net-
gaddah. ba'd 'elgadah šanansum kālil wanetba'wawak nekayyal
'emmeḥadḥarah ḥakḥ ḥundallah, šanasimur 'aunmā nneṣellē,
nerūḥ senā 'ambēt. šanarkud 'aunmā alṣubḥ, šanukūm negaddid
wanegallī wanetḥarru', ba'd elṣalah nabūk natlub 'allah 'alā
nufusna. 'altāmes waḥed sarak 'alay ḥāgah kumna tādūrnaba
'anū 'yūḥ watwāzarna 'alēḥ 'aun waha'y, waba'd raḥētuh ṭa'an
benagḥuh fī ḥay, gerit ba'd elṣareḥ raḥētuh awwādī, raḥētuh
ḥad duḥal 'ambēt ḥarakḥ 'alēḥōn 'ambēt baḥw hārebīn senā
ambukūmah yeṣtukū, nafaḥū 'alēna ḥamṣah 'askar wa'arifah
ruḥna ma' 'im'askar 'aunmā 'alḥukūmah, raḥēt elṣareḥ inuḥarraḥ
zahrūḥ mamzū' galas men ḥāl endat 'alay ennuḥ ḥarakū 'alēḥ
tīy ābnh mā rekīṣi ṣubḥūd 'alēnā baḥēnā 'elḥna men 'end el'ūmel
wuhuah dalḥḥuluh 'emḥabs beun kadab baḥālul ḥēlēn
wedalḥḥuluh bekān rummah ḥakḥ 'emmuḥābīs 'aunmā šuruk
baḥw yeṣallū marrēt men 'endehūn kām yetgadlalna w-yeḥzina.

عكيش :

بكرم العين ثم كاف ويا مائة اسم علم وأصله عكيش — عنكبوت :

وقد تحولت الفتحة والياء الساكنة إلى " المدودة للمالة ، وتحولت الضمة اخر كـ
 بها نعين إلى كسره للتجاس مع لكسرة المدودة للمالة اننى تليها .

كذ = إذا . ين .

بكت = ذهبت :

من فعل بك يوك وقد سمعهم يقولون في حيس : بوك زيد (nūk)
 (zātīl) = اذهب إلى زيد ، وشبوك = سأذهب ، وأصلها شابوك بصفتيف
 همزة المتكلم ، ثم حذف المد بعد ذلك ، كما سمعهم يقولون بأك = اذهب
 والجمع بايكن (būyekīn) ، وسمعهم يقولون في بيت الفقيه وهي من بلاد تهامة :
 بوك طلب الله (tabūk talab allah) = تذهب لتبيع وتشتري ، وسمعهم
 يقولون في الحديدة : شابوك = سأذهب ، ومن الجائز أن فعل بك المستعمل
 في تهامة الين يقابل فعل بك ، فقد جاء في القاموس المحيط في مادة بك مايلي :
 بكه زاحمه . . . والبككة طرح الشيء بعضه على بعض والازدحام والجمي ،
 والذهاب . كما أنه من الجائز أيضاً أن هذا الفعل يقابل فعل وكب . وجاء
 في القاموس المحيط في مادة هذا الفعل مايلي : وكب وكوبا ووكبانا
 متى في درجات ومنه الموكب للجماعة ركبانا أو مشاة .

القادك ('ellakādak) :

سمعت في حيس ان معنى هذا النص هو : أو لم تعزم ، أى أن معنى النص :
 كذ بكت . وأدى القادك هو إن ذهبت إلى الوادى أو لم تذهب ، والقادك
 مركبة من : إن + لا + قد + ك = وإلا فقد أنت موجود لم تذهب .

نحيد (nahīl) = ننظر . نرى . نشاهد .

وسمعهم يقولون أيضاً في حيس : حيد (hīd) أمر المفرد ،
 وللجمع حيدو (hīdū) . وسمعهم يقولون حيدنا (hīdanā) بمعنى انظر إلى
 عوياً عن حيدنى (hīdanī) = شاهدنى . وكذلك أمر المفرد المتصل
 بضمير المتكلمين : وكذلك حيده (hīduh) انظر إليه ، وحيدها انظر إليها .

وحيدهم (hīduhum) وحيدهن (hīduhun) ، كذلك سمعتم يقولون
في الحديدة شاحيد = سأنظر .

أماي ('ammāy) : الماء .

سمعت وأنا في حيس أن أم تستخدم للتعريف في تلك النواحي كما تستخدم
أيضاً أل ، فتجدم يقولون الغدا والليل والصبح والصلاة والله والتامس
بمعنى الأمسي والصارقي = السارق والعام ، كما سمعتم يقولون أيضاً أماي =
الماء ، أميت = أليت ، اعكومة = الحكومة ، امسكر = العسكر ،
امحس = الحبس . وسمعتم يقولون في زيد أميت ، أخوخة = الخوخة ،
امخلاص = الخالصة ، الساعة = الساعة ، الموت = السيادة . وكذلك
في بيت إلتيه سمعتم يقولون : أمداكان = الدكان ، أم إشه = العشة ،
الظهر ، الأصبر = العصر ، الآمل = العامل ، الحكومة والبيت . . . الخ .

وكل البلاد التي ذكرتها هي من بلاد تهامه ، وقد سمعتم يقولون أيضاً
في بعض بلاد تهامه أنجدي = الجدي ، وقد أخيروني في بيت حميد بوادي
شراع وهي من بلاد أرحب بشمال اليمن بأن أم للتعريف تستخدم في بلاد
انغار حتى بلاد أرحب إلا في الحارث وبيت حميد فهما فصحاء ولا يعرفان
الطمطانية .

وجاء في صفة جزيرة العرب للهمداني ج ١ ص ١٣٥ س ١٦ : وبلد سفيان
ابن أرحب فصحاء إلا في مثل قولهم أم رجل وقيد بعيرك ورأيت أخواك
ويشركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل والغير وما أشبهه الأشعر وعك
وبعض حكم من أهل تهامه وعذر مطرة ونهم ومرهبة وذيان وسكن الرحبة
من بلحارث فصحاء .

وجاء في كتاب (Landberg, Glossaire Daïnois) ج ١ ص ٨٥ مايلي :
قال ابن الجاور إن بدو تهامه وبدو جبال جنوب غربي اليمن يستخدمون
أم للتعريف والأسماء تنطق بواو نهائية .

مايو = ymayyā - ماء .

عرفنا من قول ابن الجاور أن بدو تهامه ينطقون الأسماء بوار نهائية ، وقد سمعتم يقولون في حيس عيانو = سحاب ، قوزو = زلط ، جهلو = جاهل (طفل) ، عاريجو = شجرة النبق ، حامضو = حامض ، ملحو = ملح ، قراعو = نطار ، صريبو = qarībū = صراب (هو موسم الحصاد في اليمن) ، أذنو = أذن . . . اطلع . وسمعتم يقولون في بيت الفقيه طماعو ، وفي الحديدة : هو = bittū = بلت ، جسيو = يار ، قحلو = غزال ، ولا تدخل هذه الواو على الأسماء المعرفة بأل ولا على الأعلام فهي بذلك كالواو التي كان يستخدمها النبط الذين كانوا يعيشون قبل الميلاد وبعده في العلا ومدائن صالح بشمال الحجاز .

نتمتع = نسيج .

وسمعت في حيس أيضاً أن المقيم على فصحة القناة .

شلمم = سنسريج .

إمخدة = المخدة = مكان الزوجة — مسكن أو بيت .

حق حمد الله = ملك حمد الله :

تستعمل حق في كل بلاد اليمن وحضرموت ودينونة للدلالة على الملكية ، وهي تقابل في اللهجة المصرية بتاع (متاع) .

أما = إلى .

سنا = إلى .

وجاءت في النقوش العربية الجنوبية القديمة لفظة : سن ومعناها نحو أو إلى أو بقرب ، وتكتب في هذه اللغات أحياناً بالسين العادي وتارة بالسين الجنبة .

نجدد = ترويض :

سمعت هذا الفعل ومصدره جدود في جنوب اليمن وتهامة ولم أسمع
في الهضبة .

نتفرع = تتناول وجبة الفطور :

وسمعتهم يقولون في حيس قراعو بمعنى فطور وفي عدن قراع .

نطلب الله على نفوسنا = نبيع ونشتري = نتاجر :

سمعت هذا الإصطلاح في معظم بلاد اليمن وقد سمعتهم في بيت الفقيه
يقولون : تبوك طلب الله = تذهب لتبيع وتشتري والمعنى نسأل الله أن يهيئ
لنا أوزاقنا .

التامس = أمس . البارحة .

توازرنا عليه أنا وأخى = تآزرنا عليه أنا وأخى .

جرئت بعد الصارق = جرئت وراء أو خلف السارق .

رقيته = لقيته .

كد = قد :

ولم أسمع هذا اللفظ إلا في هذه الناحية .

بدو هاربين سنا أمحكومة = خرجوا هاربين قاصدين الحكومة :

بدو = بدؤا ، سنا = إلى ، أمحكومة = الحكومة .

نفذوا علينا = أرسلوا إلينا .

عريفة = عريف . رئيس الجند .

رقيت الصارق محرق ظهره ممزوع = لقيت أو وجدت السارق وملابسه
التي على ظهره أو التي يلبسها محروقة ومقطوعة .

جلس من حال = جلس في الحال أو في الترو والساعة .

اندعى على = ادعى على .

إنه حرقن عليه ثيابه = إنا أحرقنا ثيابه .
 مارقيشى = (مارقيشى) = ما وجد = لم يجد .
 بدينا احنا = خرجنا نحن .
 وهوه دخله إمحس = وهوقد (دُخِلَ) أدخله المحس = أدخله السجن .
 هباله قيدين = وهب له قيدين قيده بهما .
 بكان = فى . بمكان . بمحل .
 بكان رمة حق إتحايس = بكان رميم أو بال ملك المحبوسين = بمكان
 بال هو سجن للسجونين .
 أما شروق = أما فى وقت شروق الشمس = وفى وقت الشروق .
 بدّو = بدأوا . أخذوا .
 يصجلنا = يحادلنا . يتشاجر معنا . يُشهر بنا .
 ويخزينا = ويخزينا = يهضمنا . ويُشهر بنا .

تطور ساحل دلتا النيل

بدركتور محمد محمود العباد

في أواخر الزمن الثالث وبداية الزمن الرابع كانت الدلتا أكثر اتساعاً بمساحى عليه الآن ، وكان منسوب كل من نهر النيل والبحر الأبيض المتوسط أعلى من المنسوب الحالي ، وكان النهر يحمل الحصى والرمل بدلاً من الغرين الدقيق ، وكانت حافة الدلتا القديمة عند وادى النطرون في الغرب وعند خليج السويس في الشرق ^(١) . وإذن فلكي ندرس تطور الدلتا لابد من أن ندخل في حسابنا دراسة التغيرات التي تعرض لها خط ساحل البحر الأبيض المتوسط . ومثل هذه الدراسة تتطلب بدورها بحث المدرجات النهرية التي كونها النيل في العصور المختلفة لنستنتج منها التغيرات التي طرأت على مستويات النهر في مصر الأمر الذي يرتبط تماماً بتغيرات خط الساحل .

ولقد اهتم بدراسة المدرجات النهرية في وادى النيل كثير من الباحثين مثل ادوارد هل (Edward Hull) وغيره ممن كتبوا عن تطور نهر النيل . ولكن الفضل الأكبر في بحث تلك المدرجات يرجع إلى الدكتور ل. س . ساندفورد (K. S. Sandfort) والدكتور ج . و . آركل (J. W. Arkell) وقد ظهرت أبحاثهما في سلسلة كتبهما المعروفة عن حوض النيل . ويهتق معهما في الآراء التي وصلنا إليها الدكتور جون بول (John Bull) بل ويعتمد

(١) ساندفورد وآركل (١٩٣٩) ص ١٧ من المقدمة .

على نتائج أبحاثهما الجيولوجية والاركيولوجية . تبعهما في الامتدادات التي استعملها مع اختلاف بسيط .

المرجبات النهرية في وادي النيل .

يرى الحصى والرمل (من ابلستوسيني حتى العصر الحديث) حافا بأطراف الأراضي الزراعية في أجزاء كثيرة من وادي النيل بحيث يكون مجموعة من المدرجات تظهر على ارتفاعات مختلفة فوق مستوى سطح الأراضي الغرينية الزراعية .

هذه المدرجات — التي من الواضح أن النهر قد كونها في مراحل متتالية . وعلى مستويات منخفضة بالتتابع حينما كان يعمق مجراه تدريجيا منذ البلايوسين الأعلى — لها الأهمية الأولى في مساعدتنا على تتبع التغيرات التي حدثت في مستويات البحر واليابس بالنسبة لبعضهما البعض في البلستوسين وما بعده .

توجد رواسب التخليج البلايوسيني^(٢) على ارتفاع ١٨٠ م فوق سطح البحر ، وقد قطعت في هذه الرواسب سلسلة من المدرجات على الارتفاعات التقريبية الآتية :

١١٠ — ١٠٠ م ، ٦٥ — ٦٠ م ، ٥٠ — ٤٥ م ، ٣٠ م ، ١٧ — ١٥ م ، ١٠ — ٨ م ، ٣ م فوق مستوى السهل الفيضي الحالي^(٣) .

(١) يستعمل جون بوك الفاظ مبكر Early ومتوسط ومتأخر Late بدلا من أسفل Lower وأوسط وأعلى Upper التي يستعملها ساندفورد وآركل في الإشارة إلى الأقسام الفرعية للجبري النديم ليتجنب الالتباس الذي قد ينشأ عن أن المدرجات النهرية القديمة تقع على مستويات أعلى من التي تسكونت فيها بعد بالتدرج . راجع بوك (١٩٣٩) هامش ص ٤٢

(٢) راجع حزين (١٩٤١) في الفصل الخاص بالتطور الفيزيوجرافي لوادي النيل الأدنى من ص ١٥٠ — ١٥٩

(٣) راجع ساندفورد وآركل (١٩٢٨) ص ١٧ ، (١٩٢٨) ص ١٨ — ٢٥ ؛ (١٩٢٩) ص ٦٧ — ٦٨ ، (١٩٣٣) ص ١٨ — ٢٧ ، ٨٥ — ٨٢ ، ٤٧ — ٤٨ ، ١٩٣٩) ص ٣٨ — ٤٥ ، ٤٩ — ٦٠ ، ٩٢ — ٩٦

ويذكر « بوك » هذه المدرجات ويضيف مدرجين آخرين على ارتفاع ١٤٠ م ، ١١٥ م ويقول : إنهما لا يوجدان إلا في الأجزاء النهائية من الوادي ويمكن الرجوع بهما إلى أواخر البلايوسين (راجع « بوك » ص ٤٢) . كذلك يذكر « بوك » ارتفاع هذه السلسلة من المدرجات على النحو الآتي :

١٤٠ م ، ١١٥ م ، ٦٥ م ، ٤٥ م ، ٣٠ م ، ١٥ م ، ٩ م ، ٣ م .

ولا يعرف في الواقع شيء عن أعمار المدرجات الثلاثة الأولى (العليا) أكثر من أنه يمكن الرجوع إلى البلايو — بليستوسين ^(١١) إذ أنه لم يثبت حتى الآن أنها تحتوي على آلات حجرية أو أي آثار لـ إنسان ما قبل التاريخ ، أما المدرجات الأربعة الأخرى فقد وجدت بها آلات يستدل منها على أن : ^(١٢)

١ — مدرجي ٣٠ م : ١٧ — ١٥ م يرجع تكوينهما إلى الحجري القديم الأسفل إذ توجد الآلات الشيلية في المدرج الأول والأشيلية في المدرج الآخر .
٢ — مدرج ١٠ — ٨ م يرجع إلى الحجري القديم الأوسط فقد وجدت فيه آلات لقالوا :

٣ — مدرج ٣ م وجدت فيه آلات لقالوا للتأخرة (Diminutive La valloise) التي ترجع إلى الحجري القديم الأعلى ^(١٣) .

وظن أن الفترة التي تكونت فيها المدرجات العليا من هذه السلسلة (شيلي) كانت طويلة جدا إذا قورنت بالفترة الأخرى ^(١٤) . وبعد تكون هذه المدرجات يظهر أن النيل كان يعمق مجراه الأدنى إلى حد تغير معروف ^(١٥) فلم يحصل على آلات حجرية في داخل الطبقات (in situ) في الوادي تلتصق إلى فترة الانتقال بين الحجري القديم والحجري الحديث ^(١٦) .

(١١) حزين (١٩٤١) ص ١٥١ ويذكر بول أنها ترجع إلى أوائل البليستوسين (راجع مذكره عن مدرجات ٩٠ م ٦٠ م ٤٥ م في ص ٤٢) .

(١٢) راجع ساند فور د آر كل (١٩٣٣) ص ٨٦ ، (بول ١٩٣٩) ص ٤٢ — ٤٥ ، حزين (١٩٤١) ص ١٥١ — ١٥٢ .

(١٣) يشاهد مدرج ٣٠ م ١٧ م — ١٥ م على طول الوادي من حلقا إلى القاهرة كما يشاهد مدرج ١٠ — ٨ م من أسوان إلى أسيوط وبهذا نجد أن عوامل التآكل قد أزالت — أما مدرج ٣ م فيمكن تتبعه بين سوان والأقصر ولكن في الشرق يوجد تحت مستوى النيل الفيضي الحالى — راجع بول (١٩٢٩) ص ٤٢ — ٤٣ .

(١٤) ساند فور د آر كل (١٩٣٣) ص ٧٢ — ٧٣ ص ٨٣ .

(١٥) حزين (١٩٤١) ص ١٥٢ .

(١٦) بول ١٩٣٩ ص ٤٥ ويستنتج من هذا أن الب في أثناء تلك الفترة كان يجري على مستويات أقل من مستواه الحالى . وأنه لو فرض أن إنسان ما قبل الحجري الحديث كان يعيش في الوادي فإن آثاره لابد وأنها قد دُفنت تحت انطامي الذي يكثر السهل الفيضي الحالى .

تغير مستويات نهر النيل :

من بحث مدرجات الهرية في وادى النيل يمكن أن نتبع التغيرات المتعاقبة التي حدثت في مستويات النهر في جزئه المصرى في البليستوسين وما بعده وأن نخلص إلى النتائج الآتية :

١ — منذ البليستوسين الأسفل حتى بداية الحجرى القديم الأوسط ^(١) كان النهر يكون مدرجات يقل ارتفاع الواحد منها عن الآخر بالتتابع .

٢ — بعد تكون هذه المدرجات أخذ النيل يعمق مجراه ، فحفر في مصر الوسطى مجرى عميقاً ملء فنياً بعد بطين أجنى أحدث عهداً . هذا الطين يختلف عن المواد الخشنة التي جلبت من مرتفعات البحر الأحمر والتي كونت المدرجات الحقيقية ^(٢) .

٣ — في الحجرى القديم الأعلى (السيلبي) أخذ النهر أولاً يعلى قاعه من وادى حلفا إلى نيج حادى ^(٣) بارساب كيات هائلة من الطمي ^(٤) .

--- --

= يزيد في قوة استنتاج « بوك » النتائج التي وصلت إليها من كثير طومسون (Miss. Catan Thompson) ، من جاردنر (Miss. Gardner) (١٩٢٩) من ٢٨ لقد أثبتنا وجود مدرج من الرمل الأبيض الناعم يرجع إلى ما قبل أوائل الحجرى الحديث في منطقة اليوم . هذا المدرج يقع على ارتفاع ١٨ م فوق سطح البحر ويمتد خط ساحل بحيرة اليوم في ذلك العصر . ولما كان من الثابت أن تلك البحيرة كانت متصلة بالنيل إذ ذلك فانه يمكن أن نستنتج أن مستوى السهل الفيضى قليل في المنطقة المحيطة بين سوف كان في أوائل الحجرى الحديث على ارتفاع أكثر من ١٨ متراً فوق سطح البحر الحالى (يقدره بوك بـ ٢٠ متراً) — راجع بوك (١٩٣٩) ص ٥٩ — أو بمعنى آخر كان منخفضاً عن مستوى سطح السهل الفيضى الحالى بفضة أمتار .

(١) راجع بوك (١٩٣٩) ص ٤٥

(٢) حزين (١٩٤١) ص ١٥٢ — يلاحظ أن الحالة في مصر العليا والنوبة تختلف من مصر العليا فرحلة التراجع (degredation) في النهاية فاصرتها مرحلة أرساب (aggradation) في الجنوب (في نهاية الحجرى القديم الأوسط وبداية الحجرى القديم الأعلى) (٣) المواد الطينية (Silt) من الحجرى القديم للوسط والأعلى يقل ارتفاعها كلما اتجهنا شمالاً حتى نيج حادى فتكون في مستوى السهل الفيضى الحالى ولى شمال نيج حادى توجد مختلفة تحت الرواسب الحديثة .

راجع ساندفورد ، آركل (١٩٢٩) ص ٦٨ ، (١٩٣٣) ص ٢٥ — ٤٣٨ ساندفورد (١٩٣٤) شكل ١٣

(٤) في تلك الأثناء كانت عملية الحفر مستمرة في الشمال .

ثم تخلى الارساب إلى حتما عن محله للحفر حوالى السبيل الأوسط (١) ..
ولذا نجد أن مستوى النهر نفسه انخفض في السبيل الألى إلى عمق كبير
نحت مستوى السهل الفيضى الحالى .

٤ — فى فترة الانتقال بين الحجرى القديم الأعلى والحجرى الحديث
أخذ النهر يعلو قاعه فى مصر الشمالية حتى أصبح انحداره هو نفس انحدار السهل
الفيضى الحالى تقريباً ، وإن يكن منسوب النهر أقل من مستوى السهل الفيضى
ببضعة أمتار ، ثم توالى إرساب الطمي فأصبح مستوى قاع النهر ومستوى
سهله الفيضى يرتفعان فى كل جهة من مصر اللهم إلا فى منطقة النبوة حيث
لا يزال الحفر مستمرا (٢) وقد استمرت هذه الأحوال حتى اليوم .

المعلومة ببحر مستويات النيل ومستويات البحر الأبيض المتوسط :

يرى ساند فورد وآركلى أنه يمكن تفسير نتائج المدرجات تفسيراً كافياً
بدراسة تغيرات مستوى سطح البحر (٣) ويليهما بول فى هذا رأى (١)
أما حزين فيرى أن تغيرات مستوى سطح البحر وحدها لا تكفى فى تفسيرها (٢)
ويجب أن ندخل فى حسابنا عاملين آخرين هما تغيرات المناخ (٣) وتغيرات
الظلام الهيدروغرافى لنهر النيل . وإن تكن الأخيرة لم تلعب دوراً واضحاً
فى النهر فى جزئه المصرى إلا فى المراحل النهائية من تطوره الفيزيوجرافى (٤) .

(١) حزين (١٩٤١) ص ١٥٣

(٢) بول (١٩٣٩) ص ٤٥ ، حزين (١٩٤١) ص ١٥٣

(٣) ساند فورد (١٩٣٤) ص ٥١ — ٥٢ ، ساند فورد ، آركل (١٩٣٣)
ص ٨٥ — ٨٦

(٤) راجع بول (١٩٣٩) ص ٣٦ وقارن بالصفحات من ٤٦ إلى ٥٨ ، انظر
الشكل السادس ص ٥٥

(٥) حزين (١٩٤١) ص ١٥٤ — ١٥٥ ، وحيث فى ذلك أن مادة مدرجات
النيل بأرصفة البحر المتوسط الفرى (لا يوجد شيء من هذه الأرصفة بالساحل للمصرى)
تجب بعض التناقضات التى لا يمكن حلها حلاتاً ، نرجوع إلى تغيرات مستوى سطح البحر .
(٦) يقول ساند فورد وآركلى [راجع (١٩٣٣) ص ٣١ ، ص ٨٥ — ٨٦]
أن العصر المطيرى أفريقية الشمالية الشرقية استمر بدون توقف من البلايوسين حتى الحجرى
القديم الأعلى وبهذا أصبح من العسير ربط هذه المدرجات بالتغيرات المناخية .

٥. التغيرات المناخية راجع حزين (١٩٤١) ص ٨٢ — ٩٥ ، شكل ٦ فى الموحدة

(٧) حزين (١٩٤١) ص ١٥٥

ويحاول حزين أن يعادل بين ذبذبات المناخ في كل من أوروبا وأفريقية الشمالية الشرقية من جهة وبين مستويات كل من البحر المتوسط والين من جهة أخرى ولبول عمادة أخرى في هذا الموضوع^{١٢}. يقصدها تعيين أمرين هما:
١ — مستويات البحر بالنسبة للأرض في الفترات المختلفة .

٢ — خط ساحل الدلتا وموقعه في تلك الفترات .

ويضع ملخص النتائج التي وصل إليها في الجدول الآتي على الصفحة التالية منه نستطيع أن نستخلص الحقائق التالية . وهي في الواقع ملخص التطورات التي مر فيها ساحل مصر الشمالي (كما يراها بول معتمداً على النتائج التي وصل إليها ساندفورد وآر كل) :

١ — في بداية البلستوسين نجد أن البحر المتوسط الذي وصل إلى ١٨٠ م^(١٣) فوق منسوبه الحالي في البلايوسين المتوسط أخذ ينخفض حتى وصل إلى ١٠٣ م وأصبح خط الساحل يقع إلى الشمال من القاهرة بحوالي ٣٣ كم . م .

٢ — وفي أثناء البلستوسين استمر البحر في الانخفاض أو ربما استمرت الأرض في الارتفاع حتى حوالى الموستيرى المتوسط حيث انخفض البحر إلى نحو ١٢ م تحت مستواه الحالي . وتقدم خط الساحل نحو الشمال حتى أصبح على بعد ٩٠ كم . م . من القاهرة .

٣ — ثم حدثت حركة عكسية بعد ذلك فارتفع البحر أو انخفضت الأرض حتى أصبح مستوى البحر في الموستيرى الأعلى حوالى ١٦ م فوق المستوى الحالي . وتراجع خط الساحل جنوباً فأصبح على بعد ٨٢ كم . م . من القاهرة .

(١١) المصدر السابق ص ١٥٦ — ١٥٩ ، ويأخذ المؤلف بالنظرية التي تفكر بأن المستويات العليا لبحر تنفق مع الفترات غير الجليدية ، والمستويات المنخفضة له تنفق مع الأدوار الجليدية ص (١٥٥) .

(١٢) [راجع شرح هذه النظرية في المصدر نفسه ص ١٥ — ١٠]

بول (١٩٣٩) ص ٤٦ — ٥٨

(١٣) بول (١٩٣٩) ص ٥٦

البحر المتوسط

المحطة ١٠٠٠٠

المصر ١٠٠٠٠

مناقاة مع التسوب : القاهرة

الحال

البلاوي من الأعلى	مدرج ١٤٠ م	+ ١٥٦ م	٢٥ ك. م
البلاوي من الأعلى	مدرج ١١٥ م	+ ١٢٩ م	٢٨ ك. م
البلاوي من الأسفل	مدرج ٩٠ م	+ ١٠٣ م	٢٣ م
البلاوي من الأسفل	مدرج ٦٠ م	+ ٧٢ م	٤٥ ك. م
البلاوي من الأسفل	مدرج ٤٥ م	+ ٥٧ م	٤٨ ك. م
الحجرى القديم الأسفل مدرج ٣٠ م (أقل)		+ ٤١ م	٥٣ ك. م
الحجرى القديم الأسفل مدرج ١٥ م (أقل)		+ ٢٥ م	٦٤ ك. م
الحجرى القديم المتوسط مدرج ٩ م (مستوى أسفل)		+ ١٨ م	٧٠ ك. م
الحجرى القديم المتوسط مستوى متوسط		- ١٢ م	٩٠ ك. م
الحجرى القديم المتوسط مستوى أعلى		+ ١٦ م	٨٢ ك. م
الحجرى القديم الأعلى سبيل أسفل		+ ١٣ م	٨٥ ك. م
الحجرى القديم الأعلى سبيل متوسط		+ ٢٢ م	١٠٣ ك. م
الحجرى القديم الأعلى سبيل أعلى		- ٤٣ م	١٨١ ك. م
الحجرى الحديث	أوائل	- ١٠ م	١٧٣ ك. م
المصر الحاضر	—	—	١٧٥ ك. م

٤ — وفي نهاية الفترة المستيرية انعكست الحركة فانخفض البحر أو ارتفعت الأرض إلى أن أصبح مستوى البحر في السبيل الأعلى — ٤٣ م تحت مستواه الحال . وتقدم خط الساحل فأصبح على بعد ١٨١ ك. م . من شمالى القاهرة أو نحو ١١ ك. م . من شمالى الساحل الحال .

٥ — وفي نهاية الفترة السيلية حدثت حركة عكسية ثالثة فأخذ البحر يرتفع من جديد أو أخذت الأرض تنخفض . وأخذ الساحل يتراجع جنوباً واستمرت هذه الحركة الأخيرة (وإن تكن معدلاتها قد اختلفت) في فترة الانتقال إلى الحجري الحديث وفي الحجري الحديث ثم في العصور التاريخية^(١) .

الحركات التاريخية :

ولم يستقر الساحل في العصور التاريخية بل حدثت حركة هبوط طفي بها البحر على شمال الدلتا ، وتقوم الأدلة الكثيرة شاهدة بوجودها ، تلك الأدلة التي نجد مثلاً منها في شرق الدلتا وفي وسطها وغربها على السواء .

أما في شرق الدلتا فنجد أن بحيرة البردويل الواقعة في شمال شبه جزيرة سيناء قد تغير شكلها . فبعد أن كانت على عهد « بليني » بحيرة ضحلة تسمى بحيرة « سيربون » (Sirbon) اتسعت مساحتها وأصبحت مستنقاعاً طويلاً يمتد مكوناً بحيرة البردويل الحالية^(٢) وفي نفس المنطقة نجد أن مدينة « غرتم » (Gherrum) القديمة^(٣) الغنية بآثارها اليونانية والرومانية أصبحت الكثير من آثارها مغموراً تحت الماء .

وتتجلى هذه الظاهرة على وجه الخصوص في بحيرة المنزلة بكثرة الجزر للوجود فيها ، وآثار البلاد والقرى التي كانت مزدهرة قديماً وزاها الآن

(١) تكاد تنطبق نتائج « حزين » مع هذه النتائج إلا أنه يفهم (ضمناً) من تفصيله لها (ص ١٥٦ — ١٥٩) أن كل حركة من هذه الحركات كانت على شكل ذبذبة . ولكن ميلها السام كان إما إلى الارتفاع أو الانخفاض . وأم ما يختلف حوله الباحثان هو أن « بول » يذهب إلى أن خط ساحل الدلتا يتوقف على ارتفاع منسوب البحر أو انخفاضه فقط ، ولكن « حزين » يرى أنه يجب ألا ننزل عامل الارتفاع فنحن عندما يرتفع مستوى انصباب النهر تقل سرعته وهذا يساعد على زيادة الارتفاع وبالتالي على تقدم خط ساحل الدلتا .

(٢) بلوتو (١٩٢٥) ص ٩٤ ويلاحظ : رسم البحيرة في الحالتين .

(٣) المصدر السابق ص ٩٣ ، كانت هذه المدينة تقع بالقرب من « الحمضية » الحالية على الطرف الغربي للبردويل .

داخل حدود البحيرة أو فيها حولها من المناقع ^(١) ، ومن أمثلة هذه البلاد « تنيس » وكانت في العصور الوسطى ذات شهرة عظيمة كقلعة حصنة وكرركز لصنع المنسوجات الدقيقة ^(٢) ويذكر « لينان دى بلقو » أن الجزر التي تشتمل عليها بحيرة المنزلة الآن هي بقايا قرى قديمة قامت يوم أن كانت أراضي المنزلة تزرع قبل أن تغمرها المياه ^(٣) ، ويؤيد هذا الأمر النتائج التي وصل إليها « مسيو موصيرى » من أبحاثه في جهة « ميت سلسيل » الواقعة إلى الجنوب من بحيرة المنزلة بنحو ٦ كم ^(٤) .

وأما في وسط الدلتا فقد عثر « أوديبو بك » في جنوب البحر المتوسط بنحو ٢٤ كم . م . بالقرب من المصرف رقم ٤ على آثار تربة زراعية وبقايا أغصان وجذور نباتات تقع على عمق ٣٣٤ سم تحت سطح البحر مع أن هذه المنطقة تنسها ترتفع الآن عن سطح البحر بنحو ٥٦ سم . وهذا يدل على حدوث الانخفاض . فليس من المقول أن تقوم الزراعة في منطقة قريبة من البحر وتقع تحت مستواه بثلاثة أمتار أو أكثر ^(٥) ما لم تلتأ السدود وتعد وسائل الصرف وهي أمور لم يتم على وجودها دليل . كذلك يستدل « الأب جراسيان » أحد علماء الحملة الفرنسية على حدوث هبوط في منطقة بحيرة البرلس بناءً على ما لاحظته من وجود الخرائب المغمورة تحت سطح الماء ^(٦) .

وفي غرب الدلتا نجد الأدلة كثيرة على حدوث هذا الطغيان ، إذ تثبت أبحاث « برنشيا » أن مستوى سطح مدينة الاسكندرية الرومانية يقع تحت مستوى سطح المدينة الحالية بحوالى ٦ أو ٧ أمتار ، وأنه لكي نلحظ على آثار الاسكندرية البطلمية يجب أن نغفر إلى أعين من ذلك . ويقدّر « برنشيا » أن الهبوط الذي حدث في منطقة الاسكندرية يتراوح بين ١٠٠ ، ١٥٠ سم

(١) المدعى (١٩٣٩) ص ١٤٩

(٢) دراسى ص ٩٠

(٣) لينان دى بلقو (١٨٧٢) ص ٣٤

(٤) أوديبو بك (١٩١٩) ص ١٢٠

(٥) بول (١٩٢٩) ص ٦٧

(٦) كتاب وصف مصر الجزء ١٦ ص ٢٠٥

وربما أكثر من ذلك في بعض الجهات ، ومن الأدلة الأخرى التي يسوقها أن « الهيباستاديوم » Hepastadium الذي بنى في العهد البطلمي قد غمرته مياه البحر . كذلك جزيرة « انترودوس » Anterrhodos القديمة التي كانت تقع في الميناء الشرقي قد اختفت تماما ^(١) .

كذلك تثبت الأبحاث الخاصة بالقرع الكانوبي أن مصبه يمتد تحت مياه خليج أبو قير لمسافة ٦ كم . في الداخل ، يؤيد هذا الرأي لاروس ومحمود بك الفلски ^(٢) ويذكر جوندى ^(٣) أن أرضة موانئ جزيرة « فارو » القديمة تقع الآن تحت منسوب سطح البحر بعمق ٣٠ سم إلى ٨٣٠ سم حسب أجزائها المختلفة .

هذه الأدلة جميعا تثبت أن البحر طغى على ساحل الدلتا الشمالي ، ولم يوجد بين العلماء من يشك في حدوث هذه الحركة . ولكن الأمر الذي اختلفوا فيه هو سبب تلك الحركة ، هل هي راجعة إلى ارتفاع سطح الماء أم إلى انخفاض في سطح الأرض أم إلى الأمرين معا .

نعرض لهذا الموضوع الأستاذ « كورديه » أحد علماء الحملة الفرنسية ^(٤) حينما كتب فصلا في كتاب وصف مصر خاصة بخرائب تانيس القديمة (صان الحجر) فأكد حدوث طغيان ماء البحر ولكنه وقف حائرا أمام سبب حدوث ذلك الطغيان واكتفى بأن ذكر أنه لا بد وأن يكون واحدا من ثلاثة :

- ١ — فاما أن يكون البحر قد أخذ يرتفع وظلت الأرض كما هي .
- ٢ — وإما أن تكون الأرض قد أخذت تهبط باستمرار دون البحر .
- ٣ — وإما أن يكون البحر قد أخذ يرتفع وأخذت الأرض تهبط في نفس الوقت .

١ — براتشيان (١٩١٤) ص ٦٦ - ٦٧

(٢) محمود بك الفلски ، (١٩٧٢) ص ٧٩

٣ — جوندى ، ١٩١٦ ص ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥

(٤) لويس كورديه : كتاب وصف مصر الجزء ٥ الفصل ٢٣

أما الذين يقولون بأن طغيان البحر يرجع إلى ارتفاع سطح الماء لا إلى هبوط الأرض فعددهم قليل . ويقول « برتشيا » : يذهب بعض الجيولوجيين إلى أن القول بهبوط الأرض ليس أقوى من القول بارتفاع مستوى البحر ولكن الغلبة ترى أن طغيان البحر إنما سببه هبوط الأرض لا تغير مستوى البحر^(١) .

ويؤيد الدكتور « بول » هذا الرأي ويرجع بالتغيرات الكثيرة التي حدثت في المستوى النسبي للمنسوب البحر — والتي سبق أن أشرنا إليها — إلى هبوط الأرض وارتفاعها وينكر بشدة احتمال رجوعها إلى ارتفاع منسوب الماء أو انخفاضه^(٢) .

ويعتقد ارنست رينان^(٣) أن منسوب البحر لم يتغير منذ آلاف السنين وبني اعتقاده هذا على ملاحظاته المختلفة عن هبوط ساحل البحر المتوسط في سورية . ويذهب مذهبه « كايو »^(٤) و « سوس »^(٥) فيؤكدان بأن منسوب البحر المتوسط في كل العصور التاريخية . ويقول بهذا الرأي أيضاً « اوديو »^(٦) ، وقد أثبتت أبحاثه في مقابر كوم الشقافة صحة رأيه .

ويقول « سان جيبي »^(٧) وهو من علماء الحملة الفرنسية بهبوط الأرض هبوطاً بطيئاً معتدلاً ، ويذكر أنه لو فرض حدوث تغير في مستوى البحر فإن هذا التغير كان بسيطاً لا أهمية له . وقد حصل على هذه النتيجة من دراسته للخرائب القديمة في منطقة الاسكندرية . ويقول ريموندويل^(٨)

(١) برتشيا (١١١٤) ص ٦٦

(٢) بول (١٩٣٩) ص ٥٥ — ٦٧

(٣) ارنست رينان Ernest Renan في اوديو بك (١٩١٩) ص ١٣٢

(٤) كايو (١٩٠٧) ص ١٠

(٥) سوس Soss في اوديو بك (١٩١٩) ص ١٣٢

(٦) اوديو بك (١٩١٩) ص ١٢١

(٧) سان جيبي Saint Genis (راجع كتاب وصف مصر الجزء ٥ الفصل ٢٦)

(٨) ريموند ويل (١٩١٩) ص ١٥ — ١٦

بعد بحثه لمصخرة رأس العين أن تلك الصخرة قد هبطت في الحركة التي نصح
عنها هبوط كثير من اللقابر والمخرائب في منطقة الاسكندرية .

من كل هذا يتبين لنا أن هناك شبه إجماع على أن طغيان البحر كان
منشؤه هبوط سطح الأرض الذي يمكن تعليله بحوالى إرساب الكميات الهائلة
من الطمي يجلبها النيل وفروعها الكثيرة^(١) .

أما زمن حركة الهبوط تلك فإن المقرئى — وهو أول من كتب
عن طغيان مياه البحر المتوسط على شمال الدلتا — يرجع بها إلى ما قبل الفتح
العربي . ويذكر أن طغيان البحر كان تدريجياً فغمر الأراضي المنخفضة
مما العالية . ويذكر منطقة « طناح » المرتفعة ويقول إن غمرها تم قبل الفتح
العربي بنحو مائة عام . ويوافق « هيوم »^(٢) على أنها حدثت في القرن
السادس الميلادى في حين أن « ريموندويل » يرى أنها بدأت قبل العهد
الرومانى في مصر بكثير واستمرت إلى ما بعده وربما استمرت حتى الآن^(٣) .

ويقف « دى مورجان »^(٤) من مسألة تحديد زمن حركة الهبوط موقفاً
سلبياً فيذكر أن زمن التحديد أمر عسير إذ لا تزال الأدلة عليه ناقصة
ولكن الذى يمكن قوله هو أن أثرها بدأ يظهر واضحاً منذ أوائل العصر
العربي حيث اضمحلت مدن مثل « تنيس » في إقليم بحيرة المزة بعد أن
انقطعت عنها المياه العذبة نظراً لتقدم المياه الملحة من البحر وتأثيرها في موارد
المياه العذبة .

ويمكن أن نخرج من هذا كله بأن حركة الطغيان هذه ترجع إلى الفترة
السابقة للفتح العربي وأن هناك شبه إجماع بين الباحثين على ذلك أو على الأقل
هناك إجماع على أن تلك الحركة بدأت تظهر آثارها واضحة في أواخر
الحكم الرومانى وأوائل الحكم العربى .

(١) هذه الظاهرة ملحوظة في حالات أخرى كدلتا الرون والبر والسبيسي والكنج .

(٢) هيوم (١٩٢٥) ج ١ ص ١٩٠

(٣) المصدر السابق ص ٢٢

(٤) دى مورجان ج ١ ص ٤٢

مصادر البحث

1. AUDEREAU BR : (1919) " L'affaissement du Nord du Delta égyptien depuis l'Empire romain ". Bull. de l'Ins. d'Ég. 1918-1919.
2. BALL, JOHN : (1939) " Contributions to the Geography of Egypt ". Ministry of Finance, Egypt. Govt. Press. Bulaq.
3. BARTOUX : (1925) " Paléogéographie de l'Égypte ". Compte rendu du Congrès Inter. de Géog., 1925.
4. BREMOIA : (1914) " Alexandria ad Agyptum ". Guide de la ville ancienne et moderne et du Musée Gréco-Romain. Bergamo, 1914.
5. CATON THOMPSON ; MISS G. & GARDNER ; MISS. E. W. : (1929) " Recent work on the problem of Lake Moeris ". G. J. vol. XXXIII, No. 1. Jan. 1929.
6. CAYREUX : (1907) " Fixité du Niveau de la Méditerranée à l'époque historique ". Annales de géographie. T. XXI, 1907.
7. DABENAY : " Les branches du Nil sous la XVII^e dynastie ". B. S. R. G. E. XVII.
8. EL-FALAKI, M. BEY : (1872) " Mémoire sur l'antique Alexandrie, ses faubourgs et environs découverts par les fouilles, sondages, nivellements et autres recherches ". Copenhague.
9. GRATIEN LE PÈRE, M. : " Extrait d'un mémoire sur les lacs et les déserts de la Basse Égypte ". D. de l'Égypte, t. XVI.
10. HUMB : (1925) " Geology of Egypt ". Cairo, 1925.
11. HUZAYYIN ; S. A. : (1941) " The place of Egypt in Prehistory " ; A Correlated Study of Climates and Cultures in the Old World. (Mémoires présentés à l'Institut d'Égypte).
12. JONDET, GASTON : (1916) " Les portes submergées de l'ancienne île de Pharos ", Le Caire, 1916.
13. LIXANT DE BELLEFONDS : (1872) " Mémoires sur les principaux travaux d'utilité publique exécutés en Égypte depuis la plus haute antiquité jusqu'à nos jours ". Paris. 1872.
14. MORGAN ; J. DE : (1896) " Recherches sur les origines de l'Égypte " L'âge de la pierre et les métaux. Paris.
15. REYAN ; ERNEST : (1898.) " Mission de Phénicie ". Paris.

16. SAINT GENIS : "Description des Antiquités d'Alexandrie et de ses environs". (D. de l'Egypte, t. V, chap. XXVI).
17. SAND FORD : K. S. : (1934) "Paleolithic man and the Nile Valley in Upper and Middle Egypt". Prehistoric Survey of Egypt and Western Asia, vol. III (Chicago ; Oriental Institute publications. Vol. XVIII).
18. SANDFORD & ARKELL ; W. J. : (1928.) "Terraces of the Nile in Upper Egypt" in "Premier Rapport de la Com. des Terrasses Pliocènes et Pléistocènes" (Union Géographique Internationale).
19. SANDFORD & ARKELL : (1928 A.) "First Report of the Prehistoric Survey Expedition". Chicago.
20. SANDFORD & ARKELL : (1929) "On the Relations of Paleolithic Man to the History and Geology of the Nile Valley in Egypt". Man. Vol. 29 No. 50, 1929.
21. SANDFORD & ARKELL : (1933) "Paleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt". A study of the region during Pliocene and Pleistocene times. Preh. Sur. of Eg. and W. Asia. Vol. II ; or. Ins. Pub. Vol. XVII, Chicago.
22. SANDFORD & ARKELL : (1939) "Paleolithic Man and the Nile Vally in Lower Egypt with some notes upon a part of the Red Sea Littoral". Preh. Sur. of Eg. and W. Asia, Vol. IV ; or. Ins. Pub. Vol. XLVI, Chicago.
23. WEIL ; R. ; (1919) "Les portes antéhelléniques de la côte d'Alexandrie et l'empire crèteois". Extr. du Bull. de l'Inst. Fran. d'Arch. Gr. T. XVI, 1919.

24. المدونى : أحمد محمد (١٩٣٩)
 سواحل مصر . مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . المجلد الخامس ، الجزء الأول ،
 القاهرة .

المرايا المعدنية الإسلامية

للككتور جمال محمد

من الجحف المعدنية الإسلامية التي وصلت إلينا مجموعة من المرايا المصنوعة من الصلب أو البرنز على هيئة قرص يمسك إما من مقبض متصل به أو من شريط يمر من ثقب في جزئه بآني يظهره .

وأقدم ما وصل إلينا من هذه المرايا يرجع إلى القرن ١٢م وكلها من منتجات شرق العالم الإسلامي ، ولم يصل إلينا حتى الآن ما يمكن نسبته إلى الفن الإسباني المغربي بالرغم مما لدينا من إشارات إلى المرايا في الأدب الأندلسي فمن عهد الله بن اسماعيل بن بدر بن اسماعيل (القرن ١٠م) :

كنت قد أهديت ورداً فأدعت إنه من ورد خديجاً سرق
ومشت عجلى إلى صراتها فإذا ورد كورد في الطبق^(١)

ويروى عن أبي بكر بن زهر الحفيد (٥٠٧ - ٥٩٥هـ) :

إني نظرت إلى المرأة إذ جلست فأنكرت مقلتاي كل ما رأنا
رأيت فيها شيئاً لست أعرفه وكنت أعده من قبل ذلك فني
فقلت أين الذي بالأمس كان هنا متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستجھلتني وقالت لي وما نطقت قد كان ذلك وهذا بعد ذلك أتى
هون عليك فهذا لا يقاء له أما ترى العشب يغنى بعد ما نبت^(٢)

(١) الضي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن حمير : بقية النعمس في تاريخ وصال أهل
الأندلس ص ٣٤١ (مدريد ١٨٨٥م) ، L'ins Tires : Ibn Faray de Jaen , ou
Kitab al-Hada'iq - في مجلة الأندلس ص ١٥٢ ج ١١ مج ١ سنة ١٩١٦ م .

(٢) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ج ٢ ص ٧١

وكذلك نجد إشارات إلى المرايا في العصر الفاطمي فمن المقرئ أنه :
كانت هناك صناديق مملوءة مرايا من حديد محلاة بالذهب والنقش وبعضها
مكمل بالجواهر النفيسة وله محفظات أو غلاف من الكيمعخت وهو نوع من الجلد
المتين وأخرى من الأقمشة الحريرية النفيسة وكان للمرايا المذكورة مقابض
من العقيق (١) .

وقد حفظت لنا بعض صور المخطوطات الإيرانية أشكال هذه المرايا وهي
مرايا مستديرة تقريباً وذات مقابض طويلة إلا أن المصور لم يرسم لنا العناصر
الزخرفية ولو أنه فعل لنفطنا هذا كثيراً في التمييز بين المرايا الإيرانية وبين
غيرها من صناعة البلاد الأخرى ، ونجد رسوم هذه المرايا في صورة
من مخطوط جامع التواريخ لرشيد الدين المخفوف بالجمعية الملكية الأسبوية
بلندن والمؤرخ ١٣٠٦ — ١٣١٤ م (٢) وفي صورة إيرانية من القرن ١٧ م
محافظة في متحف الآثار الإسلامية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

والوجه الأمامي للمرأة مصقول ليسمح بالانعكاس الأشياء ، والوجه الخلفي
مزخرف بمناصر مختلفة آدمية وحيوانية ونباتية وهندسية قد تصاحبها
كتابات كوفية أو نسخية ، وهناك مرآة خالية من العناصر الزخرفية السابقة
وليس بها إلا كتابات تشمل آية (الله نور السموات والأرض . . .) (٣) .
ونلاحظ أن حافة بعض هذه المرايا قد تكون مفصصة أو مرتفعة عن مستوى
السطح . وكذلك نشاهد في بعض الأوجه الأمامية للمرايا كتابات ورسوما
محفورة عملت في عصور متأخرة خاصة بالسحر والشعوذة وذلك عند ما يراد
استخدام المرأة لهذا الغرض .

ويفاوت قطر القرص أو مساحة المرأة بمعنى آخر فبعض هذه المرايا
صغير يبلغ قطره ١٢,٥ سم وبعضها كبير يصل قطره إلى ٢١ سم والبعض
الآخر وسط بين هذا وذلك قد يكون قطره ١٧ أو ١٨ سم .

(١) المقرئ : المخطوط ج ٢ ص ٤١٥ (بولاق) والدكتور زكي محمد حسن : كنوز
الفاطميين ص ٩٠

(٢) Blochet : Mu-ulman Painting Pl. L

(٣) Rien und : Monum. ntis Arabes, Persans et Turcs T II P ٣٣٨



(شكل ١)

إيران أو العراق القرن ١٢ م

[متحف الآثار الإسلامية كلية الآداب رقم ١٧٣١]

والأسلوب الشائع استخدامه في زخرفة الوجه الخلفي للمراة هو تقسيم هذا الوجه إلى عدة دوائر مركزية يزيد عددها أو ينقص بحسب كل حالة وتزخرف كل دائرة من هذه الدوائر بعنصر زخرفي من العناصر التي استخدمت في تزيين المرايا فتجد في واحدة الرسوم الآدمية أو الحيوانية أو عناصر رمزية، وفي أخرى الرسوم النباتية، وفي ثالثة الكتابات الكوفية أو النسخية، أو يشغل الموضوع الزخرفي سطح المراة كله بدون تقسيمه إلى هذه الدوائر أو أن تعمل دائرة صغيرة في الوسط ويشغل الفراغ بين محيط هذه الدائرة ومحيط القرص بعدة دوائر توزع في هذا الفراغ الدائري. وأغلب العناصر الزخرفية بارزة وقد يكون هذا البروز كبيراً أو ضئيلاً وقد تكتبت بعض المرايا^(١) أو تذهب^(٢).

أما الأيدي فلما أنها تصنع مع القرص في نفس الوقت أو تصنع منفصلة تتم تلحم به^(٣) وللملاحظ أن زخرفة الأيدي مستقلة عن زخرفة وجه المراة ولا تحقق أو تلحم معها في نظامها.

ومن الموضوعات الزخرفية التي شاعت في زخرفة المرايا رسوم أبي الهول المجنح (شكل ١) فتجد اثنين منها متدابين بينهما شجرة بسيطة وهما في وضعهما هذا يذكران بالأسلوب الإيراني القديم الذي نرى فيه حيوانين متقابلين أو متدابين وبينهما شجرة الحياة، ذلك الموضوع الذي كان منتشرأ في جميع أنحاء العالم الاسلامي، ويزين الفراغ برسوم أفرع وأوراق نباتية، ويحيط بهذا الموضوع كتابة من الخط الكوفي نصها: « العز والبنا والدولة والبها والرعة والثنا والقبطة والعلا والملك والثنا والقدرة والإلا

(١) توجد واحدة بدار الآثار العربية من عمل حامي حسين بن محمد الخوارزمي مؤرخة: ٧٨٧ هـ (١٣٨٥ م).

(٢) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٦

(٣) Mottulwerk, after the Early Islamic Period, p. 218; (a survey of Persian Art vol. III)

اصحابه أبدأ^(١) ، والظاهر أن مجموعة هذه المرايا كانت تصنع بواسطة قالب يصب فيه المعدن المنصهر وذلك نظراً للتشابه الدقيق بينها . وفي بعض المرايا يحيط بالنص المكتابي إطار من عنصر نباتي^(٢) كما قد يستبدل هذا النص بزخرفة مجدولة في مرايا أخرى (دار الآثار العربية رقم ١٥٣٣١) .

وتنسب هذه المجموعة من المرايا إلى القرن ١٢ م إلا أن هناك خلافاً بين علماء الآثار حول البلد أو المركز الفني الذي أنتج هذه المرايا فبعض العلماء يجعلها من إنتاج إيران كديماند وكولهاوزن والبعض الآخر من العراق كالدكتور كوثل والدكتور زكي محمد حسن ومرجع هذا إلى ذبوع موضوعها الزخرفي واستخدامه في كل بلاد العالم الإسلامي وفي زخرفة السجف المصنوعة من المواد الأخرى كالنسيج والخشب والحرف وغير ذلك . وبما ينسب إلى إيران أيضاً في هذه الفترة مجموعة أخرى من المرايا المزخرفة برسوم آدمية قد تمثل مناظر صيد أو مجلس بلاط أو رسوم أشخاص فقط . فنجد أحياناً فارساً يطعن أسداً قد هجم عليه من الخلف بينما يهاجم الحصان أسد آخر من أمام ويحيط بهذا الموضوع إطار به رسوم بط^(٣) . ويزين إحدى المرايا الموضوع المشهور بقصة بهرام كور فرزاه ومعه أزده حيثته خلفه تعزف على قيثارة وأمامها غزالان . وفي الاطراف الخارجية عقود مفصصة بداخلها طيور وحوانات على أرضية من أفرع ملتوية^(٤) . كما نجد

(١) مرايا هذه المجموعة موزعة بين المتاحف المختلفة : متحف الآثار بكتبة الآداب ، رقم ١٧٣١ بالوجه الأمامي نقوش خاصة بالسحر ، دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٨ ، القطر : الدكتور زكي محمد حسن : اللون الإيراني لوحة ٣٠

A Survey of Persian Art vol VI Pl 1801 ; Migeon : Manuel d'art Musulman fig. 198, Pijoan : Historia general del Arte T XII fig. 266, Heinrich Kolhausen : Islamische Kleinplastik. Führer Durch das Hamburgische Museum für Kunst und Gewerbe T 82, Kühnel : Islamische Kleinplastik abb 102 ; Dimaand : a handbook of Moхамمدان Decorative Arts fig. 78 (1947) ; Reinand ; op. cit. T II P 39-4.

وتوجد واحدة في مجموعة Due de Luyes بالمكتبة الأهلية بباريس . ريتو المصدر : السابق ص ٤٠٠

(٢) متحف برلين : الدكتور زكي محمد حسن : التصوير عند العرب ش ك ص ١٧١

(٣) متحف القوفر : موسوعة الفن الإيراني ج ٦ لوحة ١٣٠٢ ب .

(٤) مجموعة ديموت : موسوعة الفن الإيراني لوحة ١٣٠٠ ، Pope : Persian Art ;

Pl 59, Ibid : Masterpieces of Persian Art

ويرى هراوى أنها ليست بحمأة نظراً لثقلها وقد تكون قرصاً مديناً زخرفة تبنت في باب أوما أشبه . موسوعة الفن الإيراني ص ٢٤٨٤ حاشية رقم ٢



(شكل ٢)

الأوجه الآدمية : إيران سلجوقي

[دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٠]

أحياناً رسوم فرسان ومعهم الصقور ، ففى واحدة نشاهد فارساً يلبس عمامة ضخمة ومعه صقر وبين أرجل الحصان كلب وأمامه غزال ويزين الأرضية أفرع وأوراق نباتية ويحد هذا الموضوع شريط دائرى به غزال وكلاب وأسود على أرضية من أفرع نباتية ثم يحد هذا شريط آخر به كتابة كوفية عبارة عن تمنيات نستطيع أن نقرأ منها العز الدائم والنعمة الشاملة والسعادة الدائمة والسلامة والعافية والغبطة . . . لصاحبه ^(١) . ومن مناظر البلاط نجد ملكاً جالساً الجلسة الساسانية على عرش يعمله أمدان مجنحان وعن يمين الملك وشعالة تابعان ^(٢) .

وبعض المرايا دوائر بداخلها أوجه آدمية بعض أصحابها ذوو وجه مستدير يتدون خوذات ^(٣) ويزخرف القراخ بين الدوائر أشكال هندسية مرسومة بطريقة تذكر بصناعة الخشب المحوط وقد يكون لهذه المرايا إطار حزخرف بعصاة مجدولة قد تقسم إلى ثمانية أقسام ^(٤) (شكل ٢) .

أما ما ينسب إلى العراق من هذه المرايا علاوة على ما قد ينسب إليه من المرايا المزخرفة برسوم أبى الهول فمجموعة من المرايا استخدمت فى زخرفتها رسوم آدمية وحيوانية تمثل البروج الفلكية وبعض هذه المرايا مؤرخ وأقدم مرآة مؤرخة معروفة لنا من هذه المجموعة محفوظة بدار الآثار العربية بالقاهرة رقم ١٥٣٣٥ وتاريخها ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م وزخرفتها عبارة عن كعب صغير فى وسط سطحها يحيط به سبع دوائر داخلها رسوم البروج ^(٥)

(١) متحف لكتوريا والبرت : موسوعة الفن الأيراني لوحة ١٣٠١ ج ٦ (دار الآثار العربية رقم ١٥٣٣٨ ، ١٥٣٣٩) . انظر الدكتور زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية لوحة ١٣٠

(٢) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٢٥

٣ - دار الآثار العربية رقم ١٥٣٣٣ انظر الدكتور زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية لوحة ١٣٥ والفنون الإسلامية ش ٢٩ ص ٥٢٤

٤ - دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٠ : المصدر السابق .

٥ - موسوعة الفن الأيراني ج ١ لوحة ١٣٠١ ب .

ولهذه المرأة حافة عريضة مرتفعة عن مستوى السطح خفرت فيها الكتابة النسخية التي تشمل التاريخ ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . عملت هذه المرأة المباركة في طالع سعيد مبارك وهي إن شاء الله تنفع للدقة والمطلقة وسائر الأوضاع والآلام تبارأذن الله تعالى وذلك في شهور سنة ثمان وأربعين ومجسمائة . الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . عمل في مرور الشمس ببرج الحمل سبع معادن ^(١) » .

والمرأة الثانية من هذه المجموعة ولو أنها غير مؤرخة إلا أن من المهمل تأريخها إذ منقوش عليها اسم أحد سلاطين الدولة الأرتقية ونص الكتابة النسخية التي بها هذا الاسم هو « عز لمولانا السلطان العالم العادل المؤيد المنصور الملك المعز نور الدنيا والدين أبي الفضل أرتق شاه بن الغضر بن إبراهيم بن أبي بكر بن قرا أرسلان بن داود بن سكان بن أرتق نصير أمير المؤمنين ^(٢) » .

وقد حكم هذا السلطان فربوت سنة ١٢٦٠ م . وهناك نص آخر على الوجه الأمامي « بسم الله غيش طلعم كل شخص تلقاً سنت ستمية رخ رعية ^(٣) » وهذا النص من عصر متأخر بلا شك وزخرفة هذه المرأة عن نشر بنجاحيه في الوسط يحيط به رسوم سبعة أشخاص يمثلون الزوج وبجوارهم أسماؤهم مكتوبة بخط النسخ ويحيط بهذه الزوج السبعة اثنا عشر دائرة صغيرة متاسة بها البروج أيضاً . ثم دائرة أخيرة كإطار للمرأة بها النص السابق ذكره الذي يحوى اسم السلطان .

والمرأة الثالثة من هذه المجموعة محفوظة بدار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٢ (شكل ٣) وتاريخها ٦٧٥ هـ — ١٢٧٦ م وسطحها مقسم إلى ثلاثة دوائر الأولى بها أفرع نباتية متداخلة وأنصاف أوراق نباتية مفصصة ، والدائرة

(١) الدكتور زكي محمد حسن : الفنون الإسلامية ص ٥٢٦

Wiet : L'epigraphie arabe de l'Exposition d'art persan' pl. 1.

(٢) كونل : المصدر السابق شكل ١٠١ ميجيون : المصدر السابق ش ١٩٩ هـ

رينو : المصدر السابق لوحة ٩٠ ، ص ٥٥٥

(٣) وينو : المصدر السابق ص ٤٠٤



(شكل ٣)

البروج الفلكية . مؤرخة ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦ م
[دار الآثار العربية رقم ١٥٣١٢]

الثانية والثالثة متصلتان ببعضهما بواسطة حلقات، ويزين الدائرة الثانية حيوانات تجري فتجد غزالا يتبعه كلب فأرنب فتعقب فكلب فغزال آخر وذلك على أرضية مزينة بالنباتات. أما الدائرة الثالثة فقد قسم مساحتها اثنتا عشرة دائرة يحصل بعضها ببعض بواسطة حلقات وبداخل كل دائرة من هذه الدوائر شكل يمثل برجاً من البروج الاثني عشر. وقد ملء الفراغ بين الدوائر برسوم أوراق نباتية على هيئة القلب وأنصاف أوراق مفصصة تشابه الأوراق الموجودة في الدائرة الكبيرة الوسطى^(١). أما الكتابة النسخية المشتملة على التاريخ فتحتل الحافة المرتفعة بالوجه الخارجي للمرأة.

وتوجد مجموعة أخرى من المرايا تمت بصلة وثيقة من حيث الزخرفة إلى المرأة السابقة والموضوع الزخرفي لهذه المرايا هو الحيوانات المتتابعة على أرضية من أفرع وأوراق نباتية قد يصاحبها أحياناً كتابات. ففي واحدة بدار الآثار العربية رقم ١٥٣٢٧ نجد أسداً وحماراً وعلباً وأرنباً وسط الزخارف النباتية وأخرى بها أسد وأرنب وعلب وهذا النص « بركة ويمن وسرور وسعادة وسلامة وعلو وعافية وتأيد وتقدير ونصر واستقامة وبها لصاحبه »^(٢). وثالثة بها أسد وغزال وعلب وسط الأفرع النباتية^(٣). ويصبح نسبة هذه المجموعة إلى العراق ولو أن هناك من يعتبرها من منتجات الفن الإيراني.

وهناك مجموعة أخرى من المرايا تشابه في زخرفتها المجموعة السابقة من حيث استخدام الحيوانات والطيور في الزخرفة ولو أنها تختلف عنها في نظامها فتجد واحدة تزخرفها أوزتان متقابلتان والفراغ مزين بالنباتات ويحيط بهذا الموضوع شريط دائري من زخرفة مجدولة^(٤). وأخرى استبدلت فيها الأوزتان بطاووسين متقابلين أيضاً مع تزيين الأرضية بالأفرع

(١) موسوعة الفن الإيراني ج ٦ لوحة ١٣٠١.

(٢) مجموعة بلاكاس. وينو: المصدر السابق ص ٣٩٧.

(٣) متحف ليكنوروا والبرت: ميجبون: المصدر السابق ش ٢٨٢ ص ٣٩٢. وأخرى ل. القومر. موسوعة الفن الإيراني ج ٦ لوحة ١٣٠٢.

(٤) بح. حف الديرة بربلين: الدكتور زكي محمد حسن: التصوير عند العرب ش ٢٨ لوحة ١٨.

والأوراق النباتية ويحمد هذا بالعصاة المجدولة أيضاً . وفي مرآة أخرى
نشاهد أمساكا على أرضية من أشكال هندسية ^(١١) أو ضفادها قد ترسم
واحدة منها كبيرة داخل دائرة في الوسط حولها أربع ضفادع أخرى ^(١٢) .
ومن المحتمل أن تكون هذه المرايا من صناعة مصر في العصر المملوكي وتوجد
واحدة محفوظة بمتحف اللوفر زخرفتها من طائرين لها وجه آدمي واحد
يصاحبهما سمكتان وبعض الأفرع النباتية ^(١٣) . وهذه المرآة أقرب إلى صناعة
العراق منها إلى مصر وترجع إلى العصر السلجوقي أيضاً (القرن ١٢ م) .

وقد وصلت إلينا من العصر المملوكي مجموعة أخرى من المرايا بها كتابات
نسخية ^(١٤) منهاها عناصر نباتية أو هندسية والكتابات عبارة عن تمنيات
شأنها في ذلك شأن جميع النصوص السابقة فنجد في إحدى المرايا المز والاقبال
والسلامة والسفادة وهذه المرآة مقسمة إلى أربعة أقسام بواسطة دوائر
داخلها رسم زهرة (دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٥) وحافة هذه المرآة
عريضة منقوشة . وقد يذكر في النص اسم أحد السلاطين في مرآة
بدار الآثار العربية أيضاً رقم ١٥٣٤٦ نجد « عز مولانا السلطان العالم
الملك الأشرف أبو النصر (قايماي) عز نصره » وهذه المرآة مقسمة إلى ثلاثة
دوائر وسطى بها رسم هندسي على هيئة نجمة وأفرع وأوراق نباتية
وأقسام أوراق نباتية ، والملاحظ أن هذه العناصر تتداخل بعضها في بعض .
وفي أخرى بدار الآثار العربية أيضاً رقم ١٥٣٦٩ نقرأ « عز مولانا السلطان
العادل العالم الغازي المجاهد المربط للمشاغر السيد الأجل الملك الكامل المؤيد
المنصور » والكتابة على أرضية من الفرع نباتية . ومن هذه المجموعة بعض مرايا
بها زخارف نباتية أو هندسية بدون كتابات ^(١٥) .

(١١) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٣٠

(١٢) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٢٦

(١٣) بمتحف اللوفر بيجوان : المصدر السابق ص ٢٦٧ بصحيفة ٢٠٠

(١٤) عثر على سرائر من هذه المجموعة في خركوف

Devonshire : Quelques Influences Islamique. — p. 86.

(١٥) دار الآثار العربية ١٥٣٣٧ ، ١٥٣٣٤ ، ١٥٣٤٣ ، ١٥٣١٧

وللإحاطة أن هناك أوجه شبه كثيرة بين المرايا الإسلامية والصينية في الشكل وأسلوب الزخرفة وبعض العناصر الزخرفية فالرايا الصينية مستديرة أيضاً وبعض المرايات ذات حافة مقصصة (١). غير أن هناك شكلاً للرايا الصينية لا نجد له مثيلاً بين المرايا الإسلامية ألا وهو الشكل المستطيل (٢) أما عن الزخرفة فتوجد مرايا يزخرفها موضوع واحد بدون تقسيم السطح إلى دوائر مركزية كما توجد المرايا المقسم سطحها إلى عدة دوائر مركزية. ومن الموضوعات الزخرفية التي نراها في الفن الصيني أيضاً رسوم البروج الفلكية (٣). ومن الأشياء التي أخذها المسلمون عن الصينيين ذلك البروز الناقع للثقب يظهر المرايا الذي يمر من ثقبه شريط ليتسنى إمساك المرأة بواسطته. غير أن هناك اختلافاً أساسياً بين المرايا الإسلامية والصينية أو بعضها على الأقل فالسطح الأمامي للمرأة الإسلامية مستو في حين أن السطح الأمامي للمرأة الصينية أو لبعض هذه المرايا مقعر ليسمح بانعكاس الوجه كله وكما قلت مساحة للمرأة كلما زاد تقعر السطح (٤). وكذلك استخدمت المرايا في الصين لغرض من أغراض السحر أو الشعوذة فكانت تلبس لوقاية الجسم من الأضرار وتوضع في القبور مع الموتى لإنارة الظلمة وطرود الأرواح الشريرة (٥).

(١) Kimpel—Takenach: Ancient Chinese Bronze Mirrors (Burlington Magazine vol XIV September 1911). fig G.

(٢) المصدر السابق شكل F.

(٣) المصدر السابق شكلاً J. & M.

(٤) المصدر السابق ص ٣١١

(٥) المصدر السابق ص ٣١٨؛ رينو المصدر السابق ص ٣٩٩ ويقال إن الخليفة لمعاكم بأمر الله أمر بوضع قرص من البرونز عليه رسوم أشغاش في أساس بعض الجبانة لوقايتها من الحريق. أنظر رينو: المصدر السابق ص ٣٩٩ — ٤٠٠

المياه الباطنية في مديرية التحرير

للككتور محمد منولى

تشغل مديرية التحرير جزءاً كبيراً من المنطقة الصحراوية المحصورة بين دلتا نهر النيل وبين الطريق الصحراوى الذى يصل القاهرة بالاسكندرية وتقتصر المصادر التى اعتمد عليها فى تقدير قيمة المياه الباطنية فى هذه المنطقة فى نوعين من الآبار .

نوع كان موجوداً قبل قيام الحرب الأوربية الأخيرة ويشمل :

١ — الآبار الموجودة فى وادى النطرون بما فى ذلك الآبار التى تعتمد عليها الاديرة الأربعة القائمة هناك والآبار التى حفرتها شركة الملح والصودا والآبار التى حفرها الأمير عمر طوسون .

٢ — بئر فكتوريا الذى يقع فى منتصف المسافة بين الدلتا ووادى النطرون .

٣ — مجموعة الآبار المنتشرة فى منطقة العامرية وما حولها .

٤ — مجموعة الآبار التى حفرتها شركة الكروم المصرية فى المنطقة التى تقع بالقرب من نهاية ترعة النوبارية .

ونوع آخر من الآبار قامت بحفره السلطات البريطانية إبان الحرب الأوربية تأميناً للقوات فى الصحارى وضماناً لوجود مورد مأمون للماء تتغذى منه القوات المحاربة ، وقد بلغ مجموع الآبار التى تنتمى إلى هذا النوع خمسين بئراً منتشرة فى كل المنطقة على طول الطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ويوجد بعضها قريباً من دلتا النيل عند الخطاطبة .

وهناك مصدر آخر أمكن الاعتماد عليه هو نتائج الأبحاث التي قامت بها شركات التنقيب عن البترول في المنطقة وبصفة خاصة شركة ستاندرد أويل وشركة خليج السويس .

وتدل هذه المصادر جميعاً على أن المياه الباطنية وفيرة في المنطقة وأنها على أبعاد تتراوح بين ٦٠ متراً و ٨٠ متراً ، وأنه عندما يتم حفر البئر في أية جهة في المنطقة فإن الماء يعلو فيه إلى مستوى سطح البحر تقريباً ومن ثم كانت المسافة التي ينبغي رفع الماء فيها معادلة للفرق بين مستوى هذه الجهة وبين مستوى سطح البحر .

وتدل الأبحاث جميعاً على أن مصدر الماء الباطني هنا يختلف عنه في صحراء مصر الغربية وبصفة خاصة ذلك الماء الذي تغذي منه الواحات المنتشرة هــ.اـ.شـ . فهو في الواحات مستمد من طبقات الحجر الرملي النوبي العميقة ومصدره المطر الذي يتساقط في الجهات المدارية الحارة ثم يتسرب خلال المسام والشقوق الموجودة في الحجر الرملي النوبي ويختزن فيها . أما ماء هذه المنطقة لمستمد جميعه من النيل الذي يتسرب مأؤه من منطقة الدلتا نحو الغرب . لهذا كان الماء في هذه المنطقة أكثر عذوبة وغزارة من مياه الصحراء الغربية . ولكي يسهل علينا رسم صورة واضحة لقيمة المياه الباطنية في هذه المنطقة فإنا سنقسمها إلى الأقسام التالية :

١ - أولاً — المنطقة الصحراوية التي تمتد من أهرام الجيزة حتى الكيلو ٨ من الطريق الصحراوي الذي يصل القاهرة والأسكندرية .

تحفر في هذه المنطقة نحو عشرة آبار كان أولها بالقرب من مينا هاوس وكانت مياهه عذبة جداً ووفيرة جداً .

أما الثاني فكان إلى الشمال من ذلك بقليل وقد حفر في الحجر الجيري الأيوسيني إلى عمق ٨٠ متراً تقريباً فأخرج ماء بمعدل ٧٠٠ جالون في الساعة وبلغت ملحوظته ٥٠٠ في المليون . أما بقيمة الآبار فكانت قريبة من الكيلو ٨ وكان مأؤها عذبة جداً وكثيراً جداً إذ بلغ متوسط التصريف فيها بمواسم اتساعها ١٢ بوصة من ٤٦٠٠ جالون في الساعة إلى ١٢,٠٠٠ جالون في الساعة .

ثانيًا — المنطقة المحصورة بين الكيلو ٨ والكيلو ٣٧ من الطريق الصحراوي :
 دلت الآبار التي حفرت في هذه المنطقة على أن الماء قليل وعلى أن المنوحة عالية ويمكن القول بصفة عامة أنها منطقة فقيرة في الماء الباطني ويرجع السبب في ذلك إلى أن التكوينات الصخرية فيها « وهي تكوينات رملية تكونت في عصر الأوليجوس » عبارة عن رمال ملتصقة متاسكة والمسام التي توجد بين حباتها ضئيلة بحيث لا تسمح بالاحتفاظ بماء كثير.

ثالثًا — المنطقة الممتدة من الكيلو ٣٧ إلى الكيلو ٥٠ من الطريق الصحراوي :
 حفرت بها ثمانية آبار وكانت جميعاً فاجحة وقد ركبت عليها مواسير قطرها ٨ بوصات فكان إنتاجها يتراوح بين ٢٢٠٠ جالون و ٢٥٠٠ جالون في الساعة وكانت الملوحة أقل من ٥٠٠ في المليون .

رابعاً — المنطقة الممتدة من الكيلو ٥٠ إلى الكيلو ١٢٠ :

وهي المنطقة التي يوجد بها بئر استراحة شل وتكويناتها جميعاً مما ينتمي لعصر البليوسين وبها مياه مخزنة كثيرة ، لهذا كانت المياه وفيرة وملوحتها قليلة إذ لا تزيد عن ٣٠٠ في المليون .

خامساً — المنطقة الممتدة من الكيلو ١٢٠ حتى منطقة العامرية :

حفرت بها مجموعة من الآبار عند الكيلو ١٣٤ و ١٤٥ و ١٥٥ واستدل منها على أن المياه الباطنية أخذت تتغطأل في النوع وليس في المقدار إذ أن الملوحة أخذت تزود بسرعة كبيرة فمن الكيلو ١٢٠ إلى الكيلو ١٣٤ تدرجت من ٣٠٠ في المليون إلى ١٣٣٠ وعند الكيلو ١٤٥ قفزت إلى ٦٤٠٠ وعند الكيلو ١٥٥ قفزت مرة أخرى إلى ١٠٠٠٠ في المليون .

سادساً — منطقة الخطاطبة :

حفرت بها مجموعة من الآبار فتبين أن ماءها وفير جداً وأن عذوبتها عالية وبمواسير يتراوح اتساعها بين ٩ بوصات و ١٥ بوصة أمكن الحصول على إيراد من الماء بمعدل ١٤,٠٠٠ جالون في الساعة .

وقد أُنشِج أحسن بئر نحواً من ٢٤,٠٠٠ جالون في الساعة . وماء بهذه الكثرة يستطيع من غير شك أن يغذي مدينة بأكملها .

ولا يعتبرا من هذه المناطق الآن إلا المناطق الثلاث التالية :

١ — المنطقة الممتدة من الكيلو ٥٠ الى الكيلو ١٢٠

٢ — المنطقة التي تمتد ما بين الكيلو ١٢٠ وساحل البحر .

٣ — منطقة الخطاطبة .

فهذه جميعا داخلة في حدود المديرية الجديدة التي اتجه التفكير الى انشائها في غربي الدلتا وهي مديرية التحرير .

وقد رأينا أن المياه وفيرة جدا في منطقة الخطاطبة وأنها لغزارتها يمكن الاعتماد عليها في تغذية مدن بأكملها . ولا تكون مغالين أو مبالغين إذا قلنا إن المياه للباطنية في الأراضي الواقعة الى الشمال من الخطاطبة أو بعبارة أخرى في المناطق الواقعة غربي علقام وأبو الخاوي أكثر غزارة من مياه الخطاطبة نفسها ذلك لأن الدراسات الجيوفيزيائية تدل على أن المنطقة كلها عبارة عن حوض يقع مركزه عند الطبرية تقريبا وإن كان لهذا أية دلالة فإنه يدل على أن المياه في المنطقة الوسطى المركزية أكثر تجمعا منها في الأطراف أي أنها في منطقتي علقام وأبو الخاوي والطبرية أكثر منها في منطقة الخطاطبة الأمر الذي يجعلنا نطمئن كل الاطمئنان الى استخدام الماء الباطني في الجزء الشرقي من مديرية التحرير .

ورأينا أيضا أن الماء الباطني في المنطقة الممتدة من الكيلو ٥٠ الى الكيلو ١٢٠

وافر كما أن ملوحته قليلة . وحيث أن هذا القطاع واقع برمته في مديرية التحرير فمن الممكن استخدام مياهه الباطنية في الأغراض المختلفة وإن كنت لا أنصح باستخدامها في الري لأن تكاليف رفعها لن تكون مجزية إذا ما استخدم الماء في ري الأرض ولكنها تكون مجزية من غير شك إذا هي استخدمت للشرب .

أما في القطاع الأخير الذي يمتد بعد الكيلو ١٢٠ فإلا رغم وفرة عظيم للملوحة جدا بحيث لا يساعد على استخدامه لا في الزراعة ولا في الشرب . وقد اضطرت شركة الكروم المصرية أن تهجر عددا من الآبار كانت قد حفرتها في هذا القطاع للإفادة من مياهها في أغراض الري وذلك بسبب زيادة الملوحة وإذن فلا أمل في هذا الماء ولا في الاعتماد عليه .

تم طبع هذه المجلة بمطبعة جامعة فؤاد الأول
في ٢٨ رمضان سنة ١٣٧٢ هـ (الموافق
١٠ أيوليه من سنة ١٩٥٣) م

محمد زكي خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

is obvious. Nicobulus must be mollified in order that Muesilochus and Chrysalus may have peace at home. This scene in the original may have had some likeness to the end of Terence's *Adelphoe* ⁽¹⁾. Nicobulus could have been pacified by refundment of half the money he had lost ⁽²⁾. He need not be seduced by Bacchis. Lejay conceives of the drama as a battle between Chrysalus and Nicobulus, and thinks that Nicobulus must suffer defeat at the hand of the courtesans after his defeat by Chrysalus ⁽³⁾. I cannot see how Nicobulus could have been seduced in the original. He could not have been prevailed upon by Bacchis the Athenian without the incitement of Philoxenus ⁽⁴⁾. And Philoxenus would not have been anxious to be reconciled, had it not been for the activities of Bacchis the Samian ⁽⁵⁾, and she was only a mute figure in the original ⁽⁶⁾.

It seems that the whole seduction motif in this scene is Plautine as it is superfluous after the promise of the refundment of half the money originally embezzled from Nicobulus ⁽⁷⁾.

(1) cf. Fraenkel. *op. cit.* pp. 72 sq.

(2) cf. vs. 1184.

(3) cf. Paul Lejay, *Plaute*, Paris, p. 59, "L'action est la lutte des deux protagonistes : elle touche au sommet quand Chrysale triomphe de Nicobule, mais ce sont les courtisanes qui donnent au vieillard le coup de grâce. La scène de séduction a pour principal objet Nicobule. La pièce est finie quand il s'avoue vaincu. Le cinquième acte n'est donc pas un divertissement supplémentaire : il est indispensable".

(4) cf. vs. 1188 sq.

etiam tu, homo nihili? quod si dant boni culas tua amissis : dimittam auti dator : accipias potesque et scortum accumbas.

(5) cf. vs. 1175 sq.

(6) cf. T.B.L. Webster. *op. cit.* p. 131.

(7) vs. 1182.

He is constantly in great danger of being found out. When the soldier is approaching Nicobulus for the money, Chrysalus asks him to spare the words :

in aurum rogato ; ceterum uerbum sat est (1).

He knows that one word too much from the soldier would bring crushing down on his head the huge pyramid of lies which he has constructed. This precarious position of the protagonist strengthens the illusion of improvisation.

When Chrysalus has been on the stage for nearly 435 verses without a break, he knows he has earned a triumph :

sed, spectatores, uos nunc ne miremini

quod non triumpho : peruolgatum est, nil moror (2).

This address to the audience rings like a valediction. One feels that Plautus was tempted to end the play here, put a "*plaudite*" in Chrysalus' mouth and forget about Nicobulus.

Fraenkel (3) has admirably shown that vss. 640 sq., 709 sq., 925-978, 987 sq., 1053 sq., 1069 sq., all come from Plautus' hand. These lines are all uttered by Chrysalus. It appears that Chrysalus' rôle from his second entrance at vs. 641—which is by no means motivated—is a Plautine creation.

Webster (4) is of the opinion that Chrysalus' *canticum* vss. 925-978 destroys the scene. He is thinking of the Menandrian scene of the original. But the Menandrian drama comes to an end with the second entrance of Chrysalus.

After the disappearance of Chrysalus at vs. 1086, Plautus converted the whole of the last act into a series of musical scenes. Fraenkel (5) shows how he elaborated the metaphor of the sheep (6). The dramatic necessity of this scene in the original

(1) vs. 878.

(2) vs. 1072 sq.

(3) *Plautinisches im Plautus*, Berlin, 1922, pp. 61 sqq : 237 sqq.

(4) *op. cit.* p. 131.

(5) *op. cit.* pp. 72 sq.

(6) cf. *Berch.* vss. 1123-1148.

reconnoitres for his master, and would not dare name a sum to be embezzled from Nicobulus. He is now the master of the situation, and henceforth dominates the drama. He is on the stage from his second entrance at vs. 640 to vs. 1086 when he retires not to appear again.

All the time Chrysalus is on the stage we are in the domain of improvisation. He appears to be devising the tricks and carrying them out on the spur of the moment. This illusion is reinforced by the fact that the soldier who enters unexpectedly⁽¹⁾ at vs. 842 is immediately utilized in the trick. When Chrysalus enters at vs. 640 he is no longer the ordinary Menandrian slave. In fact he states that he has no use for Parmenones and Syruses:

non mihi isti placent Parmenones, Syri⁽²⁾.

This is Plautus' proclamation of his break from his original. Chrysalus starts to clear the way for himself by pushing Pistoclerus and Mesilochus into Bacchides' house and asking them not to come out until they get the signal from him:

ne quoquam exsurgatis, donec a me erit signum datum⁽³⁾
and they do not get in till towards the end of the play. He maintains the illusion of improvisation all through. He tells us he produces his schemes from his own mind:

ubi quomque usus siet, pectore expromat suo⁽⁴⁾.

He promises big things and then he is afraid he may not be able to carry them out:

insanum magnam molior negotium,
metuoque ut hodie possim emolierier⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ cf. vs. 845.

per tempus hic non adus mihi.

⁽²⁾ cf. vs. 649.

⁽³⁾ vs. 753.

⁽⁴⁾ vs. 752.

⁽⁵⁾ vs. 761 sq.

mother⁽¹⁾. she applies her wits to the task of discovering the father first.

It is evident from these examples that the slave, in the comedies of Menander, is never the originator of an intrigue. He aids the originator, but he is only a tool.

It seems that the Greek belief in the mental inferiority of the slave, and the natural fundamental difference between a free man and a slave in thinking powers, which is reflected in Aristotle's description of the slave as an animated machine, would make it almost impossible for Menander, who was brought up in the tradition of the Peripatetic school, to construct his plot with a slave as the centre and driving force in the drama, and depict him as mentally superior to his master.

Let us now examine the rôle of Chrysalus in the second half of the *Bucchides*. When Mnesilochus discovers his mistake after he has met Bacchis the Samian, he is full of self-reproach⁽²⁾, repentant that he has given all the money to his father⁽³⁾, and himself in sore need of money:

Quod faciam nil habeo miser⁽⁴⁾.

The audience feel here that the plot that was planned by the author has come to an end by the foolishly hasty action of Mnesilochus. The two friends are quite helpless, and Mnesilochus is in utter despair and there is no hope except in heaven.

tace modo: deus respiciet nos aliquis⁽⁵⁾.
when Pistoclerus sees relief in the person of Chrysalus

tuam Copiam eccam Chrysalum video⁽⁶⁾.

Chrysalus enters at vs. 640, and there is a great transformation in his character. He is no longer the slave who

(1) cf. vs. 321.

(2) cf. vs. 612.

(3) cf. vs. 622.

(4) cf. vs. 634.

(5) cf. vs. 638.

(6) cf. vs. 639.

In the *Samia*, Plangon, Niceratus' daughter, brought forth an illegitimate child (¹). Moschion, the father of the child, conveyed privily the infant from Niceratus' house to Demeas' (²), and prevailed upon Chrysis, who seems to have brought forth a still-born child about the same time to foster him. The slave Parmeno who is accused by Demeas of being a party to the plot (³), has no part at all in it as he explains at length :

νῆ τὸν Δία τὸν μέγιστον, ἀνόητον τε καὶ
εὐκαταφρόνητον ἔργον εἴμ' αἰργασμένος-
οὐδὲν ἀδικῶν ἔδωκα καὶ τὸν δεσπότην
ἔφυγον. τί δ' ἦν τοῦτου πεπονηκὼς ἄξιον ;
καθ' ἕν γάρ αὐτῶσι σαφὼν σκαψώμεθα-
ὁ τρόφιμος ἐξήμαρτεν εἰς ἐλευθέραν
κόρην· ἀδικεῖ δὴπουθεν αὐδὲν Παρμένων.
ἐκώσεν αὖτις Παρμένων οὐκ αἷτιος
τὸ παιδάριον εἰσῆλθεν εἰς τὴν οἰκίαν
τὴν ἡμετέραν· ἦνεγκ' ἐκεῖνος, οὐκ ἐγώ.
τῶν ἔνδον ὠμολόγηκε τοῦτό τις· τί δὴ ;
τί Παρμένων ἐνταῦθα πεπόνηκεν κακόν ;
οὐδὲν· τί οὖν ἔφυγες σύ ; πῶς, ἀβέλτερε ; (⁴)

In the *Hiereia*, the former husband of the priestess devises a trick to seek out his son. He contrives it all by himself and the servant is only a tool in his hand as is clear from the argument (⁵).

In the *Epitrepontes* Onesimus is quite helpless while he has the ring, the main clue to the mystery, in his hand. Habrotonon was the first to think of making an inquiry (⁶), and when Onesimus clumsily suggests that she should inquire about the

(¹) cf. *Sam.* vss. 29 seqq.

(²) cf. *Sam.* vss. 305 seqq.

(³) cf. *Sam.* vs. 102.

(⁴) cf. *Sam.* vss. 296-308.

(⁵) cf. *Oxy. Pap.* vol. X. No. 1235, vss. 45 seqq.

(⁶) cf. vs. 305.

found her, the money which they had been sent to Ephesus to collect (vss. 249 sq.) would not be handed over to Nicobulus intact. Nicobulus met Chrysalus before the latter could report to Mnesilochus the result of his interview with Pistoclerus. Chrysalus had to invent a lie on the spur of the moment. But as he had not obtained the permission of Mnesilochus for this, he left it to Mnesilochus to decide how much to keep and how much to hand over to Nicobulus:

ita feci ut auri quantum uellet sumeret,
quantum autem lubeat reddere ut reddat patri⁽¹⁾.

Mnesilochus, under the false impression that Bacchis the Samian is in love with Pistoclerus

illum exoptauit potius? habeat. optumest⁽²⁾
decidetis to hand over the money intact to his father
decretumst renumerare iam omne aurum patri⁽³⁾.

This trick is quite in keeping with the Menandrian trick where, as the following short analysis will help to show, the planning mind behind the trick is always that of the master.

In the *Fabuli Incerti* of Menander Chaereas, Moschion's friend, seems to have promised to induce Laches, Moschion's father, to acknowledge the latter's marriage to the daughter of Cleaenetus. Chaereas pretends that Moschion is caught by Cleaenetus in the act of violating his daughter, that he is detained in custody and that his life is in great danger⁽⁴⁾. He adds that the girl had been promised to him⁽⁵⁾. Laches, to get his son out of all these troubles, approves of Moschion's marriage⁽⁶⁾.

(1) vss. 352 sq.

(2) vs. 502.

(3) vs. 516.

(4) cf. *Fab. Incert.* vss. 3-9. The verses of Menander's Comedies are numbered throughout according to the text of A. Körte, *Menandri Quae Supersunt*, Leipzig, ed. 3, 1938.

(5) cf. *Fab. Incert.* vss. 12-17.

(6) cf. *Fab. Incert.* vss. 29-32.

original. Kuiper⁽¹⁾ tries to prove that the two sisters are recognized at the end as free Samian women and daughters of Nicobulus. But the language and manners of Bacchis the Athenian would make it impossible for her to turn out to be a daughter of Nicobulus⁽²⁾.

Plautus' aim in transforming the play is clear from the fact that he changed it from a double deception plot into a triple deception plot. The three deceptions as we have them in Plautus are carried out by Chrysalus. Let us now examine the role of Chrysalus. He arrives from Ephesus (vs. 171) together with Mnesilochus (vs. 247) but he enters at vs. 170 while Mnesilochus' first entrance is at vs. 384. It is clear from this arrangement, and from Chrysalus' entrance monologue:

ueneroque te

ne Nicobulum me sinas nostrum senem

priu'conuenire quam sodalem uiderim

Mnesilochi Pistoclerum, quem ad epistolam

Mnesilochus misit super amica Bacchide.

that it was planned between the master and his slave that the latter should go in advance and see Pistoclerus, so as to find out whether he could discover Bacchis the Samian or not. It he

(1) *Grieksche Origineelen en Latijnsche Navolgingen, Zes Komédies van Menander bij Terentius en Plautus*. Noord-Holland'sche U. Mij 1936, pp. 204 sqq.

(2) cf. vs. 54

quid est? quid metuis? ne tibi lectus malitiam apud me suadent?
and vs. 67 sq

quid ego metuum, rogitas, adulescens homo?
penetrare me huius modi in palaestram ubi damnis desubleatur?
and vs. 81-84

apud me, n' amice, ut lepidus cum lepida accubet.
locus hic apud nos, quamuis subito uenias semper liber es:
ubi tu lepide uoles esse tibi "mea rosa", mihi dicito
"dato qui bene sit": ego ubi bene sit tibi locum lepidum dabo.

they involve the same motif *i.e.* the letter. But it must be admitted that each of these tricks must be regarded as separate and distinct instances of deception since the parody of a description of the siege of Troy (vss. 925-927) makes it clear that the city falls after three separate events. These three separate events are stated explicitly.

Ilio tria fuisse audiui fata quae illi forent exitio :
signum ex arce si periisset; alterum etiamst Troili mors;
tertium, quoniam portae Phrygiae limen superum scinderetur:
patria item tria is tribus sunt fata nostro huic Ilio ⁽¹⁾.

and each of these events is made to correspond to one of the tricks played upon Nicobulus. Chrysalus says:

nam dudum primo ut dixeram nostro seni mendacium
et de hospite et de auro et de lembo, ibi signum ex arce
iam apstuli ⁽²⁾.

The first deception corresponds to the first stage in the siege of Troy. Then there is no point in Hough's argument that the first deception does not count as Nicobulus lost no money, if Chrysalus counts it as the first deception. If we accept Hough's argument the play is left with one deception only, as Nicobulus gets back at the end of the play (vs. 1185) the money which he had lost in the third trick (vs. 1059).

After the first letter deception Chrysalus says:

post ubi tabellas ad senem detuli, ibi occidi Troilum ⁽³⁾.

And when the second letter is about to be foisted upon Nicobulus, Chrysalus says:

nunc superum limen sciinditur, nunc adest exitium Ilio ⁽⁴⁾.

If Plautus has made a play of three deceptions out of a play of two deceptions, he must have altered the structure of his

(1) vss. 953-956.

(2) vss. 957 sq.

(3) vs. 960.

(4) vs. 987.

Μεγαλοβυλὶς
quī nunc in Ephesus Ephesiis carissimus.

is also equated with Menander's

ὁδὸν Μεγάβυκος ἦν,
ὅστις γένοιτο ζάκορος (1),

As this fragment also comes from Menander's Δις Ἐξαπατῶν, Ritschl (2) came to the conclusion that Menander's Δις Ἐξαπατῶν was the original of the *Bacchides*. Prehn (3) tries to equate Menander:

ἐμοὶ παράστα- τὴν θύραν κόψας ἐγὼ
καλῶ τιν' αὐτῶν (4).

with

Quid dubitamus pultare atque huc enocare ambos foras? (5)
But this fragment of Menander is a formula which is found in different forms in Menander (6) and may belong in several places in Plautus' plays (7).

Leo (8) accepts the identification of the model of the *Bacchides* with Menander's Δις Ἐξαπατῶν, and sees in this play a case of contamination on the ground that in Plautus we have three tricks, a number which is inconsistent with the number in the Menandrian title. This argument is, I think, sound. Hough (9) tries to refute it by pointing out that the first deception is discovered and Nicobulus loses no money, and that the second and third tricks may be considered as one since

(1) cf. fr. 126 K.

(2) cf. *Parerga*, pp. 405-407; cf. also Legrand, *Daos, Tableau de la comédie Grecque pendant la période dite nouvelle*, Lyon et Paris, 1910, p. 16; G. Michant, *Plautus*, Paris, 1920, Tome I, p. 128.

(3) *Quaestiones Plautinae*, Breslau, 1916, p. 66.

(4) fr. 124 K.

(5) vs. 1117.

(6) cf. e.g. fr. 375 K.

(7) cf. Webster, *op. cit.* p. 21.

(8) *Geschichte der Römischen Literatur*, Erster Band, die archaische Literatur, Berlin, 1913, pp. 110-120.

(9) *The Development of Plautus' Art*, Cl. Phil. XXX, 1935, p. 55

In one of the last scenes there is a slave who enters with the conventional monody characterizing the good and bad slave (¹). He brings Bacchis the Samian and states the soldier's terms (²). He ends his description of the soldier (³) by a reference to his bragging:

ita erat gloriosus.

The soldier's parasite enters at vs. 573 and he takes after his master in bragging. He describes himself as "illius sum integumentum corporis (⁴)". It may be that frag. V was a reference by the slave who accompanied Bacchis the Samian from the harbour, to the resemblance between the soldier and his parasite in this trait.

The original of the *Bacchides* is generally attributed to Menander. Verse 816:

Quem di diligunt
adulescens moritur, dum ualet sentit sapit
is a translation of Menander's

ὅν οἱ θεοὶ φιλοῦσιν ἀποθνήσκει νέος (⁵)

which comes from the Δις Ἐξαπατών. Verses 808 sq.

(¹) cf. fr. 1

Quibus ingenium in animo utibilest, modicum et sine uernitate
and fr. 11.

uincula, uirgae, mors: saeuitudo mala fit peior.

(²) cf. fr. X

nec a quoquam acciperes alio mercedem annuam,
nisi ab sese, nec cum quiquam limares caput.

T.B.L. Webster (*Studies in Menander*, Manchester University Press, 1950, p. 178) assigns to this slave frags. X and XI.

(³) cf. fr. VII

latro sum qui auro uitam vendidit
scio spiritum eius maiorem esse multo
quam folles marini habent, quom l'ignescunt
petrae, ferrum tibi sit. Quotiens tibi ui-ust?
Prae-nestinum opino esse, ita erat gloriosus.

(⁴) cf. v. 601.

(⁵) cf. fr. 125 K.

senem illum tibi de lo ulteriore, lepide ut lenitum reddas⁽¹⁾.
After a while Philoxenus is infatuated by the sister.

Tactus sum vehementer visco ;

et stimulo foditur⁽²⁾,

and the following discussion takes place between him and Nicobulus :

PHILOXENUS : Viden hanc.

NICOBULUS : Video.

PHILOXENUS : Haud mala est mulier⁽³⁾.

If both the sisters are on the stage together and Philoxenus picks out one of them and says that she is attractive, then the two cannot be wearing identical masks.

Further, if they had identical masks, Lydus, the pædagogus, would have been struck by the resemblance when he entered their house at vs. 169, and would have mentioned it to Mnesilochus Nicobulus' son, when he gave him a detailed description of the scene which he witnessed vss. 477-488. This, of course, would have cut the drama short in the middle.

The reason for the misconception of the whole drama and the supposition that the two sisters looked exactly like one another is fragment V :

sicut lacti lactis similest.

Admittedly it is misleading especially in connection with *Menaechmi* (vss. 1089 sq.) :

neque aqua aquae nec lacte est lactis, crede mi, usquam
similius ;

quam hic tui est, tuque huius autem ;

which refers to the two *Menaechmi* who must have worn identical masks⁽⁴⁾. But in view of the evidence of the play, we need not take this fragment as referring to the two *Bacchides*.

⁽¹⁾ vs. 1150.

⁽²⁾ vs. 1158.

⁽³⁾ vs. 1161.

⁽⁴⁾ cf. *Miles Gloriosus*, vss. 238 sqq.

ut Philocomasio huc sororem geminam germanam alteram
dicam Athenis aduenisse cum amatore aliquo suo
tam similem quam lacte lactist ;

THE BACCHIDES OF PLAUTUS: ITS PLOT AND ORIGIN

BY

WAHEEB KAMEL

The *Bacchides* has very often been supposed to require two identical masks if it is to be staged at all.⁽¹⁾ An examination of the play will show that there is no need for this supposition.

The two sisters are together on the stage in two scenes (30-108 and 1121-end). In the first scene Pistoclerus, the young lover, is watching them talking and wonders what the two sisters are about, but he does not utter a word about the resemblance of the one to the other. Pistoclerus, however, makes a point of repeating by way of exposition, that they are sisters and of the same name :

Quid agunt duae germanae meretrices cognominēs ?⁽²⁾

In the other scene (vss. 1121-end) each of the two fathers, Nicobulus and Philoxenus, is inveigled by one of the sisters. Philoxenus is the easier of the two to entice. Bacchis leaves him to her sister to pacify :

(1) cf. e.g. A.S.F. Gow, *On the use of Masks in Roman Comedy*, *J.R.S.*, vol. II, 1912, pp. 65-77; H. Iaw, *The Metrical Arrangement of the Fragments of the Bacchides*, *Cl. Phil.*, vol. XXIV, 1929, pp. 197-201; W. Beare, *Masks on the Roman Stage*, *Cl. Quart.*, vol. XXXiii, 1939, pp. 139-146. He says, p. 143: "One of the most popular themes of Middle and New Comedy was the comedy of errors, produced by exact facial resemblance between two peoples... The example of Shakespeare warns us that masks are not essential to the performance of such plays, but they would be very useful, and their existence may have suggested to the dramatists the very theme of mistaken identity. A feature of such plays appears to have been that the doubles should sooner or later confront one another; this is, at least, true of our only extant example: The *Amphitruo*, the *Bacchides*, and the *Arcutor*".

(2) vs. 39. Note *germanae*. "*Geminae*" does not occur in the play.

The presence of the cemetery on a little eminence in the middle of the estuary, as has been already described, and the fact that it has not been affected by the torrential waters of the Wadi throughout that long period, doubtless raise very important problems connected with the physiographic history of the Wadi.

Indeed the new discovery is of great importance, for it has not only furnished us with a new culture to be added to a whole series of known Egyptian Cultures in Predynastic times, but it has also added great weight to the view upholding the cultural superiority of Northern over Southern Egypt before the rise of the dynasties;—a view which has not been favourably accepted by certain archaeologists owing to the supposed insufficiency of archaeological evidence.

As to the racial type to which the owners of that new culture belong, it seems that, although the anthropological study of the human skeletons found is not complete yet, these people do not differ from those who are known to us from various excavations and who lived during that period in other parts of Egypt, and who in Pharaonic times are known to belong to the Hamitic stock. It is indeed expected that further anthropological study will greatly contribute to our knowledge of those people. During the excavations we noticed that certain graves, rich in the archaeological material they contain, seem to agglomerate in the heart of the cemetery; some of them have the borders of the pits lined with limestone blocks, while others, especially to be seen in that part of the cemetery which lies in the west, are to be distinguished by their deep hollows and the complete or almost complete absence of artefacts (Fig. 8). It is not unreasonable, therefore, when the investigations are finally completed, to expect to find certain racial, or at least, social differences amongst the in-habitants of that region in that particular period.

The Cemetery comprises skeletons of male and female adult persons, as well as skeletons of infants. In several graves were found ground sheets of animal skins, and traces of papyrus matting. Worthy of note is the presence of several pots, on the surface of the ground outside the graves perhaps placed there in order to define groups of family graves. In the western part of the cemetery animal burials have been found, and in some cases pottery vessels were buried with the animals. Four of the skeletons found belong to gazelles, one to a dog of the Seluki type, and one perhaps to a pig. Animal burials have been found in Heliopolis; and it is possible that the animals were a kind of sacrifice to the dead, or perhaps they represent deities belonging to that locality during that remote period.

Our study of the modes of burial has shown that the majority of the skeletons have their head directed towards the South, and their faces towards the East. In that they are similar to those of Heliopolis. But cases do exist which do not agree with this general rule; these, however, form a minority. The new Digla Cemetery differs from that of Maadi in that its graves are richer, not only in ceramic ware but also in alabaster vases and in the palettes made of limestone, basalt or slate, and in the presence in the graves of flint implements of the blade industry as well as in the ornaments found which include combs, strings of beads and bracelets made of shells, and Nile and Red Sea shells (fig. 5) Some of the pots found are covered with lids, while others possess imprinted neck decoration and are supplied with peculiar knobs (fig. 6 and 7). Owing to the richness of the graves, and their material superiority, one is inclined to think that the Digla Cemetery belongs to a culture more or less distinct from that of Maadi, discovered some twenty years ago, and the excavation of which is not finished yet. We must consider the newly discovered cemetery as belonging to a settlement which has not been found yet, and which could not have existed far from the cemetery, perhaps in the estuary of Wadi Digla itself, or on the south side of the Wadi in the region opposite the Predynastic Site of Maadi, and which at present lies within the grounds of the Turah Prison.

It became clear, as soon as the excavations commenced that the site is occupied by a predynastic Cemetery over which was constructed during the Second World War, an extensive military camp, which caused the destruction of a big portion of it. The area excavated, during this Season covers about 2,000 metres, and the number of graves discovered is about 200. A large area however remains untouched, and will be, it is hoped, the field of our activities in the coming season.

The burials are found at a depth ranging between fifty and eighty centimetres from the surface of the ground, and there is evidence to show that the original surface has been tampered with. They are simple hollows, round or oval in shape, their depth in the virgin-soil not exceeding half a metre. In these hollows the dead used to be buried in the customary bent-up position of the Egyptian cemeteries of that period. With the dead were buried some of the objects which man utilised during his lifetime, especially pottery vessels, perhaps because of the belief of the immortality of the soul and of the possible need of the dead for food and drink in his afterlife (fig. 1 and 2).

The comparison of the objects found in these graves with those of the graves discovered at Maadi in 1942 and excavated in 1947, and those discovered at Heliopolis in 1950, has shown that the new Digla Cemetery comprises three principal types of ceramic wares: the first is the smooth red oval ware with a base-ring, the second is the ovate black polished ware with a flat base (fig. 3) and the third is the long-ovate black polished ware with a flat base (fig. 4). The first types link the Digla material with the Maadi Culture, while the third type links it with the Heliopolis Culture. It is on account of that and on the basis of further evidence furnished by other archaeological material as well as by the burial customs, that we believe that this important cemetery dates from the Middle Predynastic Period, viz. about 4000 B.C. It seems, however, that we shall not be far from the truth if we place it a little later than Maadi and perhaps contemporary with Heliopolis.

EXCAVATIONS IN WADI DIGLA

First Session Report (1951-1952)

BY

MUSTAFA AMER and IBRAHIM RIZKANA

DIRECTORS OF THE EXCAVATION: Professors Mustafa Amer and Ibrahim Rizkana.

ANTHROPOLOGICAL EXPERT: Professor Ahmed El-Batrawi.

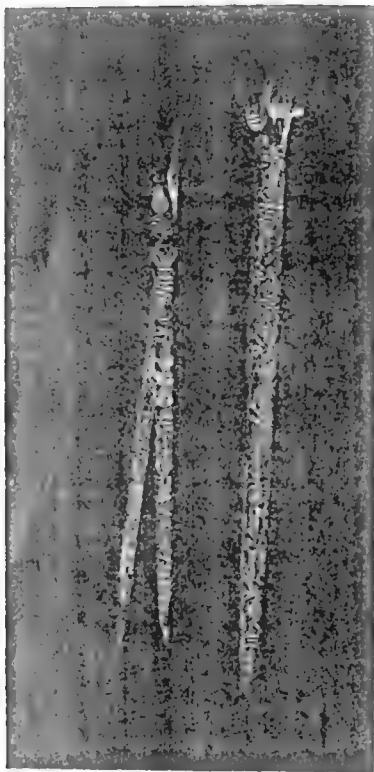
SURVEYOR: Mahmoud Kamel Hassan.

DURATION OF THE SESSION: October 12th, 1951-June 22nd, 1952.

GENERAL CONCLUSIONS: The Discovery of a new Predynastic Culture.

* * *

On October 12th, 1951, while the Egyptian Delta Land and Investment Co. Ltd. was busy opening new roads in the locality occupied by the estuary of Wadi Digla to the South East of Maadi, there appeared the remains of human bones and pottery vessels. The preliminary examination of the pots found showed that they belong to the types already known from the Predynastic Site at Maadi, situated about one kilometre to the North, where we have been excavating for years. When it was finally decided to excavate the new site, the Egyptian Delta Land and Investment Company, which owns the site, kindly agreed to stop its work until the place is excavated and the archaeological study is completed. For the most generous help both material and moral it was offered, we owe the company our best thanks and deepest gratitude.



LEFT: E.M. N° 27330 — BRONZE — L. 6"

RIGHT: E.M. N° 41898 — BRONZE — L. 8½"

Photos, Courtesy of the Egyptian Service of Antiquities



E.M. No. 33301 — DOLERITE Ht. 98 cm.
Ht. Base 15 cm. FOUND AT MIT RABINEH. Photo,
Courtesy of the Egyptian Service of Antiquities



FIG. 8

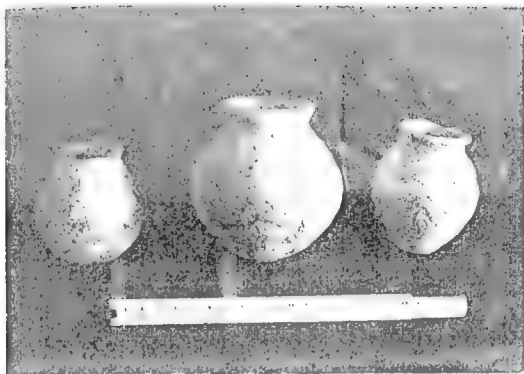


FIG. 6

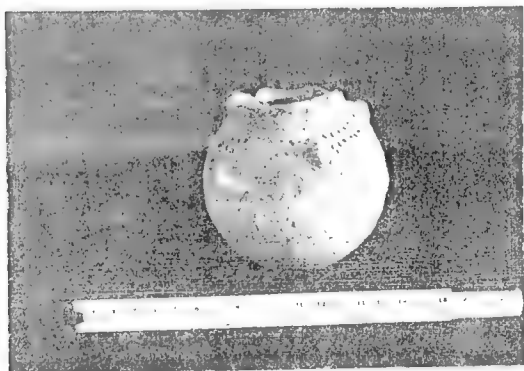


FIG. 7



FIG. 5



FIG. 3



FIG. 4



FIG. 2



FIG. 1

reliefs we observe the constant adjustment of individual characteristics to a traditional order countered with sufficient tolerance to allow the human figure its bid for personality. The principle of Maat, wisely and judiciously applied to Egyptian sculpture, allowed the artist as much or more freedom as that enjoyed by the academicians of Greece and Rome. It is quite possible that the three dimensional tradition in Egypt endured so many centuries because the sculptor's hand was not paralyzed by an unalterable canon. Had one been rigorously enforced, perhaps the art would have been doomed to an early decadence.

During the Late Period the modular unit was applied with considerable regularity in free standing statues presented in upright (E.M. n° 930), seated (E.M. n° 879) and squatting (E.M. 826) positions. In the well-known Queen Amenartais (E.M. n° 930), the module recurs with remarkable uniformity. The total height is 21 units, the chin falls at 18, the bottom of the wig at 16 and the navel at 13. The necklace is exactly one unit wide, the back pillar 3 units at the base and the frames of the inscriptions are 2 in width. Art of the Late Period is traditionally classified as being renaissance of Old Kingdom styles. The precision in the application of the modular unit in the IVth dynasty Kephren and the XXVth dynasty Amenartais seems to confirm this opinion.

Curiously enough the modular system was not overwhelmed during the Ptolemaic period. A statue of a standing youth bearing a naos dedicated to Harpocrates (E.M. n° 973) made good use of it. Perhaps even more striking is the regularity of this system in the granite portrait of a Roman officer (E.M. 50047). Nor was the module restricted to the statuary. Its application is very much in evidence in anthropoid sarcophagi (E. M. n° 654 and 1308) and ushabtis. In both it occurs in the ear, twice in the width of the face, two or three times in its height, and elsewhere in the decoration, *i.e.*, horizontal bands framing the inscriptions as well as the principal insignae and symbols (¹).

The modular unit was then used as a design element based on dimensions of facial parts. It was probably more instinctive than intellectual. Like time in music it set the beat, the repetition of which worked rhythmically throughout the composition. Although consciously manipulated by the master sculptors we are oblivious of its mechanics. More than on the

(¹) The proportion of head to body in sarcophagi varies considerably from 8-1 to 3½-1. If the latter were at all connected with a canon it could only have represented that of a child.

to give. Of all the statuary revealed to date, the Kephren may be taken, not as the first but as the classic example in the use of the module.

But we should not forget that even at this early period the module did not function as a canon. There were as many proportions of head to body as there were individual types. General dimensions could have been regulated by the characteristics of the person, his rank, age, by the material and perhaps even the placement of the work. But that a basic unit was used to set up a metrical pattern within this work can hardly be denied.

It is interesting to note the confusion and complication which beset the proportioning of the Middle Kingdom statuary⁽¹⁾. Even reliefs revolted against known canonical systems. From the searching portraits of kings down to petty officials there is considerable evidence of individuality overruling established proportional types. Portraits of Pharaoh Amenemhet III (E.M. 6061) are severe and uncomfortably stiff and the ears appear unduly prominent; yet for all their emphasis they comply with the modular unit which was faithfully preserved.

Nor does the red granite statue of Ramses II (Alexandria Museum n° 359) conform to Murray's theory for the New Kingdom. Taking the distance from hairline to shoulder we find it to be one-eighth of the figure. The module, however, occurs not only in the face, the width of the palm and the panther's head on the tunic, but also in the figured reliefs carved on the left side.

(2) Notable irregularities can be observed in the seated statue of XIXth dyn. Pharaoh Mentu-hotep II found at Deir-el-Bahari, the schist statue (E.M. n° 400) of the Pharaoh Tutmosa III, in which the ear is exceedingly small, and the standing granite priest Mentemhot (E.M. n° 935) of the Late Period. In these attempts toward unrestricted realism we find the module working in other proportions. There are 3 units in the face height from chin to nose, nose to brow and brow to hairline. Here we are closer to average facial proportions. But even in the exceptions the modular unit continues to play its role.

it should be noted that when the modular unit travels up the figure it usually coincides with the base or tragus of the ear.

But the ear was often covered by the wig and this causes one to seek another basis for the module. Fairly consistent has been found the distance between eye centers. And the length of the eye, whether it be of the narrower gibbous type is generally one-half the modular unit. The prime vertical of the statue from the front is located at equal distance between the eyes. As one of the most frequent symbols used in the funerary rites the eye signified vision in the Ari and divine guidance in the Uzat, the sacred eye of Horus. To artists of all ages the eye has been regarded as the entrance of the temple of the soul. Apart from any symbolic connotation it might well be considered as the factor influencing the module. However, it would seem more probable that the combination of the four elements in the head, the eye, ear, chin to nose dimension and nose to hairline formed a composite criterion.

In the diorite portrait statue of the Pharaoh Kephren (E. M. n° 138) we have found a perfect example regarding the use of the modular theory. The distance between eye centers is repeated in the width of the hand, the length of the ear, distance from hairline to nose and nose to chin, half the width of the face, length of the auricular, and width of the ankle. The eye length equals the width of the ear, that is to say one-half unit. We find it exactly 6 times in the height of the seat, seven to the top of the knee, 15 to the height of the shoulder, and 17 to the tragus of the ear. The back of the throne is 7 units wide and 17 high. And the hawk embracing the head is 4 units from head to tail. At its base the tail is one unit wide. The overall dimension of the statue is 21 units.

There is nothing obvious to the eye in the repetition of the modular unit in the Kephren, yet it definitely exists. The parts have been adjusted into a complete and indivisible synthesis which surface perfection and emotional control alone would have failed

With the palm width as a fixed gage the artist would then be free to use this device repeatedly throughout the execution of the statue. However, it should be well understood that these were not always life size or half or fourth or third life size. Once the system of the module had been well established, it may have been no longer necessary to use the width of the palm as the base measurement since it was subject to change as the hand was extended, flexed or clenched. Moreover, it can be noticed that the hands of the feminine effigies are narrower proportionally and do not agree with their module. It seems, therefore, that the modular unit, if originated on the palm, might have settled for a more reliable source of measurement. Let us consider certain possibilities.

The ear has always been a prime reference in portrait sculpture. In Egyptian statues it was frequently the center of the head in profile and from it radiated equal distances to the junction of the neck and shoulders, the chin, nose, forehead and often the back of the head. Since the European Renaissance successive generations of sculptors have used the opening of the ear between the tragus and antitragus as an important external reference on the head. All other features, including the brow, the mouth, and the chin are subject to change owing to fatigue, emotion and inclination of the head. The position of the auditive conduit, protected by the tragus, remains constant since it is directly connected with the skull. The emphasis given the ear in many Egyptian statues suggests that it figured in the total composition. P. Moutet, discussing the customs of the New Kingdom, mentions, the representation of ears on stelae intended to aid the Gods in hearing the people's pleas and prayers⁽¹⁾. Not only is the ear to be considered as an organ of hearing, it also symbolizes stability and equilibrium. Its location relative to the height of the mouth, nose, the eyes and the brow varied considerably. It is often placed higher than normal. Nevertheless

(1) P. MOUTET, *LA VIE QUOTIDIENNE EN EGYPTE*, 1946, p. 224.

be accurately used to account for the proportion of the finished sculpture. But the modular unit is more to be considered an aesthetic factor which provided a flow of measured cadences. We may regard canons to have been mechanical directive more or less laid out by ecclesiastical authority; the modular unit is more apt to have been an artistic arrangement falling within the sculptor's province. The discussion naturally develops the question of what might have been the dimension upon which the module was based.

Writing on the canons Edgar suggests that if a particular measure corresponded to the various parts of the figure "it was the palm".

If the palm was accepted as a standard of measurement of length, then it does not seem unreasonable that we should consider its importance as a proportional regulator in the art. Since it is necessary to have an easy reference for unit of length in commerce and industry as well as architecture and sculpture, the palm of a man would have been convenient. With his systematic observation of nature, the ancient Egyptian could not have failed to notice repetition of approximate handwidths in the human figure⁽¹⁾. After having taken scores of measurements on the collections of the Egyptian museums, we have observed that the palm bears a definite relation in male statues. Its width compares favorably with the ear lengths, distance between eye centers, chin to point of nose region, nose to hairline, and the width of the head is twice the dimension of the unit. These formed the face into a square of four units and gave the typical short type of the Old Kingdom. The sculptor definitely followed an ideal canon for the head.

(1) In ancient Egypt the standard unit of length was the cubit or ell. It was first a multiplication of 6 palms or 24 digits (fingerwidths). According to Muckay the cubit was changed in dyn. XXVI and amounted to 0m 52½ consisting of 7 palms and 28 digits. The canon grid on relief of the Late Period seems relative to this conversion. See GARDISER, EGYPTIAN GRAMMAR, pp. 197-200.

control of a modular system at least as early as the intermediate stages of his work⁽¹⁾. It will be noted that the stone has been roughed out in well-defined blocks and cylinders. On measuring it was found that the figure does not conform to relief canons suggested for the Late Period, which some observers have so carelessly accepted for the statuary. The hairline to shoulder dimension approximates a 10 to 1 ratio. We admit that this might have been brought into adjustment as the carving progressed, but we should not overlook a definite repetition of a fixed measure throughout the piece as it stands.

The height of the face is neatly divided horizontally in two equal units. Taking either one of these as the basis for the modular dimension, we report that the face is 2 units wide as is also the base of the naos. The hands and the column supporting the naos are each roughly one unit wide. The height from sole to base of naos is 6, from base to top of naos 5, from that point to the chin 3, making a total of 16 units from sole to hairline. The modular unit also occurs in the widths of the back pillar and the apron edge.

After measuring, more, or less at random, over one hundred statues, the theory of the modular unit has been found over seventy-five per cent effective.

It should be clearly understood that the purpose of this paper is not one of denying the possible existence of a canon as such. Confusion on the subject arises most probably because there were likely several canonical systems used by different schools and studies over the long reign of the Egyptian sculptor.

Neither the theory of a canon nor the modular unit eliminated the other. It is quite possible that some sort of canon was used in the preliminary stages of a statue and that it could have been modified or converted into a modular control of volumes as the work was brought to completion. Certainly the relief grid cannot

(1) C. C. Edgar, *op. cit.*, described on p. 1.

is a considerable difference between a measurement taken with a tape or stick as against one taken with calipers. This traditional instrument of the sculptor gauges the distance between two points; all projection or depression in between is eliminated. Reliefs and wall paintings were obviously laid out with rulers. But these could not satisfy the artist who was obliged to establish complete three dimensional control.

Although assigned to the Graeco-Roman Period, two sets of calipers in the Cairo Museum open the possibility of this tool having been used in sculpture. One is a small proportional divider (E.M. n° 27880) which has been fixed by corrosion to a ratio of approximately two to one⁽¹⁾. The second is a simple caliper (E.M. n° 41808) which could have been most useful in maintaining dimensional control. Both instruments have been made additionally helpful by their having digit marks scored out on the side of each blade.

In our preliminary survey of sculpture in Egyptian museums many instruments were used; however, as the project continued they were gradually eliminated but for a set of calipers of the same size and type as mentioned above. After detailed observation and constant reexamination it is our considered opinion that Egyptian statuary was more or less governed, not by a formal canon, as much as by a modular unit which was employed throughout the sculpture. The module was used more as a scale in architecture than as an academic canon. The head varied considerably in respect to overall dimensions, allowing the artist to manipulate and adjust his work to existing conditions of subject, material and special setting.

The operation of the module can be best demonstrated in the standing figure. The unfinished statue (E.M. n°33301) which we have excepted from others revealing obvious reasons for their abandonment, indicates that the sculptor was in

(1) C. C. EDGAR, GREEK BRONZES, 1904, description p. 63, illus. pl. XIX.

frequently marked out with many more lines than would be necessary for a skilled artist to establish accurate facial proportions. It is possible that these pieces were used for teaching apprentices the problem of condensing form from round into relief.

With the exception of unfinished statues mentioned above one of which (E.M. n° 33301) will be discussed later, the bulk of this material has not been found sufficiently reliable to assist us in finding a key to a system of quantitative or proportional analysis. In one respect, however, they conform to an important feature of the grid used on reliefs in that all linear indications are terminated at the junction of headdress and forehead (hairline). Various explanations can be advanced, the most reasonable being that in the average adult, the height from sole to hairline is generally twice the distance from sole to base of hip. Such a convenience does not exist if the overall height of the body is taken in consideration. This division into two equal parts clearly defines the principal zones of the typical standing statue; compositionally the face and trunk constitute the passive elements while the area of locomotion is restricted to that of the upper and lower legs. The variations of style in wig, headdress or natural coiffure throughout the dynastic epoch did not therefore interfere since all three were always located between the crown and the brow⁽¹⁾.

Before turning to the measurement of the statuary it is necessary to make some indication of procedure. It appears that many investigations have been based on dimensions taken from photographs without making sufficient allowance for visual distortion and foreshortening. All evidence used in the following discussion has been taken directly from the statuary.

Should we desire to understand the methodology of the sculptor we must consider the tools he might have used. There

(1) For a less realistic discussion, see R. A. SCHWALLER de LUBIEX, *LE TEMPLE DANS L'HOMME*, 1949, chap. II.

headlengths to the body than those of commoners, while in some instances it has been observed that the legs are increased in length to give emphasis and dignity to the subject. Yet there was usually a harmonious relation of parts in the statuary.

It is, therefore, suggested that several different systems might have existed, both for relief and for round (1). Considering the question of three dimensional proportions we take occasion to refer to the observations of C. C. Edgar on unfinished royal heads, sculptor's models and unfinished statues. With but few exceptions the latter have been abandoned by the carvers for obvious reasons of error in design or cutting. It should be noted that some of the carving was too deep; that the material or the modeling got out of control. It is unfortunate that all of these examples can be attributed to the Late Period, a rather eclectic and mechanical moment in art. These works are valuable however, not only as exhibits of technical procedure but for the guide lines which have been scored out upon them. Prime verticals, both frontal and profile, appear frequently along with the horizontal scorings for the location of heads, shoulders and knees. When measured however, they do not always conform to the grids on the reliefs of the same period. The head and foot (usually left) studies on display at the Cairo Museum and published by Edgar, should be considered in the light of their author's judgement: "they are apparently models for the instruction of beginners (2)". Recalling the disciplines imposed by master sculptors on their students—the reproduction of heads and feet which are known to be the most difficult areas of the human figure to render—the above-mentioned studies could have served as excellent technical exercises and subjects for examination. This opinion is supported by the fact that these works are neatly separated from the body, often engaged to a block and

(1) G. MASPERO, *ARCHÉOLOGIE ÉGYPTIENNE*, p. 163, "Leur enseignement était de routine et non de théorie".

(2) C. C. EDGAR, *SCULPTORS' STUDIES AND UNFINISHED WORKS*, *op. cit.*, p. V.

equation", however exceptions are too frequent to permit our acceptance of the grid system as a device worthy of consideration as a classical canon. Nevertheless the grid system does seem to have been more than a convenience for transfer and enlargement ⁽¹⁾. And there can be no doubt that a sculptor designing a relief would be obliged to resort to some sort of regulating device in order to retain the unnatural presentation of the human figure in combined frontal, three-quarter and profile. It could have served effectively in restricting pictorial representations to the architectural scale of the site.

But there are so many exceptions to the canonical theories advanced that it becomes unreasonable to reduce them to any fixed quantitative definition. From measurements taken on reliefs assigned to different periods of the artistic production, it appears that the head might have been the only part of the figure under strict control since overall proportions ranged from six to eleven headlengths. Obviously these questions deserve additional study, however, the purpose of the present investigation is to seek out the proportional system used in the statuary. Transferring the linear divisions of the reliefs onto free standing sculpture does not often work satisfactorily. It is unfortunate that many authorities on the subject have allowed this explanation to continue unchallenged. Grids on the reliefs were theoretically intended to control the figure horizontally as well as vertically. But this does not seem to carry over in the sculpture. To take but one example from scores, the Boston Mykerinus has over four headwidths in the shoulders, while a three-quarter statue of the same IVth dynasty king on a triad in the Cairo Museum (E.M. n° 149) measures but three and one-half headwidths in the same zone. Often effigies of royal and noble personages contain more

(1) C. C. EDGAR, REMARKS ON EGYPTIAN SCULPTORS' MODELS, in *Recueil de Travaux Relatifs*, 1903, p. 143. "M. Perrot on the other hand maintains that the squares served merely as a means of guiding the workmen in transferring a small scale design to a larger surface: it was simply the familiar process... *mise en carreau*".

sculptors models of the Late and Ptolemaic period⁽¹⁾. Mackay has concentrated on wall drawings of the Theban tombs of the New Kingdom⁽²⁾. One of the most detailed studies on the Egyptian canon has been published by M. A. Murray⁽³⁾. This study, although founded primary on wall reliefs, is intended to account for the proportioning of the human figure in both the two and three dimensional aspects of sculpture. As can be noticed in several reliefs and drawings either on wall surfaces or ostracas, the Egyptian artist laid out a square grid of more or less evenly spaced horizontal and vertical lines. Their purpose seems to have been twofold, one of establishing a proportional regulation (canon), the other of maintaining control of balance between the various pictorial components of the composition. In the standing figure the prime vertical ran from the center of the ear down through the trunk to the ball of the trailing foot. Each square was figured as half a unit and the standard of measurement is based upon the one unit gaging the distance from the point where the headdress meets the forehead to the junction of neck and shoulders.

Units ranged down the figure locating approximate positions of such parts as the base of the hip, the kilt and the knees. According to Murray the proportion of the prime unit was one to eight (18 squares) in the three Kingdoms and in certain reliefs of the Late Period. For the balance of the Late Period and the Amarnian interval the relationship was one to seven.

Unfortunately these assertions are correct in less than one half of the reliefs which we have measured. Furthermore they are based only on the male figure. Murray, it is true, makes allowance for the "individuality of the sculptor" and "the personal

(1) C. V. EDGAR, *SCULPTORS, STUDIES AND UNFINISHED WORKS*, 1906. *Catalogue Général des Antiquités Égyptiennes*.

(2) E. MACKAY, *PROPORTION SQUARES ON TOMB WALLS IN THE THEBAN NECROPOLIS*, in *Journal of Egyptian Archaeology*, vol. IV, 1917, pp. 74-85.

(3) M. A. MURRAY, *op. cit.*

or width of the foot, one-third or half of its length, the length of the medius or the distance from hairline to shoulder are known to be exact in some pieces, yet none work consistently throughout (¹). Any one dimension repeated in the stone sculpture of a given period may not function in statues of wood or metal even of the same period.

The problem is further complicated with vague terms and unmentioned sources of the works measured. M. A. Murray has interpreted the canons for the Late Period as being nine heads for the figures of the King and eight heads for less important persons (²). E. M. Guest has written, "The canonical division of the head is taken from the brow to the shoulder and this is one-ninth of the whole in the Old Kingdom, Middle Kingdom and New Kingdom and one-seventh in the Late Period (³)". Such contradictions would seem to indicate that further investigation is in order.

Before proceeding it becomes necessary for us to know exactly what is meant by the term canon. This investigation has been developed with the understanding that a canon is a critical standard disciplining the proportions of the human figure as represented in art form. The canon of Leonardo da Vinci, for example, was established on the basis of seven and one-half heads to the overall height of the body as well as the transverse dimension of the horizontal armspread. When the male figure stands with arms stretched over head the navel is located at its radial center. The various parts of the body are, therefore, assigned fixed relationships to the head.

Authoritative opinions have been expressed relative to observations made on various source material. Edgar's studies have been developed around unfinished reliefs and the so-called

(¹) J. CAPART, *LECONS SUR L'ART EGYPTIEN*, 1920, pp. 129-131.

(²) M. A. MURRAY, *EGYPTIAN SCULPTURE*, 1930, chap. I.

(³) E. M. GUEST, *THE INFLUENCE OF EGYPT ON THE ART OF GREECE*; in *Ancient Egypt*, June 1930, part II, pp. 45-54.

A MODULAR SYSTEM IN PHARAONIC STATUARY

BY

MARK RITTER SPONENBURGH

American Research Center in Egypt

Ptah, protector of the arts and master of creativity, was also known as Lord of Maat. The word Maat was not only identified with the goddess of truth and justice but bespoke a principle which permeated every organized discipline of the civilization. It signified tolerance, adjustment and balance. As a concept of universal relativity, created by man and focussed upon his *modus vivendi*, the Egyptian summarized this unity in an idealitic image of himself.

That the sculpture could have achieved, and over so many centuries preserved, a harmonious interpretation of the human figure strongly suggests the existence of a well established tradition of proportion. It seems perfectly logical that sculptors attaining such mastery over form and material would have formulated a standard of measurement. We are here concerned with a set of conditions governing the official art and conforming to the predominating themes of the religion. This investigation does not in any way include unofficial or popular expression, in which we are apt to find the impulsive enthusiasm of the untutored artist—the spontaneity of the creative act.

Many formulae have been advanced as the basis for a proportional law governing the figure in Egyptian statuary, yet none withstand the test of general application. Canonical systems based on certain dimensions within the body such as the length

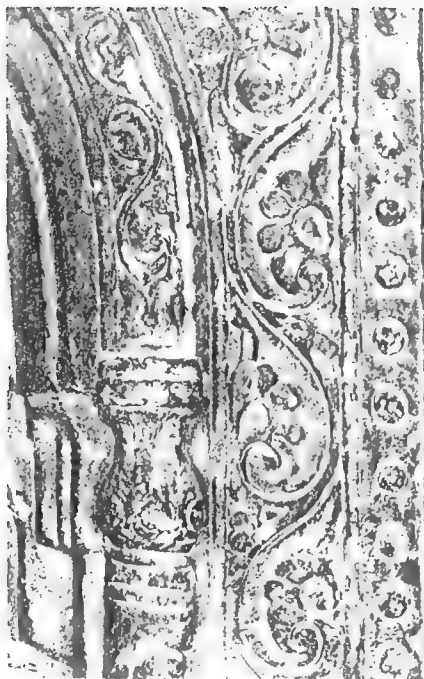
probably introduced from other Islamic countries, mainly from West Islām which was quite natural to happen with the Fāṭimid invasion of Egypt.

b) Local features of Ṭūlūnid or more precisely of Sāmarrā origin that show an apparent transition stage of evolution.

Conclusion — In view of the evidence provided by all these features I am strongly tempted to suggest the end of the VIth cent. H. (Xth. cent. A.D.), as a more reasonable date for that particular Mihrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn.

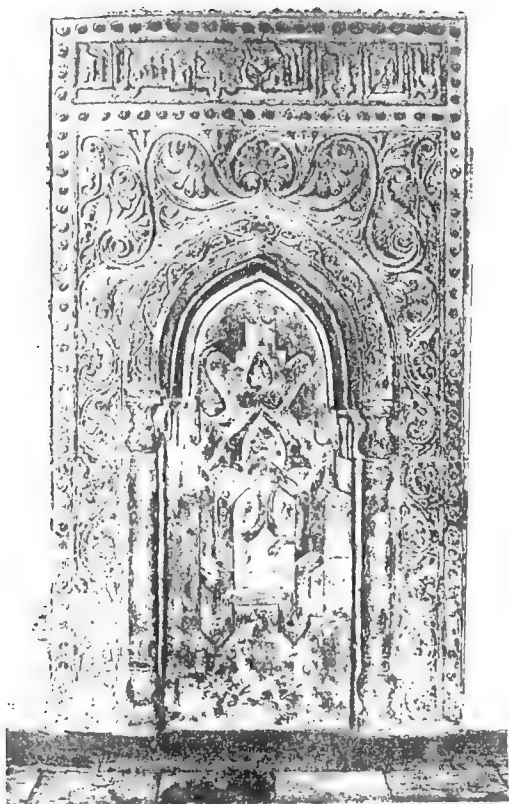
BIBLIOGRAPHY

- CREWSELL (K.A.C.): Early Muslim Architecture, Vol. I, Umayyad, Oxford, 1932.
Vol. II, Umayyad Spain, Abbāsid and Ṭūlūnid, Oxford, 1940.
- Idem.* : Muslim Architecture of Egypt, Vol. I...Oxford, 1952.
- FLURY (S.) : Die Ornamente der Ḥākim—und Ashar Moschee, Heidelberg, 1912.
- Idem.* : Samarra und die Ornamentik der Moschee des Ibn Ṭūlūn. (Der Islam, IV 3 Textabb., I Taf., pp. 421-432, Berlin, 1913).
- HERZFELD (E.) und SARRE (F.): Archæologische Reise in Euphrat—und Tigris Gebiet, 4 vols., Berlin, 1911-20.
- HERZFELD (E.) : Damascus, Studies in Architecture, I. (Ars Islamica, vol. IX, pp. 1-33, Figs. 78.). Ann Arbor 1942.
- KÜHNEL (E.) : Maurische Kunst. Berlin, 1924.
- MAḤMŪD 'AKKŪSH : Al-Ḥāmi' at-Ṭūlūnī (the Ṭūlūnid Mosque, in Arabic) Cairo, 1927.
- MAUR AIS (G.) : Manuel d'Art Musulman, L'Architecture. 2 vols., Paris 1926.
- RICARD (P.) : Pour Comprendre L'art Musulman. Paris, 1921.



[Farid Shāfi']

Pl. II
DETAIL from Pl. I



Pl. I

[Facid Shāh'i.]

MOSQUE OF IBN TULUN — EARLY FATIMID MIHRAB

closely in contact with the others so that no background may be visible between the elements. In spite of the apparent presence of that characteristic in the mihrāb, yet we notice that each of the compact winged-leaves, forming the greater part of the decoration is, in fact, a frame enclosing a split-palmette which has a convex section, while the space between it and the winged-leaf

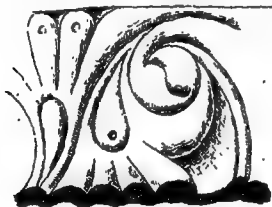


FIG. 24

Mosque of Ibn Tūlūn,
Early Fāṭimid Mihrāb

frame is concave (Fig. 24)

The concave section of this space makes it look as if it were a modelled background for the split palmette, a feature not known in Sāmarrā.

Another characteristic of Style "C" is the growth of one element from another, the connecting stems are too short to be noticed. In our mihrāb the leaves grow one from the other true to Sāmarrā tradition, but the stems are quite elongated and clearly visible.

To conclude the remarks about the floral decoration of the mihrāb, I admit that it has no parallel in Fāṭimid stucco-work, yet it has a good one in the decoration carved on the wooden tie beams of the arches carrying the central dome in the Mosque of al-Ḥākim⁽¹⁾.



The evidence collected from the analysis of the mihrāb in question can be summarised in two groups as follows:—

(a) Features that made their appearance, or at least became to be frequently used, since the early Fāṭimid period, and most

(1) CHESWELL: N.A. E.R. I, Pl. 20 b.

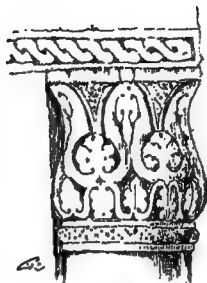


FIG. 22
Mosque of Ibn Tūlūn.
(Cresswell, I, Pl. 107, d)

in the Dair as-Suriāni (Fig. 23). One of the chief characteristics of 'Abbāsid ornament of Style "C" is the idea of crowding the elements and to make them too close together so that no back-ground is left in between. This idea is not honestly followed in the capitals of our mihrāb. The ornament is simplified to an elongated leaf with internal grooves distributed palmette-wise, and triangular spaces between the tops of the leaves occupied by two-lobed ones. It is quite clear here that some evolution has taken place and most probably happened not in the Tūlūnid period, but in a later stage in the early Fāṭimid period.



FIG. 23
Dair as-Suriān,
913/4.
(M. de Villard:
Wādi en-Natrūn
Pl. II)

* * *

Lastly we come to the compact floral ornament in the architrave of the arch, in the spandrels and in the vertical bands flanking the columns. The above-mentioned characteristic of Style "C" of Sūmurrā is quite clear here, *viz.* each element is placed so

axis and again placed, reversed this time, on the other side of the axis. The examples can be seen in the Mosque of Sidi bel-Ḥasan, end of XIIIth cent. A.D. ⁽¹⁾, and became very frequently used in the XIVth cent. A.D. in N. Africa and Spain, *e.g.*: in the Mosque, of Abū Madian, at Tlemcen ⁽²⁾, 739 H. (1339); Rabāṭ, Shella, Tomb of Abu'l Ḥasan, middle of XIVth cent. A.D. ⁽³⁾; Granada Alhambra, 2nd half of XIVth cent.; Sevilla, Alcazar, XIVth cent. A.D. ⁽⁴⁾ etc.

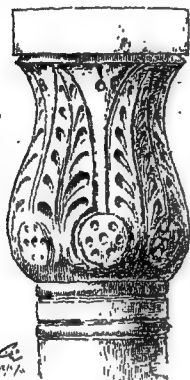


FIG. 11

Mosque of Ibn Ṭūlūn,
Early Fāṭimid Mihrāb

These examples leave little doubt concerning the origin and home of this feature. West Islām. was the place where it first appeared and where it made its successive steps of evolution.

Thus, we are tempted once more to think that the Fāṭimid invasion of Egypt was again responsible for the appearance of this Maghribi feature in the mihrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn.



If we come now to the floral ornament we notice an apparent evolution in the decoration of the capitals of the two engaged columns carrying the outer arch (Pl. II, and Fig. 21). We have a good opportunity for comparison with the many examples of capitals from the Mosque of Ibn Ṭūlūn (Fig. 22) and the later capitals.

⁽¹⁾ MALCAIS, II, Fig. 355.

⁽²⁾ Ibid., II, pp 489 ff.; RICARD, *op. cit.*, Fig 405.

⁽³⁾ KÜHNEL: *Maurische Kunst*. Pl. 56.

⁽⁴⁾ Ibid., Pl. 45.

this is most probably due to lack of published material of archaeological documents and researches on West Islamic art. The oldest trial, I could find, was the word "Allāh" (Fig. 18) contained in a

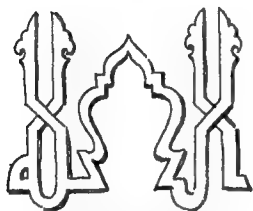


FIG. 18
Qairāwan, Tombstone, 440/1040
(Marçais, I, Fig. 934)

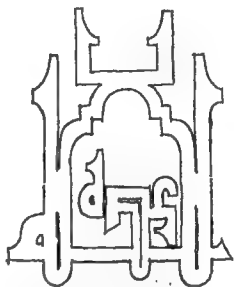


FIG. 19
Qasba of Oudāia, End XII th cent.
(Ricard, Fig. 408)

"Basmalah" carved in a tombstone from Qairawān, dated 440 H. (1018) ⁽¹⁾. I found the next example in the Qasba of Oudāia, end of XII th cent. A.D. ⁽²⁾.

This time the motive is composed of two words: "al-'Izza Lillāh" (Fig. 19), which means "Glory to God". Another contemporary example comes from the Mosque of Tūzur, end of XII th cent A.D. ⁽³⁾ (Fig. 20).

In the later steps, the motive is formed by one word or more placed on one side of a middle



FIG. 20
Mosque of Tūzur, End XII th cent.
(Marçais, I, Fig. 233. C.)

(1) MARÇAIS: I, Fig. 934.

(2) RICARD: Pour Comprendre..., Fig. 408.

(3) MARÇAIS, I, Fig. 233. C.

dome over the square in front of the Mihrāb, etc... All these feature makes one believe that the moulded hood was among the many Maghribi features conveyed to Egypt with the Fāṭimid invasion.

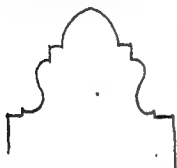


FIG. 16
Mosque of al-Ḥākim
Western Minaret, 393/1003
(Creswell, M.A.Eg., I
Pl. 29, c.)

The moulded hood of our panel looks, in fact, to be more elaborate and advanced in evolution than that in the western minaret of al-Ḥākim's Mosque and can be considered parallel to the hoods of the windows in the octagonal drum under the dome of the Mausoleum of as-Sayyeda Ruqayya⁽¹⁾ 527 H. (1133), and, therefore, it is difficult to think that such a developed moulding existed in the Tūlūnid or even in the Ikhshidid period.



FIG. 17
Mosque of Ibn Tūlūn,
Early Fāṭimid Mihrāb.

Another evidence for a Fāṭimid attribution is supplied by the decorative panel occupying the central field of the mihrāb and formed by the stems of the Kūfic word, which can be read "Allāh", in spite of the lost parts (Fig 17). Such an idea of forming a symmetrical decorative motive out of a Kūfic word, is only known to have been practised by West Islamic artists. It is curious to notice that the preliminary steps are very few and chronologically sporadic and that this practice became to be widely used in the medieval period in West Islam, but

⁽¹⁾ CREWELL: M.A. Eg., I. 86c.

Now if we turn to West Islām we find, an evolved example ⁽¹⁾ (Fig. 13) carved on a marble slab to the east of the *mihrāb* of the Great Mosque of Qairawān, and bearing inscriptions which, according to Marçais ⁽²⁾ appears to belong to the Aghlabid period (Xth-XI th cent. ?); other examples (Figs. 14, 15) are

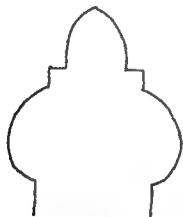


FIG. 14

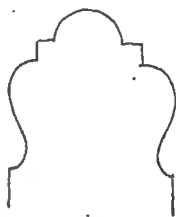


FIG. 15

Qal'a of Banī Hammād, X-XI cent.
(Marçais, I, Fig. 80, A-B.)

found in the Qal'a of Banī Hammād (Xth-XIth cent.). The same feature can also be seen in the sketch of the minaret of Sfax drawn by Marçais ⁽³⁾ and attributed by him to the Šanhāja period, *i. e.* late X th cent. ⁽⁴⁾.

The oldest dated example of this feature in Egypt is found in the western minaret of the Mosque of al-Ḥākim (Fig. 16) which bears resemblance to that of Sfax, as Prof. Creswell has pointed out ⁽⁵⁾. In addition to this, there are many other features of Maghribi origin found in the Mosque of al-Ḥākim, *e.g.* the monumental entrance, the minarets at the two corners of the entrance facade, the double and triple stems in the floral ornament in the two minarets and the monumental entrance, the

(1) MARÇAIS, Manuel, I, Fig. 36 E.

(2) *Idid*, p. 154, ft. n. I.

(3) *Op. cit.*, Fig. 81.

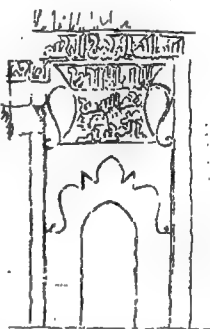
(4) CRESWELL, M.A. *Eg. I*, p. 102, points to the necessity of confirming this attribution.

d. Muḥarram 533 H. (Sept. 1138) ⁽¹⁾ (Fig. 10); Persia, rock-hewn mihrāb above the Allāhu Akbar Pass, which I think, if attributed to the end of the XIth cent. and beginning of the XIIth cent., will not be too far from the correct date ⁽²⁾ Fig. 11). It



FIG. 10
Persian Marble
Tombstone d. 533/
1138.
(Wiet, *Exp. Pers.*
Pl. IX)

FIG. 11
Persia. Rock-
hewn Mihrāb
(XIth XIIth
cent.)
(Herzfeld, loc. cit.
fig. 52)



can be seen also in the Māristān Nūrī at Damascus, 549 H. (1154) ⁽³⁾, (Fig. 12). These well-evolved examples are too late to suggest any relation with the mihrāb in the Mosque of Ibn Tūlūn.

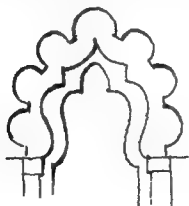


FIG. 12
Damascus, Māristān Nūrī-
549 H. (1154)
(Herzfeld, loc. cit. Figs. 3
and 43)



FIG. 13
Mosque of Qairawān. Marble
Slab, Xth-IXth cent. ?
(Marensi, I Figs. 7. 36 E.)

⁽¹⁾ HERZFELD, *Damascus...*, in *Arch. Isl.* IX, p. 24, Fig. 52.

⁽²⁾ Loc. cit., Fig. 3.

Unfortunately, there is a wide gap in the sequence of examples of this feature in East Islām until we meet with the later examples from the end of the XIth cent. A.D., but in advanced

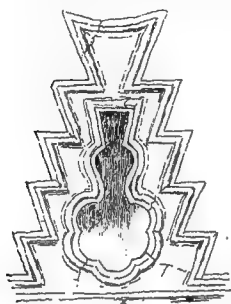


FIG. 6
Samarra (Herzfeld, loc. cit., Fig. 16)

FIG. 7
Samarra. (Herzfeld, loc. cit., Fig. 17)



stages of evolution, e.g., Imām Dūr, the Mausoleum of Muslim ibn Quraish († 478 (1085 A.D.))⁽¹⁾ (Fig. 8); Takrīt, al-Arba'in, late Vth cent. H. (XI)⁽²⁾ (Fig. 9); Persia, carved marble tombstone

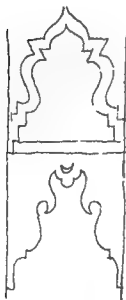


FIG. 8
Imām Dūr, Tomb of Muslim ibn Quraish. († 478 H./1085) (Herzfeld: loc. cit. Fig. 14).



FIG. 9
Takrīt, Al-Arba'in, Late XIth cent. (Arch. Reise, abb. 111)

(¹) HERZFELD: Archeol. Reise, I, p. 232, Abb. 120; III, p. 320; Idem., Ars Isl., vol. IX Fig. 14.

(²) HERZFELD, op. cit., I, pp. 222-3, Abb. 110-111.

the squinches in the Saba' Banāt, c. 400 H. (1010), are of the four-centred type⁽¹⁾; openings and mihrābs in the Mosque of Lu'lu'a, 406 H. (1015/6) have compound pointed hoods⁽²⁾; the same type is used in the entrance to the "ziūda" of the Mosque of al-Ḥākim, 411/437 H. (1021/36)⁽³⁾; also in many of the mausoleums in the cemetery of Aswān, attributed to the XIth cent. A.D.⁽⁴⁾. The compound pointed arch is again extensively used in the later group of Fāṭimid monuments starting with the Mosque of al-Guyūshī, 478 H. (1085)⁽⁵⁾.

Thus it is quite clear that the compound pointed form of the arch of the mihrāb in question was well known and commonly used in the Fāṭimid period from the very start onwards, a remark that tempts one to think of a Fāṭimid date for that mihrāb.

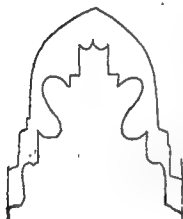


FIG. 5

Mosque of Ibn Tūlūn,
Early Fāṭimid Mihrāb

The moulded hood (Fig. 5) within the arched panel provides another evidence for suggesting a date later than the Tulūnid period.

The early stages of this feature start with the foundation of Sāmarrā, where we meet with two moulded forms that may be considered as the earliest steps in the evolution of this motive. The serrated crestings of the Jawṣaq al-Khāqānī are each pierced with a panel having a moulded top and a lobed lower part (Fig. 6). In the walls of some houses of Sāmarrā there are niches with moulded hoods of rather an elementary type (Fig. 7).

(¹) M.A. Eg. I., Pl. 34 a-c.

(²) Ibid., Pl. 35 a-d.

(³) Ibid., Pl. 36 a-c.

(⁴) Ibid., pp. 137, 291, Pls. 41, 42.

(⁵) Ibid., Pls. 47 a-5.d, 48 a, c.

Sāliḥ ibn 'Alī, 212 H. (827)⁽¹⁾; the Nilometer, 247 H. (861)⁽²⁾; The Aqueduct of Basāṭīn, bef. 263 H. (876)⁽³⁾; the 'Abbāsīd chapel in the Dayr as-Suriānī (A.D. 913/4)⁽⁴⁾.

There are two instances where some suspicion may arise in connection with the use of the four-centred arch in the 'Abbāsīd period in Egypt.

(a) A niche at the northern extremity of the south-west side of the Mosque of 'Amr⁽⁵⁾ is crowned by an arch of two rings. The inner ring, built with edgewise bricks, is nearly round, the outer, built with headers, is slightly pointed, which is most probably a result of the crudeness of execution.

(b) In the second instance we find in the mihrāb of a house in al-'Askar⁽⁶⁾, two curves meeting in a point at the middle axis which look, at first glance, to resemble the top part of a four-centred arch, but on second thought, it is difficult to stick to this suggestion as it is quite probable also that they formed the top part of a pointed segmental arch.

In the Faṭīmid period we find in the Mosque of al-Azhar, the earliest existing Fāṭīmid monument, some arches that are definitely not of the simple pointed arch, but of the compound type, *viz.* the four-centred. This form is adopted for nearly all the original arches of the transept⁽⁷⁾. The same form of arch is again to be met with in the Mosque of al-Ḥākim, 393 H. (1003) in the hoods of the main mihrāb⁽⁸⁾ and the mihrāb which existed once on the roof⁽⁹⁾. All the arches of the openings and

(1) CRENSWELL, E.M.A., II, Pls. 37-39, 43.

(2) *Ibid.*, Pls. 80-81.

(3) *Ibid.*, Pls. 94-95.

(4) *Idem.*, M.A.Eg., I, p. 17, ft. n. 9; WHITE (E.), the Monasteries of the Wādī'n Natrūn, III, pp. 197-8, Pls. LXVI-LXXI.

(5) E.M.A., II, Pl. 38.

(6) *Ibid.*, Pl. 123.

(7) M.A.Eg., I, Pls. 4, 5, 6a.

(8) *Ibid.*, Pl. 115 b.

(9) *Ibid.*, p. 83, Pl. 115 a.

(3) Sāmarrā: Qubbat aṣ-Ṣulābiyya, built after 248 (862). Some arches are of the four-centred type⁽¹⁾.

(4) Shirāz: The Great Mosque, the remains of the original arch of the mihrāb with stucco ornament on its soffit—circa 262 H (875)—is certainly of the four-centred type⁽²⁾.

The arches in the south-west side⁽³⁾ are of the keel-type, the top tangent is undoubtedly straight. The arches in the west corner⁽⁴⁾ are probably of the same type, but it is difficult to be certain owing to their ruined state.

(5) Nāyīn: The Great mosque. The mihrāb, circa 350 H. (960), contains three arches⁽⁵⁾: the top one is of the compound pointed form and probably of the keel-type, but the tangent is too short to make certain; the intermediate is most probably a keel one, the tangent is longer and clearer; the lowest one is certainly a keel-arch, but seems to be of a later date. The old arches decorated with original stucco decoration are also of the four-centred type⁽⁶⁾.

(6) Sangbast: Mausoleum, 387/419 H. (997/1028). The arches in the interior are four-centred⁽⁷⁾.

It seems, therefore, that the compound pointed arch was born in 'Irāq and made its early steps of evolution in that country and in Persia.

If we come to Egypt in the 'Abbāsīd period, we find that the half round and the simple pointed types are the two common forms of arches exhibited in the existing monuments from that period, viz. the parts of the Mosque of 'Amr attributed to

(1) E.M.A. II, Pl. 79 a; Archeol. Reise. III. Pl. XVIII, Top.

(2) Survey, Vol. IV, Pl. 259 A, B.

(3) Ibid., Pl. 299 C.

(4) Ibid., Pl. 260 A.

(5) Ibid., Pl. 267.

(6) Ibid., Pl. 260 B.

(7) CRESWELL: M.A.Eg., I, p. 52; Survey, op. cit., Pls. 265-6.

scale enlargement of the mihrāb and made a very careful tracing of the successive curves of the arches in the hood of the panel



FIG. 2
Four-centred Arch

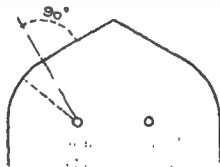


FIG. 3
Keel-Arch

(Fig. 4), and it is clear from the drawing that each arch is formed by two curves joined at the top by two short tangents. The execution of these arches makes it difficult to decide if these tangents are straight or curved; but one fact, however, remains to be well established: the arches are certainly of the compound pointed form.

The earliest examples of the compound pointed arches known in Islām until the Fāṭimid period in Egypt are:—

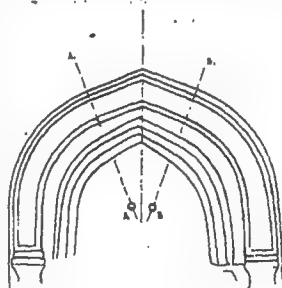


FIG. 4

(1) Raqqā: Baghdad Gate, 155 H. (772), the arch is four-centred (*).

(2) Sāmarrā: The Mosque of Abū Dulaf 246/7 H. (860/1). The four-centred type is used (**).

(*) CREWELL: E.M.A. II, p. 43, Fig. 29 and Pl. 2c; M.A.E. I, p. 52.

(**) E.M.A. II, p. 279, Pl.; Archeol. Reise, III, Pl. XVI, Left.

Flury once attributed this mihrāb and the other one to the west of the "dikka" to the beginning of the IV th. cent. H. (X th cent.) (1). In a second article, (2), he suggested the 3rd. cent. H. (IX cent.) as more suitable for the latter mihrāb, but hesitated to do so for the former one. Flury when analysing the decoration made use of some motives and elements, but left some other important features which would have rendered a great help to suggest a date nearer to the truth.



One of these important features is the form of the arch that crowns the central panel.

We have two forms of the pointed arch commonly used in Islamic architecture: the simple pointed and the compound. The simple type is formed by two segments struck from two centres (Fig. 1). The compound form has two types: the four-centred and the keel-arch. The four-centred arch is constructed



FIG. 1
Simple Pointed Arch

from four segments and four centres (Fig. 2), while the keel-arch is constructed from two segments and two straight tangents (Fig. 3). Sometimes the two forms of the compound pointed type closely resemble each other when the two top lines are so short or so crudely executed that it becomes difficult

to recognise if the lines are curved or straight.

It is clear that the pointed arch of the mihrāb in question is not of the simple type. To make sure, I prepared a large

(1) FLURY: *Hakim u. Ashar*, pp. 19, 36-7, 40.

(2) Idem: *Sāmarrā u, Moschee des Ibn Tūlūn, Der Islām*, IV pp. 42¹-30.

AN EARLY FĀTIMID MIHRĀB IN THE MOSQUE OF IBN TŪLŪN

BY

DR. FARĪD SHĀFI'Ī

One of the curious features in the Mosque of Ibn Tūlūn, is the group of six mihrābs in the Qibla "riwāq". The principle mihrāb in the centre of the Qibla wall is the only concave one. A flat stucco mihrāb — the so-called Mihrāb of As-Sayyeda Nafīsa — attributed to the Mamlūk period⁽¹⁾, is applied to the face of the Qibla wall east of the principle concave one. Two other flat stucco mihrābs⁽²⁾, attributed to the Tūlūnid period, are applied to the north-western faces of two piers next to the "dikka" in the second arcade from the Qibla wall. The two remaining mihrābs are also flat stucco ones applied to the faces of two other piers in the fourth arcade counting from the Qibla wall, the western one bears the names of the Khalif al-Mustanṣir and his Wazīr al-Afdal and is datable in 487 H. (1094 A.D.)⁽³⁾. The sixth mihrāb bears the name of Lājīn and is attributed to 696 H. (1296 A.D.)⁽³⁾.



The present article deals with the mihrāb east of the "dikka" (Pl. I).

(1) CRENSWELL: E.M.A. vol. II, p. 350; МАХМУД 'АККУШ: al Gāmi' at-Tūlūnī, p. 71.

(2) E.M.A. II, Pl. 123 a and b, p. 349.

(3) Ibid., pp. 349-50; M.A.E.I., pp. 220-2, Fig. 119, Pl. 77; M. 'АККУШ, op. cit., pp. 67-8.

Charles Kœchlin, Annette Kolb, Paul Landormy et M^{me}, Louise Levy, Marcel Lob, Lugné-Poe, Camille Mallarmé et M^{me}, Pierre Marcel, Esther Marchand et M^{me}, Roger Martin Du Gard, Marcel Martinet, Frans Masereel, Paul Marie Masson, Jacques Mesnil, Raymonde Meynard, Malwida von Meysenbug, Karin Michaelis, Charles Milandre, Mira (Madeleine Slade), Miyamoto Masakiyo, Eugène Morel, Jeanne Mortier, Léon Moussinae, Hane Muhlenstein, Kalidas Nag, Jawaharlal Nerru, Michel de Paillerets (R.F.), Charles Péguy, Don Lorenzo Perosi, Raymond Pichard (R.F.), Georges Pioch, René Plaud, Maurice Pottecher, Henri Poulaille, Lucien Price, Edmond Privat, Jacques Gabriel Prod'homme, Henri Prunières, Serges Radine, Felix Raugel, Eugène Rel, Jean Michel Renaitour, Ernest Renan, André Ribard, Rainer Maria Rilke, Gaston Riou, Jacques Robert France, J. Sainsaulieu, Jean de Saint Prix, Salvemini, Samazeuilh, Sanielevici (Prof.), Georges Sarti, René Schickele, Berta G. Schleicher, Seailles, Alphonse Séché, Paul Seippel, Christian Sénéchal, Severine, Upton Sinclair, Ermin Sinko, André Spire, Karl Spitteler, Richard Strauss, André Suarès, Bianco Umberto Zanotti, Dr. Hans Zint, Rabindranath Tagore, Hiretsu Takata, Hector Talvart, Gaston Thiesson, Maurice Thorez, Julien Tiersot, André et Daniel Toledano, Jean Tousseul, Akio Ueda, Fritz von Unruh, Henry von de Velde, Emile Verhaeren, Charles Vildrac, Elsa Wolf, Berta Zuricher, Stefan Zweig.

Note—Une étude ultérieure comprendra la bibliographie des articles de Romain Rolland non réunis en volumes, ses Préfaces, Introductions, Lettres, Notices. Elle comprendra également les études sur Romain Rolland et son œuvre.

LA CORRESPONDANCE

La correspondance de Romain Rolland est une des plus considérables de la littérature française ; elle compte approximativement quinze mille lettres.

Cette correspondance établit avec les plus grands esprits de notre temps, Tolstoï, Gandhi, Bernard Shaw, etc, des discussions philosophiques ou morales, des échanges de vues sur les problèmes de l'humanité moderne et sur les événements politiques. La correspondance avec certains amis, Malwida von Meysenbug, André Suarès, Louis Gillet, etc. éclaire la pensée de Romain Rolland, sa vie et son œuvre. Beaucoup de lettres sont enfin écrites en réponse à des inconnus qui viennent chercher appui auprès de l'auteur de *Jean-Christophe*, et à qui celui-ci exprime toujours une pensée généreuse. L'ensemble de la correspondance est une somme de documents de toute première importance pour l'étude de notre époque.

Voici quelques-uns des principaux correspondants de Romain Rolland :

Paul Amann, G. Ambrosi, Gabriele d'Annunzio, Louis Aragon, Beatrice Aram, René Arcos, Henri Bachelin, Charles Baudouin, Léon Bazalgette, Gabriel Belot, Louis Bernaert (abbé) ; Sofia Bertolini, Ettore Bignami, Paul Birukoff, Ernest Bloch, Jean Richard Bloch, Jean Bonnerot, Jacques Borel, Georges Brandes, André Chamson, Alphonse de Chateaubriand. Paul Claudel, Paul Colin, Jean Courregelongue, Louise Cruppi, Ernst Robert Curtius, Georges Duhamel, Amédée Dunois, Paul Dupin, Luc Durtain. Max Eastman, Frederik Van Eeden, Albert Einstein, Will Eisemann, Geneviève Favre, Frederic Ferrière et Famille, Auguste Forel, Waldo Frank, Signund Freud, Georges Friedmann, M.K. Gandhi, Charles et Claire Geniaux, André George, Louis Gillet, Annie Graves, Otto Grautoff, Jean Guehenno, Henri Guilbeaux, Louis Guilloux, Jenny Guyot, Lucien Haudebert. Panait Istrati, Francis Jourdain, Pierre Jean Jouve, Andrée Jouve, Michel Karol, Tohishiko Katayama, John Klein,

Le Théâtre du Peuple—Essai d'esthétique dramatique.
Une partie du Théâtre du Peuple avait été publiée en articles dans la *Revue d'Art Dramatique* de 1899 à 1903.

(a) *Le Théâtre du Peuple—Essai d'esthétique d'un théâtre nouveau.* Paris, Cahiers de la Quinzaine, nov. 1903, 4^e Cahier de la V^e série, in-18, 218 p.

(b) *Le Théâtre du Peuple.* Nouvelle édition avec une seconde préface. Paris, Hachette, 1913, in-16, XII, 224 p.

(c) *Le Théâtre du Peuple.* Paris, Ollendorff 1921 (même édition que celle d'Hachette 1913).

Au-dessus de la Mêlée.

(a) *Au-dessus de la Mêlée et Inter Arma Caritas* avec une préface d'Amédée Dunois, Paris, l'Emancipatrice, 1915, in-16; 32 p.

(b) *Au-dessus de la Mêlée.* Avec plusieurs autres articles. Neufchâtel, Attinger Frères, 1915.

(c) *Au-dessus de la Mêlée.* Avec plusieurs autres articles, Paris Ollendorff, 1915.

(d) *Au dessus de la Mêlée.* Paris, Albin Michel, in-8, 253 p.

(a) *Les Précurseurs.* Paris, éd. de l'Humanité, 1919, in-16, 231 p.

(b) *Les Précurseurs.* Paris, Ollendorff, 1923, in-16, VIII, 233 p.

(c) Id. Paris, Albin-Michel, 1931, in-16, VIII, 237 p.

Quinze Ans de Combat. Paris, éd Riéder et Co, collection Europe, 1935, in-16, 244 p.

Par la Révolution la Paix. Editions Sociales Internationales, Paris, Collection Commune, 1935, in-16, 175 p.

(a) *Compagnons de route.* Essais littéraires. Shakespeare, Charles de Coster, Goethe, Gobineau, Renan, Victor Hugo, Tolstoï, Lénine. Paris, Editions du Sablier, 1936 in-8, 227 p.

(b) *Compagnons de route.* Paris Albin Michel 1936.

Philosophie :

Empédocle d'Agrigente et l'Age de la Haine. Genève, Maison française d'Art et d'Édition, 2 tirages :

Cahiers du Carmel, 1re série n° 1, Genève, 1918, in-8, IV, 45 p.

Édition française, publiée par la Maison Française d'Art et d'Édition, Paris, 1918, in 12, 46 p.

Empédocle d'Agrigente suivi de l'Éclair de Spinoza. Paris, Ed. du Sablier, 1931, in-16, 137 p. 16 gravures ou portraits.

Histoire :

(a) *Valmy.* Paris, Éditions Sociales Internationales, 1933^f, in-8 32 p. illustrations de Jean Trubert (figures en noir et en couleurs).

(b) *Valmy.* III. de Jean Trubert. Éditions France d'abord, 1946.

Littérature :

(a) *Les pages immortelles de J. J. Rousseau.* Choiesies et expliquées par R. Rolland. Édition originale en anglais. New-York, Longmans, Green et Co. 1939.

(b) *Les pages immortelles de J. J. Rousseau.* Paris, Ed. Correa, 1939, in-8°, 230 p. Introduction de R. Rolland: 49 p.

Articles de Romain Rolland, réunis en volumes.

Musicologie. Les volumes qui suivent sont composés d'articles réunis; ce sont: *Musiciens d'Aujourd'hui*, *Musicien d'Autrefois*, *Voyage Musical au Pays du Passé*. Dans ces publications, l'auteur a conservé le texte original des articles, les a remaniés ou fondus⁽¹⁾.

(1) Cf. la partie Musicologie, p. 52.

Paris, Ed. du Sablier, 1943, in-8, 315 p.

Id. Paris, Ed. du Sablier, 1943, in-4°, 307 p. Pl. illustrées, tableaux, culs-de-lampe, pl. musique, nombreux fac-similés, 3 portraits.

VI. *La Cathédrale Interrompue* :

Tome III.—*Finita Comœdia*. Paris, Ed. du Sablier 1945, in-8°, 287 p. ; gravures sur bois par André Deslignières.

ESSAIS DIVERS

Autobiographies :

Souvenirs d'Enfance.—La Charité sur Loire, impr. de A. Delayance, 1928, in-16, 22 p. (Collection Blanche n° 13).

Le Voyage Intérieur. Paris, Albin Michel, 1942, in-8, 247 p.

Le Seuil. précédé du *Royaume du T*. Genève, Ed. du Mont-Blanc, collection "Action et Pensée", 1945, in-8, 117 p.

Le Périple. Paris, Emile Paul frères, 1946, in-12, 172 p.

Peinture :

Cur Ars Picturae Apud Italos XVI sæculi deciderit. (Thèse complémentaire de doctorat ès lettres). Ed. originale, Paris, Thorin, 1895.

Rolland a résumé cette étude, dans un article de la Revue de Paris, du 1^{er} janvier 1896, sous le titre : La décadence de la Peinture italienne.

(a) *Michel Ange*. Ed. originale illustrée, Collection "Les Maîtres de l'Art", Paris, Plon-Nourrit, 1905, in-16, 182 p., 24 gravures.

(b) *Michel Ange*. Collection "Les Maîtres du Moyen-Age et de la Renaissance", Paris, Albin Michel 1907, in-4°, 174 p., 104 planches.

(c) *Michel Ange*. Collection "Les Maîtres du Moyen-Age et de la Renaissance". Paris, Albin Michel 1944.

Collaboration à l'Encyclopédie de la Musique et Dictionnaire du Conservatoire, rédigés par une collectivité de professeurs sous la direction d'Albert Lavignac, 1913 et ss., Delagrave, in-4.

1. L'opéra au XVII^e s. en Italie, fascicules 22, 23 et 24 du Tome I, pp. 485-749.

2. Les origines de l'opéra allemand, fascicule 29, pp. 911-928.

3. L'opéra au XVII^e s. (Les origines de l'opéra. Lulli), fascicules 42-43, pp. 1343-1361.

4. L'opéra anglais au XVII^e s. fascicules 59-60, pp. 1881-1894.

(a) *Voyage Musical au Pays du Passé*. Comprend des études sur Kuhnau, Haendel, Telemann, Metastase et divers essais sur la musique au XVIII^e siècle. Paris, Edouard Joseph, Collection "Petites curiosités littéraires", 1919, in-12, 275 p. avec 9 pl. et ornements dessinés et gravés sur bois par D. Galanus.

(b) *Voyage Musical au Pays du Passé*. Nouvelle édition, Paris, Hachette, 1920, in-8, 247 p.

BEETHOVEN-LES GRANDES EPOQUES CRÉATRICES

I. *De l'Héroïque à l'Appassionata*. Paris, Ed. du Sablier, 1928, in-8, 375 p., gravures, fac-simile.

II. *Gœthe et Beethoven*. Ed. originale; Paris Ed. du Sablier 27 fév. 1931, in-8, 287 p. gravures et fac-similé.

Id. Paris. Ed. du Sablier, 4 déc. 1931, in-8, 315 p. avec illustrations et gravures.

III. *Le Chant de la Résurrection* (La Messe Solennelle et les dernières Sonates), Paris, Ed. du Sablier, 1947, in-8, 611 p.

IV. *La Cathédrale Interrompue*:

Tome I.—*La Neuvième Symphonie*. Paris, Ed. du Sablier, 1943, in-8, 261 p.

V. *La Cathédrale Interrompue*:

Tome II.—*Les Derniers quatuors*.

c) Ed. bilingue français-allemand. III de F. Masereel. Zurich, Buchergilde Gutenberg, 1949.

MUSICOLOGIE

(a) *Les Origines du Théâtre Lyrique Moderne*. Histoire de l'opéra en Europe, avant Lulli et Scarlatti (Thèse principale de doctorat es-lettres, Bibliothèque des Ecoles françaises de Rome et d'Athènes, Paris, Thorin, 1895, in-8, 316 p. plus 15 p. de supplément musical.

(b) *Les Origines du Théâtre Lyrique Moderne*. Paris, de Boccard, 1931.

Paris Als Musikstadt. Traduction de Max Graf. Collection "Die Musik" dirigée par Richard Strauss. Berlin, Dardund Marquardt und Co, 1905, in-16, 71 p., 14 illustrations.

Musiciens d'Autrefois. Comprend le discours d'ouverture à l'Ecole des Hautes Etudes Sociales, des essais sur "l'Opéra avant l'Opéra" sur Luigi Rossi, Lulli, Gluck, Grétry et Mozart. Paris, Hachette 1908, in-8, 310 p.

Musiciens d'Aujourd'hui. Comprend, des essais sur Berlioz, Wagner, Saint-Saëns, Vincent d'Indy, Richard Strauss, Hugo Wolf, Don Lorenzo Perosi, Claude Debussy, une étude sur le Renouveau de la Musique française et le texte remanié de "Paris als Musikstadt". Paris, Hachette, 1908, in-8, 278 p.

La plus grande partie des articles composant ces deux volumes a d'abord paru dans la *Revue de Paris*, de 1899 à 1906, dans la *Revue d'Histoire et de Critique Musicale* en 1901-1902, dans la *Revue d'Art Dramatique* de 1899 à 1903.

(a) *Haendel*. Ed. Originale (Collection des Maîtres de la Musique, publiés sous la direction de Jean Chantavoine) Paris, Alcan, 1910, in, 8 p. 247

(b) *Haendel*. Nouvelle édition augmentée. Paris, Albin Michel, 1951.

DRAMES SOCIAUX

Le Temps Viendra. Drame en trois actes. Paris, Cahiers de la Quinzaine, 140^e Cahier de la IV^e série 1903, in-18, 152 p.

Id. Paris, Ollendorff, 1921, in-12, 150 p.

(a) *Liluli.* Farce lyrique. Genève, Ed. du Sablier (tirée à 800 ex.) 1919, avec 32 bois dessinés et gravés par Frans Masereel, in. 16, IV, 152 p.

(b) *Liluli* Paris, Ollendorff, 1920 avec les mêmes illustrations, in-16, 158 p.

Les Vaincus. Drame en 4 actes (inachevé). Anvers, Ed. Lumière 1922, in-18 carré, 384 p.

AUTRES DRAMES

(a) *La Montespan.* Drame en trois actes. L'Art Dramatique et Musical, février, mars et avril 1904.

(b) *La Montespan.* Ed. de la Revue d'Art Dramatique 1904, in-12, 94 p.

(c) *La Montespan* Paris, Ollendorff, 1920.

Les Trois Amoureuses (1). Pièce dramatique en trois actes L'art Dramatique et Musical, mars, avril et mai 1905.

Le Triomphe de la Liberté. Fête populaire, poème de Romain Rolland, mis en musique par Albert Doyen. Paris, Leduc, 1917, in-8. xi, 273 p.

La révolte des machines ou La pensée déchaînée.

a) III. de Frans Masereel, Genève, Ed. du Sablier, 1921.

b) Farce épique pour cinéma-Avant-propos de pierre Worms Paris, Worms. 1944, 133 p.

(1) Romain Rolland a écrit *La Montespan* et *Le Triomphe de la Liberté*, œuvre ne correspondant pas à sa véritable pensée.

(c) *Le Triomphe de la Raison*. Ed. Originale. Paris., Ed. de la Revue d'Art Dramatique, in-16, 92 p.

(d) *Le Triomphe de la Raison*. Paris, Ollendorff, 1921, in-12, 48 p.

(a) *Danton*. Drame en trois actes. Représenté pour la première fois au Cercle des Escholiens, le 29 décembre 1900.

(b) *Danton*. Revue d'Art Dramatique, 4 numéros des 5 et 20 décembre 1899, janvier et février 1900.

Id. Paris, Ed. de la Revue d'Art Dramatique.

(c) *Danton*. Paris, Ed. des Cahiers de la Quinzaine, 6^e cahier de la II^e série. 9 février 1901, in-18, 180 p. Paris, Albin Michel, 1923, in-18.

(a) *Le Jeu de l'Amour et de la Mort*. Représenté pour la première fois au Théâtre de l'Odéon, le 29 janvier 1928. Paris, Ed. du Sablier, 1925, in-8, 163 p.

(b) *Le Jeu de l'Amour et de la Mort*. Paris, Albin Michel, 1925, in-16, 256 p.

(c) *Le Jeu de l'Amour et de la Mort*. Imprimerie de "L'Illustration": "La Petite Illustration" N° 373, Théâtre N° 202, 10 mars 1928 in-4 à 2 colonnes 24 p.

(a) *Les Léonides*: Ed. original, éd. du Sablier 1926. Bois gravés de Lucien Boucher, in-8, 207 p.

(b) *Les Léonides*. Paris, Albin Michel, 1928, in-8, 250 p.

Robespierre. Drame en trois actes et 24 tableaux. Paris, Albin Michel, 1939, in-16, 319 p.

(a) *Théâtre de la Révolution* (Le 14 Juillet, Danton, Les Loups). Paris, Hachette, 1909, in-16, VIII, 358 p.

Id. Paris, Hachette, 1916 in-16, VIII, 359 p.

(b) *Théâtre de la Révolution*. Paris, Ollendorff, 1920, in-16, VIII, 359 p.

Les Tragédies de la foi. Paris, Ollendorff, 1920.

Les Tragédies de la foi. Paris, Albin Michel, 1926.

B.—Le Théâtre de la Révolution.

Le cycle des drames de la Révolution, qui devait comporter douze drames, n'en comprend que huit. On suivra ici, non pas l'ordre chronologique, mais celui qui a été fixé par l'auteur lui-même.

(a) *Pâques-Fleuries*. Ed. Originale. Paris, éd. du Sablier, 1926, in-8, 173 p. Bandeaux et culs-de-lampe de Gabriel Pinta.

(b) *Pâques-Fleuries* Paris, Albin Michel, 1926, in-16, 255 p.

(a) *Le 14 juillet*. Action populaire en 3 actes. Représenté pour la première fois au Théâtre de la Renaissance Gémier, le 21 mars 1902.

(b) *Le 14 juillet*. Paris, *Cahiers de la Quinzaine*, 1902, II Cahier de la III série, in-16, 252 p.

(c) *Le 14 juillet*. Paris, Hachette, 1909, in-12, 244 p.

(d) *Le 14 juillet*. Paris, Albin Michel, 1936, in-18.

(a) *Les Loups*. Drame en trois actes. Représenté sous le titre de *Morituri*, au Théâtre de l'Œuvre, le 18 mai 1898.

(b) *Les Loups*. Première édition parue sous le titre de *Morituri* et le pseudonyme de L. Saint-Just, faite par Charles Péguy, chez Georges Bellais, Paris, 1898, in-12, 117 p. Lithographie de Henri de Groux.

(c) *Les Loups*. Paris, Albin Michel, 1925, in-18.

(d) *Les Loups*. Paris, Hachette, in-18, 113 p.

(a) *Le Triomphe de la Raison*. Drame en trois actes. Représenté pour la première fois au Théâtre de l'Œuvre, le 21 juin 1899.

(b) *Le Triomphe de la Raison*. Revue d'Art Dramatique, nouvelle série, tome VII, juillet, août, septembre et octobre 1899.

ESSAI SUR LA MYSTIQUE ET L'ACTION DE L'INDE VIVANTE

I. *La vie de Ramakrishna*. Paris, Stock, 1929, in-16, 319 p. portrait.

II. *La vie de Vivekananda et l'Evangile universel*. 2 volumes. Paris, Stock, 1930, in-16, 191 p. et 253 p.

PÉGUY

Péguy, 2 volumes, Paris, Albin-Michel, 1945, in-8, 355 et 331 p.

THÉÂTRE

A.—Les Tragédies de la foi.

(a) *Saint-Louis*. Poème dramatique en cinq actes. Revue de Paris, 1^{er} mars, 15 mars et 1^{er} avril 1897:

(b) *Saint-Louis*. Editions de la Revue de Paris, Paris, 1897.

(c) *Saint-Louis*. Paris, Ollendorff, in-12, 105 p.

(a) *Aÿrt*. Drame en trois actes. Représenté pour la première fois au Théâtre de l'Œuvre, le 3 mai 1898.

(b) *Aÿrt*. La Revue d'Art Dramatique, tome IV, mars, avril et mai 1898.

(c) *Aÿrt*. Ed. de la Revue d'Art Dramatique, Paris, 1898, in-16, 46 p.

(d) *Aÿrt*. Paris, Ollendorff, 1921, in-12, 16 p.

Les Tragédies de la foi. Simple réunion sous une même couverture, des trois pièces séparées. *Saint-Louis*, *Aÿrt*, et le *Triomphe de la Raison* (1). Paris, Hachette, 1913, in-16, 255 p.

(1) Cf. Le Théâtre de la Révolution, p. 56.

II. *L'Abolition*. 2^e Cahier de la Ville série, 21 octobre 1906, in-18, 199 p.

Quelques chapitres de la *Vie de Michel-Ange* ont d'abord paru dans la *Revue de Paris*, du 15 avril 1906.

(c) *Vie de Michel-Ange*. Nouvelle édition. Paris, Hachette, 1907, in-18, 310, p. avec un portrait H.T.

Ibid., 5^e éd., 1914, 211 p.

(d) *Vie de Michel-Ange*. Paris, Hachette, 1925, illustrations composées et gravées sur bois par Paul Boudier, in-8, 201 p.

(e) *Michel-Ange*. Collection : Les Maîtres du Moyen Âge et de la Renaissance). Paris, A. Michel, 1944.

VIE DES HOMMES ILLUSTRÉS—VIE DE TOLSTOÏ

(a) *Vie de Tolstoï*. Paris, Hachette, 1911, in-16, 204 p.

(b) La *Vie de Tolstoï* a été publiée la même année dans la *Revue de Paris* du 15 février, 1^{er} mars, 15 mars et 1^{er} avril 1911.

(c) *Vie de Tolstoï*. Avec une nouvelle préface, des corrections et des variantes. Paris, Hachette, 1913, 4^e éd. in-16, III-216 p.

(d) *Vie de Tolstoï*. Paris, Hachette, 1928, in-8, 215 p., fig., pl., portrait, gravés sur bois par Paul Boudier.

(e) *Vie de Tolstoï*. Avec de nouvelles additions. Paris, Hachette, 1929, in-8, 242 p.

MAHATMA GANDHI

(a) *Mahatma Gandhi*. Paris, Stock, 1923, in-16, 186 p.

(b) *Mahatma Gandhi*. 48^e édition, augmentée d'une postface. Paris, Stock, 1924, in-16, 210 p.

(c) *Mahatma Gandhi*. Nouvelle édition, revue, corrigée, augmentée. Paris, Stock, Delamain et Boutelleau, 1926.

(b) *François Millet*. Nouvelle édition. New-York, Dutton, 1903, in-16, 200 p., fig.

VIE DES HOMMES ILLUSTRES—VIE DE BEETHOVEN

(a) *Vie de Beethoven*. Edition originale. Paris, *Cahiers de la Quinzaine*, janvier 1903, 10^e Cahier de la IV série, in-18, 91 p. et portraits.

Ibid. Nouvelle édition, en septembre 1903.

Une ébauche de la *Vie de Beethoven* a paru dans la *Revue de Paris*, du 15 mars 1901, sous le titre : Les fêtes de Beethoven à Mayence.

(b) *Vie de Beethoven*. Nouvelle édition ; Paris, Hachette, 1907, in-16, VIII, 158 p.

Ibid, 1908, 2e éd, VIII, 119 p.

(c) *Vie de Beethoven*. Edition d'art à un nombre restreint d'exemplaires, illustrée, Paris, Edouard Pelletan, 1909, in-8, 186 p., 12 gravures de Perrechon.

(d) *Vie de Beethoven*. Nouvelle préface. Paris, Hachette, 1907, in-16, VIII, 151 p.

(e) *Vie de Beethoven*. (Nouvelle préface). Paris, Hachette, 1927, fig., pl., portraits gravés sur bois par Paul Boudier, in-8, 177 p.

(f) *Vie de Beethoven*. Montréal, Editions Variétés, 1944.

(g) *Vie de Beethoven*. Nouvelle édition augmentée. Introduction d'Edmond Buchet. Paris, le club français du Livre, 1949.

VIE DES HOMMES ILLUSTRES—VIE DE MICHEL-ANGE

(a) *Michel-Ange*. Edition originale illustrée. (Collection : Les Maîtres de l'Art). Paris, Plon-Nourrit, 1905.

(b) *Vie de Michel-Ange*. Paris, les *Cahiers de la Quinzaine*.

1. *La lutte*. 18e Cahier de la VIIe série, 1er juillet 1906. in-18, 102 p., portrait.

(h) *Oolas Breugnon, bonhomme vit encore*. Lithographies originales et note de Théo Van Elsen. Paris, J. Rousseau-Girard 1946, in-4°, 253 p. Avec la reproduction en fac-similé d'une lettre de l'auteur à l'éditeur, du 14 nov. 1944.

(i) *Colas Breugnon*. III de André Collot. Paris, Editions Arc-en-ciel (Collection des meilleurs auteurs contemporains). 1946.

(j) *Colas Breugnon*. Lithographies originales de Benno Vigny. Paris, Jeanniard, 1947.

(k) *Colas Breugnon*. (Bibliothèque de poche). Paris, Garamond, 1948.

(l) *Oolas Breugnon*. III. de 8 Gousches en couleurs de G. de Sainte-Croix. Paris, A. Guillot, 1949.

CLÉRAMBAULT

Clérambault. Histoire d'une conscience libre pendant la guerre. Edition originale. Paris, Ollendorff, 1920, in-16, 379 p. (Repris par Albin Michel en 1931).

PIERRE ET LUCE

(a) *Pierre et Luce*. Idylle tragique. Genève, Editions du Sablier, 1920, in-12, 188 p. 1, 16 hors-texte, bois gravés par Frans Masereel. (Tirage restreint à 1350 exemplaires).

(b) *Pierre et Luce*. Paris, Ollendorff, 1921, in-16, 191 p. 4 hors-texte, 29 vignettes, dessinés et gravés par Gabriel Belot. (Repris par A. Michel en 1925).

BIOGRAPHIES

FRANÇOIS MILLET

(a) *François Millet*. Uniquement publié en anglais (le texte français n'a pu être retrouvé). Londres, Duckworth, Popular Library of Art, décembre 1903, in-12, 212 p.

D.—L'Ame Enchantée.

Edition définitive, 1 vol, Paris, Albin Michel, 1950.

COLAS BREUGNON

Ce livre est un de ceux qui ont connu le plus de succès dans l'œuvre de R. Rolland. Il a été l'objet de nombreuses éditions d'art.

(a) *Colas Breugnon* ⁽¹⁾. Edition originale. Paris, Ollendorff, 1919, in-16, 321 p.

(L'ouvrage comporte un *Avertissement au lecteur*, daté de mai 1914, et une petite *Préface d'après-guerre*, datée de nov. 1918. Le titre original de l'ouvrage est *Colas Breugnon* ; ce titre a subi une modification sur la couverture pour des raisons imposées à l'auteur).

(b) *Colas Breugnon*. Paris, Ollendorff, 1924. Grav. sur bois de Gabriel Belot.

(c) *Colas Breugnon*. Paris, Albin Michel, 1924. (Cette édition est la reprise de celle d'Ollendorff, 1919) ; nombreuses réimpressions depuis 1924.

(d) *Colas Breugnon*. Edition définitive revue par l'auteur et augmentée de "*Commentaires du Petit-fils à Colas*". Paris, Albin Michel, 1930, in-8, 321 p. Collection des Œuvres Complètes de Romain Rolland. (Réimpression en 1942).

(e) *Colas Breugnon*. Paris, Edition Mornay (Collection les Beaux Livres), bois gravés par Deslignères, mai 1927, in-8, VII, 319 p. Fig.

(f) *Colas Breugnon*. Bruxelles, Editions du Nord (Collection Electa), 1944. Bois en coulours de Roméo Dumoulin.

(g) *Colas Breugnon*. Paris, édition de la Bibliothèque Française, 1945, in 8, 159 p.

(1) Les œuvres en un seul volume sont en italiques, pour les diverses éditions.

Des éditions étrangères de *Jean-Christophe*, en français, pour les écoles, ont été faites en : Allemagne, Hollande, Etats-Unis, Tchécoslovaquie, U.R.S.S.

Jean-Christophe a été traduit intégralement dans la langue des pays suivants : Espagne, Angleterre, Etats Unis, Pologne, Allemagne, Russie, Suisse (allemand pour la Suisse allemande), Suède, Japon, Danemark, Hollande, Italie, Tchécoslovaquie, Hongrie, Chili, Chine, République Argentine, Portugal, Finlande, Indes (en bengali et en hindi) (1).

L'ÂME ENCHANTEE

A.—L'Âme Enchantée.

Edition originale. 7 volumes. Paris, Albin Michel, in-16, de 1922 à 1933. (Edition commencée par Ollendorff, reprise par Albin Michel).

I. *Annette et Sylvie*. Paris, Ollendorff, 1922, in-16, 281 p.

II. *L'Eté*. Ibid., 1923, 354 p.

III. *Mère et fils*. 2 volumes. Paris, Albin Michel, 1927, in-16. I : 334 p ; 2 : 256 p.

IV. *L'annonciatrice*. (Anna Nuncia). 3 volumes.

1. *La mort d'un monde*. Ibid, 1932, 312 p.

2. *L'enfantement* (2 vol.) Ibid, 1933, 314 p.

3. *L'enfantement II*. Ibid. 1933, 349 p.

B.—L'Âme Enchantée.

Edition définitive revue par l'auteur. 4 volumes. Paris, Albin Michel, Edition des Œuvres Complètes, (1934) in-8.

C.—Annette et Sylvie.

(Coll. Désir de lire no. 1) Paris. Editions *Hier et Aujourd'hui*, 1941, in-8, 95 p.

(1) Les dimensions restreintes de cette *Bibliographie des Œuvres de Romain Rolland*, ne permettent pas de citer les diverses éditions étrangères de *Jean-Christophe*.

Nouvelle impression en 10 volumes. Paris, A. Michel, in-18, 1924-25. (Nombreuses réimpressions de cette édition).

E.—Jean-Christophe.

Edition de luxe, en 5 volumes. Paris, A. Michel, 1925-1927, in-4° écu (20 x 26). Première édition illustrée et première édition à tirage limité. Ornée de bois dessinés et gravés par Frans Masereel.

F.—Jean-Christophe.

Edition définitive, revue et corrigée par l'auteur, faisant partie de la Collection des œuvres Complètes de Romain Rolland. 5 volumes, Paris, Albin Michel, 1931-1933, in-8.

G.—Jean-Christophe.

Edition en 10 volumes. Montréal, Valiquette, 1944-1945.

H.—Jean-Christophe.

Edition en un volume, sur papier bible. Paris, A. Michel, 1949, in-16, 1628 p.

I.—Jean-Christophe.

Edition en 5 volumes. Ill. en couleurs de Pierre Leroy, gravées sur bois par Gérard Angiolini. Paris, A. Guillot, 1951-1952, in-8.

Jean-Christophe. Editions partielles et extraits.

A.—*Antoinette.* (Collection des grands romans à 3 fr.) Paris, Ollendorff, 1923, in-16, 184 p.

B.—*L'Enfance de Jean-Christophe.* Pages choisies par L. Roth. Saumur, *L'Ecole émancipée*, 1928, in-12, 72 p.

C.—*Jean-Christophe raconté aux enfants*, par M^{me} Hélier-Malaurie. Livre de lecture. Ill. de Ray Lambert.

Cours élémentaire. Paris, Albin Michel, oct. 1932, in-16, 308 p.

Cours moyen et supérieur. Ibid. ; nov. 1932, in-12, 460 p.

II. *Le Buisson Ardent*. (5^e et 6^e cahiers de la XIII^e sér., 31 oct.-7 nov. 1911).

III. *La Nouvelle Journée*. (2^e et 3^e cahiers de la XIV^e sér., 6-20 oct. 1912).

B.—Jean-Christophe.

Nouvelle édition—*Jean-Christophe* a aussi paru (presque simultanément avec l'édition des *cahiers*) à Paris, chez Ollendorff, en 10 volumes, in-16, de 1905 à 1913.

I. *Jean-Christophe*. Première partie (4 vol.)

1.—*L'Aube*. 1905, 227 p.

2.—*Le Matin*. 1905, 281 p.

3.—*L'Adolescent*. 1906, 306 p.

4.—*La Révolte*. 1907, 409 p.

II. *Jean-Christophe à Paris*. Deuxième partie (3 vol.).

1.—*La foire sur la place*. 1908, 312 p.

2.—*Antoinette*. 1908, 215 p.

3.—*Dans la Maison*. 1909, 266 p.

III. *La Fin du Voyage*. Troisième partie. (3 vol.)

1.—*Les Amies*. 1910, 268 p.

2.—*Le Buisson ardent*. 1911, 340 p.

3.—*La Nouvelle Journée*. 1912, 277 p.

De nombreuses réimpressions de cette édition ont été faites de 1905 à 1924.

C.—Jean-Christophe.

Édition en quatre volumes.

Paris, Ollendorff, in-8, 1921-1922. Le texte de cette édition a été revu et certains passages supprimés.

D.—Jean-Christophe.

Reprise de l'édition Ollendorff, par Albin Michel.

L'introduction du premier volume, *L'Aube*, a été publiée tout d'abord isolément dans un journal belge. *Le Peuple*, pour un numéro spécial du 1er mai 1903.

Jean-Christophe a commencé à paraître dans les *Cahiers de la Quinzaine*, édités par Charles Péguy. Il se compose, dans cette collection, de dix-sept Cahiers, publiés du 2 février 1904 au 20 octobre 1912.

A.—Jean Christophe.

I. *L'Aube*. (9^e cahier de la V^e sér., 2 février 1904).

II. *Le Matin*. (La Mort de Jean-Michel ; Otto ; Minna.) (10^e cahier de la V^e sér., 16 fév. 1904).

III. *L'Adolescent*. (La Maison Euler : Sabine ; Ada). (8^e cahier de la VI^e sér., 12 janv. 1905).

IV. *La Hévoite*, (Sables mouvants ; L'Enlèvement ; La Délivrance). (4^e, 6^e et 9^e cahiers de la VIII^e sér., 13 nov.—11 déc. 1906 ; 2 janv.-1907).

Le cahier : *Sables mouvants*, contient une petite préface et un chapitre sur la littérature allemande contemporaine qui ne figurent pas dans l'éd. Ollendorff.

Jean-Christophe à Paris.

I. *La Foire sur la Place*. (13^e et 14^e cahiers de la IX^e sér., 17-24 mars 1908).

II. *Antoinette*. (15^e cahier de la IX^e sér., 31 mars 1908).

III. *Dans la Maison*. (9^e et 10^e cahiers de la X^e sér., 16-23 févr. 1909.) Le premier cahier du vol. : *Dans la Maison*, contient une petite préface qui ne figure pas dans les éditions Ollendorff.

La Fin du Voyage.

I. *Les Amies* (7^e et 8^e cahiers de la X^e sér., 25 janv.—8 févr. 1910).

Extrait inédit du Journal de Romain Rolland, de janvier 1928.
Rythmes du monde, no. 2, 1948.

Les Jours noirs de 1914. Extraits du Journal d'août 1914.
Les Lettres Françaises, 17 février 1949.

Souvenirs sur Richard Strauss (*Les Œuvres Libres* Nouv. sér., 27) Paris, Fayard, 1948.

Voir aussi: *Correspondance entre Richard Strauss et Romain Rolland* et *Fragments du Journal de Romain Rolland*. Paris, A. Michel, 1951.

Aus Meinen leben. Erinnerungen an Kindheit und Jugend. (*Mémoires*, publiés seulement en allemand). Zurich, Blicher-gilde Gutenberg ; Amsterdam, Querido Verlag, 1949.

Extraits du Journal des années de guerre 1914-1918. (*Les Œuvres Libres*. Nouv. sér., 49) Paris, Fayard, 1950.

Inde. (Extrait du Journal, 1915-1943) Bâle-Lausanne-Paris, Editions Vineta, 1951.

Le cloître de la Rue d'Ulm. Journal de Romain Rolland à l'Ecole Normale (1886-1889) suivi de quelques lettres à sa mère et du *Oredo quia verum*. Texte établi par Madame Romain Rolland. Avant-propos de André George. (*Cahiers Romain Rolland*, 4.) Paris, A. Michel, 1952.

Journal des années de guerre 1914-1919. Notes et documents pour servir à l'histoire morale de l'Europe de ce temps. Préface de Louis Martin-Chauffier. Paris, A. Michel, 1953, (2000 p).

LES ROMANS

Jean-Christophe.

Jean-Christophe est celle des œuvres de Romain Rolland qui a connu la plus grande fortune. Rééditée un grand nombre de fois, elle a aussi été traduite dans la plupart des langues.

"Romain Rolland et les Goncourt". Extraits du Journal de 1888. *Les Etoiles*, 30 octobre 1945.

"Contre le racisme". Extrait du Journal de 1933. *Ce Soir*, 21 nov. 1945.

"L'avenir du Socialisme. Une doctrine politique et morale. Séances à la chambre". Extraits du Journal de septembre 1895 et juin 1897. *Terre des Hommes*, 8 décembre 1945.

"Pages extraites du Journal de R. Rolland de 1886 à 1889." *La Nef*, no. 14, janvier 1946 (Paris, Albin Michel).

"Pages extraites du Journal de R. Rolland, 1886 à 1889." *La Revue de Paris*, 53^{me} année, no. 3, mars 1946.

"De Jean-Christophe à Colas Breugnot" (1 volume). Pages de Journal de 1912-1913, avec une préface de Jérôme et Jean Tharaud. Frontispice et ornements de Jean Lurçat. Paris, Ed. du Salon Carré, 1946, in 8°, 181 p.

"Pages du Journal de Romain Rolland" concernant Zweig, Rilke, Verhaeren, Paul Fort et Péguy. *La Gazette des Lettres*, 1^{er} février 1947.

Souvenirs de Jeunesse (1 vol.). Pages choisies extraites des *Mémoires*. Edit. de la Guilde du Livre, Lausanne, 1947, in 12, 264 p.

"Acte de reconnaissance d'un homme d'Occident à Gandhi". Extrait du Journal de janvier 1932, automne 1937 et février 1939. *Combat*, 31 janvier 1948.

"Les propos de Gandhi à Romain Rolland". Extraits du Journal. *Le Figaro littéraire*, 17 février 1948.

André Suarès vu à l'Ecole Normale Supérieure par Romain Rolland. Extraits du Journal de décembre 1886.

Gandhi, Andrews et Tagore. Pages du Journal. *France-Asie*, no. 32, novembre 1948.

4.—*Amours d'enfants*. Octobre 1888.

5.—*Notes d'Art et de Pensée*.

(b) Le *Journal* de Romain Rolland.

Le *Journal* de Romain Rolland va régulièrement de 1886 à 1944. Il comprend 88 carnets, cahiers ou blocs-notes, de formats variables. Plusieurs de ces carnets ont été mutilés par l'auteur lui-même (pages coupées ou collées l'une à l'autre, ratures et caviardages). La plupart des carnets des années 1886 à 1903 ne sont pas les originaux. Ceux-ci ont été brûlés par l'auteur en 1903, après avoir été recopiés (souvent résumés) dans les carnets actuels.

Le *Journal*, qui ne doit être livré au public que dans une période de trente à cinquante ans (suivant les diverses parties) est déposé à la Bibliothèque Nationale. L'auteur a cependant autorisé ses héritiers à en publier des extraits.

(c) Les *Mémoires*.

Ils comprennent trois livres. Un quatrième est resté inachevé.

(d) Autres inédits⁽¹⁾.

—Cahier de notes sur *Hamlet*.

—Etude sur Les *Mémoires de Claude Hation*.

—Plusieurs chapitres du *Voyage Intérieur*.

—L'ébauche d'un roman intitulé : *La cité cocasse* ⁽²⁾
(1942-1944).

PUBLICATIONS DE PAGES OU DE PARTIES DU JOURNAL
ET DES MÉMOIRES

Extraits du *Journal* de février 1919, suivis d'une note de Romain Rolland. *Charté*, no. 11, 15 juin 1937.

(1) Voir plus loin, pour la correspondance inédite.

(2) Il s'agit de Vezelay, où Rolland a vécu de 1937 à 1944.

LES ŒUVRES DE ROMAIN ROLLAND

LES MANUSCRITS INÉDITS

L'œuvre inédite de Romain Rolland comprend quelques essais de jeunesse, plusieurs drames, la majeure partie du *Journal*, les *Mémoires*, plusieurs chapitres du *Voyage Intérieur* et une correspondance volumineuse qui est en voie d'être reconstituée et dont n'a paru qu'une mince fraction.

(a) Le théâtre.

Empédocle (1890). Drame inachevé.

Orsino (1890). Drame de la Renaissance italienne.

Les Baglioni (1891). Drame épique en douze scènes.

Savonarole (1891). Le manuscrit comprend des fragments, des scènes et des notes pour la pièce.

Caligula (1892-1893). Quinze scènes.

Dans le même cahier se trouvent des notes pour un drame à peine ébauché : le *Siège de Mantoue*.

Romain Rolland note à la fin de ce manuscrit : "Le manuscrit (original) perdu, dans un taxi de Paris, a été réécrit en cinq ou six jours, de mémoire".

Dans le même cahier se trouvent les "Premiers plans" et des fragments inédits du drame : *Art* (qui paraîtra plus tard).

Niobé (1893).

Jeannes de Piennes (1896).

Le même cahier cartonné contient :

- 1.—Quatre pages intitulées : *Ego sum resurrectio et vita*.
- 2.—Le *Credo qui-i verum* (1888).
- 3.—*Mai Romain* ("Notes sur un poème d'amoureuse tendresse").

intérieur grâce à une œuvre autobiographique où il laisse le champ libre au rêve : le *Voyage Intérieur*. Rolland composa aussi la fameuse exégèse de *Beethoven*, en neuf volumes, parue à partir de 1927. Il ajouta également trois drames au cycle de la Révolution : *Pâques-Fleuries*, *le Jeu de l'Amour et de la Mort* et *Robespierre*.

La guerre de 1939 ébranla sérieusement Romain Rolland, d'autant plus que sa santé était déjà très altérée. Il voyait le destin réduire à néant son idéal de paix et de grandeur humaine. Cependant, il admit que ce même destin pouvait conduire l'humanité à un avenir meilleur par des chemins ignorés de l'homme. Rolland vécut ses dernières années dans la maison qu'il avait achetée, en 1937, à Vézelay. Il tira de son *Journal* quatre volumes de Mémoires. Et il composa sa dernière œuvre, que lui inspira le malheur de la France et le souvenir du grand ami disparu : *Péguy*.

Progressivement, la pensée de Romain Rolland avait envisagé tous les champs de la connaissance humaine afin d'assumer le plus vaste idéal possible. C'est ce qui a permis au grand écrivain français d'accomplir sa mission dans un plein épanouissement de sa personnalité et de sa pensée. Il a su ménager à la "communauté des hommes" sa part, et sauvegarder sa vie intérieure. Il a progressé sur la "Route en lacets qui monte", élargissant progressivement son horizon ; en sorte que chaque œuvre se trouve à la fois complétée et dépassée dans une phase ultérieure.

Une partie importante des écrits de Romain Rolland est encore inédite. Elle comprend principalement la majeure partie du *Journal intime*, et de la correspondance. Celle-ci est réunie grâce à l'inlassable dévouement de Madame Romain Rolland ⁽¹⁾, qui s'occupe également ⁽²⁾ de plusieurs publications posthumes et des rééditions.

(1) Marie Kondachet, que R. Rolland a épousée en 1933.

(2) Par l'intermédiaire de l'association des amis de Romain Rolland.

Il avait écrit entre-temps, en manière de divertissement, un livre débordant de sève gauloise : *Colas-Breugnot*.

Quoique Romain Rolland ait prévu la guerre, le cataclysme de 1914 le plongea dans un profond désarroi. Il rompit surtout ses attaches avec ses lecteurs. Car Romain Rolland, qui se trouvait alors en Suisse, ne tarda pas à s'élever contre l'affreuse tuerie. Dans son désir de montrer à l'Europe que la guerre la conduisait à la ruine, Rolland ne réussit qu'à s'attirer l'inimitié des deux camps. Son œuvre des années de guerre se compose d'une série d'articles réunis en volumes : *Au dessus de la mêlée* et les *Précurseurs* ; d'écrits germés pendant la guerre mais parus seulement plus tard : *Pierre et luce*, *Liluli* et *Olerambault*. Même finie, la guerre continua à obséder pendant un certain temps Rolland.

Deux voies nouvelles s'offrirent alors à l'auteur d'*Au-dessus de la mêlée*. Pendant la tourmente européenne, la voix de sages hindous était venue lui apporter l'espoir. Tagore tourna le regard de Rolland vers l'Asie ; et elle le séduisit par sa philosophie sereine. C'est alors qu'à partir de 1922, Rolland commença une série d'œuvres destinées à l'Inde. La première, *Mahatma Gandhi* était une sorte de réponse à la conception européenne de la fatalité des guerres.

Par ailleurs, Rolland avait compris que la cause principale des guerres était dans l'impérialisme. Il se rallia ainsi au camp du socialisme. D'abord réticent à l'acceptation des méthodes brutales du socialisme avancé, il en reconnut à partir de 1927 la malheureuse nécessité. Tous les problèmes sociaux qui tourmentèrent l'écrivain à cette époque, se trouvent transposés dans le cycle de l'*Ame-Enchantée*. C'est le roman d'Annette ou celui de la femme dans la société moderne ; il constitue le pendant de *Jean-Christophe*.

Tirailé à nouveau entre ses passions collectives et son indépendance d'esprit, Rolland maintient surtout son équilibre

Et, lentement, l'œuvre de salut avait mûri en lui. Voilà dix ans déjà que *Jean-Christophe* s'élaborait intérieurement ; ses grandes lignes s'étaient précisées ; l'œuvre était prête à éclore au tournant du siècle.

Après avoir longtemps hésité entre le rêve et l'action, entre le désir de se réfugier dans son individualisme et celui de créer une œuvre destinée au peuple, en contact direct avec lui, Romain Rolland trouvait enfin sa véritable voie. Il comprit qu'il devait être au poste de vigie, se placer au "dessus de la mêlée", pour mieux voir et mieux guider. Cependant, avant de faire la longue ascension à laquelle l'appelait Jean-Christophe, il était nécessaire à Rolland de reprendre des forces, de puiser à nouveau le courage indispensable à la tâche nouvelle. C'est alors qu'il se tourna vers Beethoven et vers Michel-Ange. Leur souffle puissant le ranima. Les deux livres qu'il leur consacra furent d'ailleurs à l'origine d'un cycle de biographies héroïques.

R. Rolland a dépassé maintenant l'étape nationale. Jean-Christophe est un héros européen. Dix nouvelles années verront l'écrivain accomplir par un chemin long et ardu son cycle *Jean-Christophe*. Il est alors professeur d'histoire de l'art à la Sorbonne et à l'Ecole Normale. En marge de son enseignement, et des nombreuses critiques et études musicales qu'il continue à faire paraître, il compose sa grande œuvre, dans sa petite chambre du 112 boulevard Montparnasse, presque coupé du monde.

Rolland fait aussi de fréquents voyages en Suisse, où il a rédigé plusieurs parties de cette œuvre. Car l'auteur de *Jean-Christophe* se plaît de plus en plus à vivre dans les montagnes helvétiques, qui comblent son amour de la nature et de la solitude.

Jean-Christophe, en qui Rolland avait mis près de vingt-cinq années de sa vie, groupe autour de lui des amis de plus en plus nombreux. L'œuvre achevée, l'auteur était devenu l'un des écrivains les plus célèbres de France. Couronné par l'Académie Française en 1913, il reçut le prix Nobel en 1915.

périodes, l'une qui va de 1897 à 1901, l'autre postérieure à 1920, devait rester inachevé. Rolland tendra toujours ainsi à s'exprimer sous une forme cyclique. L'écrivain, influencé par l'épopée tolstoïenne, désire développer les thèmes de sa création en de larges fresques ou les contraires peuvent être harmonieusement équilibrés. Chacun des livres de Romain Rolland repose sur un acte de foi, indépendamment du cycle; alors que l'ensemble des cycles compose une grande épopée héroïque: celle de l'humanité moderne.

Malgré l'attachement de Rolland pour le genre dramatique, il se heurta au théâtre à des difficultés telles qu'il dut l'abandonner. Il le quitte à contre-cœur autour de l'année 1901, rebuté par l'insuccès, mais avec la ferme intention d'y revenir.

Il faut retenir, de cette époque, la notoriété que Romain Rolland s'était acquise comme musicologue. Sa thèse sur l' "*Histoire de l'Opéra avant Lulli et Scarlatti*", consacra son autorité dans le domaine de la musique et lui donna accès à une chaire de l'histoire de l'art, à l'Ecole Normale.

En tant que critique musical, Rolland manifeste une égale compréhension pour tous les grands musiciens, qu'ils soient anciens ou modernes, étrangers ou français. Son œuvre scientifique de critique musicale compte ainsi parmi les plus importantes de notre époque.



Ce qui contribua à la décision de Rolland d'abandonner le théâtre, fut une grave crise intime qui aboutit à son divorce en 1901. Il avait épousé Clothilde Bréal en 1892. Et dix ans plus tard, sa compagne, qui n'avait pas compris sa vocation et les sacrifices qu'elle nécessitait, l'abandonnait à mi-chemin.

Fort heureusement pour Romain Rolland, qui faillit sombrer dans cette épreuve, le secours lui vint des échecs mêmes qu'il avait essuyés. Pendant la dizaine d'années qui venait de s'écouler, l'écrivain en butte à un monde ennemi, s'était réfugié en lui-même.

Romain Rolland vit, très jeune, l'attention des siens se concentrer sur lui, et reçut une solide éducation. Il fut également initié à la musique, qui devait tenir une place si grande dans sa vie. On le transplanta à Paris à l'âge de quatorze ans, dans l'intérêt de ses études; sa famille le destinait aux grandes écoles. Il prépara le concours d'entrée à l'Ecole Normale Supérieure et y fut reçu en 1886. Trois ans plus tard, il quittait la Rue d'Ulm, agrégé d'histoire.

Il obtint une bourse d'études à l'Ecole française de Rome, au Palais Farnèse, et il séjourna en Italie de 1889 à 1891. C'est pendant ce premier voyage qu'il prit conscience de sa mission d'écrivain. Il a déjà acquis, à cette époque, une formation intellectuelle solide et une culture très étendue. Mais l'expérience de la vie lui faisait encore défaut. Et c'est ce qui l'amène à se tourner en premier lieu vers l'histoire. Il est déjà doué d'une grande acuité de vision et de jugement critique; et il brûle de créer pour le bien universel. Comme il ressent vivement les imperfections de ce monde, il voudrait tout de suite arriver, dans son œuvre, à une harmonie supérieure entre les passions de la vie et la sérénité divine. Or, cet idéal ne peut être atteint qu'à l'étape ultime de l'existence. Débordé par ses élans passionnés, le jeune Rolland compose d'abord plusieurs drames où l'écart entre la pensée et son expression est sensible, et que l'écrivain dut lui-même abandonner à l'oubli. Quelques-uns cependant, comme *Orsino* et *Jeanne de Piennes*, méritent d'être retenus.

De retour à Paris, Rolland accepte un poste de professeur. Mais en marge de sa vie officielle ou familiale, l'écrivain continue à chercher sa voie. Il se rend d'abord compte qu'il lui faut passer par "l'étape de la patrie pour arriver à celui de l'humanité". Dans le désir d'être utile à son pays, de lui présenter un idéal d'action héroïque, et afin de pouvoir ainsi contribuer à enrayer le nihilisme de l'époque, Rolland s'adresse à l'histoire toute proche de la Révolution. Dès sa troisième pièce consacrée à cette époque, *Danton*, il conçoit l'idée d'écrire un cycle de drames pour un Théâtre de la Révolution. Ces pièces devaient être destinées, dans la pensée de Rolland, à la scène populaire. Le projet, réalisé en deux

BIBLIOGRAPHIE DE L'OEUVRE DE ROMAIN ROLLAND

PAR

RAOUF KAMEL

*Docteur ès Lettres, Maître de conférences à la Faculté
des Lettres de l'Université du Caire*

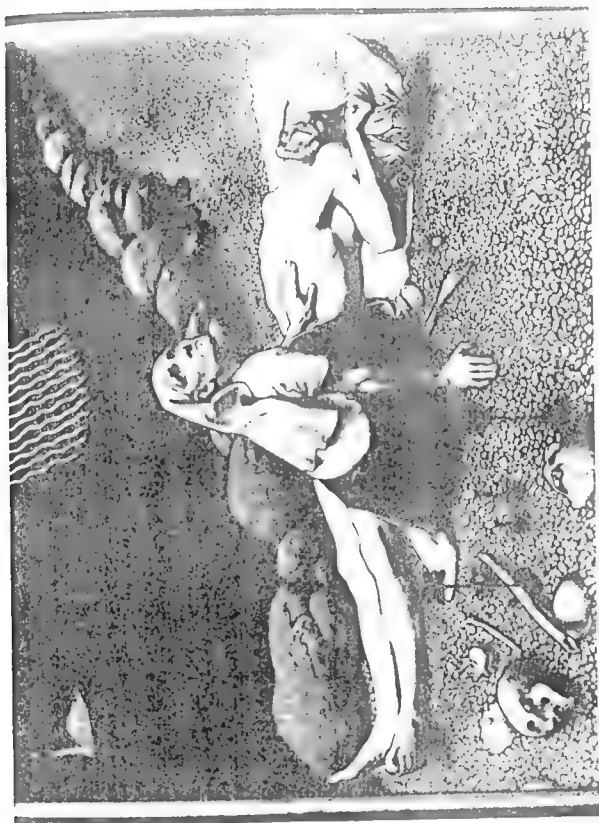
NOTICE

Romain Rolland est né à Clamecy, dans le Nivernais, le 29 janvier 1866. Il est mort à Vézelay, à vingt-cinq kilomètres de sa ville natale, le 30 décembre 1944.

Dès sa vingtième année, il commence à rédiger son *Journal*. Un an après, il ébauche des essais d'histoire et compose son "Credo". Ce sont là les premiers pas d'un écrivain, dont l'œuvre ne s'arrêtera qu'à sa mort. L'œuvre de Romain Rolland embrasse ainsi cinquante-cinq années de vie créatrice. Pour réaliser la mission féconde à laquelle il s'est voué, Rolland permet à sa pensée de revêtir les formes les plus diverses : drames, études historiques ou musicales, romans, biographies, mémoires, essais littéraires, sociaux, politiques, philosophiques, etc. Sans compter de très nombreux articles de journaux et de revues, et une correspondance volumineuse, d'un grand intérêt. Dans son périple, la pensée de Rolland épouse les aspects multiples et souvent contradictoires de la vie, afin d'en dégager les lois de l'évolution individuelle et sociale, ainsi que celles de la destinée collective. Romain Rolland se refusera enfin à tout arrêt dans la marche de sa pensée, à tout dogmatisme : sa grande règle de conduite est l'indépendance de l'esprit et la création pour le bien de l'humanité.

* * *





C'est que le chant russe nous rapporte quelques échos amortis de l'extinction personnifiées des feux de la Montagne éruptive, dite Sainte, comme l'était le Mont Horeb, alias le Buisson Ardent, pour les Fils d'Israël.

Au stade originnaire, le solide cercueil de chêne n'était autre chose que *le cratère*, et le couvercle—*la croule pierreuse* scellant la lave "mourante". Cette dernière se présentait autrefois sous le double aspect du "bogaty'r" et de son coursier titanique chevauchant lourdement, sans que personne pût les arrêter.

De son côté, Iliya, comme nous l'avons suggéré, représente l'accompagnement météorique de l'éruption, autrement dit, l'orage. C'est donc la foudre que dans notre dessin le "frère" de Sviatogor manie de sa dextre tout en frappant le couvercle lequel de ce fait s'apaisait et se colle davantage au "cercueil" où étouffe le vieux titan.

D'aucuns trouveraient dans ce que nous venons de dire une manière de voir particulière. Toutefois nous ne perdons pas l'espoir qu'un jour ou l'autre l'on se décidera de ne pas s'arrêter sur la limite traditionnelle et que l'on admettra avec nous que dans le passé millénaire le fond du chant héroïque russe était tout autre chose, et combien plus grandiose.

VLADIMIR VIKENTIEV.

Le Caire, mai 1953.

CORRECTIONS ET ADDITIONS

Page 26, l. 2, d'en bas à lire "croyons" au lieu de "croyous".
 " 28, l. 8, d'en haut " " " Vallée " " " " vallée".
 " 28, l. 5, d'en bas " " " eux " " " " elles".
 " 30, l. 4, d'en haut " " " mentionnée " " " " mentionné".
 " 32, l. 5, d'en haut " " " Grégoire " " " " Grégoire".
 " 32, l. 13, d'en bas " " " reste " " " " rest".
 " 35-36. Il est à noter que le saint patronymique du héros de Sviatogor et Iliya Mourometz " est appelé par les Russes—Iliya Gromorik "Elie le Tonitruant". Son association avec l'orage et la foudre est de toute évidence.

où se trouve Osiris de naître et qui n'arrive enfin à le faire que grâce à l'intervention du dieu de la sagesse Thot-Hermès jouant aux dés avec la déesse Lune-Sélène.

Nous avons suggéré ailleurs que *l'échiquier ne devait pas être autre chose que le firmament étoilé*. Eh bien, le fabliau le confirme en nous montrant le mari de la femme en travail *retardant* la mise au monde du héros pour le mettre sous le signe d'étoiles favorables.

L'action de l'astrologue se place en regard du jeu sidéral du dieu-sage Thot. Le fabliau ne s'est mépris que sur la cause du retardement. Il le présente comme voulu, tandis que d'après la version égyptienne c'est juste le contraire.

Nous croyons avoir tenu notre promesse en donnant en ces quelques pages une idée de l'expansion de la légende osirienne. La fable du héros venu au monde d'une manière irrégulière, enfermé dans un tonneau ou dans son équivalent, jeté dans la mer, etc., est très répandue et mériterait d'être recueillie dans toutes ses variantes et ramifications.

Une fois ce travail fait et publié, on verrait qu'Osiris avait voyagé après sa mort encore plus que de son vivant.

POST-SCRIPTUM

REMARQUES À PROPOS DE NOS FIG. 1 ET PL. I

La fig. 1 et la pl. I illustrent deux aspects du thème de Sviatogor étouffant dans le cercueil "fait d'après ses mesures" et sur lequel il avait rabattu lui-même le couvercle.

La figure 1, œuvre de l'excellent dessinateur du "Progrès Égyptien", qui s'était inspiré de notre croquis, présente la traditionnelle manière de voir le thème, laquelle date de l'époque même des rhapsodes de Kiev : cercueil de chêne, bandes de fer l'entourant sous les coups du glaive, etc.

Mais déjà l'on y aperçoit à l'arrière-plan le profil d'un volcan... C'est là, dans un milieu de feu sur le point de s'éteindre que notre Planche I situe l'action du drame. Pour quelle raison ? Pour cette raison précise que c'était là que jadis avait lieu la mort de Sviatogor, ou il serait plus juste de dire, de son prototype.

acéphale. La Geste en garde un souvenir tout en présentant le châtement sous une forme atténuée et voilée. La mère-épouse de Grégoire II, tout comme la sœur-épouse d'Osiris, *a la couronne enlevée* par décision de son fils. Après quoi, elle est *enfermée dans un couvent* bâti exprès pour elle par Grégoire. La reine déchue de son rang et enfermée dans un ermitage, c'est ainsi que se présente ici la déesse égyptienne se transformant en roche acéphale.

Conclusions.—Le thème de l'union et du jeu sidéral.—Nous avons pu reconnaître dans l'une des œuvres faisant partie du recueil monacal des "Gesta Romanorum", d'un bout à l'autre, tout le trame du mythe osirien et du conte des "Deux Frères". Il s'ensuit de notre mise en regard que sous quelques rapports, la fable romaine est plus suivie que la version de Plutarque. Nous y trouvons en effet un enchaînement logique des aventures du grand dieu de la végétation de la Vallée du Nil. Et, dans ce sens, elle paraît plus proche de l'original inconnu dont l'écho était parvenu à l'écrivain grec de l'époque. On comprend bien l'importance que la Geste du Pope Grégoire acquiert de ce fait et l'intérêt que les égyptologues devraient lui porter, malgré son travestissement clérical.

Rappelons que sous ce rapport la Geste n'est pas unique en son genre, même tant qu'il s'agit du recueil dont elle fait partie. Il s'y trouve une autre version osirienne, sous le titre de "La Prophétie". Cette même histoire figure parmi les fabliaux "Constant l'Empereur", les contes russes ("Marco le Riche et Basile le Misérable"), les chants héroïques ("Vassiliy Bouslaïévitch"; v. *supra* "Sviatogor"), etc.

Le fabliau de Constant l'Empereur est intéressant en ce qu'il donne une réplique au motif de la naissance retardée du héros, faisant défaut dans la plupart des histoires apparentées et, entre autres, dans la Geste. La fable romaine nous faisant assister à l'acte coupable dans la chambre à coucher commune, ci-devant dans le sein maternel, oublie de se faire l'écho de l'impossibilité

ravalé son cœur desséché qu'on avait revivifié en le mettant dans de l'eau. Osiris est rappelé à la vie par sa femme versant d'abondantes larmes sur son corps. Grégoire I sort du couvent après que le prieur lui avait remis la tablette inscrite de la main de sa mère lui faisant connaître son origine. Donc, encore ici, c'est la mère-épouse qui sort le mort vivant de son inertie. Grégoire II est délivré de ses chaînes par suite d'un message émanant du ciel (à comparer le signe surnaturel permettant de venir en aide à Bata), et il descend de son pilier aussitôt qu'on lui remet le triple tiare papal, dans lequel les psychanalistes reconnaîtraient sans hésitation l'équivalent du cœur de Bata, du membre de Bata et d'Osiris, et de tout autre symbole phallique. L'ancien motif de la virilité reconquise se trouve de ce fait transposé sur le plan spirituel, et, une fois sublimé, nous montre l'éclatant triomphe du repentir et de la volonté inébranlable sur la sensualité.

Nouvel état de vigueur accrue.—Le retour à la vie du héros inanimé est caractérisé par une vigueur accrue. Bata, l'impuissant de la veille, prend l'apparence de Taureau, promoteur de toute fertilité. Osiris devient roi du monde souterrain. Grégoire I, à la sortie du couvent, bien que n'ayant jusqu'alors manié les armes, délivre le pays de l'emprise d'un tyran. Grégoire II, une fois en possession du tiare, est sacré seigneur de Rome. Et comme ailleurs, il est acclamé par la population portant le deuil du précédent pape. Les cloches sonnent d'elles-mêmes. Nouveau rappel, et combien éloquent, de l'ancien motif de la procréation et de la prospérité désormais assurées. On se souviendra que d'après *De Iside* Osiris resuscité engendre de son regard son fils-héritier, Horus.

Châtiment de la femme coupable.—D'après *De Iside*, la fin d'Isis se présente ainsi. Son fils, qui en voulait à sa mère d'avoir délivré Seth-Typhon, lui arrache la tête. D'après une autre version, Horus avait enlevé à sa mère sa couronne. A ceci vient se joindre le témoignage du *Papyrus Chester Beatty* disant qu'après avoir perdu la tête, Isis se transforma en roche

deuxième cas, le héros coupable du même délit s'embarque avec le pêcheur, le bateau remplaçant le tonneau ⁽¹⁾.

N.B.—Par la suite nous allons désigner les aventures du héros nouveau-né, par abbréviation, *Grégoire I*, et celles du héros adulte, *Grégoire II*.

Le tonneau avec la crèche de Grégoire I échoue sur le rivage d'un couvent et le bébé y est hébergé par le prieur. Ceci se place en regard de la caisse d'Osiris portée par la mer vers le rivage de Byblos et introduite par le roi Melcart dans son palais. Grégoire II est conduit par le pêcheur (à comparer Melcart, roi des Phéniciens, navigateurs renommés et trafiquants de la mer) vers une île où il est enchaîné sur une roche. C'est ainsi que se présente ici le pilier osirien (fig. 2) ⁽²⁾.

La perte de la virilité.—Le mythe égyptien parle de la perte par Osiris de son membre génital, coupé et jeté dans l'eau où un poisson l'engloutit. C'est pareil dans les "Deux Frères". La version romaine nous présente l'état d'impuissance résultant du choc sous couvert symbolique. Le héros nous est présenté comme enchaîné et, en plus, la clef du cadenas est jetée dans la mer où un poisson l'avale. Une fois on connaît les équivalences, on ne peut pas être plus près des deux versions égyptiennes.

Séjour prolongé à l'état de mort.—Osiris rest enfermé dans son pilier pendant un laps de temps indéterminé, mais qui devait durer des années. Bata, le héros des "Deux Frères", se trouve couché "à l'état de mort" dans sa tour (équivalent de la roche, du pilier, etc.) pendant sept ans. Grégoire I demeure dans le couvent jusqu'à l'âge où il peut porter les armes. Grégoire II ne quitte son pilier rocheux pendant dix-sept ans, et est considéré comme mort depuis longtemps.

La délivrance.—La délivrance se présente partout sous une forme symbolique. Bata retourne à la vie après avoir

(1) À comparer le traineau de Lemminkäinen.

(2) D'après *Märchen und Legenden aus den Gesta Romanorum* Insel-Verlag, p. 29.



FIG. 2

et, par conséquent, constituait un choc pesant lourdement sur la vie du héros.

Et déjà dans l'autre œuvre égyptienne, que nous avons mentionné, à savoir dans le "Conte des Deux Frères", le thème de l'inceste est mis franchement en tête du drame et détermine tout le reste. Il s'agit de prétendues relations coupables entre le héros et la femme de son frère aîné qu'il respectait à l'égal de sa mère, donc, en somme, la situation est la même que dans la Geste.

La fuite comme conséquence du délit sexuel.— Bien que l'union considérée par les autres versions comme incestueuse, ne se présente pas comme telle dans *De Iside*, il n'en reste pas moins que l'action qui en découle, à savoir la fuite, y est tout de même présente. Ceci semble confirmer notre supposition que la version de Plutarque s'inspirait, elle aussi, d'un original où l'union en question produisait un violent choc mettant le héros dans l'obligation de fuir.

Sans mettre le départ d'Osiris de son royaume en rapport avec l'union, considérée par les autres versions comme contraire à la nature, Plutarque l'éloigne tout de même, soi-disant, en qualité de messager de la civilisation dans les pays barbares. Le héros de la Geste s'en va dès qu'il apprend la vérité sur son mariage. Donc ici, le motif présenté dans *De Iside* comme un fait naturel et sans conséquences fâcheuses, reprend toute son ampleur. Il a un effet, pourrait-on dire, explosif. Le héros fuit éperdûment le lieu de son crime et échoue dans la cabane d'un pêcheur.

La traversée de la mer.—Nous avons dit que tout comme dans la version égyptienne, il est question dans la Geste de deux cas d'inceste. Le premier a lieu entre les parents du héros. Fruit de cette union coupable, Grégoire est mis dans une crèche, enfermé dans un tonneau et jeté à la mer. Dans le

tantôt bouillonnante, tantôt en déclin, en un "possédé de Dieu" comme l'appelle avec raison Thomas Mann dans son dernier roman *Le Docteur Faustus* (trad. franç., p. 403-406). Mais le travestissement tombe de lui-même, aussitôt que nous mettons la Geste en regard des deux œuvres citées et, tout spécialement, du mythe d'Osiris relaté par Plutarque.

Double inceste comme point de départ. Il s'agit tant de tenir le mythe égyptien pour l'original de la Geste du Pope Grégoire, tant il y a dans les deux de thèmes communs, et ceci dès le début.

Le mythe et la Geste débutent notamment par un double inceste. Nous lisons dans *De Iside* que Geb et Nout, frère et sœur jumeaux, s'unirent et donnèrent naissance à deux paires d'enfants, jumeaux comme eux, lesquels s'entremarièrent à leur tour. Osiris prit pour femme sa sœur Isis, Seth se maria avec sa sœur Nephthys. Dans la Geste, il y a l'union entre un jeune prince régnant et sa sœur, donnant naissance à un beau garçon, héros de la légende monacale. Par la suite, celui-ci se marie avec une reine qui s'avère plus tard être sa propre mère. Et voici un détail qui rapproche davantage le mythe et la Geste. Osiris s'était uni avec Isis, comme nous l'avons dit, *alors que les deux étaient encore dans le sein maternel*. Le jeune roi et sa sœur *partagent la même chambre à coucher*, et c'est là qu'ils succombent à la tentation. La chambre à coucher et le sein maternel, cela revient au même. En quoi les deux versions diffèrent, c'est qu'en Egypte l'union entre frère et sœur était admise, tandis qu'en Europe, c'était un crime odieux. Il s'ensuit que le commerce d'Osiris avec Isis passe presque inaperçue, tout au moins dans l'exposé de Plutarque, et le drame osirien s'amorce non pas dans l'inceste, mais dans une rivalité d'ordre politique.

Nous avons dit, *dans l'exposé de Plutarque...* Car il ne faut pas perdre de vue que, malgré toutes les ressemblances, la Geste pourrait remonter non pas à la version de *De Iside*, mais à une œuvre où l'union entre frère et sœur était fortement réprouvée

question du démembrement d'Osiris par Seth et de la recherche des fragments par Isis, s'employant après à reconstituer le corps entier et à le rappeler à la vie à force d'amour, de magie et de pleurs.

Le poème faisant partie du "Kalevala", épopée nationale de Finlande⁽¹⁾, en garde un souvenir fidèle, non sans avoir adapté la légende à son milieu naturel si différent de celui que l'on trouve dans la vallée du Nil et le Delta. La caisse est remplacée par un traîneau où le héros est mis par l'émule de Seth, la sorcière Louhi. Le corps est mutilé par le sinistre "berger au chapeau humide", cet autre sosie de Seth, et dispersé non pas sur l'étendue d'une vallée traversée par un grand fleuve faisant défaut en Finlande, mais jeté pêle-mêle au fond de la sombre cataracte de la mort Manala, comme l'on pourrait bien s'y attendre dans ce pays d'ombres et de cascades écumeuses.

Tout comme Isis, la mère du héros rassemble l'un après l'autre les lambeaux du corps morcelé et le reconstitue en entier. A force de verser sur lui d'abondantes larmes et de l'oindre du miel apporté du ciel par une abeille (Pl. II)⁽²⁾ elle finit par le rappeler à la vie. La version finnoise s'arrête là, la descente précédente au fond de la sinistre Manala suppléant à la vie posthume d'Osiris en tant que dieu des morts.

LA GESTE DU POPE GRÉGOIRE

Nous allons maintenant passer à la version romaine faisant partie des "Gesta Romanorum". Elle va nous rappeler vivement tant la version osirienne de De Iside du I-II sc. n.D. que le conte du *Papyrus d'Orbiney* datant de l'époque des Ramsès.

Bien qu'éloignée des deux sous rapport d'espace et de temps, la version monacale nous frappe par ce qu'elle a de commun avec elles. La chose est d'autant plus remarquable que tout le traîne a été remanié de fond en comble, jusqu'à transformer l'ancien héros-martyr, en somme personnifiant le dynamisme de la nature,

(1) *Runo* (chant) XIV.

(2) D'après le tableau du célèbre peintre finlandais Axel Gallen-Kallela.

n'a aucune peine à discerner derrière les deux protagonistes, Sviatogor et Iliya, les violents météores, respectivement terrestre et céleste, que les deux personnifiaient. Tout comme dans les poèmes syriens, découverts à Ras Shamra—Ougarit, le chant russe nous présente une lutte épique entre l'ancien dieu, ici de nature volcanique, et son successeur maniant la foudre.

Combien magnifique est l'approche, lente et irrésistible¹ du vieux Sviatogor, sosie de Polyphème, l'un montant un titanique coursier et l'autre menant devant lui un troupeau de moutons, coursier et moutons n'étant autre chose qu'une personnification de la lave que rien ne peut arrêter ! Et combien suggestif est ce "souffle de mort", *nr.* les gaz inéphitiques, du titan qui expire !

C'est l'heure du destin qui sonne. Le torrent de lave s'arrête de lui-même, et sa source bouillonnante au fond du cratère se recouvre d'une lourde dalle pierreuse. En langage symbolique, le vieux héros s'étend dans le "sarcophage" fait d'après ses mesures et en rabat lui-même le "couvercle".

C'est alors que son "frère" adversaire pourra, à force de frapper de son glaive, compléter l'emprisonnement du titan en entourant le sarcophage de bandes de fer, métal sidéral⁽¹⁾, répondant bien au glaive qui lui n'est autre chose que la foudre, accessoire indispensable de l'éruption volcanique.

C'est cette lutte météorique, qui est l'un des multiples aspects de la légende osirienne, que tient à illustrer mon dessin (Pl. I), présentant la mort de Sviatogor d'une manière rétrospective. A comparer avec notre fig. 1, illustrant le thème à la façon traditionnelle, et voir *infra* "Post Scriptum".

LA MORT DE LEMMINKÄINEN

La version finnoise se rattache à un autre épisode de la légende osirienne, rapporté également par Plutarque, où il est

(¹) A comparer l'ancienne désignation égyptienne *b'z'* n pt "merveille du ciel".

Iliya Mouroumetz répond à son frère :

"Ça me suffit, la force que j'ai, mon frère aîné !
Si tu me passes toute la force titanique.
Notre mère, la terre humide, ne va pas me porter, moi aussi".

Le bogatyr Sviatogor dit à Iliya :

"Tu as bien fait, mon frère cadet,
De ne pas avoir écouté mon dernier ordre :
J'aurais soufflé sur toi avec un souffle de mort,
Tu te serais couché mort auprès du cercueil.
Et maintenant, adieu, mon frère cadet !
Il paraît que c'est ici que Dieu m'a destiné la mort.
Prends à toi le glaive titanique,
Et le brave coursier laisse à son maître.
Attache-le au cercueil titanique :
Personne ne pourrait le maîtriser, à part moi".

Et de ses yeux clairs
Coulèrent des larmes brillantes,
Et il croisa ses mains titaniques
Sur sa poitrine blanche titanique.
Il reçut la grande mort,
Et il en sortit du cercueil le souffle de mort.

Alors le vieux dit adieu au bogatyr,
Il attachait le brave coursier de Sviatogor
Au cercueil titanique.
Il ceignit le glorieux glaive de Sviatogor,
Et il partit au large, dans la plaine ouverte.

C'est là qu'on chante la gloire de Sviatogor.

La comparaison du chant héroïque avec le récit de Plutarque
est des plus édifiantes.

Paradoxal que cela paraisse, la version russe, de combien de
siècles plus jeune que la version grecque, a une apparence plus
primitive et, croyons-nous, plus proche de l'original inconnu.
L'écran anthropomorphique devient de toute transparence, et ou



FIG. 1

“ Alors prends mon glorieux, mon titanique glaive,
Fends le couvercle avec le glaive tranchant ”.

Le vieux saisit ce glorieux glaive de Sviatogor,
Mais il ne put soulever le glaive de la terre humide.

“ Ecoute-moi, mon frère aîné,
Je ne peux même pas soulever le glaive de la terre ”.

“ Ecoute-moi, mon frère cadet,
Penche-toi sur le couvercle du cercueil,
Serre-toi contre la petite fente :
Je vais souffler sur toi de mon souffle titanique ”.

Iliya se pencha sur le couvercle du cercueil,
Il se serra contre la petite fente :
Sviatogor souffla sur le vieux
Avec ce souffle titanique.
Et le vieux sentit que la force en lui
Devint trois fois plus grande qu'auparavant.
Il souleva de la terre le glaive titanique,
Il se mit à porter des coups sur le couvercle du cercueil :
Les grands coups font jaillir des étincelles,
Et là où frappe le glaive titanique,
Se pose un cercle de fer.

Le bogatyr Sviatogor en appela de nouveau :.

“ L'air me manque ! L'air me manque !
Frappe le long du couvercle du cercueil ! ”

Le vieux frappe le long du couvercle du cercueil.
Les coups font jaillir des étincelles,
Mais là, où frappe le glaive titanique,
Se pose un cercle de fer.

“ J'étouffe, mon frère cadet !
Penche-toi sur le couvercle du cercueil,
Serre-toi contre la petite fente :
Je vais souffler sur toi de tout le souffle titanique,
Je vais te passer toute la force titanique ”.

Trop large et trop long était pour lui l'énorme cercueil.

Le bogatyr Sviatogor dit à Iliya :

" Écoute-moi, mon frère cadet.

" Ta place n'est pas là. Ce n'est pas à toi à dormir !
Laisse-moi me coucher : ne serait-il pas à ma taille ? "

Le bogatyr, lui-même, descendit du brave cheval,
Et il se coucha dans l'énorme cercueil :
On dirait que juste pour lui était construit l'énorme cercueil !

Le bogatyr dit alors les paroles suivantes :

" C'est pour moi qu'a été construit cet énorme cercueil !
Écoute-moi, mon frère cadet :
Vas-y et couvre-moi
Avec ce couvercle de chêne "

Iliya Mouronetz répond à son frère :

" Je ne vais pas te couvrir, mon frère aîné,
Avec le couvercle de chêne.
Ce n'est pas une petite plaisanterie que tu fais là :
De ton vivant tu veux t'enterrer ! "

Alors le bogatyr, lui-même, prend et se couvre
Avec ce couvercle de cercueil de chêne.
Et ce couvercle, de par la volonté de Dieu,
Devint avec le cercueil comme une seule pièce.

Sviatogor en appela à Iliya du fond du cercueil :

" Écoute-moi, mon frère cadet !
J'ai beau frapper, j'ai beau m'efforcer,
Je n'arrive pas à soulever le couvercle au-dessus de moi !
Prends-toi aux planches, faites de chêne,
Et arrache une planche après l'autre "

Le vieux s'en prend aux planches, faites de chêne.
Il ne peut en arracher aucune :

" Écoute-moi, mon frère aîné,
Je ne peux en arracher aucune "

L'intrépide et brave gars lui dit :

« Je suis le bogatyr de la Sainte Russie, de la capitale Kiev.
Le vieux Iliya Mourometz, fils Ivanovitch !
C'est que je suis parti pour voir, pour connaître
Sviatogor, le glorieux bogatyr.
Il ne descend pas sur notre mère, la terre humide.
Il ne vient pas chez nous, les bogatyr russes ».

« O toi, intrépide et vieux Mourometz !
C'est que le bogatyr Sviatogor, lui-même, est devant toi.
Je serais descendu chez vous sur notre mère, la terre humide.
Mais notre mère, la terre humide, ne me porte pas.
Il ne m'est pas permis d'aller dans la Sainte Russie.
Je ne peux chevaucher que sur les hautes montagnes
Et dans les vastes crevasses.
Nous allons chevaucher avec toi dans les vastes crevasses,
Nous allons chevaucher avec toi sur les Saintes Montagnes.
Par la fraternité des croix, je suis ton frère aîné.
Et toi, Iliya, tu es mon frère cadet ».

Ils échangèrent alors leurs croix,
Et ils se nommèrent frères de croix.
Ils se mirent à chevaucher dans les crevasses,
A chevaucher, à se promener sur les Saintes Montagnes
Et ils tombèrent sur un étonnant miracle,
Un étonnant miracle et un merveilleux prodige :
Au milieu de la route se trouve un énorme cercueil,
Tout recouvert et plaqué d'or rouge,
Tandis que sur le couvercle se trouve une inscription :

*« Celui, pour qui est construit cet énorme cercueil,
Le trouvera juste à sa taille. »*

Le bogatyr Sviatogor dit à Iliya :

« Ecoute-moi, mon frère cadet !

Couche-toi le premier dans l'énorme cercueil :
Ne va-t-il pas te convenir, Iliya ? »

Le vieux descendit du brave coursier.
Et il se coucha dans l'énorme cercueil :

Et il fonça à cheval, depuis la plaine ouverte,
Depuis la plaine ouverte, pour la troisième fois.
De sa massue, il frappa fortement
Sur les épaules puissantes du bogatyr.
Alors le bogatyr se réveilla de son profond sommeil,
Et il prononça, il dit les paroles suivantes :

“ Combien méchantes sont les piqures des mouches russes ! ”

Il avança, il ouvrit sa main titanique,
Il saisit l'intrépide bogatyr russe,
Il le mit avec son coursier dans sa profonde poche,
Et il continua à poursuivre sa route.

Deux jours le brave coursier les porta,
Mais le troisième jour, chez le coursier fort
Les pieds vifs commencèrent à se plier,
Le puissant coursier commença à trébucher,
Il commença à s'enfoncer jusqu'aux genoux dans la terre humide.
Le bogatyr prit le fouet de soie,
Il frappa le coursier sur ses hanches grasses,
Tout en disant au coursier :

“ O toi, pâture de loup, sac de foin,
Pourquoi marches-tu en trébuchant ?
Sentirais-tu un malheur te menaçant ? ”

Le brave et vaillant coursier répond,
En parlant d'une voix humaine :

“ Comment pourrais-je ne pas trébucher ?
Je porte deux puissants bogatyr,
Et maintenant, voilà que le troisième jour
Je porte deux puissants bogatyr.
Et comme troisième—un coursier vaillant ! ”

Le bogatyr retira Iliya de sa poche
Avec le coursier vaillant,
Il se mit à demander, à questionner Iliya :

“ Qui es-tu, intrépide et brave garçon ? ”

Notre mère, la terre humide, commença à trembler,
Les forêts sombres commencèrent à vaciller,
Les fleuves rapides commencèrent à se troubler,
Et ils sortirent de leurs rives abruptes. ⁽¹⁾

Le vieux voit : sur un brave coursier
Vient au pas un bogatyr, une montagne.
De par la taille, il est plus haut qu'un arbre debout ;
De par la tête, il s'enfonce dans le ciel ;
Il vient, tout en sommeillant, assis.

"Quel miracle !" se dit Iliya :
Un bogatyr qui s'est endormi à cheval !
Il aurait pu faire un somme dans sa tente blanche.
On dirait que ce n'est pas un bogatyr russe, mais un païen "

Le cœur ardent d'Ilioucha commença à flamber,
Et il lança son coursier depuis la plaine ouverte,
Depuis la plaine ouverte, pour la première fois.
De sa massue, il frappa fortement
Sur les épaules puissantes du bogatyr.
Il croyait avoir tué le bogatyr et son coursier,
Mais le bogatyr avance toujours, sans se retourner,
Il avance, tout en sommeillant assis.

"Quel miracle !" se dit Iliya :
Et cependant, jusqu'à présent, frappé de la main d'Ilioucha,
Personne ne pouvait rester assis à cheval.
Il faut que je m'élance pour la seconde fois".

Et il fonça à cheval, depuis la plaine ouverte,
Depuis la plaine ouverte, pour la seconde fois.
De sa massue, il frappa fortement
Sur les épaules puissantes du bogatyr.
Mais le bogatyr avance toujours, sans se retourner.
Il avance, tout en sommeillant, assis.

"Il paraît que j'ai encore mal frappé !
Il faut que je m'élance pour la troisième fois".

(1) A relever cet aspect d'Osiris, dieu de l'inondation.

Pour s'en rendre compte, il suffit d'en citer deux, à savoir le chant héroïque russe de "Sviatogor et Iliya Mourometz" et le poème finlandais de la "Mort de Lemminkainen".

SVIATOGOR ET ILIYA MOUROMETZ

Nous avons parlé du chant dans l'une de nos conférences dont le texte a été publié⁽¹⁾. On retrouve dans la "starina" de "Sviatogor et Iliya Mourometz" toute la mise en scène de Plutarque : la caisse faite d'après les mesures exactes du héros, destiné à y être enfermé, l'intervention du "frère" rival liant le sarcophage avec des bandes de fer, etc.

Le lecteur pourra s'en rendre compte en lisant notre traduction qui suit⁽²⁾.

Après qu'un rapsode leur eut chanté la "starina" (légende héroïque) de "Sviatogor", les "bogatyri" (paladins) de la cour de Vladimir, Prince de Kiev, se demandent si le héros était encore en vie. Les uns prétendent qu'il habitait toujours dans les Saintes Montagnes (d'où il tenait son nom). Les autres affirment qu'il était mort de longue date. On finit par se décider à envoyer Iliya (dimin. Ilioucha), surnommé "Mouromets" (c.-à-d., originaire de Mourom), pour voir qui avait raison.

Le "vieux", comme on se plaisait à appeler Iliya Mouromets, se met en selle et part.

Salut à toi, intrépide chasseur,
Vieux bogatyr, Ilioucha Mourometz !
Il chassait, le vieux, dans la plaine ouverte,
Il attrapait la bête féroce sur la pique,
Il enfilait les martres-zibelines sur le fil.

Le vieux arriva auprès des Saintes Montagnes,
Le vieux monta sur les Saintes Montagnes,
Il entendit un bruit très fort :

(1) Voir *La Revue des Conférences françaises en Orient*, 1945.

(2) Imprimée pour la première fois dans *Le Progrès Égyptien*, 18. 8. 45.

Il va de soi que dans un article de longueur limitée il nous est impossible de passer en revue un nombre appréciable d'histoires apparentées. Ce que nous pourrions et que nous nous proposons de faire, est de mentionner deux ou trois versions représentatives et de nous occuper après d'une histoire de Moyen Age. Ceci donnera au lecteur une idée de la vogue connue par la légende, aussi bien que les modalités de son adaptation à des milieux souvent très différents.

Plutarque a localisé la partie centrale de la légende dans la Basse Egypte, et puisque cette dernière était de tout temps en relations avec le Moyen Orient, et en particulier avec le Liban, on ne s'étonnera pas de retrouver une replique de la version de De l'Isle dans le *De Dea Syria* de Lucien de Samosate. C'est l'histoire de "Combabus" dont le héros, imbuissant comme Osiris, est frappé du même complexe maternel, et pour la même raison d'aimer une femme intouchable. Il s'en va au loin, vit cloîtré dans le temple d'Hiérapolis (correspondant au palais de Melcart à Byblos), et ainsi de suite.

Mais voilà ce qui est à noter. En dépit qu'elle fut recueillie dans un pays voisin, et bien que tout proche du point de vue psychologique de la version égyptienne, l'histoire syrienne a perdu maints traits de la mise en scène. Point de caisse faite d'après les mesures du héros-martyr ni d'emprisonnement dans une bière clouée et liée avec des bandes métalliques. Mais ceci et autres choses n'empêchent pas que le fond—le fond psychologique, comme nous l'avons dit—reste le même. L'apothéose non plus ne manque, et, comme ailleurs, il n'a pas lieu dans notre monde ni dans notre milieu. Osiris devient roi des morts, Combabus—chef des eunuques. Nous nous en souviendrons en parlant du Pope Grégoire devenant après son retour dans le monde chef du clergé romain vivant dans le célibat.

Fait vraiment curieux. Plus la légende osirienne s'éloigne de l'Egypte et de la Syrie, plus proche devient-elle de la version syro-égyptienne de Plutarque et même la surpasse-t-elle en netteté.

Un arbre tout proche fait état de prodigieuse croissance. Il entoure de son bois l'énorme caisse et finit par attirer sur lui les regards du roi local, Melcart. Celui-ci ordonne d'en faire un pilier et de le placer à l'intérieur de son palais.

C'est là qu'Isis retrouve le corps d'Osiris après de longues recherches. La déesse réussit à se faire engager par la reine en qualité de servante, et en récompense d'un long service dévoué, obtient la permission de retirer le pilier. Isis débarrasse le corps du bois qui l'entourait et, à force de répandre sur lui des torrents de larmes, le rappelle à la vie.

Osiris une fois résuscité se retire dans l'au-delà et devient dieu des morts, non sans avoir procréé son fils-héritier Horus en fécondant Isis de son regard.

LES HISTOIRES APPARENTÉES EN ÉGYPTE ET AILLEURS

On retrouve des échos de la légende que je viens de relater en Égypte même, notamment dans le conte des "Deux Frères" (*Papyrus d'Orbiney*) et dans celui d' "Horus et Seth" (*Papyrus Chester Beatty I*). Surtout dans le premier. Nous en avons publié une nouvelle traduction⁽¹⁾, et nous avons analysé le conte maintes fois ailleurs. Mais c'est surtout dans le folklore des pays étrangers—où jadis le dieu-martyr avait répandu les lumières de la civilisation—que l'histoire osirienne a connu une vogue prodigieuse.

Nous la retrouvons sur l'étendue de tout le continent euroasiatique, depuis la Gaule jusqu'aux îles de l'Océan Pacifique⁽²⁾. Et, en allant du Sud vers le Nord, depuis la Syrie jusqu'à la Finlande, en passant par les plaines de la Russie de l'époque de Kiev et de celle de Novgorod le Grand.

(¹) L'ancien conte égyptien des "Deux Frères", dans la *Revue des Conférences françaises en Orient*, décembre 1950.

(²) *Ibid.*, p. 12 et 14.

pas de jours disponibles pour qu'ils pussent venir au monde. Et impatients, follement amoureux l'un de l'autre, ils s'unirent dans le sein maternel... Les deux ne purent naître que grâce à l'intervention du dieu de la sagesse Thot. A force de battre la déesse-lune au jeu de dés, celui-ci gagna les jours épagomènes.

C'est donc par l'union entre frère et sœur et par l'opposition de forces ténébreuses que débute le drame osirien. Nous trouvons les mêmes thèmes dans les histoires qui seront passées en revue dans cet article. Elles nous feront comprendre que c'est précisément dans l'union tenue pour incestueuse que réside la force motrice poussant le héros à l'apothéose à travers la souffrance et les affres de la mort.

Pour une raison que Plutarque passe sous silence, mais que les autres versions mettent en rapport avec l'union contraire à la nature, Osiris devenu roi d'Egypte quitte la Vallée du Nil et s'emploie à répandre partout où il passe les bienfaits de la culture, tant matérielle que spirituelle. Puis, un jour, il s'avisa de rentrer dans son royaume, gouverné en son absence par son frère Seth et sa femme Isis.

Osiris est convié à un festin et, à un moment donné, Seth y fait apporter une caisse, très longue et richement ornée, tout en promettant d'en faire présent à celui qui la trouverait juste à sa taille. L'un après l'autre les convives s'y étendent, mais tous s'avèrent être trop petits. Seul Osiris, de taille énorme, remplit la condition et reçoit l'enjeu de la compétition. Et pour cause. La caisse avait été faite d'après ses mesures, prises en cachette sur l'ordre de Seth qui comptait par ce stratagème garder le pouvoir entre ses mains.

Dès qu'Osiris s'étend dans la caisse, les conjurés abattent le couvercle, y enfoncent des clous et versent du plomb fondu. Hermétiquement close, la caisse est jetée dans le Nil. Elle descend jusqu'à la mer et, après avoir longé la côte syrienne, échoue sur le rivage de la sainte cité de Byblos.

LA LÉGENDE D'OSIRIS A TRAVERS LE MONDE

La Légende d'Osiris et les Contes Égyptiens
Sviatogor et Iliya Mourometz — La Mort de Lemminkäinen
La Geste du Pope Grégoire

PAR

VLADIMIR VIKENTIEV

La légende du dieu-martyr est l'une des créations fondamentales de l'esprit humain. La version la plus ancienne nous est connue d'après les mythes égyptiens, de l'époque archaïque quand les dieux habitaient non pas les vastes temples que l'on connaît, mais d'humbles huttes que l'on voit encore de nos jours dans la Vallée du Nil.

Une fois parue en Égypte, la légende a eu une longue carrière dans le pays même, et, à force de s'adapter à différents milieux ethniques, elle se propagea dans les pays voisins et finit par faire le tour du monde.

Il y a des allusions au mythe osirien dans les "Textes des Pyramides" et le célèbre traité philosophique de Memphis, connu sous le nom de "Pierre de Shabaka". Mais c'est surtout d'après les illustrations de Basse Époque et le texte de De l'Iside que l'on connaît l'histoire osirienne d'une manière détaillée.

LA LÉGENDE D'OSIRIS

La vie d'Osiris et de sa sœur-épouse, Isis, se déroule sous un signe extraordinaire. Pour commencer, il n'y avait même

XI.—Zwei Graeber:

Hier des Gescheiterten Grab, das Grab dort drueben des
Bauern,—

Wie unter Erde und Meer Hades gemeinsam sich streckt.

XII.—Darbietung:

Gold fand Einer und liess seinen Strick. Doch Er, der sein
Gold, das

Er gelassen, nicht fand, schlang den gefundenen Strick.

XIII.—Bronzefrosch als Weihegeschenk:

Diener der Nymphen, Freund des Schattens, Saenger
der Feuchte,

Frosch, den ein leichtes Spiel lockerer Tropfen erfreut,

Ihn bot erzgeformt als Weihgabe ein Wanderer,

Von gar feindlichem Durst, hitzegebor'nem, geheilt.

Er hat dem Irren das Wasser gezeigt, aus tauigen Schlundes
Doppellebigem Mund toenend im richtigen Nu.

Und von der Stimme, der Fuehrerin, liess nicht ab dieser
Wanderer,

Eh' zum Trinken er fand Tropfen, so suess und ersehnt.

XIV.—Der Nussbaum:

Nussbaum am Weg, bin ich den vorueberkommenden Kindern
Spiel fuer geschleuderten Steins richtige Zielung gepflanzt.
All meine gruenenden Spitzen und herrlich sprossenden
Zweige

Brachen ab—im Wurf haeufiger Kloetze auf mich.

Edelfruechtige Baeume gewinnen wenig..ich wahrlich

Fruchtete, goetterverhasst, eigenem Stolz nur zur Pein.

V.—*An Aster:*

Sterne betrachtetest du, oh mein Stern. Dass ich Uranos
waere!

Bin ich—auf dich mit viel Augen—der Schauende nicht?

VI.—*An Aster:*

Einst bei Lebendigen leuchtetest du, Stern, Venus der Fruehe,
Der jetzt Gestorbenen glaenzt, Venus des Abends, im Tod.

VII.—*Agathon:*

Agathon kuesste ich... da war mir auf den Lippen die Seele.
Ja, von Duldungen wund kam sie, hinueberzugeh'n.

VIII.—*Alexis:*

Nun, da ich nichts gesagt als dieses "schoen ist Alexis",
Trat er ins Licht, und rings wendet sich jeder zu ihm.
Seele,—den Knochen warum, an die Hunde, verraten?
Und dulden
Gram hernach? Ward so Phaidros nicht unser Verlust?

IX.—*Das Grab spricht:*

Archeanassa ist mein, aus Kolophon Liebesgefahrtin,
Der noch auf Ranzelgeflecht Eros, ein suesser, gehockt.
Weh, ihr verliebten Pfluecker der frischen Bluete aus erstem
Jugendschwellen, ihr gingt, wahrlich, durch bodernden Brand!

X.—*Grab der Eretrier in Medien:*

Hier ruh'n wir, getrennt von der droehenden Flut der
Aegaeis,
Auf Ekbatana's fern innerste Eb'ne verbannt.
Heil dir, Eretria. Heimat, du einst beruehmte! Euboea's
Nachbarin, heil dir. Athen! Heil dir, oh Freundin, oh See!

Alkibiades das Bild des haesslichen Silens beschreibt, das nur eine Huelle fuer ein inneres Goetterbild sei. Sich selbst sieht Plato als einen Schoepfer von wuerziger Nahrung fuer die Menschen. Aber diese werfen mit geistiger Roheit die Steine ihres gierigen Verstehenwollens nach ihm, um gleichsam die Sprossen seiner seelischen Intimitaet zu zerstoeren. Diese Anwandlung duesterer Stimmung im idyllischen Bild ist durchaus kennzeichnend fuer das Greisenwerk Platos. Sein Stolz sieht sich der Welt in tragischem Missverstehen gegenueber.

Sei als Anhang eine Auswahl der Epigramme in deutschen Versen erlaubt.

I.—*An Dion:*

Traenen waren fuer Hekabe und fuer die Frauen von Troja
Schon ihr Schicksalsgespinst, als sie das Leben empfang.

Du, mein Dion, hieltest den Preis deiner herrlichen Taten,
Eh' ins Leere ein Gott breitere Hoffnungen goss.

Ruh'st doch in raemiger Heimat geehrter Buerger—
und hattest

Oh mein fliegendes Herz, Dion, zu Wahnsinn gejagt.

II.—*Pindars Grab:*

Hier der Mann war, Liebling der Fremden und Freund der
Mitbuerger,

Pindar, pierischer Frau'n kostbarem Stimmklang geweiht.

III.—*Sappho:*

Einige sagen, es sind neun Musen. Nachlaessige Zaehlung!
Ist doch aus Lesbos, seht, Sappho die Zehnte dabei.

IV.—*Aristophanes:*

Suchenden Anmutgoettinnen schien Aristophanes' Seele
Ihres heiligen Hains nie zu vernichtender Fund.

(Die Idee erscheint nur aus eigenem Geheimnis). Gleichfalls zum Bereich der Liebesgoettin gehoert das hellenistische Weiter-taendeln der platonischen Erosvision in dem Geschichtchen (Diehl's 13) vom Streit der Musen mit Kypris. Die Musen wollen als Jungfrauen nichts von Eros wissen. Wenn seine Mutter ihn bewaffnet, soll sie ihn zu Ares schicken. Hier sollen wir uns erinnern: poetische Unfruchtbarkeit und erotische Haerte sind einander feind. Plato kaempft gegen Homer. Einen verwandten Uebergang in hellenistische Entspannung zeigt ein sehr dichterischer idyllischer Ton, der in zwei Epigrammgedichten (Diehl 26' und 27') und in dem hexametrischen Fragment (33) aufgeschlagen wird. Es sind weichere Nachklaenge aus der Mysterienatmosphaere des "Phaidros". Die Pfeife des Pan ertönt, waehrend die Baum- und Wasserfeen ihren Tanz einstellen. Vereint mit dem Schauer der vom Zephyr geregten Fichtenzweige bringt sie mittaeglichen Schlummer am Bach. Die epische Idylle fuehrt zum "apfelrosigen" Sohn der Goettin von Kythera, wie er, im Hain auf Rosenkelchen ausgestreckt, laechelnd schlummert, waehrend Koecher und Bogen in den Baeumen haengen und gelbe Bienen auf seinen leckeren Lippen schweben.

Damit kommen wir zum Ende. Uns bleiben noch zwei Bilder aus gleicher idyllischer Landschaft. Aber aus ihrer Anmut bricht eine solche Gewalt des geistigen Symbols hervor, dass wir sie nur dem Verfasser der sokratischen Logoi zuschreiben koennen. Wir sehen einen Bronzefrosch (XIII) und einen Nussbaum (XIV). Und hier ueberkommt uns der Daemon des Sokrates und der Genius Platos. Der Frosch ist ein Weihebild zu Ehren der Nymphen, gestiftet von einem Wanderer, der im Wald verdurstend durch den Ton des Quakens die Stelle des Wassers fand. Dies ist die Stimme des geistigen Heils, das dem die Wahrheit suchenden ihre Quelle anzeigt. Aber Sokrates ist hier nicht als natuerlicher Frosch, sondern als Tierstatue versinnbildlicht, aus deren mit Kunst haesslich gestalteter Huelle die innere Schoenheit hervorkommt—wie im "Symposion"

So haben wir hier die Idee im Spiegel, im Ring, im plastischen Schlaf und im nackten Marmor schillernd. Die einst ueber ganz Griechenland hold spottende Buhlerin Lais, vor deren Tuer noch immer der Schwarm der Verliebten sich sammelt, weiht ihren Spiegel mit diesem Epigramm (Diehl 15), der Goettin von Paphos, also dem Geist der Unsterblichkeit, da sie schon das Alter auf ihren Zuegen nahen sieht. Ihre "wahre" Schoenheit kann das Glas nicht mehr zeigen und ein unzuhaengliches Folgebild will sie nicht. In drei Variationen (Diehl 19, 20, 21), wovon die zweite ein Fragment, sehen wir einen in Stein gemeisselten oder in Silber gravierten Satyr, Gefolgsdaemon des Dionysos, der entweder selbst schlaeft oder neben dem, wie er—wohl als Quellfassung—Wasser giesst, ein Kuabe ausruht. Er bittet, den Knaben mit dem Fuss—wohl beim Wasserschoepfen—nicht anzustossen und zu wecken. In der dritten, kuerzesten Fassung spricht der Dichter, den Bildhauer Diodoros verherrlichend: "Den Satyr hat Diodor in Schlaf gesenkt, nicht gehaemmert. Wenn du nieselst, wirst du ihn wecken. Das Silber hat Schlaf". Wer denkt da nicht an das "caro m'è il sonno" der Nacht auf Michelangelo's Medizaeergrab? Der Schlaf hat hier die Macht und Wahrheit der Idee.

10. Reizen da ind. fuenf; winzige Rinder, auf einen Jaspis graviert und mit diesem von einem Ring gefasst, innerhalb dessen sie wie in einer goldenen Huerde lebendig weiden (Diehl 18). Hier erscheint das Leben durch die Virtuosität seiner Miniaturhaendigung der Roheit als wirksame Idee. Endlich die Schoenheitgoettin selbst! (Diehl 23, 24, 25). Der geniale Praxiteles hat sie in ihrem Tempel in Knidos in nackter Vollkommenheit vergegenwaertigt. Echt platonische Philosophie erscheint in der dreimal aufgeworfenen Frage: wie konnte der Mensch die Goettin nackt sehen? (Wie erscheint die transzendente Idee?). Eine Antwort ist: die Fantasie des Kuenstlers brachte sie herbei. Eine zweite: der Meissel vollfuehrte das Kunststatueck. Beide sind falsch. Die dritte richtige Antwort lautet: Aphrodite hat sich selbst dargeboten—wie schon einmal dem Urteil des Paris.

der iranischen Hochebene angesiedelt. Eine uralte Koenigstadt, einmal Susa, das andere Mal Ekbatana, wird als Sinnbild der totalen Fremdheit dieser Landschaft von der Heimat am Inselmeer aufgerufen. (Die laengere Variation Anhang X, die kuerzere Diehl 9). Hier geben, die Toten dem Leben durch ihren dreifachen Liebesruf neuen Glanz. Von der Seite des Todes aus, der seine Wuerde durch seine gerechte Allnacht offenbart, sehen wir dreimal Inschriften auf Graebnern von Opfern des Meeres. Die erste Inschrift auf dem Grab eines Schiffbruechigen (Anhang XI) weist gleichzeitig auf das nahe Grab eines Landmanns hin. Dessen festes Dasein bezeugt also ebenso die unten waltende Macht des Todes wie jenes abenteuerliche. Ein anderer Schiffbruechiger (Diehl 29) klagt in sechs Zeilen ueber einen Dieb, der seinen Leichnam schamlos des Gewandes beraubte. In der Bekleidung mit diesem "Fetzen" moege der Frevler nach seinem Sterben vor dem Totenrichter Minos erscheinen! Dies erinnert in der Stimmung an die Totenszene im "Phaidon", wo die Spender die von ihnen im Leben Gekraenkten im Hades um Verzeihung bitten muessen. Auch hier ist eben das Leben gesehen als im Tod weiterwirkend und damit in seiner geistigen Macht vom Tod gesteigert. Der dritte Schiffbruechige (Diehl 30) vergeistigt sein Schicksal zum Segenswunsch an die Lebenden: "Oh Schiffer, moege euch Heil im Meer und auf der Erde werden! Wisset aber, ihr fahrt an eines Schiffbruechigen Grabmal vorbei".

Die heiter glaezende Seite des platonischen Denkens findet sich in vier Bildmotiven mit gleichsam ideenhafter Magie dargebracht. Wir wuerden den Stil all dieser Epigramme hellenistisch nennen. Das kann in ihrem zeitlichen Ursprung begruendete sein. Doch wuessten wir nicht, warum es unmoeglich sein sollte, dass Plato schon selbst diesen "Hellenismus", der geistig in ihm wurzelt, in entsprechende Worte gefasst hat. Es ist der Vorgang der Entspannung nach der denkbar hoechsten geistigen Steigerung, dem wir hier beiwohnen. Das mystisch geschaute Urbild spielt in anmutigen Nachbildern weiter.

erotischen Epigramme gehoeren also mit den andern zusammen, die in direkter Form die menschliche Vergaenglichkeit, die Allmacht der Zeit und des Schicksals ueber alles Vergaengliche, und schliesslich die sinnliche Gegenwart des Todes im Grabe aufrufen. All diese Variationen bezeugen, was Karl Reinhardt schoen und treffend die Uerschuetterung Platos durch Tod und Gesetz genannt hat. Das hoechste Symbol dafuer in seinem grossen Werk ist der Mythos von der im Todesreich thronenden und den Kosmos um ihre Spindel drehenden, goettlichen Ananke. Ihre Geberde, ins Diesseits uebertragen, beherrscht das Epigramm vom Aeon (Diehl 31): "Aeon traegt alles: Zeit als Rennbahn weiss Name und Gestalt und Natur sowie Geschick zu wandeln". Ein witziges Bild der Allmacht des Schicksals, das sein Gesetz gleichgueltig gegen die Person seines Traegers erfuehlt, ist in zwei Variationen ueberliefert. Beide stammen zweifellos vom gleichen Verfasser, der sein Spiel sich selbst doppelt vorspielen wollte. (Anhang XII; dazu Diehl 12). Es ist der Auftritt einer kleinen Mysterienkomoedie, mit dem deutschen Titel: "Verwechselt, verwechselt am Baumelein". Ein am Leben Verzaeufler kommt mit seinem Strick zu einem Baum, um sich dort aufzuhaengen. Er findet unter, bei oder in ihm einen Goldschatz. Wieder zum Leben gerufen, nimmt er ihn mit sich und laesst den Strick dort. Der hoffnungsvolle Besitzer des Goldes findet also zurueckkommend den Strick, fuehlt sich von Verzweiflung getroffen und haengt sich zum Tode auf. Das Gesetz des Goldes als Leben und das Gesetz des Strickes als Tod vollziehen sich mit um so groesserer schicksalhafter Klarheit, als sie ihre personalem Traeger austauschen.

Zwei Grabinschriften, die eine zweimal, die andere dreimal variiert, zeigen das "Gleichgewicht der ungeheuren Wage" von Leben und Tod in sinnlicher Anschauung. Sehr ergreifend von der lebendigen Seite aus, also mit tragischem Leid bezahlt, im Epigramm auf dem Totenmal der verschleppten Buerger von Eretria, der Hafenstadt auf Euboea, gegenueber der attischen Kueste gelegen. Diese waren von den Persern gefangen und auf

mit kosmischem Bewusstsein. Die Erinnerung an den toten Aster (VI) feiert mit dem herrlichen uralten Symbol der Tödliebeneinheit im Stern der Aphrodite den Eros als Bringer der Unsterblichkeit. Eros' Gegenwart im Tode oder, was dasselbe ist, die Gegenwart des Todes in ihm, als ueberwaeltigendes sinnliches Erlebnis erscheint in dem Epigramm an Agathon (VII). Geistige Deutung von Liebeserlebnissen mit Frauen wird man bei klassischen Griechen selten und gewiss garnicht bei Plato erwarten. Eine einzige Ausnahme von erlesener Anmut bestaetigt diese Regel. Plato preist den erotischen Zauber einer Greisin (IX). Er laesst ihr Grab sagen, dass noch ihre Rußzeln verfuhrerisch waren, dass sie also in ihrer Jugend ihre Liebhaber gewiss in sinnliche Raserei versetzte. Uns scheint, Plato beneidet diese fruheren Liebhaber durchaus nicht um ihr Erlebnis. Der Zauber, der von der Greisin ausgeht, ist bestrickender, denn er hat eine geheimnisvoll aus dem koerperlichen ins geistige aufsteigende Macht. Es liegt nahe, hier an eine ausserordentliche Frau zu denken, die in Platos Werk, und zwar im "Menexenos", als Traegerin solchen Zaubers andeutend geschildert wird: Aspasia, die Witwe des Perikles, in ihrer Jugend bekanntlich "lodernden Brand" der Liebe entfachend, aber in ihrem hoeheren Alter als Mittelpunkt eines Kreises geistreicher Verehrer, darunter auch Sokrates, geruehmt. Milet, woher sie stammte, liegt nicht weit von Kolophon. Archeanassa, Erzherrin, waere ein passender Name fuer die grosse Aspasia. Wer immer dies Epigramm verfasste, hat, wenn nicht allein an sie, gewiss auch an sie gedacht.

Ein schoenes Maedchen mit einem Apfel als Erklaerung und Forderung von Liebe zu bewerben, wie in zwei Epigrammen (Diehl 2 und 3) die einander variieren, geschildert wird,—gibt Plato nicht den Anlass, sinnliche Leidenenschaft, die man auch nicht von ihm erwarten wuerde, dichterisch zu verherrlichen. Der frische Apfel vergegenwaertigt ihm die Naehel des Welkens und damit des Todes der Frucht und gleichzeitig des jungen Menschenkindes, das der Apfel trifft. Diese nur scheinbar

pes Knaben der Abfassung des Dialoges vorausging. Dessen wunderbare erotische Heiterkeit waere dann zugleich eine schwermuetige Feier des Abschieds.

Drei Epigramme verherrlichen grosse Dichter ganz in dem Geist, in dem ihnen in Platos philosophischem Werk gehuldigt wird. Die Grabinschrift fuer Pindar (Anhang II) schliesst gleichsam an das Diongedicht an. Auch nach seinem tragischen Ende war Dion immerhin gluecklich, von seinen Heiratgenossen in der Erinnerung geehrt zu werden. Hier klingt mit, dass die staerkere Tragik Platos auch in seinem Gefuehl bestand, von den Seinen diese Ehrung durchaus nicht zu erfahren. Vielleicht machte sein Stolz ihn blind gegen die stille Hingabe mancher nicht so wortreicher Athener. Jedenfalls hat, wer immer Plato als Autornamen ueber Pindars Grabschrift setzte, das Gefuehl ausdruecken wollen: der thebanische Dichter, der in den Dialogen einige Male mit grosser Verehrung als Verkuender von Mysterien zitiert wird, war, ebenso wie Dion, gluecklicher als Plato: trotz seiner aristokratischen Unabhaengigkeit liebten ihn Fremde und Mitbuerger. Sappho (III), an deren kurzer Preis in "Phaidros" erinnert sei, wird durch ein pythagoreisches Symbol gefeiert: unter den Musen ist sie die zehnte, also die Traegerin der vollkommenen Zahl. Auch Aristophanes (IV) erfahrt eine Art mytischen Preis in geistreicher Umkehrung. Waehrend sonst bei Plato immer ein sichtbar begrenztes Bild symbolisch die Gegenwart goettlicher Seelengewalt anzeigt, zeigt hier die Seele des uebermuetigen Mythendichters aus dem Symposion das begrenzte Bild eines Heiligtums der Charitinnen an.

Die drei Knabenepigramme, die den himmlischen Eros feiern, bringen in der ganzen Reihe den klarsten Ausdruck platonischer Philosophie. Die Liebe zu dem lebenden "Stern", Aster (V) der, vielleicht in astronomischer Arbeit seinem Lehrer nahe, zu den Sternen aufblickt, leitet in diesem durch die Geste seines schoenen Koerpers den erotischen Aufschwung zum Himmel, sodass der Verzueckte der Himmel selbst sein moechte—wohl der hoechste Ausdruck der Durchdringung des Menschen

ein anschauliches Bild der Zerstörung—darum strenger noch als die Dichtung Homers aus seiner idealen Gemeinde verbannt. Hier erscheint sie in dreifacher Stufung des Vernichtens. Hekabe und die Frauen von Iliou sind unmittelbar Tragoeckenfiguren. Sie sind dem Greis gegenwaertig, weniger aus dem Epos als aus einer unausloeschlichen Jugenderinnerung, der ersten Auffuehrung der erschuetternden "Troerinnen" des Euripides im Jahre 415 v. Chr., denen der damals zwolffaehrige gewiss beiwohnte. Tragischer als diese von vornherein zum boesen Untergang bestimmten Frauen ist Dion, weil sein Untergang in schroffem Abbruch edelster Hoffnungen bestand. Aber der Held der Tragoeckie "an sich", das Opfer reiner Vernichtung ist Plato, dessen Eros fuer Dion ihn viele Jahrzehnte seines Lebens mit verzehrendem Wahnsinn schlug... Auch das zweite (Anhang VIII), im engeren Sinn biographische Epigramm enthueilt die gefaehrliche und quaelende Wirkung des Eros. Der Dichter spricht zum eignen Thymos, d.h. zur eigenen "Seele", sofern ihre Leidenschaft sowohl edlem Geist wie boesen Begierden dienen kann. Er wirft ihr Schwaeche vor gegenueber einem geliebten Knaben Alexis, der, jedenfalls unter diesem Namen, uns sonst voellig unbekannt ist. Er hat seine Schoenheit gelobt und ihn damit in die Gefahr unedler Eitelkeit infolge allgemeiner Bewunderung gestuerzt. Auf diese Art hat er schon den geliebten Phaidros "verloren" oder "verdorben"—oder beides! Dieser Phaidros kann unmoeeglich der historische des "Gastmabes" und des "Phaidros" sein, der schon im "Protagoras", also vor Platos Geburt, als Knabe erscheint. Gewiss gehen wir nicht fehl anzunehmen, dass Plato den historischen Namen einem geliebten Juengling verlieh, den er, als etwa Sechzigjaehriger, in dem grossen erotischen Dialog "Phaidros" verherrlichte. Moeeglich, dass diese intime Ehrung, wenn sie auch der Oeffentlichkeit unbekannt blieb, den jungen Mann uebermuetig machte und den Anstoss zur Fehlentwicklung seines Charakters gab. Aufschlussreicher fuer die dichterische Tiefe Platos waere die Moeeglichkeit, dass der erotische Kampf mit dem unbeherrschten Lob und dem Abfall

Taten der Staatsmaenner und Feldherrn, oder ganzer Staedte und ihrer Heere. Als Inschrift ziert er praechtige Tempel und stille Heiligtuemer, Privatraeume und Sockel von Statuen und Weihebildern und schliesslich, alle nur denkbaren Ereignisse des Lebens und Gestaltungen des Lebendigen im Augenblick des Todes zusammenfassend und verklaerend: das Grab.

Es scheint nicht zufaellig, dass der eigentliche Meister des populaer gepraeigten Epigramms von dichterischer Wuerde, dass Simonides von Keos in der Epoche der Perserkriege, also des echtesten gemeingriechischen Enthusiasmus, der schon in sich selbst ein dichterisches Element war, lebte und wirkte. In dieser Rolle des Bringers populaerer Schoenheit, die immer auch zugleich bei den Griechen populaere Weisheit ist, fuehrt Plato mit ironischem Lob den Simonides im "Protagoras" ein. Indirekt rechtfertigt er damit gleichsam seine eigne Epigrammproduktion innerhalb seines streng philosophischen Wirkens. Dieses bekaempft das poetische Vergenden von politisch-mystischen Werten. Aber warum soll nicht mit Selbstironie ein gelegentliches anmutiges Spiel erlaubt sein? Immerhin ist es wohl kein Zufall, dass alle Epigramme Platos in sein Greisenalter weisen, dessen philosophische Praegung mit dem "Phaidros" beginnt. Erst nach dem grimmig earnesten Kampf gegen den Dichter Homer, der in der "Politeia" zum Abschluss kam, war die Entspannung gegeben, in der der koenigliche Weise hohe Gedanken in Formen der Lust zu fangen gencigt war. Wahrscheinlich hat er viele solche Verse und kleine Idyllen verfasst und dann doch wieder mit der heftigen Strenge, die fuer sein hohes Alter eben so charakteristisch ist wie die poetische Laune, vor einer neugierigen Jugend und Nachwelt unterdrueckt.

Zwei Epigramme druecken so persoenliche Gefuehle Platos gegenueber bestimmten Zeitgenossen aus, dass sie auch im technischen Sinn als zweifellos echt gelten muessen. Das erste davon (Anhang I) ist ein tragischer Gruss an den eben ins Grab gesunkenen Dion, also bestimmt von dem weit ueber 70-jaehrigen verfasst. Die attische Tragodie war fuer den Philosophen immer

Zeit sein eigenes Epigramm mit den Namen Platos schmueckte, wollte damit zweifellos ausdruecken, dass es von dem erlauchten Philosophen stammen koennte, also irgend etwas von seinem Geist in dieser spielenden Form enthielt. Das gleiche gilt von Sammlern, die ueber ein anonymes oder ungewiss benanntes Distichon den Namen Platos setzten. Grundsatzlich haben fuer unseren Zweck all diese zarten Gebilde die gleiche Bedeutung: sie sind ein Zeugnis des Weisen in einem kurzen Spiegelreflex, gleichgueltig gegen die Frage, ob dieser ihm selbst oder einem Nachbahrer zu verdanken ist.

Unter allen Umstaenden ist es gewiss, dass Plato sich gelegentlich in Epigrammen ausgedrueckt hat. Denn das taten die Griechen insgesamt, von den hoechsten Dichtern bis zu zahllosen Vertretern einer breiten Menge, soweit sie nur wirklich griechisch zu reden, das heisst, dichterisch mitzuklingen vermochten. Durch seine eignen und die ihm zugeschriebenen Epigramme erscheint Plato fuer uns einfach als Traeger der hellenischen Kultur in einer ihrer zartesten, aber dennoch—wenigstens im Westen—unvergleichlichen Manifestationen. Von ihr gibt es noch eine einigermassen gelungene Nachahmung bei den Roemern, aber nichts Entsprechendes mehr bei den europaeischen Nationen. Seitdem des Distichon, also die festgepraegte Einheit eines Hexameters und eines Pentameters, als Ausdrucksmittel politischer Lyrik gefunden war, also, soweit wir wissen, seit Kallinos im 7. Jahrhundert, wurde es ein klassisches Symbol des dichterischen Lebens, das wir Hellas nennen. Metrisch ist es ein komplizierter Koerper. Seine populaere Beherrschung zeigt schon als solche die Hoehe der artistischen Kultur des Wortes bei den Griechen. Es streut ueber das gesamte Dasein geistige Funken, die an den manigfaltigsten Stellen des Kulturraumes als Einheit von Leben und Dichtung aufleuchten. Ein Funke begruesst den Neugeborenen, er beglueckwuenscht den athletischen Sieger und den heimkehrenden Krieger, er preist den geliebten Knaben und spielt mit dem geliebten Maedchen, er verspottet den politischen und den geistigen Gegner, er lobt die

DIE EPIGRAMME PLATOS

VON

HELMUT VON DEN STEINEN

Unter dem Namen Platos sind ausserhalb seines grössten Werkes aus dem Altertum eine Reihe von Epigrammen ueberliefert, die schon vielfach diskutiert wurden. Sie bieten kaum wissenschaftliche Probleme. Die Hauptfrage, die man ihnen gegenueber erheben kann, ist naturgemaess, diese : enthalten sie irgend etwas von platonischer Philosophie ? Zweifellos sind sie kleine Spiele. Schimmert durch sie ein tiefer Ernst hindurch ? In folgenden wollen wir versuchen, hierauf eine systematische Antwort zu geben...

Es sind in ganzen 32 Stuecke, alle in Distichen (ein- bis vierfachen), dazu ein kleines Stueck von 7 Hexametern, vielleicht ein Fragment. Man findet sie jetzt mit vollem Apparat uebersichtlich zusammengestellt in der *Anthologia Lyrica Graeca*, Fasc. I (ed. Ernst Diehl, 3. Aufl., Teubner, 1949). Sie waren alle in spaetantike Anthologien von Epigrammen aufgenommen, elf von ihnen ausserdem in die *Platobiographie* des Diogenes Laertios. Einige finden wir auch gelegentlich bei griechischen und lateinischen Schriftstellern zitiert, einige auch ins Lateinische uebersetzt. Das wichtigste jedoch ist : bei vielen ist der Autorname Platos nur als Alternative neben anderen, spaeteren Epigrammendichtern angegeben. Die antiken Leser und Sammler verfuegten also selbst ueber keine eindeutige Kenntnis der Ueberlieferung. Trotzdem waere es verfehlt, hier das schwere Geschuetz der Echtheitsuntersuchung aufzufuehren. Es liegt in der Natur dieser winzigen Wortgebilde, dass sie leicht und erfolgreich imitiert werden koennen. Wer immer in hellenistischer

CONTENTS OF THE EUROPEAN SECTION

HELMUTH von der STRONG	67
Die Elzgramme Platos	1
VLADIMIR VILENIUS	
La Légende d'Osiris à Travers le Monde	15
RAOUL KAMF	
Bibliographie de l'Œuvre de Romain Rolland	37
DR FARID SHAI'Ī	
An Early Fāṭimid Mihrāb in the Mosque of Ibn Tūlūn	67
MARK RITTER SPONSBURGH	
A Modular System in Pharaonic Statuary	83
MUSTAFA AMER and IBRAHIM RIZKANA	
Excavations in Wadi Digla	97
WALTER KAMM	
The Bacchides of Plautus: its Plot and Origin	101

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XV—PART I

MAY 1953

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
FOUAD I UNIVERSITY PRESS
1953

مجلة
كلية الآداب



المجلد الخامس عشر - الجزء الثاني
ديسمبر سنة ١٩٥٣

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٥٣

تصدر هذه المجلة مرتين في السنة . في مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة القاهرة بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها السيد عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة بالجيزة

فهرس القسم العربى

- الدكتور محمد متولى . . . كوكب الأرض ، خصائصه المميزة وأثرها
١ فى حياة الكائنات
- ١٧ الدكتور ابراهيم أحمد رزقانة المخابر الأرضية فى عصر البليستوسين
- ٣١ الدكتور مصطفى الخشاب طقوس اتشيوما ، بحث فى الاجتماع البشرى
- ٥١ الدكتور محمد محمود الصياد مناخ غرب الدنا
- ٨٧ الدكتور عبد اللطيف حمزه بعض بذر الشخصية المصرية فى الأديين القديم
والرسيط

كوكب الأرض

خصائصه المميزة وأثرها في حياة الكائنات

لقد كنور محمد منولى

الأرض فرد من أفراد المجموعة الشمسية ، وهذه هي المجموعة الوحيدة من بين المجموعات الكثيرة التي يألف منها الكون التي نعرف عنها من الحقائق أكثر مما نعرف عن غيرها .

وتتألف هذه المجموعة من نجم عظيم يشغل مركزها وهو الشمس ومن عشرة كواكب تدور حول هذا النجم في اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق وفي مستوى واحد هو مستوى الخسوف والكسوف ، وهذه الكواكب هي : عطارد ، والزهرة ، والأرض ، والمريخ ، والكويكبات ، والمشتري ، وزحل ، وأورانوس ، ونبتون ، وبلوتو .

والأرض كتاب من توابع الشمس لها خصائص تميزها عن بقية الكواكب فهي من حيث موقعها بالنسبة للشمس ، ومن حيث حجمها وكتلتها ، ومن حيث ميل محورها عن العمودي ، ثم دوراتها حول نفسها وحول الشمس ، ومن حيث طبيعة الغلاف الغازي المحيط بها ، ومن حيث توزيع اليابس والماء فوق وجهها ، من هذه النواحي جميعا تتميز بخصائص معينة . وليس من شك في أن الانسان ككائن حي قد تأثر بتلك الخصائص وتأثرت معه بقية الكائنات التي تعيش على وجه الأرض سواء كانت حيوانية أو نباتية . وفيما يلي بيان موجز لأثر تلك الخصائص في مختلف الكائنات :

أثر موقع الأرض :

ترسل الشمس أشعتها في فضاء الكون فتتلقى الكواكب المختلفة نصيبها منها وتكتسب من ذلك الضوء والحرارة .

ويختلف ما يصيب الكواكب من هذه الأشعة باختلاف بعدها عن الشمس فالأرض التي تبعد عن الشمس بنحو ٩٣ مليون ميل لا تكتسب من الأشعة إلا ٢ مليون ممترسلة الشمس. وأما الزهرة وهي أقرب إلى الشمس من الأرض فانها تتلقى من أشعة الشمس ضعف ما يصيب الأرض . وأما عطارد وهو أقرب إلى الشمس من الزهرة ومن الأرض ، فانه ينال من أشعة الشمس سبعة أمثال ما تناله الأرض .

والقدر الضئيل الذي تناله الأرض من أشعة الشمس كفيلا بأن يكسب الأرض الحرارة التي تكفي لحياة الكائنات المختلفة التي تعيش على سطحها . فهو الذي مهد للغابة الاستوائية بأشجارها الضخمة وأوراقها العريضة سبيل النمو في العروش الدنيا ، وهو الذي ساعد على إنبات الحب وإنضاج التمر في أنحاء الأرض المختلفة ، وهو الذي أعان الحيوان على الحياة في الوطن الملائم له ، ومهد للانسان سبيل الإقامة في كل ركن من أركان العالم .

أثر الحرارة في حياة الانسان :

وإذا درسنا حاجة الكائنات المختلفة التي تعيش على سطح الأرض من حيث ما يلزم لها من الحرارة لكي تعيش وتزدهر تبين لنا أن هناك تجاوزا تاما بين تلك الكائنات وبين ما تكتسبه الأرض من حرارة الشمس . وليس أدل على ذلك من أن لكل جزء من أجزاء سطح الأرض ، بل ولكل إقليم من أقاليمها أنواعا خاصة من الكائنات النباتية والحيوانية تنفق طبيعتها مع الظروف التي يميز بها ذلك الإقليم ، وبصفة خاصة ظروف الحرارة .

وإذا أخذنا الانسان مثلا لذلك وجدنا أنه أقوى الكائنات وأقدرها على تحمل الحر والبرد ، ومع ذلك لحدود الحرارة التي يستطيع الحياة في نطاقها محدود للغاية . وتفسير ذلك :

أن معدل الحرارة الداخلية لجسم الانسان يبلغ ٣٧° مئوية .
وأن أقصى ما يرتفع اليه هذا المعدل هو ٤١° مئوية .
وأن أدنى ما يهبط إليه هو ٣٦° مئوية .

وأن وراء هاتين النهايتين نهاية حياة الإنسان .

ومعنى هذا أن مدى الحرارة الداخلية التى يبقى فيها جسم الإنسان حـ
لا يتعدى خمس درجات مئوية .

هذا فيما يتعلق بالحرارة الداخلية لجسم الانسان ، أما مقدار ما يتحملة الجسم
من حرارة خارجية فانه هو الآخر يقع فى نطاق محدود ، فإذا تراوحت حرارة
الجو مثلاً بين ١٥° مئوية وبين ٢٠° مئوية فأنها تكون منعشة . أما إذا علت
إلى ٤٠° و ٤٥° فأنها تكون حارة مزعجة ، وإذا هبطت إلى الصفر فأنها تكون
باردة ، أما إذا بلغت ٢٠° أو ٢٥° تحت الصفر فأنها تكون قاسية . وجميع
هذه الدرجات مما يحتمله جسم الانسان وهى مألوفاً فى مختلف جهات الأرض .

أما إذا علت درجة حرارة الجو حتى بلغت ٥٠° مئوية أو هبطت
إلى ٥° تحت الصفر المئوى فإن الانسان يقاسى كثيراً منها ثم إنه لا يستطيع
الحياة إلا إذا اتخذ الاحتياطات اللازمة ، وهو إذا اتخذها لا يستطيع المقاومة
طويلاً .

ومعنى هذا أن أى تغير يصيب موقع الأرض فى المجموعة الشمسية
كأن يجعلها تقترب من الشمس عما هى عليه أو يجعلها تباعد عنها سيؤدى
حتماً إلى زيادة فى مقدار الحرارة التى تكتسبها الأرض من الشمس أو
إلى نقصان فى ذلك المقدار ، وفى كلا الحالتين سيتغير التوزيع الحالى لدرجات
الحرارة على وجه الأرض ، الأمر الذى ينشأ عنه اتساع المناطق التى تتمرد
فيها حياة الانسان هو وما يمانله من كائنات .

أثر الحرارة فى الماء :

وللحرارة التى تكتسبها الأرض الآن — نتيجة لموقعها الحالى بالنسبة
للشمس — أثر آخر فى الكائنات التى تعيش على سطح الأرض فهى بدرجاتها
المعروفة فى أغلب جهات العالم تساعد على بقاء المياه على سطح الأرض
فى حالة سائلة .

والحياة كما نعرفها على سطح الأرض لا تكون ميسورة أو ممكنة إلا إذا ظل الماء الذى تنفتح به الكائنات جميعا في حالة سائلة .

فالنبات الذى يستمد غذاءه من التربة لا يستطيع الحصول على هذا الغذاء إلا إذا ذابت عناصر التربة في الماء أو تحللت فيه وبذا يسهل امتصاصها مع الماء .

فإذا تجمد الماء المتسرب خلال التربة بفعل البرودة وتحول إلى مادة صلبة فإن عملية الامتصاص تكون معتمدة . وإذا تغير الماء بفعل الحرارة الشديدة تعذرت عملية إذابة العناصر التي يتغذى بها النبات ، وفي كلا الحالتين يعجز النبات عن الحصول على حاجته من الغذاء فيموت .

ويمكن تطبيق هذه الظاهرة على الإنسان والحيوان لأن الدم الذى يجري في عروقها يحتوى على نسبة عالية جداً من الماء ، وهذا الماء هو الذى يساعد على إذابة العناصر التي يتغذى بها الجسم ، وهو الذى ينقلها معه وهو يجري في الشرايين إلى مختلف الخلايا لكي تنفتح بها . كما أنه هو الذى يجمع من أجزاء الجسم المختلفة الفضلات التي تتخلف فيها بعد عملية التغذية وينقلها معه في الأوردة إلى القلب ثم إلى الرئتين لكي يخلص منها الجسم .

وليس هناك على وجه الأرض سائل آخر يستطيع أن يحمل محل الماء في أداء هذه الوظيفة الهامة ، وهو لهذا ضرورى جداً للحياة .

يضاف إلى ما سبق أن البروتوبلازم (Protoplasm) وهو أساس الحياة في الكائنات جميعا يتألف في أغلبه من ماء ، إذ تتراوح نسبة الماء فيه بين ٦٠٪ أو ٧٠٪ والحرارة التي تكتسبها الأرض من الشمس الآن ملائمة لحياة البروتوبلازم كل الملائمة . فإذا أصابها أى تغيير كأن زادت عنه هي عليه الآن نتيجة لاقتراب الأرض من الشمس أو هبطت عن معدلها الحالي نتيجة لابتعاد الأرض عن الشمس فإن حياة البروتوبلازم تتعرض للخطر ويعرض معها لنفس هذا الخطر حياة الكائنات جميعا . وليس يخاف أن البروتوبلازم يتعرض للعناء وأن مادته تتعرض للانحلال إذا زادت الحرارة التي يعرض لها عن درجة الغليان أو هبطت إلى ما دون الصفر .

أثر ضوء الشمس :

ترسل الشمس أشعتها في فضاء الكون فترسل الضوء والحرارة إلى الكائنات التي تعيش على سطح الأرض فتنبث فيها الدفء والحياة . والضوء عنصر هام من العناصر التي تفيد منها الكائنات ، لهذا كان توزيع الكائنات على سطح الأرض متأثراً إلى حد كبير بتوزيع الضوء .

وإذا درسنا توزيع الضوء على سطح الأرض وجدنا أنه يختلف من جهة إلى جهة ، ومن وقت إلى آخر ، حسب الزاوية التي تسقط بها أشعة الشمس على الأرض . والقاعدة أن الأشعة إذا سقطت عمودية أو قريبة من العمودية فإنها تعطى الأرض قدرأ من الضوء والحرارة أعظم مما تعطيه الأشعة المائلة . لهذا كانت الجهات الاستوائية أكثر حرارة وأشد ضوءاً من الجهات القطبية ، وكانت الظهيرة أوفر ضوءاً وأعلى حرارة من الصباح أو المساء .

ولضوء الشمس بعض الخصائص الكيميائية التي تؤثر تأثيراً كبيراً في الخلايا الحية . والأطباء جميعاً يعرفون فضل الأشعة البنفسجية التي تصحب ضوء الشمس في تنمية الأنسجة المختلفة لعضلات الجسم ، وفي مغالبة العلل ومعالجة الأمراض . لهذا كان التطبيب بأشعة الشمس من الأمور المسلم بها .

ولكن الضوء الذي يصحب هذه الأشعة سيتأثر من غير شك إذا تغير الموقع الذي تشغله الأرض في الوقت الحالى من المجموعة الشمسية . فإذا اقتربت الأرض من الشمس عما هي عليه الآن فإن الضوء سيزداد قوة ، أما إذا بعدت فإنه سيضعف لا محالة . ولا يدري إنسان إن كانت أشعة الشمس ستبقى في كلا الحالتين محتفظة بخصائصها العديدة التي يفيد منها النبات والحيوان ، ولكن الذى لا شك فيه هو أن أشعة الشمس إذا اشتدت عما هي عليه أو ضعفت عما هو مألوف في جهات العالم المختلفة فإن الكائنات جميعاً ومن بينها الإنسان ستعرض للون من التغير قد لا تقوى على احتماله .

حجم الأرض وكتلتها وأثرهما في الحياة :

عرف العلماء منذ زمن طويل الأبعاد المختلفة لكوكب الأرض وتمكنوا من تقديرها تقديراً علمياً دقيقاً : فعرفوا أن محيط الكرة الأرضية يبلغ ٢٥ ألف ميل ، كما عرفوا أن أقطارها ليست متساوية الطول ، وأن القطر القطبي وهو أقصرها جميعاً يبلغ ٧٩٠٠ ميل ، وأن القطر الاستوائى يبلغ ٧٩٢٧ ميلاً .

وقد عرفوا كذلك كتلة الأرض ومتوسط كثافتها وتوصلوا إلى ذلك بطريقة علمية أساسها القاعدة التى تعدد القوى التى تتجاذب بها الأجسام المختلفة . فبواسطة القوة التى تجذب بها الأرض جسماً ما إذا كتلة معروفة وبعد معين أمكن تقدير كتلة الأرض .

ولكتلة الأرض تأثير كبير في قوة الجذب التى تخضع لها جميع الأجسام . ولولا عظم هذه القوة لما تمكنت الأرض من الاحتفاظ بالغلاف الغازى الذى يحيط بها . ويذكر العلماء أن الأرض في بدء تكوينها كانت أصغر حجماً وأقل كتلة مما هى الآن . لهذا لم تستطع الاحتفاظ بشيء من الغازات حولها ، ولكنها بعد أن كبرت توفر لها من قوة الجذب ما مكنتها من الاحتفاظ ببعض الغازات . ويقال إنها لم تبدأ في الاحتفاظ بالغلاف الغازى المحيط بها إلا بعد أن بلغ طول قطرها ٤٠٠٠ ميل تقريباً . أما قبل ذلك فكانت قوة الجذب فيها أضعف من أن تحتفظ لها بأى غاز من الغازات التى يتألف منها الهواء . ويقال أيضاً إن القمر لم يستطع حتى الآن الاحتفاظ بأى غلاف غازى حوله لأنه ما زال صغير الحجم والكتلة .

والقاعدة العامة أن وزن أى جسم من الأجسام التى توجد على وجه الأرض يتوقف على عاملين هما : كتلة الأرض ، وكتلة هذا الجسم . وما الوزن إلا مقدار القوة التى يجذب بها الجسم نحو الأرض . ويختلف هذا المقدار تبعاً لكتلة الأرض وهى الكوكب الذى يسبب الجذب ، وكتلة الجسم الذى يخضع هذا الجذب .

وبالنسبة لأن كتلة القمر أصغر من كتلة الأرض فإن العلماء يقدرّون
 قوة جذب القمر للأجسام التي تقع عليه بسدس قوة جذب الأرض لها ، فإذا بلغ
 وزن إنسان ما على سطح الأرض ٧٥ كج مثلاً فإنه لا يزن على القمر سوى
 ١٢ كج . ولا يزن على عطارد سوى ٣٢ كج . أما على جسم كبير كجسم
 الشمس فإنه يزن طنين أو ثلاثة أطنان ، وعندئذ لا يقوى هيكله العظمى
 على حمل هذا الجسم الثقيل بل إنه يتشتم تحته ويتحول إلى حطام .

ومن هذا نستطيع أن ندرك أن الانسان بصورته الحالية سواء من ناحية
 حجمه أو قدرته على الاحتمال هو أنسب الصور وأكثرها ملائمة
 لكتلة الأرض .

قوة الجذب وأثرها في النشاط البشرى :

لبس هناك من يشكر ما لقوة الجذب كما يلحد الأوزان من أثر عميق
 في النشاط الذي يديه الانسان على وجه الأرض . فقوة جذب الأرض
 هي التي تنهك قوى الانسان وتحمل التعب في جسمه ، وهي التي تقيم الصعاب
 في سبيله وتشعره بالعجز أمامها . فالمسافات إذا بعدت شق عليه قطعها ، والجبال
 إذا علت صعب عليه تسلقها ، والبحار إذا اتسعت تعذر عليه عبورها ، والأحمال
 إذا ثقلت صعب عليه رفعها . وهذا كله أثر من آثار جذب الأرض .

ولكن العقل البشرى لم يقف جامداً أمام هذه الصعاب بل إنه تمكن عن
 حيل كثيرة مكنته من تخفيف القيود التي فرضتها عليه قوة جذب الأرض .
 وإذا نظرنا إلى ما وصل إليه من مخترعات حديثة كالروافع والمجالات والسفن
 والطائرات تبين لنا أن الانسان لم يقصد بهذا كله إلا أن يتحرر بعض الشيء
 من القيود التي فرضتها عليه قوة جذب الأرض ، وأنه قد نجح إلى حد بعيد
 في بلوغ الغاية التي يهدف إليها .

الغلاف الغازى وأثره :

يتألف الهواء المحيط بالكرة الأرضية من مجموعة من الغازات أهمها : الأكسجين والأزوت ، ولهذين الغازين أهمية كبيرة وأثر عظيم فى حياة الكائنات ، يدل على ذلك أن عمليتى التنفس والتمثيل الكلوروفلى ، وهما قوام الحياة الحيوانية والنباتية تعتمدان اعتماداً كاملاً على هذين الغازين .

وللأكسجين ، بصفة خاصة ، أثر مباشر فى النشاط البشرى ، فإذا زاد المقدار الذى يستنشقه الانسان منه ، فإن مقدرة على الحركة وعلى النشاط تزداد ، أما إذا نقص فإن الجسم يضعف ولا يقوى على بذل مجهود كبير . وتبدو هذه الظاهرة واضحة فى سكان الجبال المنخفضة الذين يذهبون إلى الجبال الجبلية ، ففي المستويات العالية حيث يكون الهواء مخلخلاً ونسبة الأكسجين أقل منها فى المستويات المنخفضة لا يقوى الانسان الغرب عن الاقليم على بذل مجهود جسمانى كبير .

أما السكان الأصليون فى النسبة لأن الطبيعة قد وهبهم رئتين كبيرتين وصدرأ عريضاً فانهم يستطيعون بفضل هذه الميزة التزود بالقدر الذى يكفى من غاز الأكسجين لاحتفاظهم بالنشاط والمقدرة على بذل المجهود الجسمانى .

وتبدو نفس الظاهرة فى سكان الجبال الجبلية عندما يهبطون من المستويات العالية التى يعيشون فيها إلى المستويات المنخفضة فى السهول والوديان . إذ أنهم يبدون نشاطاً غريباً فى الحركة وفى العمل . ومرجع ذلك بطبيعة الحال أنهم بما يعتازون به من كبر فى أجهزة التنفس أقدر من سكان الأراضى المسهلة على الانخفاض بمقادير كبيرة من الأكسجين .

ويتمتع سكان المستويات المرتفعة من الجبال الجبلية بهبة أخرى ويتميزون بها عن سكان الأراضى المنخفضة هي كثرة ما يوجد فى الدم من الكرات الحمراء . والكرات الحمراء هي التى تحمل الأكسجين إلى أجزاء الجسم المختلفة وتوزعه على الخلايا والعضلات . فكثرتها لدى سكان الأراضى الجبلية

نعوض النقص في غاز الاكسجين الناجم عن خلخلة الهواء وتساعد الأجسام على الانتفاع بقدر كاف من الاكسجين يمكنها من النشاط ويساعدها على بذل الجهد .

هذا هو شأن الانسان ، أما الكائنات الأخرى فانها تنفع هي أيضاً بقدر معين من الغازات المختلفة التي يتألف منها الهواء ، فإذا أصاب هذا الهواء أى تغيير ، كأن قلت نسبة غاز من غازاته ، أو زادت نسبة غاز آخر ، فليس من شك في أن حياة الكائنات كما نعرفها الآن ستضطرب وسيعترضها كثير من التعديل والتغيير .

أر دوران الأرض :

كلنا يعرف أن دوران الأرض حول محورها ينشأ عنه تعاقب الليل والنهار وأن دورانها حول الشمس ينتج عنه تعاقب الفصول المختلفة . وليست هذه الظاهرة قاصرة على كوكب الأرض وحده إذ أن الكواكب الأخرى تدور هي أيضاً حول محورها وينشأ عن ذلك تعاقب الليل والنهار ، كما تدور حول الشمس ، وينشأ عن ذلك تعاقب الفصول .

دوران الأرض حول محورها :

والمدة التي يتم فيها الكوكب دورته حول نفسه ، هي التي تحدد طول اليوم (الليل والنهار معاً) فإذا كانت كما هو الحال في كوكب الأرض ٢٤ ساعة كان طول اليوم ٢٤ ساعة وإذا كانت أسبوعاً أو شهراً كان طول اليوم أسبوعاً أو شهراً .

وما يعيننا في هذا الأمر أن المدة إذا طالت طويلاً كبيراً كأن صارت بضع شهور مثلاً فإن الوقت الذي يتعرض فيه أى جزء من أجزاء هذا الكوكب لأشعة الشمس يطول هو الآخر وينتج عن ذلك أن حرارة الشمس تشتد في هذا الجزء استناداً لايستطيع بقاء أى نوع من أنواع الحياة التي نعرفها على وجه الأرض ، ويطول بالمثل الوقت الذي تخفى فيه أشعة

الشمس عن أى جزء من أجزاء هذا الكوكب، وينجم عن ذلك بطبيعة الحال أن تشتد العرودة فيه اشتدادا يقضى على كل كائن حي .

ولدوران الأرض حول محورها آثار أخرى في الحياة ، فحركاتها من الغرب إلى الشرق هى التى جعلت الشمس تبدو لنا وكأنها تتحرك من الشرق إلى الغرب وبذلك حددت ظهورها في كل يوم من جهة المشرق وحددت غروبها في جهة المغرب .

وهى التى جعلت النجوم تحذو حذو الشمس وتتحرك حركة ظاهرية من الشرق إلى الغرب ، أى في عكس الاتجاه الذى تتحرك فيه الأرض .

ودوران الأرض حول محورها هو الذى أثر في الرياح الدائمة وجعلها تلزم في حركاتها اتجاه معين هو الاتجاه الذى حدده قانونا قول وبايز بالوت . وينص القانون الأول على أن الرياح إذا تحركت على سطح الأرض فإنها تنحرف إلى يمينها وهى سائرة نحو الاتجاه الذى تقصده إذا كانت في نصف الكرة الشمالى، وتنحرف إلى يسارها إذا كانت في نصف الكرة الجنوبي .

أما القانون الثانى فإنه ينص على أن الرياح إذا تحركت بين مناطق الضغط المختلفة فإنها تسير في نصف الكرة الشمالى بحيث تجعل مناطق الضغط المرتفع على يمينها ، ومناطق الضغط المنخفض على يسارها . أما في نصف الكرة الجنوبي فإنها على العكس من ذلك تسير بحيث تجعل مناطق الضغط المنخفض على يمينها ، ومناطق الضغط المرتفع على يسارها .

وجطابق هذا القانون على الرياح الدائمة التى تهب على وجه الأرض ، نجد أن الرياح العكسية التى تهب في نصفي الكرة الشمالى والجنوبى تنحرف نحو الشرق انحرافا كبيرا جعل العلماء يسمونها الرياح الغربية .

ومن نتائج هذا الانحراف أن تعرضت الجهات الغربية من القارة الأوروبية لهبوب الرياح الغربية التى تأتى من المحيط الأطلسى حاملة معها الدفء والمطر ، الأمر الذى دما إلى قيام حياة نباتية وحيوانية غنية بهذه الجهات وإلى ازدياد النشاط البشري فيها ازدياداً منتظماً .

أما الجهات المواجهة لها في شرق أمريكا الشمالية فإنها لم تخضع مثل غرب أوروبا لهبوب الرياح الغربية الدافئة ، وبذا ظلت عظمية البرودة قليلة الموارد .

وإذا تخيلنا الكرة الأرضية وقد اعترأها تغير فجائي في حركتها اليومية فأصبحت تدور من الشرق الى الغرب ، فإذا تكون نتائج هذا التغير ؟ لاشك في أن الرياح الدائمة ستغير اتجاهها ، فبدلاً من أن تنحرف الرياح العكسية شرقاً نحو القارة الأوربية تنحرف غرباً نحو القارة الأمريكية وتنفش في أراضيها الدفء والمطر . وبناء على ذلك تتحول أراضي لبرادور وجرينلاند والجهات الباردة في شرق أمريكا الشمالية إلى مناطق دافئة وتفتح موانئها للحركة الملاحية والتجارية طول العام ، وتذب فيها حياة جديدة نشيطة كالحياة التي نعرفها اليوم في غرب أوروبا .

أما غرب أوروبا فإنه سيتعرض حتماً لرياح أخرى باردة آتية من وسط القارة بدلاً من الرياح الغربية الدافئة التي تأتيه من المحيط الأطلسي ، وسيحرم من دفء تيار الخليج الذي تدفعه الرياح الغربية أمامها . وبناء على ذلك يتحول من منطقة رئيسية من مناطق النشاط البشري في العالم إلى منطقة باردة يكسوها الجليد أشبه ما تكون بمنطقة لبرادور الحالية ومنطقة جرينلاند .

وما قيل عن الرياح الغربية التي تهب في نصف الكرة الشمالي يمكن أن يقال عن الرياح المماثلة التي تهب في نصف الكرة الجنوبي وعن غيرها من الرياح التي تهب في جهات العالم المختلفة .

ومن ذلك نستطيع أن ندرك مقدار التغير الذي يمكن أن يصيب حياة الشعوب ومكانة الدول المختلفة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إذا ما طرأ أي تعديل أو تغيير على دوران الأرض حول محورها .

أثر هذا الدوران في عادات الانسان

يقضى ناموس الطبيعة بأن الكائنات جميعاً ينبغي أن تنال قسطاً من الراحة مرة في كل ٢٤ ساعة يستوى في ذلك الانسان ونبات وحيوان . وإن دل

هذا النظام على شيء قائما يدل على مبلغ العملة التي تربط نظام الحياة بدورة الأرض حول محورها وبما ينجم عن تلك الدورة من تنافس الليل والنهار .

والمعروف أن التعب الذي يهيب جسم الانسان منشأه أن الجسم يستهلك مقداراً من الجهد يزيد كثيراً عن النسبة التي يعوضه بها وينتج عن ذلك تراكم كثير من الفضلات التي ينبغي على الجسم أن يتخلص منها حتى يتمكن من استعادة نشاطه ومقدرته على العمل . ولا يمكن التخلص من هذه الفضلات إلا إذا نال الجسم قسطاً من الراحة ، لهذا كانت فترة النوم التي يقضيها الانسان في كل يوم ضرورة من ضرورات الحياة لأنها هي الفترة التي يسترد فيها الجسم ما بذله من جهد ويتخلص من الفضلات التي تراكمت فيه بسبب ما أدى من عمل ، وبدونها لا يستطيع الانسان أن يتابع العمل أو يستمر في بذل الجهد .

وليس من الضروري أن تتعاقب فترات الراحة والعمل في كل يوم وأن يحصل الفرد على نصيبه منها مرة في كل ٢٤ ساعة وإن كان أغلب الناس قد ألفوا هذه العادة وتمودوا هذا النظام .

ويبدو أن ممارسة المجلس البشري لهذه العادة منذ ظهوره على وجه البسيطة حتى الآن جعلتها ضرورة من الضرورات التي تنظم الحياة وتجعلها سهلة ميسورة وإذا فكرنا في الحياة على كوكب آخر غير الأرض تكون المدة التي يدور فيها حول محوره أطول أو أقصر منها في كوكب الأرض فكيف تكون فترات الراحة وفترات العمل وكيف تكون مواعيد الأكل ومواعيد النوم ؟

وإذا سلمنا بصحة ما يقوله العلماء من أن كوكب الزهرة يواجه الشمس بجانب واحد منه وأن هذا الجانب يتعرض دائماً أبداً لضوء الشمس فكيف يمكن تنظيم الحياة عليه ؟ وإذا آمنا بأن كوكب المشتري يتم دورته حول محوره في عشرة ساعات وبذا يكون طول كل من الليل والنهار خمس ساعات فقط فكيف يستطيع الانسان — إذا افترضنا أنه يعيش عليه — أن يرتب أوقاته وينظم حياته ؟ أغلب الظن أنه لن يستطيع تنظيمها على النحو الذي نعرفه في كوكبنا .

دوران الأرض حول الشمس مع ميل محورها :

لقد نجم عن ظاهرتي ميل محور الأرض عن العمودي بمقدار $23^{\circ} 27'$ ودوران الأرض حول الشمس مرة في كل عام مجموعة من الظواهر الطبيعية يمكن إجمالها فيما يلي :

١ — ظاهرة الفصول الأربعة : وذلك لأن أشعة الشمس لا تسقط في أية جهة من جهات الأرض بزاوية واحدة طول أيام السنة وإنما تختلف زاوية سقوطها من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر ، وينجم عن ذلك تغير كبير في مقدار الحرارة التي تكتسبها الأرض من الشمس ، فالفصل الذي يزداد فيه اكتساب الأرض لحرارة الشمس إلى أقصى درجة يعرف بالصيف ، والفصل الذي يهبط فيه اكتساب الأرض للحرارة إلى أدنى حد يعرف بالشتاء ، وفصل الانتقال من الشتاء إلى الصيف يعرف بالربيع ، وفصل الانتقال من الصيف إلى الشتاء يعرف بالخريف .

٢ — تعاقب الفصول بنظامها الذي نعرفه وهو الشتاء ثم الربيع ثم الصيف ثم الخريف ، والسبب في ذلك أن أشعة الشمس إذا تعامدت على مدار الجدي مثلاً فإنها تنتقل بعد ذلك بالتدرج لكي تتعامد على خط الاستواء ، ثم على مدار السرطان ، ثم على خط الاستواء مرة ثانية ، ثم على مدار الجدي من جديد .

ففي شهر يناير تكون الشمس عمودية في نصف الكرة الجنوبي ويحدث نتيجة لذلك صيف في ذلك النصف ، وشتاء في النصف الشمالي .

وفي شهر مارس تعامد الشمس على خط الاستواء ويحدث ما يعرف بالاعتدال الربيعي ، وينتقل نصف الكرة الشمالي من الشتاء إلى الربيع ، وينتقل النصف الجنوبي من الصيف إلى الخريف .

وفي شهر يوليو تعامد الشمس في نصف الكرة الشمالي فيحدث صيف في ذلك النصف وشتاء في النصف الجنوبي .

وفي شهر سبتمبر تتعامد الشمس مرة ثانية على خط الاستواء ويحدث
ما يعرف بالاعتدال الخريفي، وينتقل نصف الكرة الشمالي من الصيف إلى الخريف
وينتقل النصف الجنوبي من الشتاء إلى الربيع .

وهذا معناه أن تتابع الفصول في كل من نصفي الكرة يجري على النحو
الذي ذكرناه قبلا وهو الشتاء ثم الربيع ثم الصيف ثم الخريف .

٣ — اختلاف طول الليل والنهار : ولتفسير ذلك يمكن أن نذكر
أن أطوال الليل ترتبط ارتباطا وثيقا بالفصول : فالصيف يصبح دائما نهار
طويل وليل قصيرة، بعكس الشتاء فإنه يصبح ليل طويلة ونهار قصير .
أما الخريف والربيع فطول الليل فيهما يساوي طول النهار . ويرجع السبب
في ذلك إلى أن محور الأرض يميل عن العمودي بمقدار $23,5^{\circ}$ يغير اتجاه
نصف الكرة الأرضية بالنسبة للشمس .

ففي شهر يناير يكون النصف الجنوبي من الأرض متجه نحو الشمس وبناء
على ذلك يكون الجزء الذي يتعرض لضوء الشمس من أية دائرة من دوائر
العرض الواقعة في هذا النصف أطول من الجزء الذي يحجب عنه هذا الضوء،
وهذا معناه أن النهار عند هذه الدائرة يكون أطول من الليل .

ويحدث عكس ذلك تماما في نصف الكرة الشمالي، أي أن الجزء الذي يحجب
عنه ضوء الشمس من أية دائرة من دوائر العرض في هذا النصف يكون
أطول من الجزء الذي يتعرض للضوء . أي أن الليل يكون طويلا والنهار قصيرا .

وفي شهر يوليو يحدث العكس تماما، فينتج النصف الشمالي للكرة نحو
الشمس فيطول النهار ويقصر الليل عنده . أما نصف الكرة الجنوبي فإنه ينتج
بعيدا عن الشمس ولا يتأله من الضوء إلا قليلا، وبذا يطول ليله ويقصر نهاره .

هذه هي أهم الآثار التي تنجم عن ميل محور الأرض عن العمودي
وهي كما نعرف ذات صلة وثيقة بحياة الإنسان وحياة الكائنات التي تعيش
معه على وجه الأرض . وليس من شك في أن أي تغيير يصيب هذا الميل سيتبعه
حتمًا تغيير في تلك الآثار وفي مدى استجابة الإنسان لها .

أما عن دوران الأرض حول الشمس فقد رأينا بما سبق أن الأرض تؤثر في وزن الأشياء التي توجد على سطحها وفي مقدرة الانسان على الافادة من تلك الأشياء .

ورأينا أن قوة جذب الأرض تؤثر في الأطوال التي يمكن أن تبلغها المباني التي يشيدها الانسان والجسور التي يدها فوق الأودية والأنهار وتؤثر في المدى الذي يمكن أن تبلغه القذائف التي تطلقها الأسلحة النارية المتنوعة . وعرفنا أن ذلك كله مرتبط بأوثق الارتباط بكتلة الأرض وحجمها .

ورأينا كذلك أن مقدرة الهياكل العظيمة المختلفة على حمل الأجسام سواء كانت للانسان أو الحيوان وكذا مقدرة عضلات الجسم على تحمل التعب والمشقة رأينا أنها تتفق مع ما تتطلبه جاذبية الأرض .

ورأينا أن الرئتين في سعتها والقلب في حجمه تتفق أيضا مع ما يتطلبه الغلاف الغازي المحيط بالأرض .

ورأينا أن الانسان بتقسيمه اليوم بين فترة للعمل وأخرى للراحة قد استجاب لظاهرة دوران الأرض حول نفسها ولطول الوقت الذي تتم فيه الأرض هذه الدورة .

وسنرى الآن أن ارتفاع الإنسان في سلم الحضارة وبلوغه المرتبة العظيمة التي وصل إليها قد نجم عن مجموعة من العوامل من بينها دوران الأرض حول الشمس وميل محورها عن العمودي .

ولتفسير ذلك يكفي أن نذكر أن المناطق المدارية بصفة عامة والاستوائية بصفة خاصة تتميز بارتفاع في درجات الحرارة وبقلة في الفرق الحراري بين القصول المختلفة ولهذا الحرارة المرتفعة التي تظل على وتيرة واحدة طول أيام السنة أثرها في الحياة النباتية لأنها تجعل مواسم الانبات ومواسم الاثمار مستمرة طول العام ، وبناء على ذلك فلا يكون بالانسان حاجة إلى أن يعلم الاذخار لأن الطبيعة تمدّه بالمواد الغذائية في أي وقت شاء ومن ثم كانت رغبته في العمل قليلة ، ومقدرته على الاختراع والابداع محدودة ،

ثم إن الحرارة المرتفعة من ناحية أخرى لا تتطلب من الإنسان أن يفكر في ارتداء ملابس يقي به لفحة البرد أو في إقامة مسكن يحمي فيه ، ولهذا الحقيقة أكبر الأثر في حياة الإنسان لأنها لا تدفعه إلى العمل أو بذل الجهد وبذا يبقى خاملاً .

هذا على فقيض الأحوال السائدة في الجهات المعتدلة التي تتغير فيها الفصول بصورة واضحة ويعظم فيها الفرق الحرارى بين فصل وآخر . ففى هذه الجهات يرى الإنسان نفسه مضطراً إلى الاحتماء من البرد والمطر وإذن فلا بد له من إقامة المنازل والاستعانة بالملابس ، كما يرى نفسه مضطراً إلى العمل فى مواسم معينة هى مواسم الانبات وذلك لكى ينتج المواد الغذائية الضرورية له ، ويرى نفسه مضطراً إلى أن يزيد الانتاج حتى يوفر لنفسه غذاء العام كله ومن ثم تترى فيه ملكة الادخار .

هذه أمثلة بسيرة يستدل منها على أن تنوع الفصول واختلاف الحرارة من فصل الى فصل يعد عاملاً من العوامل الرئيسية التي تدفع الإنسان الى العمل والتفكير أو بعبارة أخرى تمهد له سبيل التقدم والرقى .

وإذا ذكرنا أن تغير الفصول الأربعة وتعاقبها في جهات الأرض المختلفة لم تحدث إلا نتيجة لدوران الأرض حول الشمس مع ميل محور الأرض عن العمودى بمقدار $23,5^{\circ}$ كان معنى ذلك أن البشرية مدينة بشئ غير قليل من تقدمها وتطورها الى هذين العاملين .

المعابر الأرضية في عصر البليستوسين

لدركتور إبراهيم أصغر زرقاني

لعصر البليستوسين أهمية خاصة عند علماء الجغرافية ، إذ فيه ظهر الانسان وبظهور الانسان اكتملت الحقائق الجغرافية على سطح الأرض من مظاهر تضاريسية ومناخية ونباتية وحيوانية وبشرية . وتتماز الحقيقة الأخيرة — وهي الانسان — بتأثيرها في الحقائق الأخرى وإحداث التغير بها إلى جانب تأثرها بها وخضوعها لها ، ومن هنا تزداد أهمية الدراسات البليستوسيلية ويزداد تعقدها .

وغرضنا من هذا المقال أن نصف حالة سطح الأرض في المناطق الفاصلة بين القارات ، إذ أن الانسان وحيد النشأة ، نشأ في مكان واحد من أب واحد ثم انتشر إلى سائر أجزاء الأرض ، حتى أصبح النوع الحيواني الوحيد الذي يمر كل اليفات على اختلافها بين السهل والجبل ، والحر والبارد ، والكثيف النبات والمقفر منه .

والسؤال الذي يتردد على الأذهان هو كيف استطاع الانسان أن ينتشر من وطنه الأصلي إلى سائر القارات مع ما بين هذه القارات وبين بعضها في الوقت الحاضر من فواصل جبلية وصحرائية وبحرية ؟؟ ولا بد للجابة على هذا السؤال من الاعتماد على المعلومات الجيولوجية إذ تساعد هذه المعلومات على فهم كثير من المشاكل المتعلقة بهجرات البشرية ، بل يمكن القول إن تاريخ العالم في عصر البليستوسين لا يمكن أن يفسر إلا على ضوء المعلومات الجيولوجية أولاً ثم على ضوء المعلومات المستمدة من الجغرافية الحيوية .

وستنصر البحث على التغيرات الرئيسية التي طرأت على جغرافية العالم في عصر البليستوسين فسهلت الهجرات البشرية أو عاقبتها ، وبذلك تخرج القارة

الأمريكية عن فطابق بحثنا لأنها لم تعمّر بالإنسان إلا في الهولوسين (العصر الجيولوجي الحالي) وقبل الميلاد بحوالى أربعة آلاف عام فقط .

* * *

أولاً — الصلات بين آسيا وبين الأوقيانوسية^(١) :

كان توزيع اليابس والماء بين قارة آسيا وبين القارة الأوقيانوسية مختلفا عما هو عليه في الوقت الحاضر . ففي عصر البليستوسين كانت بورنيو وسومطره وجاوه متصلة بالقارة الآسيوية عن طريق شبه جزيرة الملايو . أى أنه كانت هناك مهابر برية خلال مضائق ملقا وسوندا وكارماتا ، والدليل على هذا مستمد من دراسة الأعماق البحرية التي لا تزيد على ستين متراً ، فقد أمكن تتبع الرواسب النهرية في قاع البحر على هذه الأعماق بل أمكن تتبع مجارى الأنهار في الجهات التي يغطيها البحر حالياً مما يؤكد أنها كانت يابساً إلى عهد قريب . وهناك دليل مساعد مستمد من الجغرافية الحيوية إذ دل البحث على أن أنواعاً واحدة من الحيوانات تسود هذه الجهات ولا سيما أسماك المياه العذبة ، ولن يتأتى هذا إلا بوجود اتصال برى بين هذه الجزر وبين بعضها من ناحية ، ثم بينها وبين القارة الآسيوية من ناحية أخرى .

وكذلك أمكن جمع عدة أدلة جيولوجية وحيوية على وجود الاتصال البرى بين هذه الجزر وبين استراليا في عصر البليستوسين ، ثم بين استراليا وبين تسمانيا . وبذلك كان في استطاعة الإنسان في فترة النشأة أن ينتقل انتقالاً برياً بين القارة الآسيوية وبين أجزاء القارة الأوقيانوسية (أنظر شكل ١) .

والجزيرة جاوة أهمية خاصة في هذا الموضوع بسبب موقعها الجغرافي أولاً ثم بسبب ما كشف بها من حفريات بشرية . فهي في مركز متوسط بين آسيا وبين استراليا إذ تقع هذه الجزيرة على خط عرض ٧ جنوباً أى تبعد حوالى سبع درجات عرضية عن كل من شبه جزيرة الملايو شمالاً واستراليا جنوباً . وأما عن الكشوف البشرية فقد كشف بها : (١) الإنسان المعتدل وهو أقدم

(١) يقصد بالقارة الاوقيانوسية استراليا وتسمانيا وغينيا الجديدة وجزر بولينزيا وميكرونيزيا وميلانيزيا .



(شكل ١)

توزيع اليابس والماء في جنوب شرق آسيا في بعض فترات البليستوسين

إنسان معتدل معروف حتى الآن ، (٢) إنسان سولو ، (٣) الإنسان الحديث ، وقد أغرت هذه الكشوف البشرية بالجزيرة — بالإضافة الى موقعها الجغرافي — كثيراً من الباحثين ، محاولة الربط بين التكوينات البليستوسينية في هذه الجزيرة وبين مثيلاتها في الهند وبرما من ناحية وفي استراليا من ناحية أخرى . وكذلك كشف في استراليا من الحفريات البشرية : (١) جمجمة تالجاى في كوينزلاند ، (٢) هياكل تارتانجا في استراليا الجنوبية ، (٣) جمجمة كيلور بالقرب من ملبورن .

ولا يعرف بالضبط التاريخ الجيولوجي لجمجمة تالجاى ، وأما هياكل تارتانجا فتعتبر معاصرة للدور الموناستيرى الأخير من أدوار الشطوط البحرية بالبحر الأبيض المتوسط . وأما جمجمة كيلور فقد وجدت في تل رملي أصله شط قديم للنهر على عمق ١٨ قدما من سطح الأرض وعلى ٤٤ قدما فوق مستوى النهر في هذه المنطقة . وقد دلت دراستها على أن إنسانها يجمع بين صفات الاستراليين والتسمانيين بنسبة النصف من كل منهما . ولا يشك الاختصاصيون بأن جمجمة كيلور تتبع الإنسان الحديث ، ثم هي من الناحية الجيولوجية توضع في البليستوسين وفي بداية الفترة الدفيئة الأخيرة ، وتعتبر معاصرة لفترة تكوين الشط الموناستيرى من شطوط البحر الأبيض المتوسط .

ومعنى هذا أن الانسان الحديث كان يعيش في استراليا حينما كان الانسان القديم (انسان نياندرتال) ما زال يعيش في أوروبا ^(١) .

وليس هناك ما يدعو لفرض بأن الانسان الحديث نشأ في استراليا لعدم توفر الظروف الملائمة للنشأة الأولى لهذا الانسان في هذه المنطقة ولا بد أن الانسان الحديث هاجر إليها من آسيا في بداية الفترة الدفيئة الأخيرة أو قبلها ولن تكون هذه الهجرة ممكنة إلا بوجود معابر برية بين آسيا وبين استراليا في أثناء الدور الجليدى الثالث .

ثانياً — الصلات بين آسيا وبين أوروبا :

يعطينا الشكل رقم (٢) فكرة عن الصلات بين آسيا وبين أوروبا في عصر البليستوسين ، ففي الشمال كان الجليد الاسكنديناوى يوغل كثيراً في روسيا حتى تخطت ركائمه الأمامية مدينة موسكو نحو الجنوب ووصلت القلجا عند ساراتوف ، كما وصلت هذه الركائز منطقة كييف في أوكرانيا .

وكان الجليد الأخير (الغستولا — الفرم) يغطي فنلندة وشبه جزيرة كولاً والبحر الأبيض الروسى ويمتد لمسافة ٥٠٠ كم إلى الجنوب والشرق من ليننجراد . وقد ترتب على هذا أن تتجاوز الغطاء الجليدى العتبة التى تفصل في الوقت

(١) يضم الكتاب الأوروبيون الانسان تقسيماً نوعياً الى قديم وحديث ويتصدرون بذلك أن كلا منهما نوع بصرى خاص وأن القديم لم يتطور الى الحديث بل انقرض ونشأ الحديث نشأة مستقلة . وآخر القدم عند نياندرتال وأول الحديث كرومانيون وكوم كابل وشانليد وجرعادى . ولكن هذا التقسيم قد يكون مقبولاً بالنسبة لقارة الأوروبية فقط إذ من المعلوم أن يفرض إنسان نياندرتال بسبب قسوة الجليد الأوروبي فأصبحت هذه القارة خالية من النوع البصرى ، فلما خفت قسوة الجليد وصلتها هجرات من شمال أفريقيا من الانسان الحديث ممثلة في آدم أجناسه الأربعة كرومانيون وكوم كابل وشانليد وجرعادى .

وأما في آسيا وأفريقيا فالتقسيم النوعى بين الانسان القديم وبين الانسان الحديث غير موجود بل هو نوع واحد ذو نشأة واحدة تدرج بعدها من القديم إلى الحديث خلال البليستوسين بدليل ما كشف من بقايا الانسان الحديث التى تسبب لهذا العصر الجيولوجى في جارة واستراليا ، ثم بحلول عصر الهولوسين ووزواك قسوة الجليد البليستوسينى وصات هجرات الانسان الحديث إلى أوروبا فأقامت هناك حضارة العصر الحجري القديم الاعلى .

وفي الجنوب نجد أن بحر قزوين يقع في الوقت الحاضر على مستوى ٢٨ متراً، ولكن يحيط بالمنخفض الآراالى القزوين كله شطوط متدرجة تدل على مستوياته القديمة، فنجد شطاً يقع على مستوى — ٩ أمتار على شاطئه بحر قزوين، بينما نجد شطاً آخر على مستوى + ٤٥ متراً على شاطئه بحر آرال . ويقدر بعض الباحثين أن متوسط مستوى بحر قزوين في عصر البليستوسين كان أعلى من المستوى الحالي بحوالى مائة متر (أى حوالى ٧٥ متراً فوق مستوى سطح البحر) .

وقد قدر أن امتداد بحر قزوين وحده في المناطق التي تقع تحت خط الصفر يكتفى لمضاعفة مساحته، كما أن بحرى قزوين وآرال حينما كان شاطئهما على مستوى ٧٥ متراً فوق سطح البحر (أى حوالى مائة متر فوق المستوى الحالي) كانا يكونان بحراً واحداً متصلاً مساحته مليون كيلو متر مربع . وكان هذا البحر من ناحية الشمال يفر وادى الفلجا حتى منطقة كازان أى لمسافة ألف كيلو متر من دلتاه الحالية (أنظر شكل ٢) وكان الحوض الآراالى القزويني يحصل في بعض الأحيان بالبحر الأسود عن طريق مضيق مالتش وربما عن طريق مضيق كورا أيضاً .

وبناء على هذه الظروف يمكن القول إنه حتى نهاية الدور الجليدي الأخير (الثرم — القستولا) كانت المواصلات بين آسيا وبين أوروبا مهددة بالانقطاع في أى وقت، أى أنها لم تكن مضمونة في كل الأوقات فضلاً عن أن نفض الاتصال كانت مقصورة على منطقة محدودة هي المنطقة المحصورة بين كازان وموسكو، أى المنطقة المؤدية من جبال أورال بطريق المستنقعات إلى موسكو . وعلى أى حال لم تكن حالة هذا الطريق تشجع على اتخاذ الهجرات له وسيلة للوصول إلى أوروبا بسبب تراكم الجليد به في الأدوار الجليدية وانغماره بالمستنقعات في الفترات الدفينة التي بين هذه الأدوار . فإذا وضعنا تاريخاً لنهاية الدور الجليدي الأخير حوالى ١٨ ألف سنة قبل الميلاد فإن معنى هذا أن الصلات بين آسيا وبين أوروبا من هذه الناحية كانت في حكم المستحيلة حتى هذا التاريخ وما بعده بقليل لأن الدور الجليدي لم ينته فجأة، بل مر في تراجع غطاءه نحو الشمال في عدة مراحل استغرقت عدة آلاف من السنين .

في مضيق جبل طارق حوالى ٤٥٠ متر (مع وجود عتبة على عمق ٣٥٠ متراً)
فاذا ما أضفنا إلى هذا أن تكوين المضيق يرجع إلى ما قبل الزمن الرابع بقليل
وأن عرضه حوالى ١٥ كم ، وأن الشطوط البحرية لم تسجل رقماً قريباً
من الرقم المرتفع الذي عليه عمق المضيق ، لاستخلاصنا من هذا أن مضيق جبل
طارق كان مضيقاً طوال البليستوسين والهولوسين ولم يكن يزخا في أية فترة
من فترات الزمن الرابع ، بل كان الفاصل البحرى قائماً في سبيل الهجرات
وهو ما لا يتفق مع الأدلة المستمدة من الجغرافيا الحيوية والبشرية . ولكن
جزر البحر الأبيض المتوسط تسترعى الانتباه لأنها وجدت مسكونة بالثدييات
ولا يأتى لها هذا إلا إذا التصقت بأحدى القارتين المطلعتين على هذا البحر
من الشمال والجنوب رغم الأعماق الفاصلة بينها والتي لا تقل عن العمق
في مضيق جبل طارق نفسه .

فتلاحظ أن جزر البليار تنفصل في الوقت الحاضر عن أسبانيا بفاصل
بحرى عمقه ٥٠٠ متر ، كما تنفصل جزيرة كورسيقا عن جزيرة ألبا وعن مقاطعتي
توسكانيا في إيطاليا وبروفانس في فرنسا بفاصل بحرى عمقه أكثر من ٢٠٠ متر .
وأما جزيرة سردينيا فإنها لا تنفصل عن كورسيقا إلا بفاصل عمقه أقل
من مائة متر ولكن العمق يزيد على ٢٠٠ متر بين سردينيا وإيطاليا من ناحية
وبينها وبين أفريقيا الشمالية من ناحية أخرى .

وتنفصل صقلية عن الشاطئ الإيطالى بواسطة بوزاز مسينا الذى لا يزيد
عرضه عن أربعة كيلو مترات ولا يزيد عمقه على ٢٠٠ متر مع وجود عتبة فيه
لا يزيد العمق عندها على ١٢٠ متراً ، ولكن العمق بين مارسالا في صقلية
وبين رأس بون في تونس يزيد على ٤٠٠ متر . وتنفصل جزيرة مالطة
عن صقلية بواسطة مساحة بحرية لا يزيد عمقها على مائة متر ، وأما العمق
بين مالطة وأفريقيا فيبلغ ٤٠٠ متر .

وإذا انتقلنا إلى الحوض الشرقى من البحر الأبيض المتوسط نجد أن المعلومات
الجيولوجية تشير إلى أن جزيرة كريت وجزر بحر إيجه كانت في الأصل
ملتصقة بالقارة ، ومثل هذا يقال عن قبرص التي كانت تلتصق بآسيا الصغرى

وفصلها عنها في الوقت الحاضر فاصل بحرى عمقه ٥٠٠ متر بين رأس أندرياس وبين خليج ألكساندريتا .

هذا عرض سريع لحالة الأعماق في البحر الأبيض المتوسط فلتنظر إلى المعلومات الجيولوجية والحيوية على ضوء هذه الأعماق فنجد أن أغلب الكتاب هولون بأن خط العمق — ١٠٠ يدل على خط الساحل في عصر البليستوسين على وجه التقريب، ولديهم أدلة على ذلك من دراسة الأرضة القارية في مناطق مصبات الأنهار، ففي الادرياتيک مثلاً يكون الشاطئ — ١٠٠ رصيفاً قديماً أمكن تتبع رواسب البو وفروعه عنده . ولكن انخفاض البحر بهذا القدر لا يمكن لتكوين معابر برية في البحر الأبيض المتوسط . إلا بين قورسيفيا وبين سردينيا ، ثم بين إيطاليا وبين ألبا ، ثم بين صقلية وبين مالطة . ثم إذا فرض ووصل انخفاض البحر بين ١٥٠ و ٢٠٠ متر لأدى هذا — بالإضافة إلى المعابر البرية السابقة — إلى التصاق صقلية بإيطاليا . وأما سائر البواضير مثل قورسيفيا — أوروبا ، كريت — أوروبا ، وقبرص — آسيا الصغرى ، البليار — أسبانيا ، فانها لا تتحول إلى معابر برية إلا إذا وصل انخفاض البحر قدرأ يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ متر .

ولكن المعلومات المستمدة من الجغرافية الحيوية تدل على أن القيلة وأفراس الماء سكنت قبرص وكريت وألبا والبليار في أثناء الدور الجليدى الأخير ، ولا يتأتى هذا إلا إذ كانت هذه الجزر ملتصقة باليابس الأوروبي في هذه الفترة . وفيما يختص بالعلة بين صقلية وبين تونس يقول بعض الباحثين باستحالة وجود برزخ صقلى تونسى بسبب عدة أدلة منها عدم وجود الحيوانات الأفريقية في مالطة وصقلية ومنها حالة الأعماق في البوغاز الصقلى التونسي الحالى .

وإزاء تعارض الأدلة المستمدة من الجغرافية الحيوية مع حالة الأعماق الحالية كان من الضروري إدخال عامل آخر هو الحركات الأرضية في حوض البحر الأبيض المتوسط وما يتبعها من ارتفاع أجزاء وانخفاض أخرى . فالأعماق بين صقلية وتونس بصغة خاصة تعرضت لاضطرابات أرضية برزت

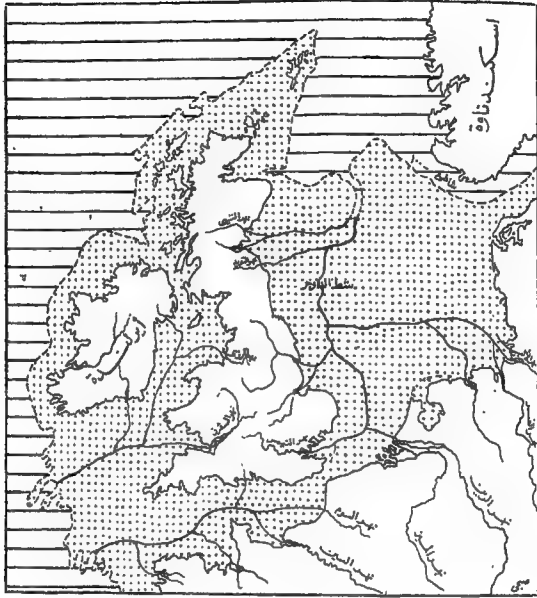
بسببها جزر بانتلريا البركانية إلى ارتفاع ٨٣٦ متراً . أما عدم وجود الحيوانات الأفريقية في مالطة وصقلية فقد يكون مرجعه نقص البحث في هذه الجهات . وما زالت الاضطرابات الأرضية في هذه المنطقة تخفى جزراً وتظهر أخرى بل إن بعض الجزر يقتناوبها الظهور والاختفاء في فترات متقاربة كما حدث لجزيرة جوليا — بين صقلية وبين بانتلريا — التي اختفت سنة ١٨٣١ وظهرت مرة أخرى سنة ١٨٦٣ ووصل ارتفاعها ٦٠ متراً فوق سطح الماء .

وهذه الحركات الأرضية لا تجعل في الإمكان الاعتماد على الشلوط البحرية وعلى حالة الأعماق الحالية في تكوين فكرة دقيقة عن المعابر الأرضية في عصر البلستوسين . ولا شك أن الحركات الأرضية كانت أكثر نشاطاً واتساعاً في عصر البلستوسين منه في الوقت الحاضر . ومن أجل هذا ينبغي أن نعطي أهمية كبيرة إلى احتمال حدوث حركات فجائية من الارتفاع والانخفاض في البواغيز الحالية بين أجزاء اليابس في البحر الأبيض المتوسط ، كما ينبغي أن نعطي أهمية كذلك إلى الأدلة الحيوية بجانب الأدلة الجيولوجية . فنقول استناداً على الأدلة الحيوية بوجود معابر برية في أثناء البلستوسين خلال مضيق جبل طارق وبين البليار وبين أسبانيا ، ثم بين تونس وبين صقلية * ثم بين كريت وبين اليونان ، ثم بين قبرص وبين آسيا الصغرى ، ثم بصفة عامة بين جزر البحر الأبيض المتوسط وبين القارة الأوروبية .

ولم تصل العلاقة بين اليابس وبين الماء إلى مرحلة استقرار تامة ، ففي العصور التاريخية حدثت عدة حركات في شواطئ البحر الأبيض المتوسط أدت إلى غرق موانئ صور وديولس وقرطاجنة ، كما أدت إلى انخفاض دلتا النيل والبر والرون وانخفاض خليج فوس بالقرب من مرسيليا .

رابعاً — الصلات بين أوروبا وبين الجزر البريطانية :

دلت دراسة الركامات الجليدية على أن التلجبات الاسكتلندية امتدت حتى اسكتلنده وأقاليم الميدلاند بالإنجلترا ثم إقليم ويلز وجزيرة ايرلنده ، كما دلت المعلومات المستمدة من الجغرافية الحيوية على أن حيوانات أوروبا الضخمة مثل الماموث تمكنت من الوصول إلى إنجلترا في عصر البلستوسين ، فلا بد



(شكل ٤)

توزيع اليابس والماء في شمال غرب أوروبا في بعض فترات البليستوسين

من القول بوجود معاربية في هذا العصر بين القارة الأوروبية وبين الجزر البريطانية انتقل بواسطتها الانسان والحيوان من القارة الى هذه الجزر.

وتوضح الخريطة المبينة في شكل (٤) توزيع اليابس والماء في شمال غرب أوروبا في عصر البليستوسين وفيها نرى أن بحر المانش وجزء من بحر الشمال تعرضا في هذا العصر الى ارتفاع أدى إلى اتصال أجزاء اليابس

على شاطئيهما . ولكن هذا الاتصال لم يكن مستمرا خلال الپليستوسين كله بل انقطع بعض الوقت ، ففي الفترة الدفينة بين الدور الجليدي الثالث (رس) وبين الدور الجليدي الرابع (ثرم) حدث هبوط أدى إلى اتصال المانش ببحر الشمال وبذلك انقطع الاتصال البرى بين القارة وبين الجزر البريطانية .

ولكن لم يلبث الاتصال أن عاد بينهما على نطاق أوسع وتقدم وادى السين إلى الشاطئ — ٣٠ ثم إلى الشاطئ — ٣٥ في منطقة خليجه الحالية ، واستمر النهر في سيره نحو الغرب حتى أصبح يصب في المحيط الأطلس مباشرة بين بريتقى وبين كورنوال . وكان نهر السوم عبارة عن رافد للسین على النحو الذى تبينه الخريطة فلما هبط المانش أصبح كل منهما نهراً مستقلاً ينتهى إلى البحر عند الشاطئ الحالى . وكذلك كان نهر الرين يجرى نحو الشمال إلى مسافة بعيدة من مصبه الحالى فكان يجاوز شط الدوچر ويصب في شمال بحر الشمال ، وكانت أنهار التين والتويد والتميس روافده من الناحية الغربية كما كانت أنهار النسر والألب وغيرها روافده من الناحية الشرقية . وكانت أنهار المرزى والسفرون وبعض أنهار إيرلندة تؤلف مجموعة نهريّة واحدة تصب في المحيط الأطلس مباشرة .

وحتى الألف السابعة قبل الميلاد كان إنسان العصر الحجري الأوسط مازال يسكن شط الدوچر إذ وجدت بهذا المكان حربة تنسب لحضارة ماجلسوز ، ثم حوالى الألف السادسة قبل الميلاد يهبط شط الدوچر ويغمر تحت الماء كما يغمر المانش كله وربما تحول معبر كاليه — دوڤر من برزخ إلى مضيق في هذه الفترة . ويحقق معظم الكتاب على أن الفترة ما بين الألف السابعة وبين الألف السادسة تمثل مرحلة الهبوط السكبرى في بحر الشمال وبحر المانش ولكنهم لا يتفقون في تحديد الوقت الذى تحولت فيه منطقة كاليه إلى مضيق ، فيرى فريق من الباحثين أن منطقة كاليه تحولت إلى مضيق تام ولكنه قليل العمق خلال الألف الثالثة قبل الميلاد ويضيف هؤلاء أن إنسان العصر الحجري الحديث ما كان يستطيع الوصول إلى انجلترا بدوابه إلا إذا كان هذا المضيق سهل العبور . ويرى فريق آخر بأن تحول

منطقة كاليه إلى مضيق لم يتم إلا بين سنة ٢٥٠٠ ، وبين سنة ٢٠٠٠ ق . م مستندين إلى بعض المسائل المتعلقة بالمجرات البشرية الكبرى منها بعض المسائل اللغوية مثل عدم وجود أية كلمة تدل على البحر عند بعض الجماعات النردية التي وصلت إلى بريطانيا . ولو كانت هذه الجماعات وصلت إلى بريطانيا بطريق بحري لوضعت اصطلاحاً يدل على هذا المسطح المائي الذي اجتازته ، فاختفاء كلمة بحر من لغتهم يدل على أنهم جاءوا من إقليم داخلي ووصلوا إلى انجلترا بطريق برى قبل أن تغمر المياه جميع الخلجان الحالية ويصل توزيع اليايس والماء إلى ما هو عليه في الوقت الحاضر .

بعض المراجع

- 1.—Bertin (L.), *Geologie et Paleontologie*, Paris 1946.
- 2.—Furon (Raymond), *Manuel de Prehistoire Générale*, Paris 1951.
- 3.—Hawkes (Ch.), *Prehistoric Britain*, London 1946.
- 4.—Holmes (A.), *Principles of Physical Geology*, London 1948.
- 5.—Vallois (H. V.), *Les Hommes Fossiles*, Paris 1946.
- 6.—Zenner (J. E.), *Dating the Past* London 1950.

طقوس أنتشيوما

بحث في الاجتماع الديني

للدكتور مصطفى الحجاب

مدرس الاجتماع بكلية الآداب

طقوس « أنتشيوما » Intichiuma ^(١) هي من أقدم وأوضح الطقوس الدينية التي لوحظت عند المجتمعات التوتمية التي تمثل ، في نظر علماء الاجتماع ، شكلا من أقدم أشكال المجتمعات الإنسانية ^(٢) . وقد سميت هذه المجتمعات بالتوتمية لأنها كانت تسير على النظام التوتمي . والتوتم « Totem » عبارة عن نوع من الحيوان أو النبات تتخذه القبيلة أو العشيرة رمزاً لها ولقباً لجميع أفرادها ، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزل ، وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس ^(٣) .

(١) هذه التسمية خاصة بقبائل « أرتا Aranta » وسكنها مختلف من قبيلة إلى أخرى في أستراليا . قبائل « أورابونا Urabuna » تسمى هذه الطقوس « بيتجتا Pitjinta » وسميها قبائل « واراومونجا Warramunga » تالامتا « Thalamta » . ويكتب بعض الباحثين وخاصة « ستريلو Strehlow » لفظ أنتشيوما « على هذا النحو » Intichiuma — (تنطبق الدكتور عبد العزيز عزت رئيس قسم الاجتماع) .

(٢) الاهتمام الذي كان سائداً عند معظم علماء الاجتماع أن المجتمعات التوتمية هي أقدم أشكال المجتمعات الإنسانية ، غير أن الأبحاث الاجتماعية الحديثة وخاصة أبحاث « لوي Lowie » و « ديكام Descamps » أثبتت وجود ما هو أقدم من ذلك . وهو ما يعرف بالمعاشير « hordes » التي نجدها عند الأقوام الذين يقطنون أوطان أفريقيا وأقوام البوشمن والفوجيان وكذلك زوج القليل والملاي والبافستو والاندمانيز . . . الخ وزادت هذه الأقوام طقوساً دينية أقدم من طقوس أنتشيوما (يؤكد هذا الرأي الدكتور عبد العزيز عزت) .

Durkheim : Les Formes Élémentaires de la Vie Religieuse, Paris 1925 . p. 160 (٣)

وقد اصطلاح فريق كبير من علماء الاجتماع على أن القبائل التي تتمثل فيها التوتمية في أقوى مظاهرها ؛ والتي كانت تزاوّل الطقوس التي نحن بصدد الحديث عنها في أصدق صورها هي قبائل أواسط استراليا لأنها على وجه الخصوص ظلت بعيدة كل البعد عن التيارات الحضارية الكبرى التي أثرت في نظم العالم القديم . فلم تترجح كثيراً عن الحالة التي كانت عليها المجتمعات الإنسانية في فجر نشأتها ^(١) .

هذا ؛ وقد اعتمدت في معظم الحقائق الوصفية والتحليلية التي جاءت في بحثي هذا على ما كتبه بعض علماء الإنجغرافيا عن المجتمعات التوتمية وأخص بالذكر بحوث العالمين « بولدوين سبسر وجان » ^(٢) عن قبائل

(١) Ibid ; p. 135, 136

(٢) نشر هذان العالمان كتابين عنوانهما :

1—The Native Tribes of Central Australia, (1889).

2—The Native Tribes of Northern Territory (1904).

وقد قرر علماء الاجتماع الذين درسوا هذين البحثين (وخاصة العلامة دوركايم في كتابه الأشكال الأولى للحياة الدينية ص ١٣٠) : أن مؤلفيهما خبير من يؤتمن في جمع الحقائق وشرحها وتنظيمها . ولذلك اعتمد العلماء عليهم في استنباط الحقائق العامة والأحكام التحليلية بصدد أصول للديانات والنظم الأولى .

وبعد أن نشر « سبسر وجان » السكتاين المشار إليهما ، حدث أن ذهب العالم الألماني « ستريلو Strehlow » إلى استراليا وأقام في المناطق ذاتها التي سبق للعالمين « سبسر وجان » الإقامة فيها ؛ وأجاد الأبحاث المحلية ولغات السكان الأصليين ودرس نظم القبائل وتقاليدها . وقد وصل إلى دراساته وبحوثه إلى نتائج تفار في بعض تفاصيلها النتائج التي سبق للعالمين « سبسر وجان » الوصول إليها .

وقد أحدثت بحوث هذا العالم الاتجرائي الألماني حركة فكرية بين علماء الاتجغرافيا والانثروبولوجيا ؛ وأثارت بينهم كثيراً من المناقشات والمساجلات . وكان من النتائج الباهرة لهذه الحركة أن صمم العالمان « سبسر وجان » على معاودة دراسة النظم التوتمية في استراليا . فذهب إلى استراليا للمرة الثانية ودرس قبائل « أرتنا Arunta » وهي أوسع القبائل انتشاراً في قلب استراليا ووسطها الشمالي . ووضعنا كتابهما المشهور " The Arunta, 1927 "

وقد أدرجنا فيه الحقائق التي سبق لها الوصول إليها ؛ وناقشنا آراء العلامة الألماني « Strehlow » وأكدنا للنتائج العلمية السابقة وضممنا كثيراً من الحقائق التي جلبها في كتابيهما السابقين . وقد جاء هذا الكتاب الأخير دراسة وافية شاملة جديرة بالتقدير والاحجاب .

وحدث أن توفي العلامة (جان) قبل نشر هذا الكتاب الأخير . فنشره العلامة =

وسط استراليا وشمالها الشرق ولا سيما قبائل « Arunta » وما ينشعب عنها من عشائر وبطون . فقد ذهب هذان العالمان إلى استراليا وأقاما فيها اثنتي عشر عاما واختلطتا بالسكان الأصليين وتعلما لغاتهم ولهجياتهم ودرساها دراسة وافية ، وحققا كثيرا من المعلومات والمشاهدات التي كتبها من سبقهما في هذا الميدان . ولذلك تعتبر بحثهما أدق وأعم المراجع في دراسة أصول النظم الاجتماعية .

* * *

والطقوس التي نحن بصدد الحديث عنها طقوس دينية مؤداها نصحية التواتم المقدسة في حفلات دينية يشترك فيها أفراد العشيرة التوتمية . والغرض من ذلك هو العمل على تغذية المبادئ والتقوى التوتمية وإنعاشها وضمان زيادة وتناسل الخصائص التوتمية التي تعتمد عليها العشيرة في حياتها الدينية ^(١) .

وتختلف هذه الطقوس في الإجراءات والتفاصيل باختلاف العشائر ولكنها تتفق عادة في الدعائم الأساسية وفي الأفكار العامة والدوافع والأهداف . وهي تتضمن حفلين متتابعين : أولهما يرى إلى زيادة أنواع الحيوان أو النبات التي تستخدمها العشائر تواتم لها ، وثانيهما عبارة عن وليمة جمعية أساسها الاشتراك في أكل لحم الحيوان التوتمي الذي كانوا بالأمس القريب يلتهمسون زيادته وتكاثره . وذلك لتقوية المبادئ التوتمية الحالة في الوجود الجمعي . وتفصل هذين الحفلين فترة دينية قاسية تتمثل في نظام التحريم الذي يفرض على أفراد العشيرة في معاملاتهم مع التواتم المقدس ^(٢) .

« بولدوين سبسر » روى في مقدمته صديقه وزميله في الجهاد العلمي « العلامة جن » . والكتاب يقع في جزأين . وقدم له العلامة « سبسر » بمقدمة عرض فيها للدوافع التي حدث بها إلى وضعه ؛ وتكلم فيها عن طبيعة البلاد ، وطبيعة السكان وأخلاقهم ولغاتهم وعاداتهم ونظمهم الدينية والاجتماعية . ويمتاز هذا الكتاب بأنه على البساطة ، ومزود بطائفة غير يسيرة من الصور الفوتوغرافية التي تمثل الجماعات التوتمية والشيوخ والرؤساء ورجال الدين ؛ وصور أخرى لختلاف التواتم وعلاماتها وأزيائها ؛ وصور لأنواع الصخور المقدسة وأماكن العبادة وإقامة الطقوس التي نتحدث عنها في هذا البحث . وغنى عن البيان أن هذه الصور وما إليها تسهل على القارئ استيعاب الحقائق وإدراك الأفكار التي تقوم عليها .

(١) و (٢) E. Durkheim : Les Formes. (Eng. Trans. London 1915), p. 327 aqq.

وكانت هذه الطقوس والحفلات تقام حول مجموعة من الصخور والأحجار المقدسة تمثل في نظر الأفراد « مثال التوائم » أو « آباء التوائم » المنحدرين منها لأن العنصر التويمي كانت تعتقد أن أجدادهم كانوا يعيشون منذ العصور السحيقة في القدم (عصور Alcheringa) على سطح الأرض وأنهم تركوا آثاراً تدل على حياتهم الأولى . وتتكون هذه الآثار على وجه الخصوص من الأحجار والصخور التي وضعوها في أماكن معينة . وذهب بهم الاعتقاد إلى أن هذه الصخور والأحجار أجسام أو أجزاء أجسام أجدادهم السابقين . ويرون أنها تمثلهم وتمثل التوائم التي انحدروا منها . لأن الرجل البدائي يرى أنه وتوأمه حقيقة واحدة . ولذلك فإنهم ينسبون إلى هذه الآثار ما ينسبونه إلى توائمهم الحيوانية والنباتية وإلى أنفسهم أيضاً من الصفات . وتتمتع هذه الأحجار المقدسة فوق ذلك ، بصفات خارقة ومغايرة للحوادث ، فهم يعتقدون أنها لا تمرض ولا تنفئ ولا يجوز عليها العدم ، ويرون فيها معينا لا ينضب للحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية ، معينا لا يجوز عليه العدم أو التغيير . فهي في نظرهم مصدر الخير ومبعث الأمل والرجاء ^(١) . وهذا هو السر في أنهم ، في ظروف معينة ومناسبات سنوية ، يلجأون إلى ذلك المعين القياض يسألونه المعونة ، ويقومون حوله بطقوس دينية وإجراءات يرون أنها تضمن لهم تكاثر الفصائل التويمي التي تعتمد عليها العنصر في الحياة الاقتصادية والتي يعتقدون أنهم منحدرون منها ويؤلفون معها وحدة اجتماعية ودينية . ويلتمسون فضلاً عن ذلك ، تغذية وتقوية المبادئ التويمي الموجودة في تركيبهم الجسماني ^(٢) .

فعندما يرى رئيس القبيلة أو العشيرة أن الظروف الاجتماعية تحتم القيام بطقوس « الانتشيوما » فإنه يحدد يوماً معيناً لذلك ويعلن به رجال العشيرة . وفي صبيحة ذلك اليوم يجتمع الأفراد الذين يلتزمون إلى التوئم المحتفل به . ومن التقاليد المرعية في الاحتفال بهذه الطقوس أن الأفراد الذين يلتزمون إلى توائم أخرى (غير التوئم المحتفل به) لابد أن يتركوا منطقة الاحتفال ويتمتعوا إلى مسافة ما ،

B. Spencer and Gillen ; The Arunta (London 1927). vol I, p. 172. sqq. (١)

B. Spencer and Gillen : The Native tribes of Central Australia p. 167. (٢)

ويخضع النساء كذلك لهذا الإلزام سواء انتمين إلى التوتم المحتفل به أو إلى تواتم أخرى ، فلا يسمح لمن إطلاقاً بالحضور عند القيام بهذه الطقوس التي تعتبر في نظرهم حفلات سرية مقدسة لا يصح للنساء أو الأطفال مشاهدتها أو الاشتراك بجانب إيجابي فيها . ولا يجوز للفرد حضور هذه الطقوس إلا إذا كان حاصلًا على « التعميد » أي حاصلًا على الصفة الدينية للقبيلة بعد اجتيازه مراحل الـ « Initiation » (أي الدخول في الحياة الدينية للقبيلة) . ومن الجائز أن يدعو رئيس العشيرة بعض رؤساء العشائر المجاورة لهم الذين يتقدمون إلى تواتم أخرى بوصفهم ضيوفًا وأصدقائه . وعليهم أن يشاهدوا ما يجري أمام أعينهم بدون أن يشاركوا مع أفراد العشيرة التوتمية في أي عمل إيجابي^(١) .

وبعد أن ينتظم عقد الحاضرين من رجال وضيوف يخرجون إلى الطريق العام يتقدمهم رئيس العشيرة ويشترط أن يكونوا قد عقدوا النية على الصوم منذ بداية الحفل رغم ما يلاقونه من مشقة وصعاب . ويشترط كذلك أن يكونوا مجردين من السلاح ومن ملابسهم التي اعتادوها . ولا يشك الناظر إليهم وإلى موكبهم الرهيب وخطواتهم الوئيدة ، أنهم مشتركون في عمل خطير له أهمية قصوى ومن طبيعة دينية مقدسة . ويستمر الأفراد منتظمين في موكبهم الرهيب المطبوع بطابع الرزاة والاعتبار الديني ، حتى ينتهي بهم المطاف إلى بقعة خاصة مملوءة بالآثار والصخور المقدسة^(٢) . وعندها يقف الأفراد يشدون أناشيد وأغانٍ موضوعها دعوة التوتم للتناسل والتكاثر . ثم يتقدم الرئيس ويضرب الصخرة التي تمثل « التوتم » بآلة خشبية لها شكل خاص تسمى (Ampara) لكي يفصل بعضاً من ذرات ترابها ، تلك الذرات التي تعتبر في نظرهم جراثيم الحياة وبذورها . فكل ذرة منها ، في نظرهم ، تحوي مبدأً روحياً هو الذي يهب الحياة والولادة لكائن جديد عندما يدخل في جسم من النوع نفسه . ويستعمل رجال العشيرة المشتركون في الحفل فروعا

(١) E. Durkheim : Les formes. (Eug. trans. p. 327 sqq.)

(٢) B. Spencer and Gillon : The Arunta p. 172.

وفي هذا الكتاب صور فوتوغرافية كثيرة لمجموعة متنوعة من الصخور والآثار المقدسة أشار إليها .

من الشجر لنثر الأتربة أو الذرات المقدسة في كل الجهات ويلوحون بها في مختلف الاتجاهات لكي تنشرها على نطاق واسع وبذلك تؤدي الذرات المقدسة عملها الإخصابي^(١). وكانوا يعتقدون أن هذه العمليات هي بمثابة مقدمة قربان. لأن ذرات التراب المقدس عبارة عن قربان تقدم لأرواح التوائم المنبثة في كل مكان. فكانهم يقدمون للتوتم المقدس أشياء من طبيعته وجنسه. ويعتقدون اعتقاداً راسخاً أنهم بهذه الوسيلة وحدها يضمنون إنتاجاً وفيراً من أنواع الحيوان والنبات التي تعيدها العشار وتسهر على حراستها وتعتمد عليها في حياتها الدنيوية والاقتصادية. وكان المبع عند العشار التي توتّمها «الكنجارو» أن يشعل الرئيس فيراناً مقدسة بجانب «مثال التوتم» ويستعمل أتباعه فروع الأشجار في نثرها لأنهم كانوا يعتقدون أن الشرر المتطاير هو عبارة عن ذرات روحية حية لها قدرة على زيادة الفصائل التوتمية، ويؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديها ذرات الأتربة المقدسة. وفضلاً عن تأدية وظيفة الإخصاب هذه، فإن ذرات الأتربة أو الشرر المتطاير من التيران المقدسة يعمل على فك أسر أرواح التوائم الحبيسة في تلك البقع المقدسة، فتزداد تبعاً لذلك عملية التناسل والعكاز.

ولكي يجعلوا طقوسهم أكثر فاعلية، وفتائجها أكثر ضماناً، كان بعض الأفراد يلجأون إلى مزج جزء من مادتهم بمادة الحجر المقدس الذي يظنون أنه يمثل فصيلة التوتم. فكانوا يصعدون فوق الصخرة المقدسة ويديارون في تمزيق شرايينهم وصب دمائهم فوقها. ويرون أن هذه العملية هي بمثابة تقديم الدم البشري قرباناً للصخور المقدسة. وفضلاً عن ذلك، فإن نزف الدماء يضفي على الطقوس حساسة وشدة من شأنها ضمان النتائج المرجوة. هذا، إلى أنهم كانوا يعتقدون أن الدم الإنساني يفك أسر أرواح التوائم الحبيسة في الأمكنة المقدسة ويغش القوى الخارقة التي ينسبها البدائيون إلى الأحجار والصخور التي تمثل الفصائل التوتمية. والمر في هذا التصور

B. Spencer and Gillen : The Arunta, London 1927, vol I, p. 115.

أن الرجل البدائي^(١) يعتقد أن الدم هو مبدأ الحياة في تكوينه ، وأنه سر بقاءه ومبعث نشاطه وهو مزود بقوى سحرية عجيبة خارقة للعادة ، ومكون من جراثيم وذرات تحمل مبدأ الحياة^(٢) . وإذا كنا ندرلك أن رجال العشيرة يعتبرون أنفسهم أقرباء للتوتم المنحدرين منه ، فيترتب على ذلك الاعتبار ، أن مبدأ الحياة فيهم هو نفسه مبدأ الحياة للفصائل التوتمية . وكثيراً ما كان يحدث بين القبائل التوتمية أن الشخص إذا مرض أو شعر بضعف ، فإن صديقه أو قريبه يهرع له بمجزة من دمه لدهن جسده أو شربه في حالات خاصة . وذلك لإنعاشه وتجديد قواه وإنقاذه من موت محقق . فإذا كان الدم في استطاعته أن يجدد الحياة الإنسانية على هذه الطريقة ، فليس بمستغرب أنه يؤدي الوظائف نفسها بصدد الفصائل الحيوانية والنباتية التي ينحدر منها الأفراد وترتبطهم بها رابطة قرابة ووحدة ديلية واجتماعية^(٣) .

هذا عرض مبسط للإجراءات والطقوس التي كان التوتميون يقومون بها في الحفل الأول من حفلات (أنتشيوما Intichiuma) وموضوعها كما سبق أن أشرنا هو دعوة التوتم إلى التناسل والتكاثر . وكانوا يعتقدون أشد الاعتقاد في فاعليتها وفائدتها وأنها لا بد أن تنجح النتائج الطيبة التي هو قوتها ويعقدون عليها الآمال . وإذا خيبت الحوادث رجاءهم ولم يحصلوا على ما ينتفون فانهم لا يعززون أى فشل أو قصور إلى هذه الإجراءات والطقوس ، بل يعززون ذلك إلى تدخل بعض الأفعال السحرية التي تقوم بها الجماعات المعادية لهم . فربما تكون طقوسهم قد تعارضت مع بعض التأثيرات السحرية أو بعض طقوس توتمية معادية ، ففقدت فاعليتها وخبت قوتها وضعفت نتائجها وانقلبت آثارها الطيبة للرجوة إلى أخرى ليست من مصلحتهم . ولا يمكن أن يخامر الرجل البدائي أى شك أو ريب في قيمة الطقوس التي شرحتها وفي قدرتها العجيبة

(١) يستعمل الدكتور عبد العزيز عزت لفظ الرجل المتأخر بدلاً من « الرجل البدائي » والإقوام أو المجتمعات المتأخرة بدلاً من المجتمعات البدائية . وذلك لأنها لا تمثل اليوم بدء الحياة البشرية على الأرض وإنما نجد عندها كثيراً من التمسيد والتطور في حياتها الاجتماعية .
R. Karsten : The Civilization of the South American Indians , London 1926 .

على الانتاج . ولا يمكن أن يتبادر إلى ذهنه أنه يستطيع الحصول على ما يريد بطريقة أخرى غير تلك الطرق التي تكلمنا عنها . ومن الغريب أنه إذا حصل اتفاقاً وصدفة أن أنواع التوائم نمت وتكاثرت قبل أن تحتفل العشائر بطقوس أنتشيوما فأنهم يعتقدون أن أسلافهم الذين يعيشون تحت الأرض المقدسة لا بد أن يكونوا قد قاموا بحفلات من هذا القبيل في عالمهم ، وأن الأحياء يتمتعون بمزاياها ويحجون ثمارها وآثارها الطيبة ^(١) .



تنتهي الطقوس السابق ذكرها (طقوس الحفل الأول) بإعلان حالة دينية شديدة الخطورة بين أفراد العشيرة لأن التوتم المقدس في حالة تقوية . فيزداد الشعور الديني ويأجج وتغضى على العشيرة موجة من الحماس الديني العنيف . ويظهر ذلك بوضوح من الوقوف على نظام التحريم البالغ حده الذي تفرضه طقوس الحفل الأول على أفراد العشيرة . فيلاحظ أن الأفراد لا يجرؤون على القرب من التوتم أو لمسه مع أنهم في الأحوال العادية كانوا يستطيعون أن يأكلوا منه في ظروف ومناسبات يحددها المجتمع . ولكن عقب القيام بطقوس أنتشيوما يحرم عليهم لمدة ما تناوله في الاستهلاك اليومي . وقانون التحريم صارم جداً لا يحتمل استثناء لأنهم يعتقدون أن أى نكث أو مخالفة تبطل حصول النتائج الطيبة المرجوة من وراء القيام بالطقوس المشار إليها وتحول دون زيادة أنواع التوائم . وقد تؤثر تأثيراً مضاداً ، فيختفى النوع وينقرض من الوجود ^(٢) .

والأفراد الذين يتمتعون الى توائم أخرى غير التوتم المحتفل به لا يخضعون لقواعد التحريم التي أشرنا إليها . ولكن من الطبيعي أن تكون حرمتهم في تلك الفترات مقيدة وذلك لقداسة هذه الظروف وخطورتها في حياة العشيرة . فيحرم عليهم أن يأكلوا الحيوان التوتمى جبهة ، لأن هذا الإجراء ينطوى على إهانة بالغة وعدم اكتراث لشعورهم الديني . غير أنه يباح لهم أن يأكلوه سرّاً بدون أن يشعر بذلك أى فرد من أفراد العشيرة الذين ينتسبون إلى التوتم المحتفل به .

١ - Durkheim - Les formes, (Eng. trans.) p. 331, seq. (١)

R. Spencer, S. Gullen, The Arawa: vol I, p. 118. (٢)

بيد أن فترة التحريم التي أشرنا إليها لا تستمر إلى ما لا نهاية بل هناك حفل آخر يختتمها ويعان نهاية السلسلة الطويلة من طقوس أنتشيوما . أى لابد من القيام بطقوس أخرى تحتم تلك الفترة الشاذة غير العادية ، وتحقق كثيراً من وطأة نظام التحريم المفروض على الأفراد في علاقاتهم بالفصائل التوتمية ، وتعطى لم حرية أوسع في التمتع بها واستخدامها في شق مرافق الحياة .

وتتلخص طقوس الحفل الثاني من حفلات (أنتشيوما) في أن يعين رئيس العشيرة يوماً تاريخياً خطيراً في حياة العشيرة وذلك بعد أن يطمئن إلى أن أفراد الفصيلة التوتمية قد تكاثرت ونضجت وبلغت أشدها واكتمل نموها . وفي اليوم المرسوم يخرج الأفراد في جماعات منتظمة لصيد هذا الحيوان ثم يعودون بصيدهم إلى مكان الحفل فيتولى الرئيس ذبح التوتم بعد قرع الطبول وقراءة الأوراد والتغنى بالأناشيد الدينية الموروثة التي تتضمن الاعتذار إلى الفصيلة المقدسة . ثم يتولى دهن أجسام رجاله بدهاء التوتم ودهنه . وبعد طهى اللحم المقدس يأكل الرئيس والشيوخ منه أولاً ثم يوزع الباقي على الأفراد ليأكل كل واحد منهم نصيبه من اللحم المقدس . وبعد الانتهاء من تلك الوجبة يزين الأفراد أنفسهم بشارات التوتم وألوانه ويميزاته . ويقلد الرئيس التوتم في مظهره وأوضاعه ويكاد يبدو أنه التوتم ذاته . ويقضى الجمع الحاشد الليل طوله في الغناء والرقص ويتذاكر الأفراد فيما بينهم القصص التي توارثت إليهم عن آباء التوتم وعن نضال الأسلاف في سبيل استئناسه ودجنه والارتفاع به منذ أقدم العصور . وتكرر هذه الطقوس بضممة ليال إلى أن يحدد الرئيس انتهاء موسمها طبقاً للتقاليد الاجتماعية الموروثة ^(١) .

فكان الحفل الثاني من طقوس « أنتشيوما » عبارة عن ولجة جمعية أساسها الاشتراك في أكل لحم الحيوان المقدس الذين كانوا يلتمسون زيادته

E. Durkheim : Les formes, (eng. trans. p. 217. 335. (١)

هذا في كتاب (The Arunta) الذي - بقى الإشارة إليه كثير من الصور والأشواخ التي توضح شيوخ المشائر في أزياء التوتم ، وتمثلهم في أثناء القيام بالطقوس التي نحن بصدده الحديث عنها ص ٢٨٦ و ٢٩٦ ، الجزء الأول .

وتسكاته في الحفل الأول ؛ فكانت عشائر الكنجارو تقدم أضياعها في هذا الحفل الأخير من حيوان الكنجارو ، وكانت عشائر الغضب تقدم أضياعها من الغضب ، وعشائر (Dieri) تقدم أضياعها من الثعابين لأنها تعتقد أنها منحدرة من أصل ثماني مقدس ، وتقدم عشائر (kaitish) أضياعها من الكائنات البحرية لأنها تعتقد أنها منحدرة من نوع معين من السمك .

هذا وصف مجمل للحفلات التي تنطوى عليها «طقوس أنتشيوما» . والغريب كما يبدو في هذه الطقوس أن رجال العشيرة هم عباد التوتوم وهم الذين يقدمونه أضحية مقدسة ، وهم الذين يأكلونه . فكأنهم وآلهتهم يشتركون في وليمة دبية لها طابع خاص ويرجى منها نتائج هامة . ولما كان الأفراد يعتقدون أنهم بفضل هذه الطقوس يضمنون الحصول على أمداد مستمرة من الحيوان المقدس وبدونها يخشى ذلك الحيوان من الوجود ، فكأنهم في ضوء هذا الاعتبار ، يشتركون في صنع آلهتهم وفي بث الحياة فيها من حين لآخر . وهذه نتيجة مستخلصة من ترتيب الحقائق والطقوس التي ذكرناها .

ويلاحظ كذلك في مجموعة هذه الطقوس العناصر الأساسية لنظام ديني عظيم هو « نظام الأضحية والقرابين » . ولعل هذه الطقوس هي أول مظهر من مظاهر الطقوس الإيجابية ، وهي التي خلعت على نظام الأضحية صفة وضعية اجتماعية . فلم تعد التضحية هي تلك النظم السلبية التي تقوم في إنكار الذات وفناء النفس وفي الزهد والتشفي والتصفوف والانتصار ، ولكنها نظم وضعية إيجابية تمثل منذ أقدم أشكالها في تلك الولائم الجمعية المقدسة التي وصفناها . هذا ، وقد كان في الكشف عن هذه الطقوس ما أفسد كذلك التفسير القديم لمعنى « الأضحية » إذ كان المفكرون السابقون يعتبرون الأضحية نوعاً من الضريبة تقدم إلى الكائنات المقدسة كالضريبة التي يدفعها الرعية لملوك والأمراء ^(١) . ولكن هذا التفسير الكلاسيكي لا ينسجم مع الخاصيتين

E. B. Tylor Primitive Culture (5th edition, London 1929), ١١
H. Spenser : The Principles of Sociology (London 1899), p. 27

الجوهريتين اللتين يمكن الكشف عنهما في طبيعة طقوس « الانتشوما »
وإحداها الوليمة الغذائية التي جوهرها الأكل ، وثانيتها الاتحاد والمشاركة
بين الأفراد والآلهة بتناول جزء من لحومها المقدسة ^(١) .

ولعل موضوع المشاركة أو الاتحاد بالإله واضح جداً في طقوس انتشوما .
ذلك أن كل فرد من أفراد العشيرة التويمية يحتوي في تركيبه وفي داخلته
على جوهر خارق للعادة ، وهو أسبق أجزاء الكائن وجوداً وهو الذي يزود
الفرد بالقوى والفضائل ، ويحدد مركزه الاجتماعي والديني ، ويحفظه على قدر
استطاعته في حيوية وشباب مستمر . وهذا الجوهر مزود بقوى وخصائص
لا تغل في خطرها وشأنها عن الاعتبارات التي تنسبها للروح في عصورنا
الحديثة . ولكن من سوء الحظ ، كما يعتقدون ، أن هذا المبدأ يضعف ويعتريه
القدم والبلى بمضي الزمن ويسبب شقاء صاحبه وموته ، إذا لم يزود من حين
لآخر بشيء أو بمادة قدسية تعيد إليه النشاط والحيوية وتضفي عليه الجدة
والتألق حتى يستطيع أن يمد صاحبه بمظاهر الجهد والطاقة التي يحتاج إليها
في أعماله اليومية . وفي ضوء هذه الأفكار يمكننا أن نفلس السبب الحقيقي
للقيام بالطقوس التي وصفناها والدعائم الجوهرية التي تقوم عليها ^(٢) .

ذلك أن رجال التوتم لا يستطيعون أن يحتفظوا بمراكزهم الاجتماعية
وبحياتهم إلا إذا أُنْعِشُوا باستمرار وجددوا بصفة دائمة المبدأ التويمي الذي
فيهم . ولما كانت المبادئ التويمية تتمثل غالباً إما في فصائل حيوانية
أو نباتية فأنهم يلجأون إلى الحيوان أو النبات المطابق ليطلبوا منه القوى
الضرورية التي يحتاجون إليها لتجديد هذه المبادئ وإعادة الشباب إليها . فمثلاً
الفرد المنحدر من عشيرة « الكنجارو » يشعر تماماً ويعتقد أنه كنجارو ،
وأن هذه الصفة هي التي تحدد مركزه الاجتماعي والديني . فلكي يحافظ
على هذه الأوضاع ، يجب عليه أن يأكل من آن لآخر قليلاً من لحم التوتم

R. Smith Lectures on the Religion of the Semites (London 1927) II, 315. (١)

L. Dürkheim, Les formes, (Luz) trans. p. 228, 229. (٢)

المقدس . فان جزءاً بسيطاً يكفي للتجديد والانتعاش طبقاً للقاعدة التوتمية المعروفة « الجزء يساوي الكل » ^(١) .

غير أن هناك فكرة دقيقة وخطيرة يجب الكشف عنها وملخصها أن التوتم هو معبود المشيمة وهو سر حيوتها وبقائها وهو رمزها وعلمها . فكيف يجرؤ أناس عاديون (علمانيون) على تدنيس هذا الشيء المقدس بذبحه وإراقة دمه وأكل لحه ؟ ألا يبدو في هذه المعتقدات تناقض ملحوظ ؟ بالتعمق في بحث طبيعة الحقائق نجد أن هناك طقوساً يمكنها مواجهة هذا التناقض ، ويمكن في ضوءها تفسير اتصال الأفراد (العلمانيين) بالإله المقدس . لأن الإنسان العادي لا يستطيع أن يحصل أو يلمس الكائنات المقدسة إلا إذا غيّر من طبيعته وغيّر الحاجز الذي يفصلها . ولذلك يجب عليه قبل أن يذبح الحيوان المقدس أن يزاول سلسلة طويلة من الإجراءات والاحتياطات الدقيقة التي من شأنها أن تخفف من وقع الالهانة التي تلحقه . ولعل أكثر هذه الطقوس شيوعاً وأعمها هي تنظيم الانتقال من العلمانية والاتصال بالعالم القدسي على أساس إدخال العابد ببطء وبالتدرّج في دائرة الأشياء المقدسة . وعندما يتم هذا الانتقال بالتدرّج وبصورة مخففة فإن التدنيس لا يؤلم الشعور الديني ، ولذلك لا يعتبر تدنيساً حقيقياً ويتلاشى أثره بسرعة . وهذا ما يحدث في الحالة التي أمامنا بصدد حفلات « التشيوما » فإن موضوع السلسلة المعقدة من الطقوس التي تسبق اللحظة التي يقدم فيها التوتم أضحية

(١) يصرح العلامة دوركايم في كتابه « الأشكال الأولى للحياة الدينية » العتيقة التوتمية التي مؤداها « أن الجزء يساوي الكل » بقوله إن العقلية البدائية تقبل فكرة قسمة الشيء المقدس . وأن كل جزء منه يبقى مساوياً للكل في خصائصه وفضائله . ويبقى مزوداً بالقوى القدسية والصفات الخارقة المزود بها الشيء ذاته . فلا القمارة الواحدة من دم التوتم تحوي جميع المبادئ القدسية السكمانية في طبيعة التوتم . ويمكن دوركايم أمثلة كثيرة توضح منها أن العقلية البدائية تمتد أن الروح تتحلل أو تنفك إلى أجزاء كثيرة كأنها نسج أو مركب يمكن فصل أجزائه ويبقى كل جزء من أجزاء الروح مساوياً لروح كلها في قدرتها العجيبة على التأثير في عالم الحوادث

وقد أفاض العلامة الفرنسي (ليني بروك) في شرح هذه القاعدة وضربها أمثلة لا تحصى

في كتابه من العقلية البدائية « La Mentalité Primitive Paris 1922 »

مقدسة ، هو تطهير الأفراد الذين يشتركون بصورة إيجابية في ذبحه أو يقومون بأدوار رئيسية في طقوس التقديم . وتنصب هذه الطقوس بصفة خاصة على الرئيس الذي يجب أن يكتسب صفات دينية جديدة تسمو به إلى منزلة الأشياء المقدسة . فضلاً عما يجمع به قبلا من مركز ديني وروحي خطير .

ويعتقد التوتيمون أنه بدون القيام بهذه الطقوس الانتقالية ، فإن الحفلات الدينية لا تنتج الآثار الطيبة المرجوة فيها وقد تنقلب آثارها شراً وبيلا فتتآمر عليهم أرواح العوالم ، وتختفي فصائله وتنقرض من الوجود ، وتعييبهم الآفات ، وتربص قوى الشر بهم الدوائر . ومن ثم تحقق الأخطار والكوارث بالمجتمع وتهدد كيانه وتشجع بين أفرادها الاضطراب والفوضى . فتنهار دعائمه ويصبح أفرادها في موت محقق . ولا سبيل لإقناذ المجتمع من محنته إلا بتقديم ضحايا آدمية تجل عن الخصر معظمها من الشيوخ والرؤساء . وهذه التصورات تدلنا دلالة واضحة على أن الأضحية في عقلية هذه المجتمعات هي : طريقة أو منهج للتأمين على حياة المجتمع ^(١) وما كان المجتمع ليتساهل في أمر الضحايا التي يفرض على الأفراد تقديمها أو الطقوس التي يمين عليهم القيام بها حيال الشيء المقدس الذي يمثل المجتمع ، بل كان يسير على هذا المنهج مهما كلفه من ثمن . وليس أبلغ من أن يقدم المجتمع الإله نفسه أضيحية باسم الصالح العام والمنفعة الاجتماعية ^(٢) . وتدلنا هذه التصورات كذلك على أن شخصية المجتمع لم تكن غائبة عن تصور الأفراد ، بل كانت تبدو في معظم الحالات أنها المحرك الأول والمنظم الرئيسي لكل الظروف والمناسبات التي يمين فيها على الأفراد القيام بطقوس انتشيوما وتقديم الضحايا والقرابين من الأشياء المقدسة .

* * *

وفما يعلق بالقوى القدسية التي تتجه إليها طقوس « انتشيوما » فنجد أن الرجل البدائي نسب نفسه إلى الفصائل الحيوانية والنباتية واعتقد

1 Westermarck, *Origin and Development of the Moral Ideas*, Tome I, (١) p. 470 (trad. française 1928).

2 Al Hout, *The Progress of Man*, (London 1933), p. 246 (٢)

أنه منحدر منها واتجه إليها بالعبادة وقدم لها القرابين وقام حيالها بطقوسه وحفلاته الدينية كما سبق أن فصلنا ذلك . ولعله رأى أن هذا النسب يحقق له الإجابة عن أول سؤال صدر منه منذ وجد على وجه البسيطة وهو كيف أعيش ، وكيف أحصل على كذا وكذا حقا لقد كانت هذه الأسئلة حتى شغله الشاغل . ولذلك اتجه نظره أول ما اتجه إلى أشياء تجيب رغبته في سهولة ويسر ، وتحقق أمانيه في الحصول على حوائجه المتواضعة . ولكن لما استقرت به الأمور والأحوال وحصل على قسط يرضيه ، بدأ ينظر فيما حوله نظرة مركزة وانقل من السؤال عن « كيف أعيش » إلى السؤال عن لماذا أعيش ، ولماذا كانت الأمور والظواهر على ما هي عليه ولم تكن على صورة أخرى . أى أنه بدأ يفكر ويتأسس العلل والأسباب ويركز شعوره ويوجه انتباهه إلى أشياء أخرى بعيدة عنه . وهذا ما دعاه إلى أن يخلع صفة القدسية على قوى وكائنات ظن فيها أمورا غارقة . وقد عبر عن هذه القوى غير العادية وهذه الصفات الغارقة بلفظ « مانا mana » وهي كلمة معروفة عند معظم القبائل والشعوب القديمة ^(١) .

ولهذه التصورات أهمية بالغة لأنها توضع لنا أساس نظرية هامة عن العقلية البدائية ، وهي أن البدائيين يتصورون وجود قوى غير مادية وغير مرئية تعمل من وراء ستار . وهذه القوى تختلف باختلاف شدتها ونوعيتها ولكنها لا تختلف في جوهرها (وهو أنها غير مشخصة) . وقد لوحظت هذه الأفكار والتصورات بصفة أساسية في جميع الطقوس الدينية لاسيا طقوس أنتشيوما . وانتشرت على نطاق واسع بين القبائل القديمة : في استراليا وأمريكا وأفريقيا وجزائر الفلبين وميلانيزيا وبولونيزيا وفيجي وما إليها وقد اختلف التعبير عن هذه القوى تبعاً لاختلاف اللغات واللهجات وزاد ذلك من صعوبة التمييز أو التعبير عنها في مختلف الجهات . ولكن مهما كانت الاختلافات المحلية فإن الفكرة الأساسية موجودة في عقلية الجماعات القديمة ، ووجود القوى المشار إليها على الصورة التي أوضحناها ضرورة مسلم بها ^(٢) .

R. H. Codrington : The Melanesians. Oxford 1914, p. 118 sqq.

(١)

R. R. Marett : The Conception of mana in The Making of man ; Calverton : (٢)

New York 1931, p. 660, 675.

وعندما تطور الإنسان وانتقل تباشاً في مدارج الارتقاء والحضارة ، تقلصت إلى حد كبير التعمورات التي كان يحفظها في ذهنه عن قوى (ال مانا mana) وضاق نطاقها بتقدم العلوم وخضوع الظواهر السكونية والاجتماعية لمبادئ العلمية ، مما أوحى إلى الذهن النير إدراك أن القوى غير الشخصية التي أشرنا إليها إن هي إلا القوانين العلمية التي كانت تعمل من وراء ستار ولم تفهم على حقيقتها ، ولم تكتشف بعد ، نتيجة جعل المجتمعات الإنسانية الأولى وعدم إدراكها معقولية العالم واطراد النظام الكوني وارتباط الأسباب بالمسببات .

والذي نقره في هذا الصدد أن الإنسان الأول استطاع تصوره وجود قوى (ال مانا mana) أن ينتصر على الطبيعة انتصاراً ملحوظاً ، وبسيطر على كثير من مظاهرها ويسخرها لخدمته . وبذلك حقق كثيراً من مطالبه الأولية ورغباته الضرورية . وكان من نتيجة ذلك أن اتسع أمامه ميدان الفكر ووجد من وقته ما يتسع للتأمل والتحليل . فبدأ في هذا الطور الجديد يلبس آلهته وكائناته المقدسة بعيداً عنه ، وفي عالم آخر غير ذلك العالم الذي انتصر عليه وسخره لخدمته . وهداه تفكيره إلى أن ينظر إلى السماء التي ظن أنها وطن هذه الكائنات المقدسة وشرع في تصورها على الصورة التي ترضيه وتوافق عقله . ولما كان الإنسان قد آنس في نفسه القوة والسيطرة ، فإن أقرب صورة صور فيها آلهته هي صورته القوية . ولذلك أدرك في ذلك الطور أن آلهته تتجسد صورة آدمي جبار عنيد يجمع بكثير من القوى الخارقة . ولذلك أسرف في التقرب إليها بالعبادة وتقديم الضحايا والقرابين لأنه ظن أن لها كما له مطامع وملاذ يجب أن يشبعها وإلا تنكرت له وسامته سوء العذاب (١) .

وتطور الزمن وارتقاء التفكير وما تبع ذلك من ارتقاء التصورات الدينية وسموها ، فقدت الكائنات المقدسة كثيراً من الشوائب المسادية والصفات الأنسية . هذا إلى أن التطور العقلي وما صحبه من اتساع دائرة الكشف العلمي وظهور مرحلة القانون ونسبة الظواهر والقوى الطبيعية والسكونية .

Bouhé-Leclercq : Du fonds Commun des Religions Antiques. (Paris 1900). (١)

إلى أسباب وارتباطات عليّة ، كان له فضل كبير في تهذيب العصور الدينية ونجرتها من سذاجة المتأخرين وكان له أثر ملحوظ في تعيين مركز الإنسان من الشيء المقدس ، ذلك الشيء الذي انتهى به التصور إلى حقيقة ذاتية روحية مجردة لا تشوبها الشوائب المادية أو الجسدية وترتفع في ذاتها عن الصفات المشبهة.



وثمة نقطة هامة نستنتجها من دراسة القوى والكائنات التي تقدم لها طقوس انتشيوما . فإن البحوث التي قدمناها تدلنا بوضوح على أن هذه القوى والكائنات كانت مرتبطة منذ نشأتها وفي تطورها بأمور وأشياء اجتماعية . فكانت كما رأينا تتمثل في صخور وأحجار وفصائل حيوانية ونباتية يظن أن المجتمع نفسه منحدر منها ويؤلف معها وحدة دنيوية واجتماعية : أي أنها تتمثل في أشياء اجتماعية . وفي ضوء هذا الاعتبار فهي ليست إذن قوى وهمية أو خيالية . إنها قوى وضعية لا نشك في وجودها ^(١) .

ولكن ما طبيعة هذه القوى والكائنات الوضعية ؟ من السهل أن نقول أنها من طبيعة دنيوية قدسية لما أحاطها به الأفراد من ضرورة الاحترام والإجلال والإنجاء إليها بالعبادة والقيام حيالها بالطقوس التي شرحتها . بيد أن كبرى « ديني وقديس » غير محددين عالياً ويكتنفهما الغموض اللغوي ، وهما من المصطلحات التي لم يحقق العلماء على تحديد مفهوماتها ، ولذلك قد نكون على قدر كبير من العوالب إذا وصفنا القوى والكائنات المشار إليها بأنها من طبيعة تختلف اختلافاً جوهرياً عن طبيعة الأفراد الذين يشتركون في الاحتفال حيالها بالطقوس ويقدمون لها الضحايا والقرابين .

ولكن كيف توصل الأفراد إلى تصور قوى وكائنات تعتبر من طبيعة غير طبيعتهم وتختلف عنهم اختلافاً جوهرياً ؟

غنى عن البيان أن هذه القوى قد نشأت تافأثيا فى قلب الجماعة فهى ليست من عمل فرد معين أو بضعة أفراد . إذ لو كان الأمر كذلك لأصبحنا أمام عدد لا يحصى من القوى التى تختلف باختلاف الأفراد فى المجتمع الواحد ، وهذا غير موجود . ومن ناحية ثانية فإن الفرد الواحد لا يقوى على أن ينشئ من تفكيره الخاص موضوعات تعتبر من طبيعة غير طبيعته ، لأنه بمفرده ليس فى حاجة إلى تصور مثل هذه القوى وليس مدفوعا بالدوافع والضرورات التى تدعوه إلى خلقها .

إن قوى هذا شأنها إنما تنشأ من اصطلاح الأفراد جميعاً على وجودها ، وتنشأ من حاجتهم مجتمعين إلى خلقها وإبداعها . تصور هذه القوى إذن ثمرة من ثمرات الحياة الجمعية ، والتزامات هذه الحياة هى التى ولدت فى شعور الأفراد وفى عقولهم تصور مثل هذه القوى أيا كانت طبيعتها . فهى نتيجة تصور العقل الجمعى وتفكيره فى مصابىر أفرادهِ ومبلغ حرصهِ على حياتهِم لأن الحاجة أم الاختراع . وهى نتيجة اتفاق عقول الأفراد اتفاقاً بالذات لأنهم لا يجتمعون لتعيين هذه القوى وإنما يجتمعون ليتذكروا وجودها فيما بينهم وليؤكدوا ولاءهم وإخلاصهم لها .

إن قوى هذا شأنها لا يدرك الفرد نشاطها وحيويتها إلا فى أثناء قيامه بحياتها بالإجراءات والطقوس التى شرحناها بالتفصيل . فيدرك فى هذه الظروف أنها حالة فيه وتسيره ، ويجد فى قرارة نفسه أن قوى خفية تنازعه . وشعوراً جمعياً يفيض عليه ، وأن انفعالات جمعية لم يحسها من قبل قد ملأت نفسه وغمرت من طبيعته ودفعته يشاطر المجتمعين فى حماسهم الدينى ، فينشد كما ينشدون ، ويغنى كما يغنون ، ويعبى ويرقص إذا رآهم يفعلون ذلك . ويخضع لكل الالتزامات التى تفرض عليه مدفوعاً بدافع تلقائى . هذا الشعور الجديد أو الانفعال الذى لم يحسه من قبل ، لم يكن فى حقيقة الأمر شيئاً جديداً كل الجدة ، ولكنه كامن فى شعوره الباطن أو بعبارة أخرى موجود فى اللاشعور فى حالة كون .

إن القوى والكائنات التي نحن بصدد الحديث عنها مهيئتة الأساسية أن تدعو الأفراد بصفة تلقائية وبطريقة غير مباشرة إلى أن يجتمعوا ليتشاوروا في مصائرهم . لأن الأفراد منذ وجودهم على ظهر البسيطة يلاحظون أن النبات ينمو ثم يموت ؛ فهل له أن يولد من جديد ؟ والأنواع الحيوانية تنحرف دائما بتأثير الموت الطبيعي ؛ فهل يمكن أن تتجدد وتعود إلى الحياة مرة ثانية ؟ هذا ، إلى أن النكبات والمصائب الطبيعية وقوى الشر والمرض والموت تقتفي أثرهم وتهديم وترتبص بهم الدوائر . وغنى عن البيان أن هذه التقلبات في الطبيعة وفي الحياة الاجتماعية تسبب أزمات داخلية لا حد لها في شعور الأفراد وفي تفكيرهم . وكلما زادت الأزمات الخارجية ، تضاعفت الأزمات الداخلية والعقلية ، وسرت بين الأفراد تيارات من طبيعة أخرى غير الطبيعة الفردية لأنها لم تصدر عن نفس فردية ولكنها عن شعور الجماعة أو عقل المجتمع . هذه الانفعالات والأزمات تدفع الأفراد إلى الاجتماع ليتشاوروا فيما يجب عمله لتقرير مصائرهم . ومن الواضح أنه في أثناء هذه الاجتماعات تسيطر عليهم أفكار واحدة تولد لساعتها وتسرى بينهم فتقبلها عقولهم جميعا بلا استثناء . وتنتهي على هذه الأفكار معتقدات يؤمن بها الأفراد جميعا لأنها وليدة تفكيرهم مجتمعين . ولذلك لا يطول بهم الوقت كثير في البحث عن علاج لحل أزماتهم الداخلية والخارجية لأنهم حتما سيجدون العلاج ما داموا يبحثون عنه مجتمعين .

نخلص من هذا التحليل الدقيق لطبيعة القوى والكائنات التي تقدم لها الطقوس إلى تقرير حقيقة هامة وهي أن القوى التي تنشأ في جو الجماعة (أي في اجتماع الجماعات) أيا كانت طبيعتها ، إنما تستمد حقيقتها من الحقيقة الاجتماعية وتستمد عقائدها وقوتها من إيمان الجماعة وفكر الجماعة . وهذا انتصار علمي كبير في محاولة تشخيص هذه القوى وتحليل موضوعيتها . وإذا كانت القوى المشار إليها في قلب أطوارها قد ارتبطت بمشكلات مادية ، فإن هذه المشكلات على فرض وجودها في الواقع ، لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا وجدت في عقول الأفراد أولا . فهي إذن تعتمد في إدراكها وتصورها على فكر المجتمع وعقله لأن هذا العقل هو منبع الشعور والعواطف والعقائد التي يدين بها أفراد المجتمع .

وهو المسئول عن قوة هذه العقائد وحيويتها ومدى مكانتها في قلوب الأفراد، وهو المسئول كذلك عن ضعفها وذوبها لأنه المرشد العام للأفراد والمسيطر على عقولهم الخاصة. وهم، يوجهه ووحيه، يسرون طائعين أو كارهين على النظم والمعتقدات التي يرسمها لهم ويفرضها عليهم^(١).

وإذا كانت القوى والكائنات التي نتحدث عنها قد تطورت بتطور العصور أو بتطور المجتمعات فإنها لا تزال تحتفظ بطبيعتها وخصائصها المميزة وصفاتها الخارقة فهي لا تزال توصف بأنها من طبيعة تختلف عن طبيعة البشر والحوادث. فالتاريخ لم يغير الجوهر الذي ظل وسيظل هو ولا يجوز عليه التغير بحال لأنه لا يتعلق بالماضي فحسب، ولكنه في حاضر مستمر. كما لا يجوز عليه العدم لأنه ليس من صنع فرد ولا بضعة أفراد، إنه من خلق المجتمعات، بدون أي اعتبار لشرط الزمان والمكان. لأن هذه القوى والكائنات نشأت بلشأتها وستظل كذلك ما دامت المجتمعات الانسانية في بقاء مستمر. أما إذا قدر لها أن تزول من الوجود فإن القوى المشار إليها ستبقى بالضرورة نفس المصير المحتوم.

ولكن إذا كان الجوهر في ذاته لم يغير وطبيعة القوى لم تتطور لها السر إذن في المبادئ البالغة حدها التي نلاحظها بين مختلف الأمم فما يتعلق بالقوى والكائنات التي يقوم الأفراد حيالها بالطقوس؟

الواقع أن الذي تطور وتغير هو تصور المجتمعات المختلفة لهذه القوى ولطبيعتها. فالتصورات الاجتماعية هي التي تطورت، وطرق التفكير الاجتماعية في هذا الموضوع هي التي اختلفت، ووسائل التعبير عنه هي التي تباينت. وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول إن الرموز والاصطلاحات التي اتفقت عليها المجتمعات لادلالة على القوى والكائنات المشار إليها وللتعبير عنها هي التي خضعت لقوانين التطور. وقد كان هذا التطور في الرموز والاصطلاحات الاجتماعية بمعدل القوى والكائنات التي شرحناها موضوع للمادة الفنية التي شغلت أذهان العلماء والفلاسفة، وموضوع كثير من الدراسات والبحوث الاجتماعية الطريفة.

مناخ غرب الدلتا

للككتور محمد محمود الصباغ

يقع الاقليم موضوع الدراسة إلى الغرب من فرع رشيد، ويكون ساحل البحر المتوسط حده الشمالى، كما تكون حافة الصحراء الليبية حديه الغربى والجنوبى، ولهذا كان مناخه متأثراً بالبحر والصحراء معاً، وسنرى مبلغ تأثير هذين العاملين حينما نفعل الحديث عن عناصر المناخ المختلفة. وهناك عامل ثالث يرى الكثيرون أن له أثره فى تعديل مناخ الدلتا جميعاً وذلك هو تحول نظام الري من رى حوضى إلى رى دائم وما تبع ذلك من تغير فى نظم الزراعة. ويذكر أودييو بك^(١) أنه لا يوجد أقل شك فى حدوث شىء من التغير فى مناخ الدلتا^(٢) ولتدعيم هذا الرأى يذكر أن مقارنة متوسطات الحرارة فى القاهرة فى سنوات ١٧٩٨ — ١٨٠١ بمتوسطات سنوات ١٩٠٥ — ١٩٠٩ تثبت وجود نقص محسوس فى الحرارة مع ازدياد الرطوبة وكثرة الندى والضباب. ويملأ أودييو بك هذا التغير بأنه حتى الحملة الفرنسية كانت الزراعة المصرية قاصرة على الحبوب وعلى نباتات أوراقها غير عريضة فى الغالب، كما أن الأرض كانت تترك بوراً لفترة طويلة من السنة، أما الآن فيحدث العكس... فالقطن بأوراقه العريضة وتعاقب الزراعات فى الأرض على مدار السنة. كل هذا أدى إلى زيادة التبخر، وبالتالي زيادة الرطوبة النسبية، وكثرة الندى والضباب. ولعل مما يؤسف له عدم وجود الأرصاد الجوية المنظمة منذ زمن بعيد، ولهذا كان من الصعب إعطاء فكرة صحيحة عن هذا التغير المناخى ومداه.

(١) أودييو بك (١٩٠٩) ص ٦٣، كذلك راجع صفحات ٤٨، ٥٣، ٥٨، ٦٢

५-१-१९५७

[illegible]

25-1-2

[illegible]

٤ - أدفينا

ديسمبر	نوفمبر	أكتوبر	سبتمبر	أغسطس	يولية	يونية	مايو	أبريل	مارس	فبراير	يناير
٧٠,٧	٧٥,٠	٧٨,٧	٣٠,١	٣١,٨	٣١,٣	٣٠,٤	٧٨,٤	٧٤,٨	٧١,١	١٩,٤	١٨,٨
٨,٨	١٣,٣	١٦,٣	١٨,٤	٢٠,٤	٢٠,٤	١٨,١	١٥,٢	١١,٣	٩,٠	٧,١	٦,٧
١٣,٦	١٨,٦	٢٣,٠	٢٤,١	٢٥,٩	٢٥,٧	٢٤,٠	٢١,٤	١٧,٦	١٤,٤	١٢,٣	١١,١
٣١,٥	٣٧,٨	٣٨,٤	٤١,٠	٣٨,١	٤٠,٠	٤١,٦	٤٦,٤	٤٠,٩	٣٥,١	٣٠,٤	٢٨,٠
١٩٣٧/١٧	١٩٤١/٦	١٩٤٣/٣	١٩٣٩/٢٨	١٩٤١/٥	١٩٤٠/١	١٩٣٦/١١	١٩٤١/١٠	١٩٣٥/٢٦	١٩٤٠/٣٠	١٩٤١/١٩	١٩٤١/١٧
٢,٥	٦,٦	١٠,٩	١٣,٤	١٥,٦	١٤,٧	١١,٨	٨,٠	٥,٢	٣,٥	٠,٥	١,٠
١٩٣٥/٢٣	١٩٣٦/٣٠	١٩٤١/١٧	١٩٣٣/٣٠	١٩٣٣/٢٦	١٩٣٣/٥	١٩٣٣/٤	١٩٣٦/٣	١٩٣٥/٤	١٩٣٦/٩	١٩٣٨/١٢	١٩٣٧/٤
١٩٣٧/٢٨	١٩٣٧/٢٨							١٩٣٨/٣			

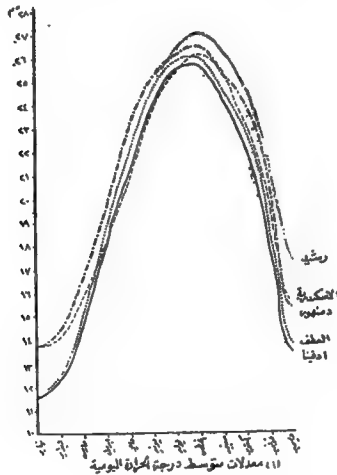
أقصى درجة
أدنى درجة
التاريخ

— المصنف —

٧١,٣	٧٥,٣	٣٩,٣	٣٠,٣	٣١,٧	٣١,٣	٣٠,٦	٣٩,٥	٧٥,٤	٧١,٩	٢٠,٥	١٩,٣	مدلات النهاية المصنف
٩,٣	١٤,٦	١٧,٧	١٩,٨	٢١,٣	٢١,٥	١٩,١	١٩,٣	١٢,٣	٩,٦	٧,٩	٦,٩	مدلات النهاية المصنف
١٤,٥	١٨,٨	٢٢,٨	٢٤,٧	٢٦,٣	٢٦,٥	٢٤,٦	٢٢,٣	١٨,٤	١٤,٩	١٢,٤	١١,٦	مدلات الترتيب المصنف
٧٨,٥	٢٨,٣	٧٨,٥	٤٠,٣	٣٨,٩	٣٧,٤	٤١,٣	٤٥,٨	٣٩,٥	٣٥,٧	٣٠,٥	٣٩,٥	أقصى درجة
١٩٣٧/٩	١٩٤١/٧	١٩٤٢/٣	١٩٣٧/٣	١٩٤١/٥	١٩٤٠/١	١٩٤٤/٧	١٩٤١/١٠	١٩٤٢/١٨	١٩٤٠/٣٠	١٩٤١/٢٢	١٩٤١/٢٧	التاريخ
٢,٥	٧,٥	١١,٦	١٤,٥	١٧,٥	١٧,٥	١١,٦	٩,٥	٥,٧	٤,٥	٣,٤	١,٦	أدنى درجة
١٩٣٥/١١	١٩٣٦/٢	١٩٤١/٢٧	١٩٤٢/٢٧	١٩٤٢/٢٧	١٩٣٤/١	١٩٤٤/٣	١٩٤٤/٥	١٩٤٢/٨	١٩٤٥/٨	١٩٣٨/١٣	١٩٤٤/١٣	التاريخ

١ - الحرارة

يبين المنحنى البياني رقم ١ معدلات متوسط درجة الحرارة اليومية ^(١). ومنه يظهر أن أقل الشهور حرارة هو شهر يناير إذ يبلغ معدل حرارته في الاسكندرية 13.7°C وفي رشيد 15.2°C وفي دمنهور 13.6°C وفي ادفيينا 11.6°C وفي العطف 11.6°C ، ثم تأخذ الحرارة بعد ذلك في الارتفاع التدريجي ويكون هذا التدرج بطيئاً في شهر فبراير ثم يسرع في مارس وما بعده حتى تصل درجة الحرارة حدّها الأقصى في شهر أغسطس فتصل في الاسكندرية إلى 26.2°C وفي رشيد إلى 27.2°C وفي دمنهور إلى 26.6°C وفي ادفيينا إلى 25.9°C وفي العطف إلى 26.3°C ثم تأخذ بعد هذا في الانخفاض .



(١) راجع الجدول أدناه .

هذه الأرقام تدل على مبلغ تأثير إقليم غرب الدلتا والبحر فهي إذا قورنت بأرقام القاهرة التي تبعد عن الساحل بنحو ١٨٠ كم. نحو الجنوب ظهر أن بلاد الاقليم كلها أكثر دفئاً من القاهرة في فصل الشتاء^(١) ولقد عني بدراسة العلاقة بين البحر المتوسط ودرجات الحرارة في الاسكندرية بصيغة خاصة المستر كريج^(٢) بعد أن لاحظ أن درجة الحرارة في الاسكندرية أعلى منها في القاهرة في فصل الشتاء رغم أن الأولى أكثر شمالية من الأخرى، ولكنه لم يعرف بدقة إلى أي حد يبلغ تأثير البحر، وكل ما عرف هو أن التيار الهوائي الذي يمر على الماء بسرعة يمثل حرارة الماء^(٣) ولذا فيمكن أن نتوقع أن تكون حرارة الاسكندرية قريبة من حرارة البحر في الأشهر التي تهب فيها تيارات الهواء من البحر المتوسط. ويظهر الجدول الثاني هذه العلاقة بوضوح

[الجدول الثاني]

العلاقة بين حرارة البحر والهواء في الاسكندرية

فبراير	مايو	أغسطس	نوفمبر
١٨,٥	١٩,٥	٢٦,٢	٢٢,٠
١٤,١	٢١,٠	٢٦,٢	١٩,٨
٣,٨+	١,٥-	صفر	٢,١+

وتتضح العلاقة بين حرارة الماء والهواء من دراسة الجدول الثالث وهو خاص باتجاهات الرياح في الاسكندرية.

(١) مبدئ متوسط الحرارة في القاهرة في شهر يناير ١٩١٦ م

(٢) كريج (١٩١٣) ص ١٠٢، (١٩١١) ص ١٠

(٣) راجع شو، لفرت (١٩٠٨) ص ١٦

[الجدول الثالث]

اتجاهات الرياح في الاسكندرية

الاتجاه	فبراير	مايو	أغسطس	نوفمبر
ب. غ	١٩٦	١٨٠	٤٤٥	١٣٤
ب	١٣٧	٢١٦	٢٢٢	١٥٧
ب. ش	١٠٩	٣٠٨	٩٩	٢٧٣
ش	٦٤	٧٤	٦٦	٩٥
ق. ش	٨٦	٦٤	٢٧	٥٨
ق	٧٨	٢٥	٤٤	٤٣
ق. غ	١٠٣	١١	٢٧	٥٣
غ	١٤٧	٦٠	٧٧	٧٢
سكون	٩٠	١١	٣٨	١١٠

يظهر من هذا الجدول أن الرياح الغالبة على الاسكندرية في كل فصول السنة هي الرياح الشمالية وتزداد نسبتها كثيراً في فصل الصيف فتصبح ٨٦,٦ ٪. ولذا فليس من الغريب أن يكون متوسط حرارة المدينة في الصيف هو متوسط حرارة ماء البحر الواقع في شمالها (٢٩,٠ م للبحر والمدينة) .

أما فيما يختص بشهر فبراير فإن حرارة البحر تزيد في المتوسط بنحو ٣,٩ م عن حرارة الساحل ، وهذا يرجع إلى وجود الانخفاضات وما يترتب عليها من رياح جنوبية ترتفع نسبتها إلى ٢٦,٧ ٪. وتجلب معها إلى الشمال الهواء الذي برد بالاشعاع في الصحراء الجافة الواقعة إلى الجنوب .

وفي مايو يحدث العكس إذ تنخفض درجة حرارة البحر في المتوسط بنحو ٩,٥ م وهذا لا بد من إرجاعه أيضاً إلى الرياح الجنوبية التي وإن كانت نسبتها لا تزيد على ١٠ ٪ إلا أنها تصبح رياحاً ساخنة ترفع درجة الحرارة في الساحل عن درجة حرارة البحر .

من كل هذا يظهر أن حرارة البحر هي العامل الضابط لحرارة الاسكندرية وأن تكن هناك عوامل تؤثر في حرارة البحر وحرارة الساحل على حد سواء .

ولما كانت الحرارة في غرب الدلتا بصفة عامة تنحرف عن معدلها في نفس الاتجاه الذي تنحرف فيه حرارة الاسكندرية عن معدلها فيمكن أن نتخذ الانحرافات في الاسكندرية على أنها تمثل الانحرافات في جهات الاقليم موضوع الدراسة لقربه منها . ويمكن أن نخرج من هذا بالنتيجة التالية وهي : « أن انحراف متوسط الحرارة عن معدلها لأي شهر في أى منطقة من غرب الدلتا إنما يضبطه انحراف متوسط حرارة البحر المتوسط عن معدلها الفصلي » .

ومما تجدر ملاحظته أن أقصى درجة حرارة وأدنى درجة تعمل إليها القاهرة تسبق الاسكندرية بنحو ١٥ يوما، وأن دمهور تسبق الاسكندرية بنحو ١٢ يوما، وأن الاسكندرية تسبق البحر بنحو عشرة أيام . أى أن حرارة البحر تتأخر عن حرارة اليابس . وهذا يرجع الى بقاء الماء نسبياً في بقده للحرارة إذا قورن باليابس . وهذا التأخير نفسه هو الذي يحفظ حرارة البحر مرتفعة حينما تأخذ حرارة اليابس في الانخفاض حتى يعود تأثير الرياح الجنوبية ويتقلب أحيانا على تأثير البحر .

ويحدث أعلى متوسط يومى للنهاية العظمى في أغسطس ويبلغ 30.4°C في الاسكندرية، 29.4°C في رشيد، 32.8°C في دمهور، 31.8°C في ادفيثا، 31.7°C في العطف في حين أنه يصل في القاهرة الى 35.1°C . ويحدث أدنى متوسط للنهاية الصغرى في يناير فيبلغ 10.6°C في الاسكندرية، 12.3°C في رشيد، 7.5°C في دمهور، 9.7°C في ادفيثا، 6.9°C في العطف .

وأعلى درجات الحرارة التي سجلت في اقليم غرب الدلتا هي 43.8°C في الاسكندرية، 46.0°C في دمهور، 46.4°C في ادفيثا، 45.8°C في العطف . وكان ذلك كله في يوم ١٠ مايو سنة ١٩٤١ أثناء مرور انخفاض ضحل على الدلتا أدى الى أن ترتفع درجة الحرارة حوالى 14°C في خلال ساعات معدودة ثم انخفضت بنفس السرعة بعد مرور الانخفاض

وأقل درجة حرارة سجلت في الاسكندرية هي ٢٨°م ، في ١٦ فبراير سنة ١٩٣٤ ، وفي رشيد ٥٠°م في ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦ ، وفي دمهور ٢٢°م في ١٦ فبراير سنة ١٩٣٦ ، وفي ادفينا ٠٥°م في ١٢ فبراير سنة ١٩٣٨ ، وفي العطف ١٦°م في ١٣ يناير سنة ١٩٤٢

٢ - الضغط الجوى والرياح

يعرض غرب الدلتا كغيره من جهات مصر الشمالية لتأثير الانخفاضات الجوية التي تمر بالبحر المتوسط آتية من الغرب فتؤثر في طقس الجهات التي تمر بها في جنوب أوروبا وشمال أفريقيا . ويوجد نوعان من الانخفاضات يؤدان في فصل الربيع إلى هبوب الرياح الجنوبية الجافة التي تعرف باسم « الخماسين »^(١) . وبمر النوع الأول بالبحر المتوسط ، ويمر الآخر بالصحراء ، ويمكن تعيين مراكز النوع الأول نظراً لوجود كثير من المحطات المتيورولوجية على ساحل البحر وفي جزره ، أما النوع الثاني فمن الصعب تعيين مركزه وكثيراً ما يصل إلى مصر بمجرد تكونه ، وتحديد موقعه قبل وصوله إلى مصر أمر استعاجي محض إذ لا توجد لدينا محطات الأرصاد الكافية في الصحراء إلى الغرب من واحة سيوه .

ويذكر المستر « ستون » أن عدد الانخفاضات الخماسينية التي سجلت في سنة ١٦ كانت ١٨٥ انخفاضاً موزعة كالتالي :

فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه
٤٩	٤٤	٤٨	٣٤	١٨

وتظهر هذه الأرقام أن الانخفاضات تبلغ نهايتها في شهر أبريل إذاً متوسط ما يمر منها في هذا الشهر ثلاثة انخفاضات . وتتوقف الانخفاضات حوالي منتصف يونيه حيث تأخذ الأحوال الصيفية تسود . ويزيد عدد الانخفاضات البحرية عن الصحراوية ، فبينما يصل عدد الأولى إلى ٩٨ لا يزيد عدد الأخرى على ٨٧ انخفاضاً في نفس المدة .

(١) ستون (١٩٢٣) ص ١

وفي الشتاء يرتبط مرور الانخفاضات بهبوب رياح جنوبية باردة يصحبها أحيانا أحوال محاسينية كالجفاف أو التحمل بالغيار . وتسود الرياح الجنوبية الباردة في الغالب في يناير وفبراير لمدة أسبوع أو نحو ذلك حينما يوجد ضغط مستقر ينحدر من مصر إلى البحر المتوسط الشرقي . وفي شهر فبراير خاصة نجد أن كل الانخفاضات الخماسينية تمر على طول البحر المتوسط . وكلما أوغلنا في الربيع يأخذ عدد الانخفاضات الصحراوية في الزيادة حتى نجد أن عددها في مارس يساوي عدد الانخفاضات البحرية . ثم تكون لها السيادة في شهري أبريل ومايو^(١) . أو بمعنى آخر نجد أن الانخفاضات في هذا الفصل من السنة تأخذ طريقاً أكثر جنوبية من طريقها في الشتاء . ولا تستمر الرياح الجنوبية الحارة التي تسببها الانخفاضات في شهر فبراير لأكثر من يوم واحد في الغالب . ولكنها تمتد إلى يومين أو ثلاثة أيام بعد شهر فبراير . ويستمر الطقس الحار يوماً واحداً أثناء مرور ٤٠ ٪ من الانخفاضات ولادة يومين أثناء ٣٠ ٪ . ولدة ثلاثة أيام أثناء ١٣ ٪ . ولدة أربعة أيام أثناء ٩ ٪ منها .

من هذا يظهر أن أغلب غرب الدلتا يتعرض في فصلي الشتاء والربيع للانخفاضات الآتية من الغرب مارة على البحر المتوسط أحيانا وعلى الصحراء أحيانا أخرى^(٢) . أما في الصيف فيعتمد نظام الضغط الجوي في مصر بصفة عامة بوجود ضغط عال على الصحراء يأخذ في الانخفاض من الغرب إلى الشرق^(٣) ويستمر ثابتاً هكذا في الغالب وبذلك يسود نوع ثابت من الطقس يمتاز برياحه الشمالية الباردة ودرجة رطوبته المرتفعة وخاصة على السواحل^(٤) .

(١) راجع ستون (المصدر السابق) ص ٢ — ٨ . وصف لنا صحرايا مصر في ١٤ أبريل سنة ١٩٢٢ وكان مركزه أول الأمر واحة سيوه ، وينتبع مجرى في مصر وفلسطين والعراق .

(٢) عن هذه الانخفاضات: لفتاتها وحركتها وآثارها ، راجع محمود جامل محمد (١٩٣٠)

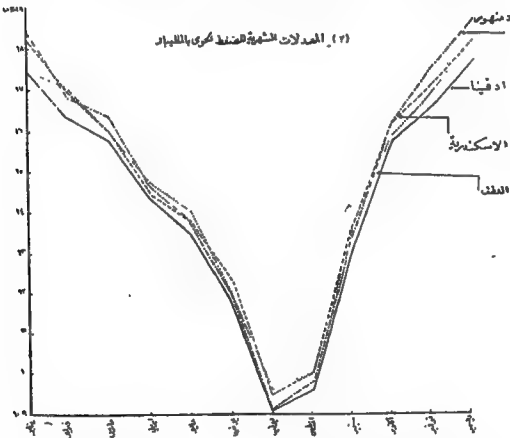
ص ١٥ — ٢٧

(٣) محمود حامد محمد (١٩٢٥) ص ٢

(٤) راجع ستون (١٩٢٤) وكرمج (١٩٠٩) .

(١) معدلات الضغط الجوى :

يبين المنحنى البياني رقم ٢ المعدلات الشهرية للضغط الجوى الموحد أى المصحح لصفر سنشجراد ومتوسط الجاذبية^(١). ويتبين منه أن أعلى ضغط يحدث عادة فى يناير أو ديسمبر فيبلغ أقصاه فى الاسكندرية فى الشهرين على حد سواء (١٠١٨,٢ مليبار) ويبلغ أقصاه فى دمنهور وأدفينا والعطف فى شهر ديسمبر (١٠١٨,٨ و ١٠١٧,٨ و ١٠١٨,٢ مليبار على التوالي) ثم يأخذ الضغط فى الانخفاض تدريجياً حتى شهر أبريل ثم يبطئ الانخفاض فى مايو ولكنه سرعان ما ينخفض ليصل إلى حده الأدنى فى يوليو فيصبح



فى الاسكندرية ١٠٠٩,٥ مليبار وفى دمنهور ١٠٠٩,١ مليبار ، وفى أدفينا ١٠٠٩,١ مليبار وفى العطف ١٠٠٩,٦ مليبار وأعظم تغير فى المتوسط الشهرى

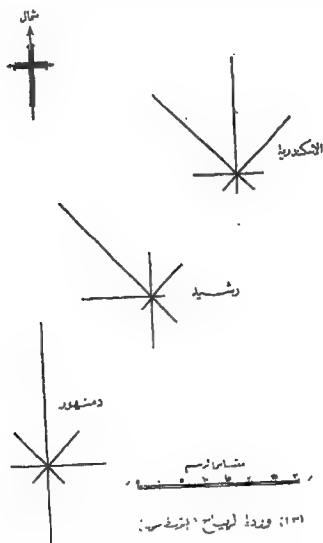
(١) الجدول الرابع خاص بالمعدلات الشهرية للضغط الجوى والرياح وعلى أ-١-٤ رسم هذا الشكل والأشكال التى تليه خاصة بالرياح .

من شهر إلى الشهر الذي يليه يكون من أغسطس إلى سبتمبر فيصل في الاسكندرية إلى ٣,٥ وفي دمنهور إلى ٣,٦ وفي أدفينا إلى ٣,٥ وفي العطف إلى ٤,٣ مليبار .

(ب) الرياح :

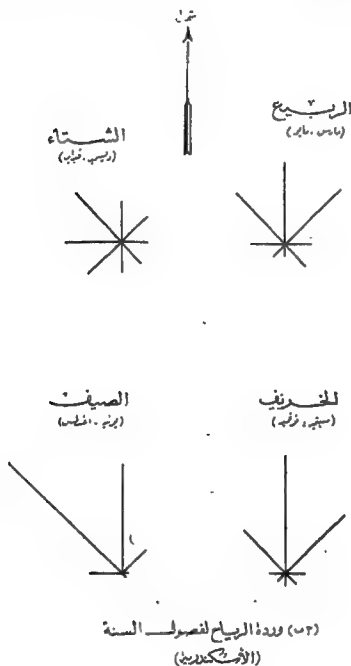
١ - اتجاه الرياح :

اتجاه الرياح في إقليم غرب الدلتا بين الشمال والشمال الغربي في العادة ويظهر هذا واضعاً في شكل ١٣ حيث نجد أن الرياح الشمالية تمثل ٢١,٥٪.



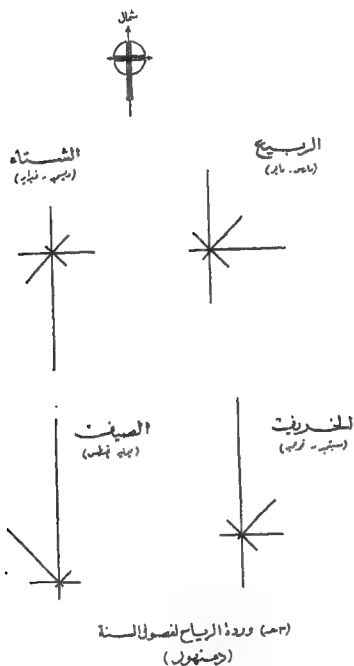
من مجموع الرياح التي تهب على الاسكندرية طول العام والرياح الشمالية الغربية ٢٤,٥٪ وفي رشيد تصل النسبة المئوية للرياح الشمالية الغربية إلى ٢٩,٣٪.

وفي دمنهور تصل نسبة الرياح الشمالية إلى ٣٠.٤٪ وفي أدينا تصل نسبة
الرياح الشمالية الغربية إلى ٢٣.١٪ وتصل نسبتها في العطف إلى ٢٩.٢٪



وإذا درسنا اتجاهات الرياح في فصول السنة المختلفة نجد أنها تكون أقرب
إلى الشمال أو الشمال الشرقي في الربيع والخريف في الاسكندرية ودمنهور ،
وأميل إلى الشمال الغربي في رشيد وأدينا والعطف .

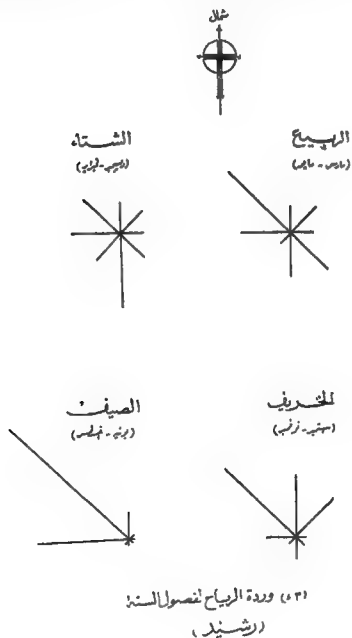
والرياح الجنوبية والشرقية لا تسود عادة في فصل الصيف ولكنها
كثيراً ما تهب في فصل الشتاء نظراً لمرور الانخفاضات بالبحر المتوسط



وكثيراً ما يستمر هبوبها بضعة أيام ويظهر أثرها واضحاً في دمنهور
ورشيد .

وتتأثر درجة الحرارة بهذه الاتجاهات المختلفة للرياح^(١١)، ويمكن تلخيص هذا الأثر فيما يلي :

١ — الرياح الشمالية (ب) والشمالية الغربية (ب. غ) باردة على مدار السنة على عكس الرياح الشمالية الشرقية (ب. ش) الدافئة نوعا طول العام .



١١. راجع مقال بليس (١٩١٣) ص ١٧٧

١ - الاسكندرية

النسبة المئوية لاجزاء الفاح
(١٩٤٥-١٩٢٥)

(1469 - 361)

(۲) بمقیاس یو یوون

۳۱ - فنہور

[illegible]

۱- ادقینا

الضغط الجوي													
قوة الريح ٧ ص													
١٢ - ١													
١٠,٤٣	١٧,٨	١٦,٦	١٥,٨	١٣,١	٩,٦	٩,١	١١,٨	١٣,٤	١٤,٣	١٥,٨	١٦,٣	١٠,١٧٥	
١,٥	١,٥	١,٥	١,٥	١,٥	١,٥	١,٨	١,٧	١,٦	١,٧	١,٥	١,٣	١,٣	
١٠,٩	٤,٠	٨,٧	١٢,١	١٦,٧	١٤,٠	١١,٩	١٦,٨	١٧,٣	١٣,٦	٨,٩	٤,٨	٢,٤	ب
٧,٨	٥,٦	١١,٣	١٢,١	٥,٨	٢,٣	١,٦	٦,٨	١٦,٨	١٣,٦	١٠,٣	٥,٤	٢,٤	ب.ش
٣,٥	٢,٠	٢,٥	٢,١	٥,٥	٥,٣	٥,٢	٢,٤	٥,٨	٧,٣	٦,٤	٣,٥	١,٦	١١
٢,٤	٢,٩	٢,٣	١,٩	٥,٤	٥,١	٥,١	١,٥	٣,٥	٤,٤	٤,٤	٤,٥	٣,٢	ق.١١
٢,٣	٢,٩	٢,٣	٢,٥	١,١	٥,٤	٥,٢	٥,٤	١,٥	٢,٢	٢,٥	٤,٧	٥,٧	ق
٥,١	١٣,٤	٦,٣	٢,٩	١,٨	١,١	٥,٩	٥,٤	١,٢	٢,٨	٤,٤	١٠,١	١٦,٥	ق.٨
١٠,٤	١٠,٨	٧,٥	٤,٩	٥,٢	٩,٦	١٥,٩	١١,١	٧,٧	١٠,٤	١١,٩	١٣,٧	١٦,٥	لح
٢٣,١	١٠,٠	١٠,٩	١٢,١	٢٦,٦	٤٢,٦	٥١,٢	٣٩,١	٢٢,٩	١٨,٨	١٩,٣	١١,٨	١٠,٧	ب.٨
٣٥,٠	٤٧,٤	٤٧,٢	٤٨,٤	٤١,٧	٢٩,٦	١٨,٠	٣٢,٠	٣٣,٦	٢٦,٦	٣١,٤	٤٢,٥	٤٢,٥	سكون

تاريخ الملاحظة ١٩١١ - ١١

• — العطف

المادلات											الضغط الجوي										
١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	قوة الرياح (١٢-٠)	ب	ب.ش	ش	ق.ش	ق	ق.غ	غ	ب.غ	سكون	
١٠١٤,٦	١٨,٢	١٧,١	١٥,٩	١٣,٤	١٠,٠	٩,٦	١٢,٠	١٤,٠	١٤,٧	٢٦,٠	١٧,١	١٠-١٧,٠	٤,٣	٤,٣	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤
٠,٩	٠,٥	٠,٧	١,٨	٠,٩	١,٠	١,٢	١,٢	١,١	١,١	١,٠	٠,٧	٠,٦	٤,٣	٤,٣	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤
١١,١	٠,٢	١,٠	٧,٧	١٢,٦	٨,٩	١٣,٨	١٧,٦	١٨,٣	١٦,٠	١١,١	٧,٣	٤,٣	٤,٣	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤
٩,٦	٧,٨	١٤,٠	١٤,٠	٠,٨	٢,٧	٣,٢	٩,٤	١٨,٦	١٨,٦	١١,١	٦,٠	٤,٣	٤,٣	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤
١,٧	١,٧	١,٥	١,٠	٠,٢	٠	٠	١,٣	٣,٥	٠	٣,٢	٢,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤
٢,٠	٣,٨	١,٤	٢,٥	٠,٨	٠	٠,٣	١,٢	٢,١	٣,٣	٤,٠	٣,٢	٢,٤	٢,٤	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤
١,٤	٢,٨	١,٣	١,١	٠,٧	٠,١	٠,١	٠,٢	٠,٩	١,٣	١,٩	٢,٧	٣,٨	٣,٨	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤
٤,٢	٧,٦	٤,٧	١,٦	١,٠	٢,٦	١,٩	٢,١	١,٩	٢,٦	٠	٦,٥	١١,٨	١١,٨	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤
٢,٢	٤,٨	٢,٤	١,٦	١,٨	٢,٠	٢,٦	٢,٣	٢,٠	٣,٩	٤,٧	٤,٩	٤,٩	٤,٩	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤
٢٩,٢	١٤,٧	١٦,٢	٣١,١	٤٤,٥	٥٩,٩	٩٣,٧	٤١,٩	٢٣,٤	١٣,٨	٢٠,٢	١٢,٩	١٢,٠	١٢,٠	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤
٣٧,٦	٥٢,١	٤٨,٥	٣٩,٩	٢٢,٦	٢٦,٢	٢٤,٤	٢٤,٠	٢٩,٣	٢٤,١	٣٨,٧	٥٤,٥	٥٤,٥	٥٤,٥	٠,٠	٢,٢	٣,٨	٦,٥	٤,٩	١٢,٠	١٦,٤	١٦,٤

السنة الثمينة لاجلها الرابع
(١٩٣٦ - ١٩٤٥)

ملاحظة : اتجاه الرياح (الساعة ٨ + ١٤ + ٢٠)

- ٢ — أما الرياح الجنوبية (ق) فلها أثر كبير في الحرارة في فصل الربيع إذ تكون رياحاً دافئة للغاية ، أما في الخريف فهي أقل دفئاً ، وقليلًا ماتهب هذه الرياح في الصيف .
- ٣ — الرياح الجنوبية الشرقية (ق . ش) لها أثرها الواضح في الحرارة في فصل الربيع ولاتهب هذه الرياح في الصيف أو الخريف .
- ٤ — الرياح الجنوبية الغربية (ق . غ) الدافئة في الربيع والخريف لها تأثير عكسي في الشتاء إذ تصبح رياحاً باردة .
- ٥ — الرياح الشرقية (ش) دافئة بصفة عامة ويزداد دفئها في الربيع .
- ٦ — الرياح الغربية (غ) دافئة نوعاً إلا في فصل الربيع حيث تكون رياحاً مائلة إلى البرودة .

وبوضح الجدول الخامس متوسط الانحراف عن درجة الحرارة العادية لكل اتجاه من اتجاهات الرياح (متوسط عشر سنوات) .

[الجدول الخامس]

العلاقة بين اتجاهات الرياح وانحراف درجة الحرارة عن معدلها

الفصل	ب	ب ش	ش	ش ق	ق	ق غ	غ	ب غ
الشتاء	٠.٣ -	٠.٤ +	١.٧ +	١.٥ +	٢.٠ +	٠.٧ -	٠.٢ +	٠.٢ -
الربيع	٠.٩ -	٠.١٣ +	٣.٨ +	٤.٠ +	٦.٢ +	٣.٣ +	٠.١ +	٠.٨ -
الصيف	٠.٤ -	٠.٣ +	١.٨ +	-	-	-	٠.٣ +	٠.١٠
الخريف	٠.١ -	٠.٦ +	٣.٢ +	-	٢.٨ +	٠.٤ +	٠.٨ +	٠.١٠

٢ - سرعة الرياح :

تقدر شدة الريح بطريقتين ، إما على مقياس مخصوص يسمى بمقياس بروفورت Beaufort وأرقامه محصورة بين (٠ - ١٢) أو بالكيلومترات في الساعة (١١) . والطريقة الأولى هي المستعملة في كل مرصد الاقليم موضوع الدراسة ماعدا مرصد كوم الناضورة بالاسكندرية حيث نستعمل الطريقة الأخرى التي تمتاز بدقتها في حين أن أرقام طريقة بونورت إنما هي أرقام تقريبية محضة . ولهذا كان اعتمادنا في دراسة سرعة الرياح على أرقام محطة كوم الناضورة بصفة أصلية وعلى أرقام المحطات الأخرى بصفة إضافية .

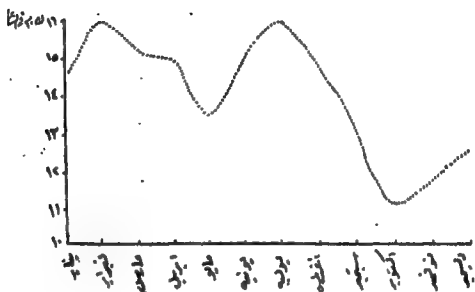
وبين الجدول الرابع والمنحنى البياني رقم ٤ معدلات متوسط سرعة الريح ومنه يظهر أنها تبلغ أقصى قوتها عادة في شهور فبراير ومارس وبولية فتصل في الاسكندرية الى ١٦,٤ ، ١٦,٣ ، ١٦,٢ لك م . في الساعة على الترتيب . وأقل متوسط لمرعة الرياح يكون عادة في شهر أكتوبر فتصل سرعتها

(١١) راجع كتاب « تعليمات راسدى الظواهر الجوية (الميتورولوجيا) في القنار المصري والسودان » (١٩٣١) ص ٢٥ وما بعدها — ولدراسة العلاقة بين التقديرين راجع محمود حامد محمد (١٩٢٢) ص ١٣٨

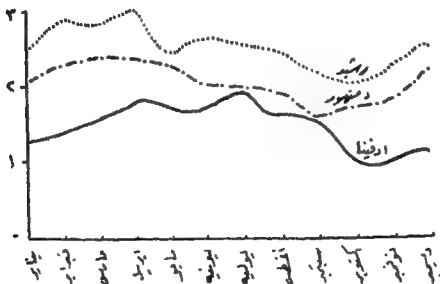
في الاسكندرية الى ١١١ ك. م. في الساعة في المتوسط وفي رشيد الى ٢١١
 وفي دمهور الى ١١٩ وفي أدفينا الى ١٢٠ بمقياس بوفورت.

الاسكندرية

(١٤) معدلات متوسط سرعة الرياح (للم ٢٤ ساعة)



(١٤) معدلات متوسط قوة الرياح (للم ٢٤ ساعة)



والطقس الهادئ يكون في الحريف والشتاء وقد حدث في ديسمبر سنة ١٩١٥ أن مرت فترة ١٥ يوما متعاقبة كان الطقس فيها هادئاً حتى لقد كان يخيل للإنسان أنه لا توجد رياح إطلاقاً . وكان حوض البحر المتوسط في هذين الأسبوعين منطقة ضغط عال بطيء الانحدار جداً . ثم تلا هذه الفترة الهادئة الطقس أيام عاصفة .

والسرعة العظيمة للرياح أكثر حدوثاً عادة في الشتاء وفي أوائل الربيع ، وأكبر سرعة سجلت للرياح في مصر هي ١١٩ ك . م . في الساعة وكان ذلك في مدينة الاسكندرية في ٢٦ يناير سنة ١٩٠٨ حين هبت عاصفة شديدة من الشمال الغربي مكثت يومين كاملين ، كان متوسط سرعة الرياح في مجموع ساعات كل يوم نحو ٩٠ ك . م . في الساعة الواحدة وهو أقصى ما سجل للآن في جميع المراسد وكان سبب حدوث العاصفة مرور انخفاض عميق بشكل غير هادئ بالقرب من الاسكندرية ^(١) .

أما فصل الأنواء gales فيمتد من نوفمبر إلى مايو . وتقتصر على «نوء» هنا الرياح التي تتجاوز سرعتها ٥٠ ك . م . في الساعة وتستمر على هذه السرعة مدى ساعة على الأقل ويحدث حواليه أنواء كل سنة يكون معظمها في ديسمبر ويناير وفبراير . وهذا الشهر الأخير هو أكثر شهور السنة عواصف . وتبين الأرقام التالية عدد الأيام التي حدثت فيها الأنواء في مدى عشرين سنة (١٩٢٤ — ١٩٤٣) .

أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	المجموع
١	١٩	٢٠	٢١	٢٩	١٢	٦	٢	١٠٢

ويبلغ عدد الأنواء التي استمرت أكثر من ١٢ ساعة متتالية في نفس المدة ١٨ موزعة كما يلي :

نوفمبر	ديسمبر	يناير	فبراير	المجموع
١	٤	٣	١٠	١٨

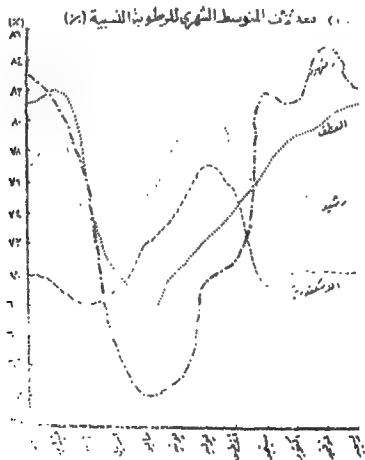
(١) محمود حامد محمد (١٩٢٥) ص ١٤ ، (١٩٢٧) ص ١٤٠

وتهب هذه الأنواء في العادة من الجنوب الغربي . ويلاحظ في الدورة اليومية للرياح أنها تكون بطيئة ثم تأخذ سرعتها في الزيادة ابتداء من شروق الشمس حتى تصل إلى أقصاها في الثالثة مساء ثم تهبط سريعاً حتى الساعة لتاسعة مساء . وتستمر بعدها هادئة حتى الصباح .

٣ - الرطوبة النسبية والخطر

(١) الرطوبة النسبية :

يظهر من الجدول السادس ومن الرسم البياني رقم ٥ أن الرطوبة تختلف باختلاف موقع المنطقة من الساحل فيما تبلغ أقصاها في الصيف (يوليو) وأدناها في الربيع (مارس) والحريف (سبتمبر) في الاسكندرية ورشيد وهما مدينتان ساحليتان نجد العكس في دمنهور والعطف الواقعتين بعيداً عن الساحل إذ تبلغ الرطوبة أقصاها في أواخر الحريف وأوائل الشتاء (نوفمبر وديسمبر) وتصل إلى حدها الأدنى في أواخر الربيع وأوائل الصيف (مايو) .



الشمس نوفمبر نوفمبر أكتوبر نوفمبر أغسطس يوليو يونيو مايو أبريل مارس فبراير يناير

٤ — ادفينا

٧٤	٧٩	٧٨	٧٤	٧١	٧٢	٧٣	٧٠	٧٨	٧٠	٧٤	٧٨	٧٩
٢٢/١	٧/١	٤/٥	٢/٥	٢/٥	١/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥
٢٨/٦	٦/٥	١/٥	١/٥	١/٥	١/٥	١/٥	١/٥	١/٥	١/٥	١/٥	١/٥	١/٥
١٥٩	٤١	١٧	١٥	٥	٥	٥	٥	٤	٣	١١	٣٧	٣٦
—	٣٤/٣	١٢/٣	٤٢/٥	٩/١	١/٥	٥/٥	٥/٥	١٣/٨	٥/١	١١/٥	٣٥/٥	٣٢/٥
—	٤/٤٤	٢٨/٦	٣٧/٢٧	٢٨/٢٧	٤٤/٢٨	٤٢/٢	٥/٥	٣٤/١٣	٣٤/١٧	٤٥/٢٢	٤٣/٢٥	٣٨/١٣

٥ — السطيف

٧٤	٨١	٨٥	٧٧	٧٤	٧٤	٧٥	٧٧	٦٦	٧	٧٤	٨٥	٧٩
٢٣/٤	٥/٢	٢/٩	١/٥	٥/١	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥
٢١/٤	٥/٨	٢/٧	٥/٩	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥	٥/٥
١٢١	٣٦	١٤	٧	١	٥	٥	٥	٣	٤	١١	٢٤	٣١
—	٣٢/٥	٢٩/٢	٢٤/٥	٢٠/٢	٥/٥	٥/٥	٥/٥	١٣/٨	٢١/٥	٣٥/٥	٣٨/٥	٣٢/٥
—	٣/١٠	٦٢/٥	٣٨/٢٧	٢٨/٢٧	—	—	—	٩/١٤	٩/١٩	٧/٣	١٢/١٨	٨/٣١

التردد الشهري لارتفاع الشمس في الساعة /
 ١٠ م م على الأقل
 ٢٠ م م على الأقل
 ٣٠ م م على الأقل
 ٤٠ م م على الأقل
 ٥٠ م م على الأقل
 ٦٠ م م على الأقل
 ٧٠ م م على الأقل
 ٨٠ م م على الأقل
 ٩٠ م م على الأقل
 ١٠٠ م م على الأقل

(تابع) معدلات المطر فقط

تاريخ	قراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه	جوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنه
١٩١٤	٣٧	٣١	١٦	٥٥	٥٤	٥٥	٥٥	٥١	٥٧	٧٢	٣٣	١٥٠٦
١٩١٥	٣٧	٣٩	١٤	٥٥	٥٣	٥٥	٥٥	٥٥	٥٦	١٩	٢١	١٢٩٠
١٩١٦	١٨	١٤	٨	٧	٣	٥	١	٢	٥	٩	١٤	٧٦
١٩١٧	٣٣.٨	١٨.٥	١٨.٥	١٩.٥	٧٨.٢	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	—
١٩١٨	١٩.١٧	٣٣/١	١٥/٣٩	٣٧/١٠	٤٥/١٥	—	—	٤٤/٢٨	٣٧/٢٧	١٤/٥	١٤/٢٠	—
١٩١٩	٥.١	٥.٥	٤.٥	١.٦	٥.٧	٥.٥	٥.٥	٥.٢	١.٤	٢.٦	٧.١	٣١.٢
١٩٢٠	٦.٥	٥.٥	٣.٢	١.٣	٩.٦	٥.٥	٥.٥	٥.٢	١.٣	٢.٩	٥.٨	٢٦.٥
١٩٢١	٣٧	٣١	١٢	٧	٢	٥	٥	٥	٧	١٤	٣٥	١٣٥
١٩٢٢	٤٤.٢	٣٠.٥	١١.٥	١٧.٥	٥.٥	٥.٥	٥.٥	٥.٢	٢١.٨	٢٨.٥	٧٧.٢	—
١٩٢٣	٤	٤/١٣	١٠/١١	٩/١٥	٧/٦	—	—	١٥/١٩	٥/١٥	١٣/٢٢	٥/١٨	—

معدل المطر

١٩١٩ - ١٩٢٣ (٥٠.٢) مليمتر

فاذا أخذنا المنطقة الساحلية نجد أن أقل متوسط شهري للرطوبة يحدث في الاسكندرية في مارس فيصل إلى ٦٨ ٪. وفي رشيد في سبتمبر فيصل إلى ٧٤ ٪. وهذا يرجع إلى الرياح الجنوبية الجافة المرتبطة بالانخفاضات التي تمر في تلك الأثناء من جهة وإلى سيادة الرياح الشمالية الغربية من جهة أخرى (الاسكندرية ٢٠ ٪ في مارس ورشيد ٣٩,٥ ٪ في سبتمبر) وبالرغم من وقوع هاتين المدينتين على الساحل فقد يحدث أحيانا في أثناء فصل الربيع أن يصبح الهواء جافاً للغاية، فمثلا حدث في الاسكندرية في ١١ مارس سنة ١٩١٥ أثناء مرور انخفاض محاسيني، أن سادت رياح جنوبية شديدة الحرارة مما أدى إلى انخفاض درجة الرطوبة النسبية دفعة واحدة إلى ٢ ٪. ولكن بمجرد مرور الانخفاض وتحول الرياح إلى شمالية ارتفعت نسبة الرطوبة إلى ٨٨ ٪ في أقل من ساعتين. وكان هذا مصحوباً بانخفاض في الحرارة مقداره ١٧° م.

أما في المناطق البعيدة عن الساحل فتصل الرطوبة إلى حدها الأدنى في شهر مايو فتصبح في دمنهور ٦٣ ٪ وفي العطف ٦٦ ٪. ثم تأخذ بعد ذلك في الزيادة حتى تصل إلى ٨٥ ٪ في دمنهور في شهر نوفمبر وإلى ٨١ ٪ في العطف في شهر ديسمبر؛ والفرق بين أعلى متوسط وأدنى متوسط للرطوبة هو ٢٢ ٪ في دمنهور، ١٥ ٪ في العطف، ١١ ٪ في أدفينا، ٧ ٪ في كل من الاسكندرية ورشيد. أي أنه يقل كلما اتجهنا نحو الساحل. وأعلى متوسط شهري سجل في غرب الدلتا هو ٨٩ ٪ في دمنهور في فبراير سنة ١٩٣٢ وأقل متوسط هو ٥٥ ٪ في الاسكندرية في مارس سنة ١٩٠٠

(ب) المطر :

يوجد في العادة اختلاف كبير بين كمية المطر التي تسجلها المحطات المختلفة في الدلتا بصفة عامة رغم تقاربها وذلك لأن معظم الأمطار يسقط بفعل الزوايا الرعدية؛ فإذا اتفق أن كانت الزوينة شديدة الغيث اتهم المطر مدرارا، حتى أن مقدار ما يساقط منه أثناء زوينة واحدة من تلك الزوايا ليفوق

ما يهطل من المطر في شهر كامل أو شهرين أحياناً ، وبهذا تتأثر المعدلات الشهرية للمطر . تتأثر أيضاً بالكمية التي تنساقط أثناء زوبعة قوية ، كما تتفاوت أيضاً الكميات السنوية للمطر من عام لآخر .

وتعتبر الاسكندرية أغزر جهات مصر مطراً رغم أن متوسط انظر السنوى فيها ١٨٤ م.م . فقط وينزل المطر تدريجياً كلما تركنا الساحل فتوسطه السنوى في دمهور ٩٩ م.م . وفي حوش عيسى ٨٧ م.م . وفي كفر بولين ٦٥ م.م . وفي الخطاطبة ٢٢ م.م . ويبدأ موسم المطر أولاً في الغرب ثم ينتقل مركز ثقل المطر تدريجياً نحو الشرق كلما تقدمنا في فصل الشتاء . فالاسكندرية يبدأ موسم مطرها عادة في أوائل سبتمبر ويبدأ موسم دمهور في أوائل أكتوبر بينما يتأخر في الخطاطبة إلى نوفمبر .

يبين الجدول السادس والرسم البياني رقم ٦ المتوسط الشهري للمطر في محطات الأرصاد بغرب الدلتا ويظهر منه أن شهور الصيف جافة تماماً ، ففي مايو تأخذ أحوال الجفاف تسود حتى تبلغ أقصاها في يوليو الذي لم يسقط فيه شيء من المطر إطلافاً في أى جهة من جهات الاقليم موضوع الدراسة اللهم إلا رذاذ بسيط في الاسكندرية يسقط أحياناً قليلة .

يبدأ فعل المطر بسيطاً في شهر سبتمبر على وجه العموم ، ثم تزايد كميته بسرعة فتصل إلى نهايتها العظمى في شهر ديسمبر في الاسكندرية (٥٦ م.م) ورشيد (٤٨ م.م) وفي شهر يناير في البلاد الواقعة إلى الجنوب منهما في دمهور (٢٤ م.م) وفي حوش عيسى (٢٠ م.م) والخطاطبة (٦ م.م) ثم تأخذ بعد هذا في التناقص التدريجي حتى تتوقف في بداية شهر مايو تقريباً . والبيان التالي يعطى مقدار المتوسط السنوى للأقطار بالمليمتر لمحطات المطر في غرب الدلتا :

الاسكندرية ١٨٤	كوم الطرقات ١٦٣	طلبات الطلبات ١١٧
رشيد ١٧٣	طلبات البوصيلي ١٤٢	كفر الدوار ٧٦
أدفينا ١٥٩	العطف ١٢١	أبو حصص ١٣٥
دمهور ٩٩	شبراخيت ١٠٠	حوش عيسى ٨٧
ابتاى الباورد ٧٧	كفر وائل ٦٥	الخطاطبة ٢٢

ولقد كانت أمطر السنوات في الاسكندرية هي سنة ١٨٩٧ حيث بلغ مجموع ما سقط فيها من المطر ٣٣٢٦ م.م. وأجفأ سنة ١٩١٥ التي سقط فيها ٨٥ م فقط ويبين الجدول السابع أكبر ما تساقط من كميات المطر في يوم واحد في عدة محطات إبان فصول السنة المختلفة ، كما يبين أيضاً عدد الأيام الممطرة (١٠ م ١٠ م على الأقل) في كل فصل .

الجدول السابع

عدد أيام المطر وأكبر ما تساقط من كمياته في غرب الدلتا

المحطة	أكبر ما تسجل من المطر في يوم واحد			عدد الأيام الممطرة في كل فصل		
	الشتاء ديسمبر / نوفمبر	الربيع ديسمبر / مارس	الخريف نوفمبر / نوفمبر	الشتاء ديسمبر / فبراير	الربيع مارس / مايو	مجموع الأم السنة
الاسكندرية	٦٢,٤	٥٥,٠	٣٥,٠	٥	٢٠	٢٩
وشيد	٤٩,٠	٤٦,٤	٣٧,٨	٤	٢٠	٢٧
أبو حمص	٣٨,٠	٤٦,٢	١٧,٤	٤	١٧	٢٦
المنطق	٣٤,٠	٣٨,٠	٣٥,٠	٤	١٥	٢٧
شبراخيت	١٦,٥	٤١,٥	٣١,٥	٣	١٥	٢٣
دمهور	٣٧,٠	٥٤,٥	٤١,٨	٣	٤	٢٠
كفر بولس	١٥,٨	٤٩,٠	٣١,٢	١	٧	١٣
الحدادية	٥,٢	٨,٥	٢٥,٠	١	٤	٧

يظهر من الجدول أن أكبر كمية من المطر سجلت في يوم واحد هي ٥٥ مليمتر في الاسكندرية ، وكان ذلك في ٣٠ ديسمبر ١٩١٤ ، كذلك يتضح أن عدد الأيام الممطرة يقل كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب ، أو من الغرب الى الشرق ، فبينما نجد عددها في الاسكندرية ٢٩ يوما مجده في دمهور ٢٠ يوما وفي كفر بولس ١٣ يوما وفي الخطاطبة سبعة أيام ؛ وبينما نجده في أبو حمص ١٦ يوما مجده في المنطق ٢٢ يوما فقط مع أنها أكثر شمالية من أبو حمص ودون أن يتوقع سقوط المطر بشكله المعتاد عند ما تمر بالمنطقة تحت الأجوية على اجزء المشرق من البحر المتوسط ويلاحظ أنه يتدرج سقوط

المطر في فصل الصيف نظراً لهبوب الرياح التجارية الشمالية الغربية على مصر طول هذا الفصل ، ولو أنه قد يحدث أن تسقط الأمطار أحياناً بصفة خارقة للعادة ، كما حدث في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٠٧ إذ سقط في الإسكندرية مليمترين وفي دمنهور مليمتر واحد .

أما أمطار العواصف الراعدة، وهي تمثل معظم المطر الساقط ، فيغلب سقوطها غداة مرور الانخفاضات الجوية فوق الدلتا نفسها . وقد تحدث على أثرها ظواهر جوية عنيفة وتشاهد تغيرات فجائية سريعة ، وفي الغالب يسقط الجزء الأكبر من المطر فيما بين منتصف الليل والثامنة صباحاً ، وبخاصة في فصل الشتاء . أما في الربيع فيسقط المطر غالباً بعد الظهر .

والخلاصة أن مناخ غرب الدلتا يتأثر بموقعه من البحر والصحراء ويظهر هذا الأثر واضحاً في درجات الحرارة التي يبدو أن انحراف متوسطها عن المعدل الشهري يرتبط بانحراف متوسط حرارة البحر المتوسط عن معدلها الصيفي . كذلك يتوقف نظام الضغط والرياح على نظام الانخفاضات الجوية التي تفزو مصر من الغرب في جميع فصول السنة تقريباً ماعدا فصل الصيف مرة على البحر أحياناً وعلى الصحراء أحياناً أخرى .

أما الرطوبة فإنها تختلف في جهات الاقليم باختلاف الموقع بالنسبة للبحر فالجهات الغربية منه تزيد رطوبتها النسبية في فصل الصيف وتقل في فصل الشتاء بعكس الجهات المتاخمة للصحراء فإن رطوبتها تزيد في أواخر الخريف وأوائل الشتاء وتقل في أواخر الربيع وأوائل الصيف . ويبدأ موسم المطر في شهر سبتمبر حيث تسقط كمية قليلة منه ، ولكن تلك الكمية تأخذ في الزيادة حتى تصل الى حدها الأقصى في شهر ديسمبر أو يناير ثم تأخذ في التناقص التدريجي حتى تنعدم في بداية مايو تقريباً . ويلاحظ أن البلاد الغربية في الاقليم أكثر مطراً من البلاد الواقعة في الشرق . كذلك يقل المطر من الشمال الى الجنوب حتى تنتهي إلى الصحراء الجافة .

ملحق
محطات الأرصاد الجوية ومحطات المطر
في الدلتا الغربية

١ — محطات الأرصاد

المحطة	الدرجة	سنوات الرصد	خط العرض	خط الطول	الارتفاع فوق سطح البحر (متر)
الاسكندرية (كورم الناصورة)	الثانية	١٩٤٥—١٩٥١	٣١° ١٢'	٢٩° ٥٣'	٣٢
رشيد	الثالثة	١٩٤٥—١٩٢٩	٣١° ٢٤'	٣٠° ٢٥'	٢
دمهور	الثالثة	١٩٤٥—١٩٢٩	٣١° ٢'	٣٠° ٢٨'	٦
أدينا	الثانية	١٩٤٥—١٩٣٣	٣١° ١٨'	٣٠° ٣١'	٣
المطاف	الثانية	١٩٤٥—١٩٣٤	٣١° ١١'	٣٠° ٣١'	١٠

٢ — محطات المطر

المحطة	سنوات الرصد	خط العرض	خط الطول	الارتفاع
طاسبات البوصلي	١٩٤٥—١٩٢٨	٣٠° ٢١'	٢٤° ٥٣'	٢
طاسبات الطاسبات	١٩٤٥—١٩٢٨	٣١° ١٨'	٣٠° ٥٤'	١
كورم الطرافة	١٩٤٥—١٩٢٨	٣١° ١٤'	٣٠° ٥٩'	٢
كفر القدار	١٩٤٥—١٩٢٨ ١٩١٢—١٩٥٣	٣١° ٥٨'	٣٠° ٥٨'	٣
حوش عيسى	١٩١٤—١٩٥٣ ١٩٣٧—١٩٢٨	٣٠° ٥٤'	٣٠° ١٨'	٥

ملاحظة : كانت توجد محطات أخرى للمطر في أبو حمس وشبراخيت وإيتاى البارود وكفر مدين والحماطة ولكنها أغلقت في سنة ١٩١٤

مراجع البحث

1. Andehenn Bey : 1899 "Etude hydrographique et agricole sur la région des bararis". Bull. de l'Institut d'Egypte; 3eme série, 1. III, Ann. 1899.
2. Bliss E.W : (1913) "Correlation of temperature and wind Direction". Cairo scientific journal (C.S.J.).
3. Craig, J. L. : (1909) "Types of Weather in Egypt". C. S. J., 1909
4. Craig, J. L. : (1911) "Notes on temperature at Alexandria". C.S.J., 1911.
5. Craig, J. L. : (1931) "Effect of the Mediterranean Sea on temperature in Egypt". C. S. J., 1913.
6. Shaw, W. N. & Lanfret, R. G. K. : (1908) "The Life History of Surface Air Currents" London, 1908.
7. Sutton, L. J. : (1923) "A Barometric Depression of the Khamsin Type". Physical Dept. Paper No. X. Govt Press, Cairo
8. Sutton L. J., (1924) "The Upper Currents of the Atmosphere in Egypt and The Sudan". Physical Dept. Paper No. 17.
9. Mahmoud Hamed Mohamad : (1927) "The Climate of Alexandria". Physical Dept. Paper, No. 19.

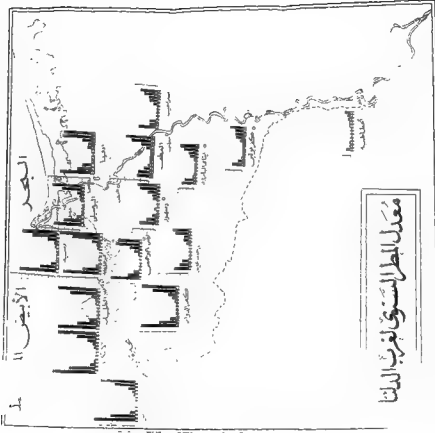
١٠ — محمد حامد محمد (١٩٢٧) : « الظواهر الجوية في القطر المصري » المطبعة الرحمانية .

١١ — محمد حامد محمد (١٩٣٠) : « تغيرات الجو في مصر — بها والتنبؤ بها » المطبعة الرحمانية .

١٢ — وزارة المالية — مصلحة الطبيعيات (١٩٣١) « كتاب تعليمات لراصدى الظواهر الجوية (البيروني) في مصر والسودان » .

١٣ — وزارة الحربية — مصلحة الأرصاد الجوية (١٩٥٠) « لدلات المناخية لعناصر الجوية للمسكة المصرية » .

مَعْدَلُ الْمَطَرِ الْمَسْتَوِي لِقَرْيَةِ الدَّنَا



بعض بذور الشخصية المصرية

في الأديين القديم والوسيط

للكنوز عبر الطيف همزة

— ١ —

ظهر الشعر العربي أول ما ظهر في نجد ، لم يكدهم يتجاوز نجداً إلى غيرها من أقطار الجزيرة العربية إلا نادراً . فكان الشعر لا يزور الحجاز إلا في أوقات الحج ، أو عندما يقصد الشعراء إلى الأسواق الأدبية والتجارية المعروفة . وكان الشعر لا يظهر في الحيرة إلا عندما يلم الشعراء بأمراء تلك البلاد يلتصقون عندهم المال والشهرة ، وكان الشعر لا يظهر في أطراف الشام إلا عندما يقصد الشعراء إلى أمراء غسان . هذا كله في الجاهلية . أما في الإسلام فقد مد الشعر رواقه غرباً إلى الحجاز وشرقاً إلى العراق . وأما مصر والشام وفارس وغيرها من بلاد الشرق الإسلامي فلم تكن تعرف الشعر العربي إلا عندما يفد شعراء العرب المشهورين إليها من نجد أو العراق أو الحجاز طمعاً في نيل جوائز الأمراء والعظماء .

وحين زالت الدولة الأموية وأدال الله لبنى العباس عظم شأن الشعر العراقي ، وتغافل إلى جانبه سلطان الشعرين النجدي والحجازي .

ثم ظهر في لشام كبار الشعراء من أمثال أبي تمام والبحتري . وعلى يد هذين الشاعرين ومنهلهما من انفق حول سامت للشام زمامة الشعر العربي إلى حين .

ثم ظهرت الخلافة الفاطمية في مصر ، وتلتها السلطنة الأيوبية التي دحرت الصليبيين في الشرق ، ثم السلطنة المملوكية التي طردت آخر صليبي من الساحل

وكان لها فضل آخر على الاسلام ، هو أنها صدت المغول . وحت
بذلك الحضارة الاسلامية من أن تزول من الوجود . ومنذ يومئذ سالت
الزعامة السياسية والأدبية لمصر . وإذا ذلك تهتأت القاهرة لما تهيأت له بغداد
في القرون الثلاثة الأولى من حق نواء الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية .
وأصبحت مصر بحكم موقعها الجغرافي بين الشرق والغرب عاصمة لعالم الاسلامي
كله ، حتى ظهر الأتراك العثمانيون وقضوا على كثير من معالم هذه الحضارة
الاسلامية في مصر ، كما قضوا على كثير من معالم الحضارة البيزنطية في قسطنطينية .
فلم تجد الحضارة البيزنطية بداً من الهرب إلى إيطاليا . كما لم تجد الحضارة
الاسلامية بداً من الاختفاء في مكان يقبها ذلك الخطر ، ويدود عنها الموت
وهذا المكان الذي اختفت فيه هو الأزهر .

وبقيت كل من الحضارتين السابقتين في مكانها إلى أن أتيج لها الظهور ،
فظهرت وأشعلت مصابيح النهضة في الشعوب التي اختفت عندها طول
هذه المدة . ومن هنا بدأت النهضة الأوروبية حياتها في إيطاليا ، ومنها انتقلت
إلى أوروبا . كما استأثرت النهضة الاسلامية حياتها في القاهرة ، ومنها انتقلت
إلى الشرق العربي كله .

ليس معنى ذلك أن مصر بقيت منذ الفتح العربي إلى ما قبل ظهور الدولة الفاطمية
وهي لا تعرف الشعر الذي يدين عن شخصيتها ويعبر تعبيراً ماعن مزاجها وطبيعتها .
كلا — فالحقيقة أن مصر نعمت في أثناء تلك المدة التي سبقت العصر الفاطمي
بطائفة من الشعراء ظهوروا في عصر الولاة ، ثم في عصر الدولتين الطولونية
والاخشيديية . وغاية ما في الأمر أن شخصية مصر في الشعر — على وجه أخص —
لم تكن واضحة كل الوضوح في أثناء تلك الحقبة التي سبقت عصر الدولة الفاطمية .

— ٢ —

فما الذي منع من ظهور هذه الشخصية المصرية في الأدب أو الشعر طيلة
ذلك الوقت ؟

الحق أنه منع من ذلك أمور كثيرة أهمها في نظر المؤرخ الأدبي ما يلي :
أولاً — عظم الميراث الأدبي الذي ورثه البيئات الاسلامية المختلفة :

والنظر إلى هذا الميراث الضخم القديم على أنه شيء مقدس أو كالقدس .

ونحن نعرف أن هذا الميراث الأدبي يتألف في مجمله من أشياء أهمها عنصران : هما القرآن الكريم ، والشعر العربي القديم . وقد كان كل عنصر منهما ضخماً مقدساً بحيث طغى طغياناً مبيتاً على كل بيئة من البيئات الإسلامية على اختلافها ، وكاد يمحو كل شخصية من شخصياتها .

وحتى الأدب العربي الحديث ، في كل بيئة إسلامية قروية أو بعيدة ، لا يزال خاضعاً لتأثير التراث الأدبي الإسلامي الذي نتحدث عنه .

ثانياً — تبعية الأقاليم الإسلامية تبعية سياسية للحكم الإسلامي ، إما في مكة ، وإما في دمشق : وإما في بغداد . وبدى أن تكون هذه التبعية حاجباً يحجب تلك الأقاليم ، ويحول بينها وبين إظهار شخصيتها — على الأقل — في الأدب الذي يقال باللغة العربية .

ثالثاً — غلبة اللغة العربية على جميع اللغات الأصلية في أكثر البيئات التي فتحها الإسلام . ونخص بالذكر منها مصر . فقد كان من العجيب حقاً أن تغزو اللغة العربية هذا القطر ، وتكتسح أمامها اللغة القبطية واللغة اليونانية ، وهما اللغتان اللتان كانتا بمصر عند وصول العرب إليها .

ولو عاشت اللغتان القبطية واليونانية إلى جانب العربية لكان أمام المصريين نماذج أدبية مختلفة يمكن أن يتحدثوا في الشعر ، أو يتحدثوا في النثر ، أو يتحدثوا في التفكير . ولكن سلطان العربية والقرآن كان أقوى من كل سلطان كائن ما كان .

تلك أمور ثلاثة حالت دون إظهار الشخصية الأدبية الفنية في كل إقليم من الأقاليم الإسلامية . وثم أمور أخرى تضافرت كذلك على إخفاء الشخصية الإقليمية سنشير كذلك إلى شيء منها .

وللمؤرخ الأدبي أن يبذل جهده في البحث عن الشخصية المصرية للأدب المصري في القرنين الأول والثاني للهجرة ، فلن يعثر من دلائل هذه الشخصية إلا على القليل الذي لا ينهض بها ، ولا يكفي لإثباتها . ذلك أن طبيعة العرب المحافظة

من ناحية ، والطابع الخالد الذي أعطاه القرآن للغة العربية من ناحية ثانية ، تعاوناً معاً على تبلور الشعر العربي في صيغته المعروفة . ونظهر ذلك جلياً في تعريف ابن خلدون للشعر العربي ، وذلك في فصل من فصول مقدمته ، يحلو للدورخ أن يعرض له في الكلام عن الشخصية الاقليمية من حيث هي ، وعن العواطف الكبيرة التي حالت دون ظهورها في الأدب الاقليمي من حيث هو .

- ٣ -

قال ابن خلدون في كلمة له بعنوان « فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه » :
 « الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة . وقولنا الجاري على أساليب العرب المخصوصة فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة ، فإنه حينئذ لا يكون شعراً ، إنما هو كلام منظوم . . . وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناهم من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس من الشعر في شيء ، لأنهما لم يجرى على أساليب العرب . . . الخ » .

ويستطيع المؤرخ الأدبي أن يتأمل كلام ابن خلدون ، ويطنل فيه التفكير . كما يستطيع بعد ذلك أن يوجه هذا الكلام في تعريف الشعر العربي توجيهاً قد يفيد في إثبات هذه القضية التي نشرحها . وهي قضية الأدب الاقليمي كيف اختفى قروناً كثيرة كان في أثنائها سلطان الشعر العربي قوياً إلى هذا الحد .

وهذا هو ابن خلدون يذهب في مقدمته إلى أن تعلم الشعر يحتاج إلى أمرين لا ثالث لهما . هما الملكة الشعرية أولاً ، وقدر كبير من أشعار العرب يحفظه من يريد تعلم الشعر العربي بعد ذلك .

والأمر الأخير هنا هو الأمر ، لأنه أمر مكتسب . وفيه يرى ابن خلدون أن لكل فن من الكلام أساليب تختص به ، وتوجد فيه على أنحاء مختلفة :

قارئاً — مثلاً — يكون في الشعر العربي في قالب من هذه القوالب ،
أو طريقة من هذه الطرق :

- (١) فهو إما أن يكون باستدعاء البكاء ، كما في قول الشاعر :
- كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض مأوها عذر
- (٢) أو باستعظام الحادث ، كما في قول الشاعر :
- أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى ؟
- (٣) أو بتسجيل المصيبة على الطبيعة ، كما في قول الشاعر :
- منابت العشب لاحام ولا راعى مضى الردى بطويل الرمح والباع
- (٤) أو بالإنكار على من لم يتفجع من الجمادات ، كما في قول الشاعر :
- أيا شجر الخابور مالك مورثا كأنك لم تهزج على ابن طريف
- (٥) أو بتهنئة شيعة المتوفى بالراحة من ثقل الجهد الذي كان
يكلفها به ، كما في قول الشاعر :
- ألقى الرماح ربيعة بن زرار أودى الردى بفريق المغوار
- لماذا نتج عن كل ذلك في الأدب ؟

نتج عنه أن وقف الشعر العربي عند أنماط خاصة من القول ، وصيغ
في قوالب خاصة من الفن لم يتجاوزها إلى غيرها ، بحيث بقيت هذه الأنماط
والقوالب متحجرة أو كالمتحجرة ، ومقدسة أو كال مقدسة . وحين أراد الشعراء
أن يبدلوا شيئاً من الجهد بذلوه في أمر واحد فقط هو اللفظ . وبذلك صار
الشعر العربي كله فيما بعد صورا وزخارف ووشياً وزينة وترصيعاً وتصنيفاً .
أى أن مجهود الشاعر العربي انصرف إلى الشكل حيث وجد فيه مقسماً
للحرية وبذل الجهد . ولم يستطع هذا الشاعر العربي أن يتصرف في القوالب
الفنية ، أو في طرق الأداء التى من حيث هو ، لأن هذه الطرق قد اتخذت
لنفسها الصورة الأخيرة التى لها ، وحُرم على الشعراء منذ ذلك الوقت تحريماً
باتاً أن يضيفوا إلى هذه القوالب الفنية قالباً جديداً ، أو يسلكوا بالأداء الفنى
طريقاً جديداً . وبلغه الفقهاء — أقلل النقاد في وجه الشعراء باب الاجتهاد

الغنى . من أجل ذلك رأينا أن شاعراً كالعري — وقد كان ينتظر منه أن يكون مجدداً في الشعر العربي — لم يكد يعضى في طريقته العقلية في الشعر حتى أدرك أنه يعتمد بذلك عن « عمود الشعر العربي » . كما أدرك أنه إذا كان له أن يجتهد في ميدان الشعر فليكن ذلك عن طريق اللفظ . ومن ثم أخذ يدرّب نفسه ، وينفق غاية جهده ، ويظهر براعته في التلاعب بالألفاظ حتى وصل بهذا التلاعب إلى حد الشعوذة الفنية ، والإغراب اللفظي ، والتعقيد المعنوي ، وغير ذلك مما يظهر ظهوراً واضحاً في « الفصول والغايات » ، وفي ديوانه المعروف « بالزوميات » .

كل ذلك حاق الشعر العربي عن التجديد ، وجعل بينه وبين التطور الطبيعي سداً منيعاً من التقاليد . وأكثر من ذلك وأخطر منه في نظر المؤرخ الأدبي أنه جعل ظهور الشخصية الإقليمية في الأدب مستحيلاً أول الأمر . فإذا نظرنا بعض مظاهر الشخصية الإقليمية في بيئة من البيئات الإسلامية فلن تكون هذه المظاهر كثيرة من جهة ، ولن يكون الوصول إليها مملاً سهلاً من جهة ثانية . وتلك هي النتيجة الأخيرة التي تكلفنا من أجلها ما تكلفنا من الجهد في كتابة السطور السابقة كلها .

— ٤ —

على أن هذه المحافظة الفنية الأدبية من جانب العرب لم تكن آثارها وقفاً على الشعر أو النثر ، بل تجاوزتهما كذلك إلى النقد الأدبي . فقد كان من نتيجة هذه المحافظة أن أصبحت القواعد الأجنبية التي وصل إليها الأوربيون في النقد الأدبي غير صالحة لتطبيقها على شعرنا العربي ، ولو في نطاق الجزء المشترك بين النقادين الشرق والأوربي ، وأعني به الجزء المتصل بالذوق العام فيما يسمى بالشعر بالجمال .

بل إن هذه المحافظة الفنية من جانب العرب بقيت آثارها واضحة إلى العصر الذي نعيش فيه . فنحن حين نهضنا نهضتنا الأخيرة في أوائل القرن التاسع عشر ، ونهضنا عن أنفسنا غيار الماضي العتيق في عالم الأدب ، ورغبنا في حياة أدبية

جديدة لم نفعل أكثر من أننا أقمنا صرح الشعر المصري الحديث على أساس من القواعد القديمة . أو القوالب الموروثة التي وصمها لنا ابن خلدون أما الشعر الجديد بالمعنى الصحيح فقد ظهر أول ما ظهر في بيت لم تقع تحت سلطان الشعر العربي القديم ، ولا وقعت تحت سيطرة الحكم الاسلامي في أثناء نحوها الى هذا الجديد . ومن هذه البيئات الشام ولبنان ، يوم كانت الأخيرة بنوع خاص متأثرة بالثقافة الأوروبية وحدها فترة من الزمن . ومن تلك البيئات بيئة المهجر في أمريكا ، وهي بطبيعتها بعيدة كل البعد عن كل أثر شرقي أو عربي أو إسلامي . ولكن على الرغم من هذا وذاك فما زلنا نقول بوجود الشخصية الإقليمية ، ومازلنا نعتقد أن لهذه الشخصية بذوراً مدفونة في تربة الإقليم الذي تميز بها ، وأن هذه البذور بقيت محتفية في هذه التربة الإقليمية ، كامنة في نقوس أهلها أزمانا طويلة ، حتى أتيت لها فرصة الظهور ، فظهرت ونمت ، وتم نمائها بظهور القوميات الحديثة .

- ٥ -

وأما من حيث الشخصية المصرية بنوع خاص فإن التاريخ يثبت لنا وجودها على مر العصور ، إذ يقول المؤرخون :

« إن كل ما أحرزه المصري القديم من عادات وفن ودين إلى الفتح الاسلامي قد أسلمه برمته إلى مصر الاسلامية . اللهم إلا اللغة والدين . على أن الأولى (يعني اللغة القبطية) بقيت على قيد الحياة إلى أن اندثرت في أواخر القرن السابع الهجري . أما الدين المصري القديم فقد ظهر عليه الدين المسيحي . والواقع أن معظم الطقوس الدينية في مصر الحديثة ترجع في أصلها إلى مصر القديمة . وهي تعتبر في الدين الاسلامي بدعا . ومن المدهش أننا نجد في اللغة والتراكيب بعض ألفاظ وتعاريف مصرية محضة لا توجد في أي بلد من البلدان الاسلامية ^(١) .

(١) سليم حسن : العادات المصرية القديمة الباقية إلى الآن في مصر الحديثة ، ص ٣ ، وراجع مجلة جمعية محبي الفن القبطي . المجلد الثاني سنة ١٩٣٦

ونحن حين ننتج أقوال العلماء الأثرين ممن كتبوا في تاريخ مصر القديم من أمثال الدكتور سليم حسن والفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون، والفيلسوف الأمريكي (ول ديورنت) في كتابه « قصة الحضارة ». نقول : حين نقرأ هذه الكتب وأمثالها نجد في تضاعيفها اعترافاً واضحاً بهذه الشخصية المصرية التي أظهرت في الأدب والعلم والفن والعبادة ، بل في كل مظهر من مظاهر الحياة العامة .

ونحن نعرف أن أسهل طريقة لدرس الحياة المصرية هي تقسيم التاريخ المصري إلى عصور أهمها :

مصر القديمة ، ومصر الإسلامية الوسيطة ، ومصر الإسلامية في العصر الحديث .

أما مصر القديمة فقد تحدث عنها العلماء والفلاسفة الذين أشرنا إليهم . ولا بأس هنا من الإشارة العابرة إلى طائفة يسيرة من آرائهم في هذا الموضوع . ومنهم الأستاذ سليم حسن وهو خير من وصف مصر القديمة من المؤرخين المصريين ، وربما كان خير من كتب عنها في العالم كله إلى اليوم . وصفها من حيث الدين فذكر عبادة الشمس عند قدماء المصريين وقال : إن لهذه العبادة بقايا لم تزل بيننا إلى يومنا هذا . وقد ضرب لنا الأستاذ حسن سليم أمثلة كثيرة :

منها حلف المصري بالشمس في بعض القرى المصرية ، كما في قول بعضهم (وحياة الشمس الحرة) ، وقول بعضهم (وحياة اللي تشوفي ولا أشوفهاش) — يريد بذلك إله الشمس ، وقول بعضهم في أقصى الصعيد (وحياة البهية عندما تطلع من جبلها) — إشارة إلى الشمس عندما تشرق من جبل كان يعتقد المصريون بوجوده في الجهة الشرقية ، وكما يحدث من بعض سكان الصعيد في قرية (أني تيج) من شكواهم إلى الشمس عند الخوف من الرؤى المزعجة ونحو ذلك . وكما نرى في صعيد مصر كذلك من انتشار عادة الوشم في الأذرع بقرص الشمس الخ ...

ولا غرابة في ذلك عبادة الشمس أمر توحى به البيئة المصرية . والشمس في سماء مصر صافية كأحسن ما يكون الصفاء ، نافعة كأقصى ما يكون النفع . وربما كان لذلك صلة ما بصنعة من صفات العقل المصرى ، وخلق المصرى ، وفتح بها صفة (الوضوح) والبعد عن التعقيد والخفاء والغموض والبعد كذلك عن الروحانية الشديدة التى ترى في بعض الشعوب ، وربما كان ذلك سبباً في حب المصريين للنور ، وخوفهم من الظلمة حتى شاع بينهم دعاء أحدهم إن مات من أهله أو صحبه : (نور الله قبره) .

أما العالمون الآخرون جوستاف لوبون ، وول ديورنت ، فقد ذهبوا إلى أن المصريين قوم عمليون لا خياليون ، وإلى أنهم يتصرفون بالصبر والطاعة والخضوع للانظمة والقوانين . ومن ثم بقى المصرى القديم يحمل الأعباء الثقيلة في حياته ، ولكنه لم يستشعر قط ثقلها طول حياته . وكان له تعلق شديد بالحياة ، واستمسك قوى بها . وربما كان ذلك نتيجة لاعتقاده في (الخلود) بعد الموت . وربما كان اعتقاده هذا نتيجة من نتائج التعلق بالحياة في نفس الوقت . ومن ثم مال المصرى القديم كذلك إلى اللهو ، وعنى بالحللانات الدينية وغير الدينية ، وعنى كذلك بالولائم والشراب والاستمتاع بالدنيا قبل مجيء الموت .

واتفق العالمان كذلك على وصف المصرى القديم بأنه مادى . وذهبوا إلى أن القانون اليهودى مستمد من القانون المصرى . ونظروا إلى موسى عليه السلام على أنه تلميذ مصرى قبل كل شيء . ومع هذا وذاك فقد كان القانون المصرى القديم موضع إعجاب الأمم القديمة كلها ، وكان أثره بادياً فيها جميعها ، وبه وبغيره من مظاهر الحضارة القديمة أصبح المصريون أساتذة الأغريق وأعلمهم وقدموهم في أكثر ما يحصل بالحضارة الإنسانية في العصر القديم .

وفي وصف عقلية المصرى القديم بأنها عقلية مادية نفعية ، قال (ول ديورنت) في كتابه الذى سبق الإشارة إليه :

« وصف أفلاطون الآثنيين بأنهم محبون للمعرفة . ووصف المصريين بأنهم محبون للثروة . ولعل في هذا الوصف كثيراً من المغالاة دفعت إليها

النمرة الوطنية . ولكننا لا نعدو الحقيقة إن قلنا إن المصريين هم أمريكيو العالم القديم . فهم قوم مولعون بضخامة الحجم ، يحبون المباني الضخمة الكبيرة . وهم مجدون نشيطون ، جماعون للثروة ، عمليون حتى في خرافاتهم الكثيرة عن الدار الآخرة . . . وإذا نظرنا إلى آثارهم بدا لنا أنهم قوم واقعيون ، لا يمتنون بالسخافات التي لا صلة لها بالأمور الدينية ، ولا يقدرون الحياة تقديراً أساسه العاطفة ^(١) .

والحق — لقد كان لذلك كله ظل واضح في الأدب :

من ذلك أن القصص المصري القديم كان واقعياً في أكثره ، وكان يخلو من العواطف والأخيلة بالقياس إلى قصص الأمم الأخرى . ومن المحقق أن المصري القديم لم يعرف العواطف الحارة ، ولا المشاعر العميقة ، ولا الألم ، ولا الحزن ، ولا الحرمان .

ومن ثم عجز الشعر المصري القديم عن أن يكون في عواطفه (كسفر أيوب) أو (مزاعم داود) أو (شعر داني) أو (شعر هلثون) أو (كتب الفيدا) وغير ذلك من نتاج اليهود حيناً ، والهنود حيناً آخر .

وما حاجة مصر إلى مثل هذا ؟ ما دامت شمسها ساطعة ، وفيضان نيلها منظماً ، وعيشها رتيباً ، وأمورها جارية في هدوء عظيم ، كهدوء هذا النهر الذي يغذى الأرض بمائه وغرينه ؟

أجل — لا محل للثورة النفسية أو الحرمان النفسي في شعب هذه حالته ، ولا محل للأحزان النفسية القاتلة ، ولا للمحن الفتاكة المدمرة . ومن ثم كان الموت وحده الشيء الذي شغل أذهان المصريين القدماء ، ففكروا فيه ملياً ، وبنوا حضارتهم في أكثرها على أساسه .

« وإذا كان المصري القديم لم يعرف الألم في أشد حالاته ، فهو لم يعرف الحب في أشد حالاته أيضاً . ولم يكن ارتباط الرجل بالمرأة عندهم أكثر من عمل سيولوجي لا يشوبه الخيال ، ولا تخالطه العواطف القوية . ومع ذلك فقد

كانت الرابطة الزوجية غاية في اللطف . ولكنها غاية في الهدوء . في نفس الوقت . وكانت المرأة مساوية لزوجها . وكان حب الزوجة لزوجها إنما يقوم على قاعدة الاشتراك في المصلحة الخ^(١) .

بهذه الطريقة المتقدمة مضى كل من (ديورانت) و(جوستاف لوبون) يصف عواطف المصريين . واتباعاً من ذلك إلى أن أشد عاطفة كانت عندهم إنما هي عاطفة حب الوطن ، حب وادي النيل الذي أسموه دائماً (الأرض كلها) ، كأنه لا دنيا سواها ولا عالم غيرها^(٢) . وإذا وصف الأدب المصري القديم هذه العاطفة الوطنية فتم نرى انفعالا شديداً ، وحرارة عالية لانجدها في الأنواع الأخرى من أنواع الشعر المصري .

« وإذا كان المصري القديم قد استشر السأم من سهوله الوضاعة ، وشمسه المشرقة ، فانه قد جهل الأحلام الخفيفة التي تنشأ على سواحل المحيطات الموحشة ذوات الشفق الأغبر ، والمياه الحالكة . والأجواء المتقلبة . فعاش المصري القديم لا يتذوق مرارة الانفعالات التي تأتي من التفكير في العراق الأبدى ، ولا يعرف مرارة الحرمان التي تأتي من عدم الحصول على الرزق . وحتى الموت أصبح لا يخيفه ولا يزعجه مادام القبر في نظره هو « المسكن الطيب » ، والمقبرة في رأيه هي « المدينة الخالدة » ، وأوزيريس إله الموتى هو « السيد الرباني للصمت »^(٣) .

هكذا غاض الألم ، وبردت العواطف ، وقلت الحرارة في أدينا المصري القديم . مع أن الألم والحب والحزن في الحقيقة يتابع النبوغ الأدبي ، ومصادر الصفاء الروحي ، والسمو النفسى عند أكثر الأمم التي تؤثر الروح على المادة في مثلنا هذا ١

مهما يكن من شئ . فتلك صورة المصري القديم من حيث المزاج والأخلاق ، ومن حيث الفن والأدب ومن حيث الدين والعادات . وهي صورة توحى إلى القارئ بأنها قريبة من الحقيقة الملموسة . وذلك أن كثيراً من ملاحظها لم يزل باقياً إلى اليوم .

١ . (٢١ ، ٢٢) جوستاف لوبون (مصر القديمة) ترجمة العربية . ص ١١١

(وبعد) فتريد في هذه السطور الباقية لنا أن نتعرف إلى شيء ولو قليل من تلك الملاح التي حميزها طابعنا المصرى في العصور الوسطى بعد إذ فرغ العلماء الذين أشرنا إليهم من بيان هذه الملاح للطابع المصرى في العصور القديمة . ولعل من الباحثين فيما بعد من يلد لهم أن يتبعوا هذا البحث حتى يصلوا به إلى العصر الذى نعيش فيه .

- ٦ -

سبق لى في كتابى (الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكى الأول) أن عالجت في مقدمته موضوع الشخصية المصرية . فوجدتها متأثرة بعوامل ثلاثة وهى : البيئة ، والموقع الجغرافى ، والأجناس التى اشتركت في تكوين الشعب المصرى منذ نشأته .

فأما من حيث (البيئة المصرية) فقد ثبت للباحثين أن مصر هبة النيل . وكل ما فيها وفى المصرين من عمل هذا النهر العظيم . فإليه يرجع الفضل فى استقرار الحياة المصرية على جانبي الوادى .

وأما (الموقع الجغرافى) الذى امتازت به مصر فله الأثر كل الأثر فى تكوين الحضارة المصرية ، بل الحضارة الانسانية . ذلك أن الحضارات القديمة كانت منفصلة بعضها عن بعض تمام الاتصال ، ثم لم تحدث المعجزة الكبرى باتصال هذه الحضارات بعضها ببعض إلا بفضل مصر ، وعن طريق الموقع الجغرافى الذى امتاز به ذلك القطر .

وإذا أردت أن تعرف الوسيلة التى تمت بها هذه المعجزة التى نشير إليها ، أو تدرك كنه الطبيعة المصرية التى جاد بها الموقع الجغرافى الممتاز الذى ننوه به ، فأعلم أن هذه الوسيلة والطبيعة إنما هما « الذوق » . فبه أصبح على مصر فى مكانها الذى تتوسط فيه بين الشرق والغرب أن تختار من تلك الثقافات التى التقت بها ، أو الحضارات التى استقرت عندها ما يحلو لها ، ويتفق ومزاجها . وذلك ما فعلته (هليوبوليس) فى مصر الفرعونية ، وما فعلته (الاسكندرية) فى المهدىين الاغريقى والرومانى ، وما فعلته (القاهرة) فى عهد الاسلام .

وأما من حيث (الأجناس البشرية) فقد اتفق الباحثون على أن المصريين من الجنس الحامى أو الإفريقى ، لا من الجنس السامى ، ولا من الجنس الآرى . ثم اختلفت بالمصريين الأقدمين أجناس شتى منها السامى ومنها الآرى . ونشأ عن ذلك شعب له بميزات خاصة ، هو الشعب المصرى .

فأما الأجناس السامية التى اختلفت بمصر فأهمها العرب . وكان هؤلاء تأثير تغاى أعظم من تأثيرهم الجنسى . وأما الأجناس الآرية فأهمها الاغريق والرومان والفرس . ولكن ثبت أن تلك الأجناس الآرية كلها كانت فى مصر منفصلة أكثر منها فاعلة . فدل ذلك على ثبات الشخصية المصرية ، وأن لها طابعا لم يتغير فى جوهره بتغير الأجناس الطارئة عليه .

والناظر من خلال الزمن البعيد إلى الطابع المصرى الذى يمتنع بكل هذا الغلود يرى له صفات كثيرة ، من أظهرها السهولة والدمائة ، ومن أظهرها كذلك الاستقامة ، ثم منها الوضوح والبساطة ، ومنها عدم الرغبة فى التعقيد ، والزهة كذلك فى التأمل ، ثم منها الميل الى النظام والوحدة . ولكن خير ما يمتاز به الطابع المصرى — كما قلنا — هو حسن التدقيق .

ولكل واحدة من تلك الصفات التى نذكرها ظل واضح فى الأدب المصرى فى العصور الوسطى ، فقد كان أدباً يعيل الى الوضوح ، والبساطة ، ولا يميل الى التعقيد الفكرى أو الفلسفة ، ولا يمتاز كذلك بصدق الشعور وحرارة العاطفة . ذلك من حيث المعانى والعواطف . أما من حيث الأسلوب أو الصياغة فقد تأثر الشعر المصرى بأمرين لا ثالث لهما : هما محاكاة المصريين للمشاركة من ناحية ، وظهور (ديوان الانشاء) فى ديار مصر من ناحية ثانية . وهذان الامران هما المسؤولان — فى نظر المؤرخ الأدبى — عن جنوح الأدب المصرى الوسيط إلى الزينة والزخرف ، وعبثاته باللفظ عناية تتفوق على العناية بالمعنى . ومع هذا وذلك فإن مصر لا يمكن أن تقاس فى ميلها الى الزينة اللفظية بغيرها من الأقطار الاسلامية ، ونخص بالذكر منها الشام والعراق فقد فتن هذان القطران العظامان بالبديع منذ ظهر ابن العميد ، وبديع الزمان . والحريرى ومن اليهم . ثم بلغت هذه الزينة اللفظية أوجها — كما قلنا — على يد أبى العلاء المبرى .

أجل — لم تترك مصر في الزينة إلا على يد القاضى الفاضل . وقد كان هذا الرجل غربياً على مصر من جهة ، وكان ثمرة الحضارة الفاطمية المعتدلة من جهة ثانية . وكانت له سطوة أدبية عظيمة ، ونفوذ سياسى كبير استطاع بهما أن يؤثر على المزاج الأدبى فى مصر ردحاً كبيراً من الزمن . فامتحالت الكتابة الرسمية والشعر المصرى على يده وأبدى تلاميذه من بعده إلى لوحات فنية ، تزدحم فيها الألوان والأصباغ ، ويتكامل فيها الفن الذى يشبه فن السجاد . ولكن المعنى قل أن يضع مع ذلك فى غمرة هذه الألوان الكثيرة ، والزخارف العديدة ، والخيوط المتشابكة .

وعلى المؤرخ الأدبى هنا ألا تنوته هذه الملاحظة ؛ وهى أن هذا الكاتب النابه — ونعني به القاضى الفاضل — قد استطاع أن يضيف إلى (علبة الألوان الفنية) لوناً يتفق والطبيعة المصرية — وبنوع خاص بعد أن خضع المصريون طويلاً لاستبداد الحكومات الأجنبية . وهذا اللون هو (الثورية) . ويسمى فى بعض الكتب البلاغية القديمة باسم (التوجيه) . وهذا اللون فى نظرى نتيجة أمرين لا ثالث لهما : (أولهما) استبداد الحكومات الأجنبية كما عرفنا . (وثانيهما) تنوع الثقافات الإسلامية ، وبلوغها مبلغاً من الغنى والثروة أتاح الفرصة للأدباء والكتاب ، فأحالوا مصطلحات العلوم المختلفة إلى مادة أدبية ، وإلى أدوات فنية ، أكثرها منها فى شعرهم ونثرهم كثرة جعلتهم يعرفون بها فى عصر من عصور الأدب العربى يمكن أن يطلق عليه اسم (العصر الفاضلى) .

ثم لا ننسى أن (الثورية) أو (التوجيه) فتح للبصريين باب النكتة التى اشتهروا بها فى عصورهم المختلفة ، وأن هذه النكتة المصرية نفذت إلى الأدب المصرى عن هذه الثغرة ، وأصبحت متنفس الشعراء والكتاب وراحتهم من ثقل الاستبداد الذى أضرنا إليه .

وندع الزينة اللفظية جانباً ، وننظر في بعض الموضوعات الشعرية في العصر الوسيط ، ك موضوع الغزل . لماذا نرى ؟

نرى غزل الشعراء في تلك العصور غزلاً مادياً خالصاً . ليس فيه أثر النخب ، ولا للحزن ، ولا للآلم ، ولا للفراق الأبدى ، ولا للصفاء الروحي ، ولا للدموع الغزيرة ، ولا للشعور الغياض أو العاطفة الملتية . كله غزل بجسم المرأة ، وكله وصف لمقائنها الخارجية . وقد يغزل الشاعر في الغلمان ، حتى ليصدق على مصر الإسلامية الوسيطة ما قيل من قبل عن مصر الفرعونية القديمة من أنها لم تعرف الاحساسات العميقة التي تجعل من المصري إنساناً يهدف في حياة وحساسية .

انظر إلى الشعراء الفاطميين على وجه العموم ، وانظر إلى شعراء بني أيوب كالحماد الاصفيهاني ، وابن سقاء الملك ، والبهاء زهير ، وجمال الدين بن مطروح . وانظر إلى الغزل في الشعر المملوكي تجده شعراً مادياً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، خلوا من حرارة الشاعر التي تجدها في أشعار الأمم الأخرى . ووقتئذ نتحكم بأن الطبيعة المصرية القديمة هي الطبيعة المصرية الوسيطة ، وأن الشخصية المصرية القديمة هي الشخصية المصرية الوسيطة لم تتغير كثيراً بغير الدول والعصور .

ومثل الغزل في هذا الباب غيره من موضوعات الشعر المصري الأخرى لا نجد مشقة ما في أن نطبق عليه القاعدة السابقة عليها ، حتى ليدعشك حقاً أن نجد من الشعراء المصريين في بعض قصائد الرثاء من يداؤن المراثي بالغزل ! . وأكثر ما يكون ذلك في رثاء الجوارى بنوع خاص . وعندى أنه ليس ثم برهان على مادية الشعر المصري وبعده عن الروحانية في الواقع أقوى من برهان كهذا .

سقول : وأين التدين المصري ؟ وأين الشعر الصوفي ؟ ، ولم لا ندخله في الاعتبار الفني أو النقدي ؟

وإننى بالرغم من تدين المصريين من جهة ، وبالرغم من الروحانية التى انغمس فيها كل من ذى النون لمصرى وعمر بن الفارض وأمثالهما من جهة ثانية أنظر الى هذا الشعر الصوفى نظرتى إلى البديع أو الزخرف فى الأدب المصرى . فلا أرى أنهما يمثلان طبيعة المصريين بالمعنى الصحيح ، ولا أرى أنهما يدلان على تفسيثهم دلالة لا تقبل التجريح . بل أرى الشعر المصرى الوسيط يدور فى تلك من الموضوعات التقليدية القديمة ، كما أرى النثر المصرى الوسيط يفعل مثل ذلك . وبقي كل من الشعر والنثر على تلك الحال حتى قبض الله لمصر أداة جديدة حلّت محل أخرى قديمة ، ودافعاً جديداً أخذ مكان دافع آخر قديم . هذه الأداة الجديدة والدافع الجديد هو (الصحافة) التى حلت فى الأدب الحديث محل (ديوان الانشاء) فى الأدب الوسيط . فأصبحت هذه الصحافة هدفاً للكتاب المحدثين وغاية لهم ، كما كان (الديوان) أمنية الكتاب الأقدمين وأكبر آمالهم . وأصبح النموذج الأدبى الجديد يتأثر بهذه الدوافع الجديدة التى منها الصحافة . وفى تلك اللحظة فقط كتب التجديد الصحيح للأدب الاقليمية كلها فى العالم الاسلامى . وكانت القوميات الحديثة حاملاً قوياً من عوامل التجديد والنضوج فأعانت على ظهور الشخصيات الاقليمية عامة ، وظهور الشخصية المصرية خاصة ، وذلك على النحو الذى نكشف عنه فى بحث آخر إن شاء الله .

(تم الطبع في ١١ من شعبان سنة ١٣٧٣
١٤ من أبريل سنة ١٩٥٤)

محمد زكي خليل
مدير مطبعة جامعة القاهرة

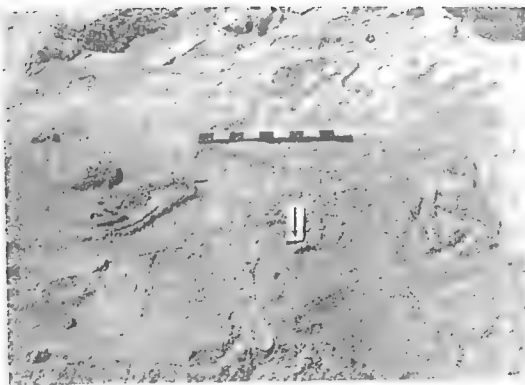


FIG. 2

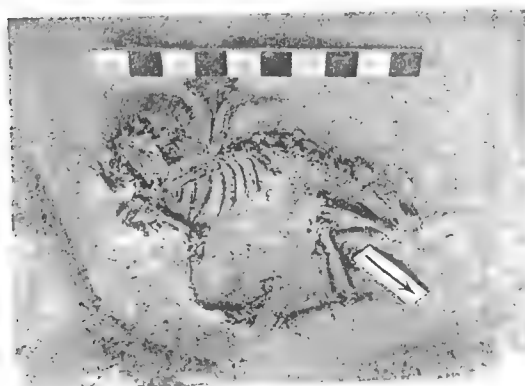


FIG. 3

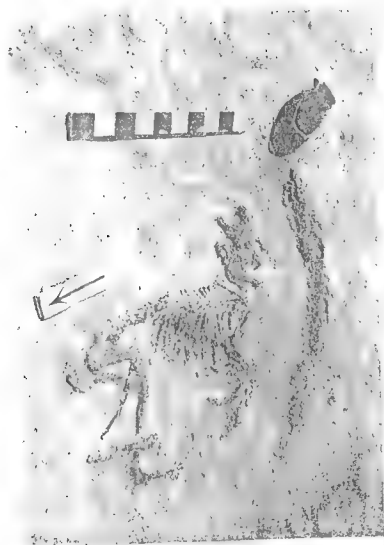


FIG. 1

PRELIMINARY NOTICE ON GAZELLES FROM PREDYNASTIC WADI DIGLA

BY

Y. SHAWKI MOUSTAFA, Ph.D. (Harvard),

*Lecturer on Vertebrate Paleontology, Faculty of Science,
Cairo University*

The animals of the Wadi Digla Predynastic Cemetery recovered in the season of 1952-1953 and submitted to the writer for investigation by Professors Moustafa Amer and Ibrahim Rizkana belong to the artiodactyl group of the Gazellinae, Coues, as suggested by the nature of the horn cores and the flattened roof of the skull (Fig. 1). The hypsodont nature of the upper and lower teeth, and the presence of frontal appendages immediately behind the orbits, as well as the details of the dental structure in the available material strongly suggest that the Wadi Digla Cemetery artiodactyls belong to the Asian and African Genus *Gazella*, Blainville. Specific designation is deferred at the time being, awaiting a thorough investigation of all the available material.

The Predynastic animals were buried each in a grave of its own, (Fig. 2) and it is probably true that the Predynastic Man killed the gazelles, either by neck twisting, or by making an incision in the neck between the second and third cervical vertebrae (Fig. 3). The latter feature is clearly demonstrated in one of the better-preserved specimens. However, that all the gazelles were killed in this manner is not at all certain. In any case, the gazelles were definitely intentionally "sacrificed" before burial.

- SCHULTZ, J. R. . . . 1938: "A Late Quaternary Mammal Fauna from the Tar Seeps of McKittrick, California" Carnegie Inst. Washington, Contr. Paleontology, No. 487, pp. 111-217; Pl. 17 and 12 text-figures.
- STUDER, T. . . . 1901: "Die prähistorischen Hunde" Abhandl. Schweiz. Paläont. Ges., Bd. XXVIII.
- ZITTEL, K. A. VON . . . 1925: "Text-book of Palaeontology", Vol. III. Revised by Max Schlosser; English Translation revised, with additions, by Sir Arthur Smith Woodward.

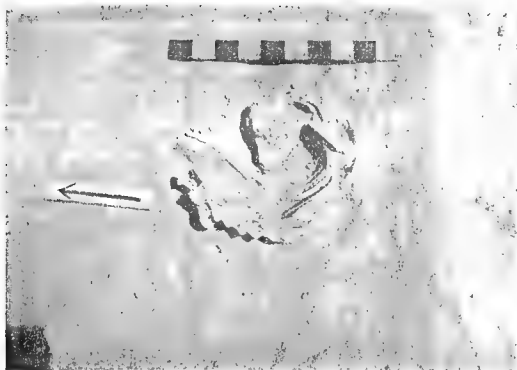


FIG. 1.

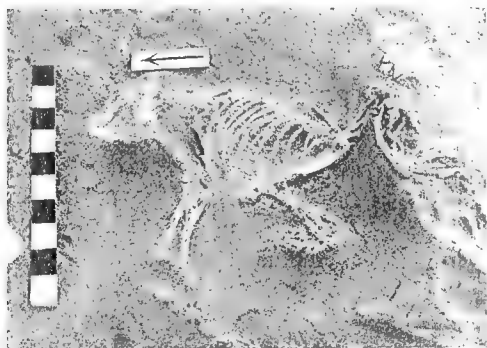


FIG. 2

C.—THE SEASON OF 1951-1952

(Discovered by Professors Amar and Rizkana)

A third domesticated dog (fig. 2) was unearthed in what is now known as the Digla Cemetery one-half mile south of the Maadi Cemetery (cf. Rizkana, 1952, p. 6). The right mandibular ramus with the first and second molars in place, the posterior half of the left ramus of the lower jaw, with the last premolar and the first and second molars *in situ*, and a few fragmentary limb bones point to the fact that the Digla Cemetery animal is none but *Canis familiaris*, and very probably *C. f. aegyptica*. This individual, however, was larger in size than that found in the Maadi Cemetery and Settlement, and about the same in size as that found in the Heliopolis burial ground.

By virtue of its association with the Predynastic Man both in the Settlement and Cemeteries in the Maadi Area, *Canis familiaris aegyptica* is believed to have been fully domesticated (the domestic species of dog *C. familiaris* first appears during the Neolithic period—Zittel, 1925, p. 67). However, the Maadi variety of dog was probably closer to the semi-wild condition than any of the hitherto-known varieties of the early domesticated dogs.

References

- MOUSTAFA, Y. SHAWKI, 1952: "A Predynastic Domesticated Dog", Bull. Inst. Fouad I du Désert, Vol. II, No. 1, pp. 102-104.
- IN PRESS : "Siluroid Fish Remains from Near Wadi Hoff, Egypt". *Ibid.*
- IN PRESS : "Predynastic Fish Offerings", Annales Service Antiq. de l'Egypte.
- RIZKANA, I. . . . 1952: "Centres of Settlement in Prehistoric Egypt in the Area between Helwan and Heliopolis". Bull. Inst. Fouad I du Désert, Vol. II, No. 2 pp. 1-15.

ramus bears all three molars in addition to the three incisors and canine.

The skeletal anatomy of the Maadi Predynastic Cemetery dog proves that it is identical with that of the Heliopolis Predynastic burial grounds (Moustafa, 1952). A remarkable feature in the mandible of the Maadi dog is its noticeable thickness and prominent convexity below the first lower molar. This feature is a reminder of a similar feature in the wolves of the ice age, as, for example *Canis lutrans orcutti* Merriam (Schultz, 1938, p. 165, Pl. 5, Fig. 2) from the tar seeps of western North America. The presence of such feature in the Predynastic dogs of Egypt seems to be a retained character from the proposed ancestor of the domesticated dog, the wolf.

The Maadi Cemetery individual was rather small in size, although it was a full-grown adult at the time of its death, as suggested by the full eruption of the third lower premolar and the worn condition of the talonids of the lower molars.

The presence of the same kind of dog in the Predynastic Cemetery (1947-1948) and Settlement (1932-1933) establishes, beyond any doubt, the relationship between the residential quarters and burial grounds of the period.

It is the writer's conviction that the domesticated dogs of the Maadi Predynastic Settlement and Cemetery (and probably that of Heliopolis, the skull and mandible of which are poorly known) deserve a subspecific distinction from the hitherto-known subspecies of *Canis familiaris* (cf. Studer, 1901). The new subspecific name *Canis familiaris aegypticus* is here proposed for the Predynastic dogs of Maadi, and probably that of Heliopolis. The subspecific characters of *C. f. aegypticus* are the wolf-like thickening and convexity of the mandible below the first lower molar, the weak development of the sagittal and lambdoid crests, and the small development of the supraoccipital processes of the frontals.

I —The Predynastic Dogs of Maadi

The account of the Predynastic dogs of Maadi given below is based on material discovered during the seasons of 1932-1933, 1947-1948, and 1951-1952. This material consists of :—

A.—THE SEASON OF 1932-1933

(Discovered by Professor Moustafa Amer)

An extraordinarily well-preserved cranial portion of an animal which has long been thought that a beaver, a misinterpretation justified by the absence of teeth (Professor Rizkana; personal communication). This specimen was found detached in the Maadi Predynastic Settlement. At first sight this cranium suggested itself to belong to the genus *Canis*, and upon comparison with the material from the Maadi Cemeteries (see below), they were found to be identical in all respects.

The specimen measures approximately 10 cm. in length, and the individual to which it belonged was most probably young. This is suggested by the open sutures between the individual bones, particularly those of the basis cranii between the basioccipital and basisphenoid, and between the latter and presphenoid. The lambdoid crest is not yet completely fused with the surrounding cranial elements.

B.—THE SEASON OF 1947-1948

(Discovered by Professors Amer and Rizkana)

The remains of a domesticated dog, *Canis familiaris*, were unearthed from what is now known as the Maadi Predynastic Cemetery (Fig. 1). These remains include an almost complete skull with the full complement of teeth on the left side and only six teeth on the right. The latter include the three incisors, first premolar, half of the third premolar, and the first molar. With this skull were found the two mandibular rami, eight vertebrae, the two scapular blades, and the left humerus. On the right mandibular ramus, the three incisors, canine, second and third premolars, and the first two molars are in place. The left mandibular

A CONTRIBUTION TO THE KNOWLEDGE OF ANIMAL LIFE IN PREDYNASTIC EGYPT

BY

Y. SHAWKI MOUSTAFA, Ph.D. (Harvard),
*Lecturer on Vertebrate Paleontology, Faculty of Science,
Cairo University*

INTRODUCTION

In recent years there has been an awakening to the importance of the remains of animals found in association with the Predynastic Man, not only because of their biological significance, but also because they throw a great deal of light on everyday life at such remote time, as well as on the geographical, sociological and climatological conditions of the period.

During the past two years, the writer has had the opportunity to study some of the animal remains of the Heliopolis Predynastic Cemetery (Moustafa, 1952) and material collected from a site near Wadi Hoff (Moustafa, in press). In June of this year, through the courtesy of Professor Moustafa Amer, Director of the Egyptian Antiquities Department, and Professor Ibrahim Rizkana of the Faculty of Arts, Cairo University, the writer had the opportunity to examine the remains of animals recovered from the Maadi cemeteries and settlement in the past two decades. The collection includes the complete and partial skeleton of fishes, birds, and mammals, besides a few doubted reptilian specimens.

The following account is based on some of the better specimens of dogs discovered by Professors Amer and Rizkana. The remainder of the material will be the subject of further publication in the near future.

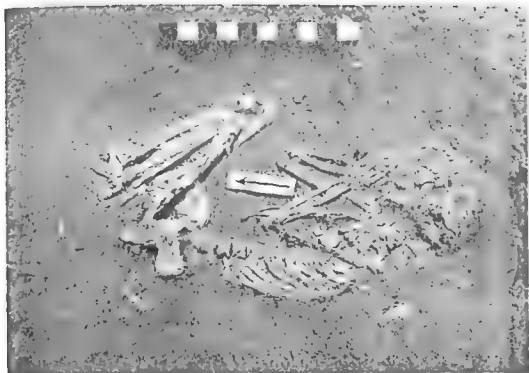


FIG. VIII.—Grave No. 430 showing shell necklace in front of skull.

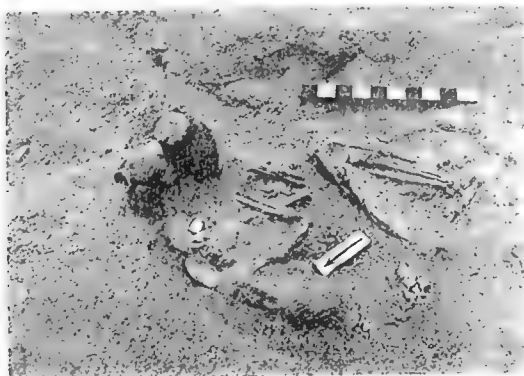


FIG. IX.—Grave No. 257 showing vases, shell beads between the arms, and a Nile shell behind skull.



FIG. VI.—A tomb-group; notice the pot with lime stone lid on the left side of the skull and the rhomboid slate palette on the right side. Grave No. 529.



FIG. VII.—Grave No. 307 showing pot with a sherd as lid and flint blade at the back of the skull.

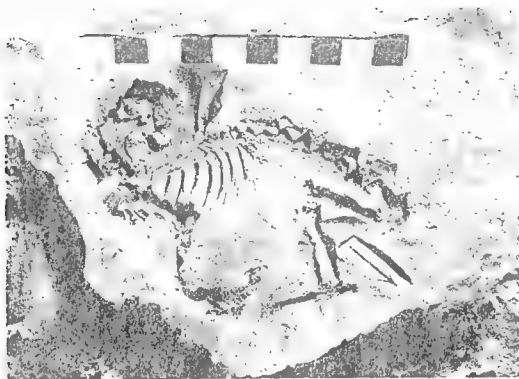


FIG. IV.—Skeleton of a gazelle.



FIG. V.—A tomb-group; notice the huge long ovate red smooth vase with flat base. Grave No. 206.

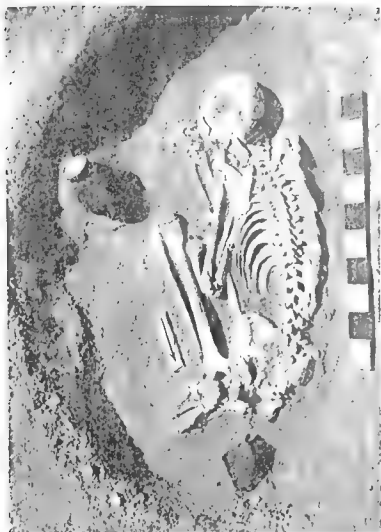


FIG. II.—A usual contracted burial. Grave No. 426.

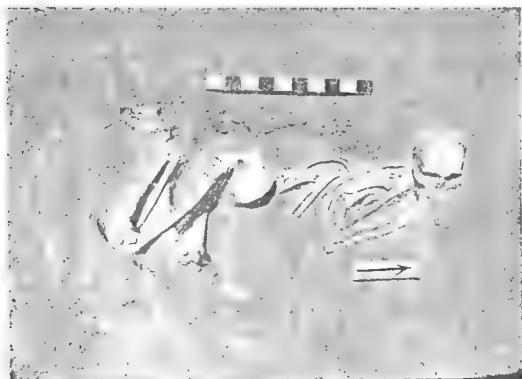


FIG. III.—Semi-extended position. Grave No. 198.

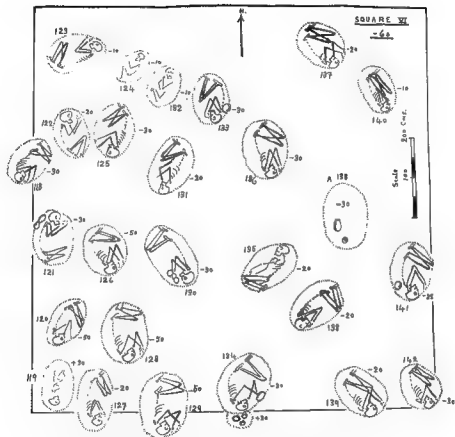


FIG. 1.—A specimen square showing body attitude, direction of head and face, and depth of pits. The level of the burials is 60 cms below surface, the depth of pits is between 10 and 60 cms under this level.

existing on the east side of the Delta in the Cairo area and extending from Helwan in the south to Maadi and Heliopolis in the north. It has thrown a good deal of light on the cultural history of the Delta in those early times, and has once again strengthened the view of the cultural superiority of the north before the rise of the Dynasties.

three knobs lying between the two lines. Pot marks are not non-existent; but they are rare and are all different. In several cases the pots had lids on; these are either of stones, (Fig. VI) or simple shreds (Fig. VII); conical cups also served as lids⁽¹⁾.

The flint implements found include blades and knives, (Fig. VII) and scrapers of tabular flint; there are also flakes with serrated edges. The flint industry is based on the blade technique. In that it resembles the flint industry of Maadi. The implements, however, are few in number, and are not to be seen in all the graves.

Apart from the small alabaster vase found last year, no stone vases were found⁽²⁾. Other stone objects include Rhomboid palettes (Fig. VI), some hollowed through use, and a trapezoidal palette with bevelled edges; all are made of slate. The ornaments include bracelets and necklaces made of shells (Figs. VIII and IX) and carnelian and coloured stone beads. Beads made of bone were also found. Traces of malachite and manganese do exist in some graves. However, copper and objects of copper are absent. Nile shells are to be seen in most of the graves; they are frequently placad near the hands and head, but sometimes at the back of the skeleton (Fig. IX). One of the shells has its sharp edge cut, a phenomenon that has been observed in Maadi. That the shells, or at least some of them, were used for mixing paint is highly probable. The traces of manganese referred to here were found in one of these shells. In the graves of the First and Second Dynasty found by Mr. Zaki Saad at Helwan one of the Nile shells bears traces of red and black colours.

That the new site at Wadi Digla is important cannot be doubted. It is a new link in the chain of Predynastic sites

(1) O-wald Monghin and Mustafa Amer: The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site at Maadi (First Preliminary Report, Season 1933-34, Cairo, 1932, p. 29, Plate XXXVII (4-6).

(2) Ibrahim Rizkana: Centres of Settlement in Prehistoric Egypt in the area between Helwan and Heliopoli: Bull. Inst. Fouad I du Desert, Vol. II, No. 2, 1952, p. 126, Pl. V A.

The animals were buried each in a grave of its own, and it is probable that the gazelles were killed before being buried by making an incision in the neck (Fig. IV), a feature which is clearly demonstrated in one of the better preserved specimens. However, that all the gazelles were killed in this manner is not at all certain. In any case the gazelles were definitely intentionally "sacrificed" before burial. It is worthy of note that all the gazelles, except one, were placed in the graves with their heads towards the south, and six of them had pottery vases buried with them.

The remains of the dog were identified by Dr. Shawky Moustafa as those of the domesticated dog *Canis Familiaris*, specimens of which were discovered by us in the Predynastic cemetery of Maadi in 1947, as well as in the Predynastic cemetery of Heliopolis in 1950⁽¹⁾. The Wadi Digla dog was found buried in a grave of its own with its head towards the south, and with its feet and mouth facing west. With it was placed a pot, showing no doubt, that the Predynastic man worshipped, the animal, most probably because of its function as a watch or guard⁽²⁾.

In some of the human graves traces of matting and animal skins have been found; and some anatomical abnormalities can be clearly discerned. In one case the right thigh bone was broken, and the bones united so badly that they showed a thickening in the middle, and caused an undoubted shortening of the man's right leg.

In addition to the ceramic wares mentioned in the first season's report, rare specimens of red globular vases with ear handles, black smooth bottle-shaped vases with very narrow necks, and very small red vases no doubt used for cosmetics, have been found. In one of the graves was found a long ovate red smooth vase with flat base, the largest discovered in the whole cemetery (Fig. V). Another peculiar type is represented by a red ovoid vase showing two lines of imprinted neck decoration, and

(¹) Moustafa, Y. Shawky: "A Predynastic Dog", *Bull. Inst. Fond. I. du Desert*, Vol. II, no. 1, 1952, pp. 102-104.

(²) See separate report in this bulletin pp. 207 etc.

On the eastern side of this group of graves was found a line of limestone blocks, probably denoting some kind of boundary. Besides the stones marking the edges of certain graves, stones were sometimes found in the graves themselves placed beneath the head of the deceased and no doubt serving as head-rests. Burnt stones from hearths in the settlement were very often utilised; but no traces of the settlement have, so far, been found.

The skeletons (Fig. I) were in the usual contracted position (Fig. II) with the hand opposite the face and the knees near the elbows. In a few cases, however, the bodies were placed in a semi-extended position (Fig. III). As mentioned in the First Season's Report (1), the majority of the heads were towards the south and the faces towards the east. A good number, however, has the head towards the north, and the face either towards the east or towards the west. Cases with the head directed towards the east or the west are not unknown. Mention may also be made of cases in which the body was placed on its back with its face upwards, or placed with the chest and the face downwards. But all these attitudes are very rare.

The fourteen animal skeletons discovered in the cemetery were all found in this western portion of the cemetery. Of these thirteen belonged to gazelles and one to a dog. Dr. Y. Shawki Moustafa to whom the animals were submitted for investigation believes that the gazelles belong to the Artiodactyl group of the Gazellinae, Cones, as suggested by the nature of the horn cores and the flattened roof of the skull. Preliminary examination suggests that they belong to the Asian and African Genus *Gazella*, Blainville (2).

(1) Mustafa Amer and Ibrahim Rizkana: "Excavations in Wadi Digha: First Season's Report (1951-52)", Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, Vol. XV, Part 1, May 1953, pp. 97-100, Cairo 1953.

(2) See separate report in this bulletin, p. 213.

EXCAVATIONS IN WADI DIGLA

Second Season's Report (1953)

BY

MUSTAPA AMER and IBRAHIM RIZKANA

The second and final season's excavations in the Predynastic cemetery of Wadi Digla lasted four months, covering the period from the end of March until the end of July 1953. The work of surveying and field-drawing was done by Mr. Mahmoud Kamel Hassan of the Faculty of Arts, Ibrahim University, and the study and examination of the animal bones were kindly made by Dr. Y. Shawki Moustafa of the Faculty of Science, Cairo University.

The work was continued in the western portion of the cemetery; nearly 3,000 square metres were excavated, in which were discovered some 270 human graves and eight animal burials. The whole area excavated during the two seasons, therefore, covers about 4,500 square metres or over one acre of land, lying on a spur in the midst of the mouth of the Wadi, with its long axis running from east to west. In the whole area 468 human graves and fourteen animal burials were excavated, in spite of the fact that a big part of the site was destroyed during the last World War. Traces of this destruction are seen in the remains of trenches, mud-brick walls, and huge deep holes. Some of the graves discovered were either partly or totally destroyed; a good number, however, escaped destruction, and was found intact. There is evidence that the cemetery originally covered a bigger area, and there are signs that it may have extended further towards the west, and that part of it, at least, was covered up by the thick deposits brought in the past by the torrential waters from the upper reaches of the Wadi. At present fields occupy this spot and the soundings made failed to produce any concrete results.



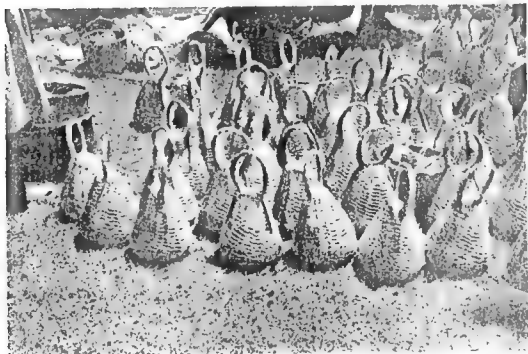
Common Types of pottery.



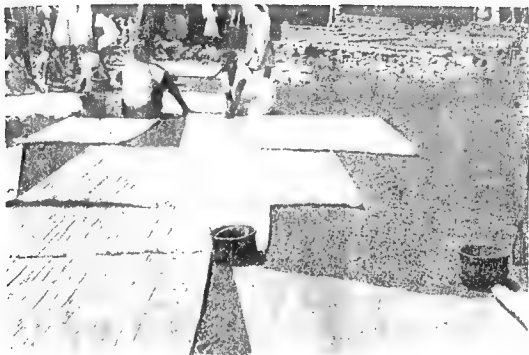
An unusually big type of pottery is seen in this photograph.



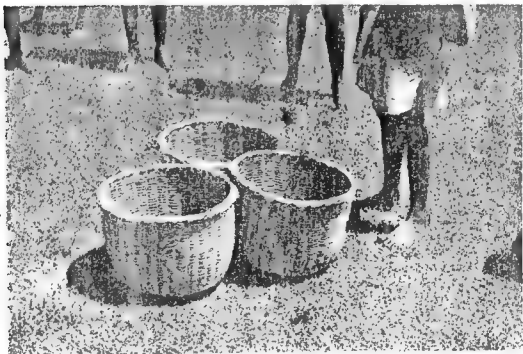
Baskets full of flour and cereals.



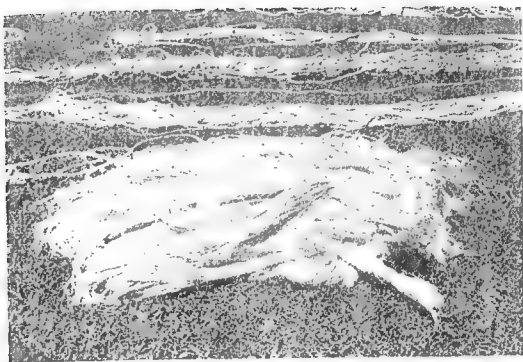
Another type of baskets.



Floor mats spread on the ground and offered for sale.



A Common type of baskets.



Sisal Fibres from which ropes are made



Two bundles of grass which is used for rope-making
are seen of the top left corner of the photograph

There is also the pottery craft. Though it is practised everywhere in Kavirondo, yet it is limited to certain localities chiefly because suitable clay is only to be found in a few parts of the country. The clay needs to be of the right variety, otherwise the pots soon crack and break.

When the right clay is procured, it is moulded carefully into a pot, which may be of almost any shape or size. The most popular is a large round one suitable for carrying either beer or water.

After the moulding is completed, the pot is left in the sun for about a day to dry. Then before the clay is too hard, the potter takes a sharp stick or a needle and makes a pattern on it according to her fancy as ornamentation, after which she rubs it with a rounded stone until it is perfectly smooth and shiny. She next fetches wood and makes a really hot fire in which she plunges the pot, covering it with fuel until it is entirely buried in the glowing fire.

It remains in the fire for about an hour and this is uncovered, whereupon dry cow-dung is heaped on top of it. This burns slowly and causes the pot gradually to change its colour. It is revolved by means of a long stick until the whole surface becomes black. It is then removed from the flames and left to cool. When quite cool it is rubbed and polished until the final result is a strong and handsome pot into which boiling water can be poured without causing it to crack.

Finally there is the men's handicraft to consider, and this also is one which is full of possibilities, for the Luo can produce really fine pieces of carving out of very inadequate materials.

There are several different trees, the wood of which is used in the carving, and these grow on the mountain side or by the rivers. The chief articles made are dishes of various kinds, spoons, sticks and little statuettes of native women and warriors; all of which can be sold for a good price and for which there is always a ready market both among Europeans and natives.

When the grass is perfectly dry it is all tied neatly together and then comes the lengthy performance of weaving it into rope. Almost every Luo woman is an expert at this, and many of them can even plait ropes in the dark, their hands being accustomed to the task. You will often see them sitting on the ground in their huts, with one end of the rope in their hands, while the other end is held by their big toe. Or you may see them walking about holding the grass under their arms, plaiting as they go.

After the plaiting is completed the work is by no means ended. All the rope must now be carefully trimmed with a knife or a piece of sharp tin in order to cut away any rough and untidy ends of grass. It is then wound into neat bundles and is ready for use.

The rope, as has already been indicated, is put to a variety of uses. It is an essential commodity in the thatching of the grass huts in which the Luo live. It is also needed in the erection of the reed fences which surround the group of huts owned by a certain family. Again it is used to tie up any kind of baggage and is a useful substitute for a more costly leather strap.

A better kind of rope is made from sisal and women are adepts at its making. This plant is much produced in East Africa, but although most of the product is exported, a part of it is consumed in rope making.

Another interesting way in which indigenous grasses can be utilised is making floor mats. This is again a woman's handicraft which is practised everywhere by the Luo. One often sees these mats in the native markets spread on the ground and offered for sale.

Another useful craft, popular chiefly among the girls is that of basketry, and they are able to produce baskets of all shapes and sizes. Some are made of grass, while others are constructed from indigenous reeds of various kinds and the results are usually very hand-some as well as useful.

SOME LUO HANDICRAFTS

BY

M. MITWALLY

It was stated in a previous paper that the Luo tribes of East Africa live in Nyanza Province round the Kavirondo gulf of Lake Victoria. They form the bulk of population in certain locations, namely Alego, Gem, Asembo, Kadimu, Kano, Samia, Sakwa, Uyoma and Seme, whereas in the other locations of the province they form but a small minority.

As to their handicrafts the Luo have not a great variety. But although not extensive these handicrafts make a very interesting study, and in all those which they attempt they are able to attain a high standard of proficiency, in spite of the limited materials they use.

Both men and women have their own peculiar handicrafts, but the women have the greater variety.

The most popular handicraft is that of rope-making, largely because it is an industry which can be put to countless different uses. It is practically used in every Luo hut. But the making of it involves long and tedious hours of labour.

It is made from an indigenous grass which grows in certain parts of Kavirondo. It is found in damp places, usually on the steep sides of the mountains. It is not cut with a knife or sickle, but is pulled out by the roots. It is then carried home in large bundles and laid out in the hot sun for a few days to dry. Each evening it must be gathered in, for heavy rain or dew can quickly spoil it.

Les Temps **ገዢት** : geziǰāt ; ou **ገዢያት** : gīzēǰāt

Les Temps du passé **ሃላፊ** : **ገዢያት** : halāfī gīzēǰāt

Tiret **ቅረት** : ṭcherat

Titre : voir En-tête

Trait d'union **ንኡስ** : **ቅረት** : ne'ūs ṭcherat

Le Verbe **ገሥ** : gess

Verbe actif **ገቢር** : **ገሥ** : gabīr gess

Verbe auxiliaire **የገሥ** : **ረዳት** : iagess raddāt ; ou **ረዳት** :
ገሥ : raddāt gess

Verbe avoir **የጠየር** : **ገሥ** : iamanūr gess

Verbe être **የጠየን** : **ገሥ** : iamahōn gess

Verbe intransitif **የገደሽገር** : **ገሥ** : iammaǰāgar gess

Verbe passif **ተገብር** : **ገሥ** : tagabrō gess

Verbe principal **ገበሪያ** : **አንቀጽ** : māsarījā anṣas

Verbe transitif **ተሸጋፊ** : **ገሥ** : tašāgārī gess

Le Vocatif **ሰጌ** : **ባለቤት** : samī bālabēt

La Voix active **ገቢር** : **ገሥ** : gabīr gess

La Voix passive **ተገብር** : **ገሥ** : tagabrō gess

Virgule **ንኡስ** : **ሠረዝ** : ne'ūs saraz

Présent የአሁን : ገዢያት : ja'ahūn geziāt

Le Pronom **ተውላጠ** : ስም : tawlāṭa sem

Pronom démonstratif አመልካች : **ተውላጠ** : ስም : 'amalkāteh
tawlāṭa sem

Pronom interrogatif መጠይቅ : **ተውላጠ** : ስም : maṭaijēk
tawlāṭa sem

Pronom personnel ምድብ : **ተውላጠ** : ስም : merdeb tawlāṭa
sem

Pronom possessif አገናዝቢ : **ተውላጠ** : ስም : 'agunnāzābī taw-
lāṭa sem ; ou ዝርዝር : **ተውላጠ** : ስም : zerzer tawlāṭa sem

Pronom réciproque ድርብ : **ተውላጠ** : ስም : derreb tawlāṭa sem

Pronom relatif አዛግጅ : ቅጽል : 'azzāniāg keṣel

La Proposition ሐረግ : harag ; on ዐቢይ : ሐረግ : 'abij harag

Sous-entendu ውስጠ : ታዋቂ : westa tawwāṭi ; on ውስጠ : ቀሪ :
westa kārī

Le Subjonctif አዋዋይ : አንቀጽ : 'awāwū 'anḳas

Substantif verbal ላቢ : ዘር : sūbī zar

Suffixe ባዕድ : መድረሻ : bā'ed madrašā

Le Sujet ባለቤት : bālabēt

Sujet et attribut ባለቤትና : አንቀጽ : bālabetennā 'anḳas

Superlatif አበላላጭ : ደረጃ : 'abbalālāṭch daraṅā

Syntaxe አገባብ : 'aggabāb

Syntaxe des adjectifs የቅጽል : አገባብ : iakeṣel 'aggabāb

Syntaxe des adverbes የተውላጠ : ገም : አገባብ : iatawawāka
gess 'aggabāb

Syntaxe des prépositions የመስተዋድድ : አገባብ : jamasta-
wālded 'aggabāb

Syntaxe des pronoms የተውላጠ : ስም : አገባብ : iatawlāṭa
sem 'aggabāb

Tableau d'analyse ዝርዝር አረታት : zerzer 'affatāt ; ou
የአረታት : አርእስት : ja'affatūtū 'ar'est

Les Numéraux cardinaux መደበኛ : ቍጥር : madabañā kweṭer

Les Numéraux ordinaux እገኛ : ቍጥር : heggañā kweṭer

Parenthèse ቅንፍ : kennef

Le Parfait የፋቀ : ኅላፊ : ĵarūḵ halāfi

Le Participe ሰዝ : አንቀጽ : bōz 'anḵaṣ

Participe passé ኅላፊ : ሰዝ : halāfi bōz

Participe présent ትንቢታዊ : ሰዝ : tembitāwī bōz

Les Parties du discours የንግግር : ክፍሎች : ĵanegeger keflotch

Passé ኅላፊ : ገቢያት : halāfi geziĵāt

Passé indéfini የጥሀ : ኅላፊ : ĵawāh halāfi

Les personnes (par exemple : lère personne) መደብ : (አስረጅ : እንደኛ : መደብ :) madab (asraġ : 'andanñā madab)

La Phrase ንኡስ : ሐረግ : ne'ūs harag ; ou ፀረፍተ : ነገር : 'arafta nagar

La Phrase complexe ድርብ : ፀረፍተ : ነገር : derreb 'arafta nagar

La Phrase simple ነጠላ : ፀረፍተ : ነገር : naṭalā 'arafta nagar

Plan d'analyse écrite የአረታት : ጥላሌ : ĵa'affatāt messālē

Poème ቅጂ : kenē

Point ሙሉ : ነጥብ : nūlū naṭb

Point d'exclamation ትእምርተ : አንከር : te'merta 'ankerō

Point d'interrogation ትእምርተ : ጥያቄ : te'inerta ṭejĵāḵē

Points de suspension ይዘት : ĵezat

Point-virgule ነጠላ : ሠረዝ : naṭalā saraz

Ponctuation ሥርዓተ : ነጥብ : ser'āta naṭb

Positif ተነጻጽሪ : ደረጃ : tannṣūṣūrī daruḡā

Positif et négatif አዎንታኛ : አለታ : 'awōtānā 'alūtā

Le Possessif ዘርፍ : አያያዥ : zarf 'aĵĵāz

Préface መገኒያ : maḵolem

Préfixe ባዕድ : መነሻ : bū'ed manuṣṣī

Préposition መስተጻድድ : mastawādded

L'Imparfait **አስረድ** : መገምር : (ምክንያታዊ : መፃምር) : 'asraǧ
ma-āmer (mekneǧātāwī masāmer)

L'Imparfait **የቅርብ** : ትላረ : jakerb halāfi

L'Impératif **ትእዛዝ** : አንቀጽ : te'zāz 'anḳas

Indéfini **ያልተወሰነ** : iǧāta wassana

Indicatif **ዐቢይ** : አንቀጽ : 'abji 'anḳas

Infinitif **እርእስት** : 'ar'est

Interjection **ቃለ** : አጋኖ : kūla 'aggānnō

Interrogation **ቃላት** : ጥያቄ : (መጠይቃን) : kālāta teijiāḳē
(maṭajijeḳān)

Introduction **መግቢያ** : magbiǧū

Lecture **ምንባብ** : menbāb

Masculin **ተባዕታይ** : ጾታ : tabā'tāi šōtā

Le Mode infinitif **ንእሳ** : አንቀጽ : ne'ūs 'anḳas

Modèle de Conjugaison **የገሥ** : ሙሉ : እርባታ : jagess mūlū
'erbātā

Les Modes **ስልቶች** : (ቆቱ : የገሥ : ስልቶች) : saltōtch ('arattū
jagess seltōtch) ; ou የገሥ : ስልቶች ; jagess seltōtch

La Négation et l'Affirmation **አሉታኝ** : አምነታ : 'alūtānnā
'awōntā

Le Neutre **ግዑዝ** : ጾታ ge'ūz šōtā

Le Nom **ስም** : sem

Nom abstrait **የነገር** : ስም : janagar sem

Nombre des noms (singulier et pluriel) **አተር** : (አንድኛ :
ብዙ) : ጁጥ (andennā bezū)

Nom collectif **የጥቅል** : ስም : jatekel sem

Nom commun **የወል** : ስም : jawal sem

Nom de matière **የቂሳተክ** : ስም : jakwasūḳwes sem

Nominatif **ባለቤት** : ሙያ : bālabēt mūjiā

Nom propre **የተጸውዖ** : ስም : intasawe'ō sem

Deux points **ድርብ** : **ወረዘ** : derreb saraz

Exemple adverbial du participe **ተውሳክ** : **ግሥ** : **ኢ.ጎ** :
tawsäka gess äñhōn

Ex-tête (: titre) **አርአስት** : (**በጽሕፈት** : **ሥርዓት** :) 'ar'est
(baṣḥfat ser'är)

Erratum **የግድት** : **ግረግያ** : jagedfat märramijā

Espèces d'adjectifs **የቅጽል** : **ዓይነቶች** : jakeṣel 'äjjinatōtch

Espèces d'interjections **የቃል** : **አጋና** : **ዓይነቶች** : jakūla 'ag-
gānno 'äjjinatōtch

Espèces de noms **የስም** : **ዓይነቶች** : jäsenn 'äjjinatōtch

Espèces de pronoms **የተውሳጠ** : **ስም** : **ዓይነቶች** : jatawlūṭa
senn 'äjjinatōtch

Espèces de verbes (: voix) **የግሥ** : **ጠባይና** : **ዓይነት** : jagess
tabujinnū 'äjjinat

Exemple **አስረጅ** : (**አጅ**) 'asrag ('ağ)

Exercice **መልመጃ** : malmağā

Féminin **አንስታይ** : **ጸታ** : 'anestāñ gōtū

Formation des adjectifs **የቅጽል** : **አመሥራረት** : jakeṣel 'am-
masarārrat

Formation des adverbess **የተውሳክ** : **ግሥ** : **አመዳድብ** : jataw-
säka gess 'ammadāḍab

Formation des prépositions **የመስተዋድድ** : **አመዳድብ** : jama-
stawādded 'ammadāḍab

Le Futur **ትንቢታዊ** : **ጌዚያት** : tenbitāwī gīzējjāt (ou **ግዚያት** :
gezjjāt)

Le Génitif **ዘርፍ** : **መቶ** : zarf mōjjā

Génitif objectif **የተሳቢ** : **ዘርፍ** : jatasābī zarf

Génitif subjectif **የባለቤት** : **ዘርፍ** : jabālabēt zarf

Les Genres **ጸታ** : (**የተረጉሮ** : **ጸታ** :) gōtū (jatuṣaṣero gōtū)

Genre commun **የወል** : **ጸታ** : jawal gōtū

Guillemets **ትእምርት** : **ጥቅስ** : te'merta ṭeqs

Complément direct ተጠቃሽ : (ርተዕ :) ተሳቢ : taṭakās (retu')
tasābī

Complément indirect አርተዕ : ተሳቢ : 'iretu' tasābī

Les Compléments ተሳቢ : tasābī

Le Conditionnel ምክንያታዊ : አዋዋይ : mekneṭāwī 'awāwū;

La Conjonction መስተፃምር : mastasāmer

Conjonction adversative አፍራሽ : መስተፃምር : 'afraš mastasāmer

Conjonction cumulative አጭፋፊ : መስተፃምር : 'aṭchūfārī
mastasāmer

Conjonction de coordination ወደረኛ : መስተፃምር : wadarañā
mastasāmer

Conjonction de subordination ጥገኛ : መስተፃምር : teggañā
mastasāmer

Conjugaison አርባታ : 'erbātā ; ou (: du verbe) የገሥ : አርባብ :
jagess 'arrabāb

Conjugaison du verbe "Avoir" የመኖር : ገሥ : አርባታ :
jāmanor gess 'erbūtā

Conjugaison du verbe "Dire" የማለት : ገሥ : አርባታ :
jāmālat gess 'erbūtā

Conjugaison du verbe "Être" የመገኘት : ገሥ : አርባታ :
jāmahōn gess 'erbūtā

Conjugaison simple የዋህ : አርባታ : jāwāh 'erbūtā

Contenu አርአስተ : ነገር : 'ar 'esta nagur

Coordination አጭፋፊ : 'aṭchālārī ; ou አጳጋሚ : 'addāgāmī

Le Datif ተቀባይ : taṭabbūj

Défini የተወሰነ : iatwassana

Définition générale ጠቅላላ : መግለጫ : taṭallīlā muglaṭchū

Degrés de comparaison des adjectifs የማነጻጸር : ደንብ :
jānuṇnasūgar dānu

Degrés de comparaison des adverbes የማወዳደር : ደረጃ :
jānuwwadāddar dai qū

- Adjectif numéral አንዝ : ቅጽል : 'ahaz keṣel
- Adjectif qualificatif የንይነት : ቅጽል : ia 'ainat keṣel
- Adjectif simple (Angl. proper adjective) የወገን : ፡ ጽል :
inwagan keṣel
- Adjectifs numériques et quantitatifs የአንዝና : የመጠን : ቅጽል :
ia 'ahazennā iamaṭan keṣel
- Adjectif verbal መስተፃፍራዊ : ቅጽል : mastasūmerūwī keṣel ;
ou ሳድስ : ቅጽል : sūdes keṣel ; ou ገሣዊ : ቅጽል : gessūwī keṣel
- Adverbe ተውሳክ : ገሥ : tawsūka gess
- Adverbe interrogatif መጠይቅ : ተውሳክ : ገሥ : maṭalliek
tawsūka gess
- Adverbe simple የዋህ : ተውሳክ : ገሥ : inwāh tawsūka gess
- Adversative አፍራሽ : afrāš ; ou ተቃራኒ : takārūnī
- Alternative አግራጭ : 'ammārāṭch
- Analyse des conjonctions የአረታቱ : አርአስት : ia 'affatātu 'ar'est
- Analyse des noms የአግዮች : ዝርዝር : አረታት : jasemotch
zerzer 'affatāt
- Analyse des phrases ዐረፍተ : ነገርን : መተንተን : 'arafta na-
garen matantan
- Analyse des pronoms የተውላጠ : ስም : ዝርዝር : አረታት :
iatawlūṭa sem zerzer 'affatāt
- L'Article (Section) አንቀጽ : (ክፍል) : 'anqaṣ (kefel)
- Attribut አንቀጽ : (ገሥ) : 'anqaṣ (gess)
- Le Cas ሙያ : muiiā
- Cas régime ተሳቢ : ሙያ : tasūbī muiiā
- Classification des adverbess የተውሳክ : ገሥ : ክፍሎች : iataw-
sūka gess keflotch
- Comparatif አብላጭ : ደረጃ : 'ablāṭch daraḡa
- Complément analogique ቤተኛ : (ዘመዳጭ) : ተሳቢ : bētañā
(zarnadāwī) tasābī

DE CERTAINS TERMES TECHNIQUES EN LANGUE AMHARIQUE

PAR

MURAD KAMIL

Dans ce Bulletin de la Faculté des Lettres vol. XIV, Part. I, Mai 1952, Le Caire 1952, j'ai publié les termes techniques que nous avons pu étudier au cours des réunions de l'académie que j'ai constituée à Addis-Abéba.

Les termes d'arithmétique étaient rassemblés dans la section I, les termes de géométrie pratique dans la section II.

Je publie ici la section III concernant les termes de grammaire. La plupart de ces termes étaient employés par Blata Marsee Hazan Walda Qirqos dans sa grammaire amharique የአማርኛ ስዋሰው : (ja'amāreñū sawāsew) parue à Addis-Abéba à l'imprimerie "Berhanenna Salam". Cette grammaire est la seule grammaire officielle employée dans les écoles d'Ethiopie. Elle existe en plusieurs éditions.

III.—LA GRAMMAIRE

ስዋሰው : sawūsew

Abréviation ማገገር : ቃል : meḡṡara kīl ; ou

ክፍለ : ቃል : kaffila kāl

Accumutif ጠቃሽ : አመልካች : taḡeš 'amalkūčh

Adjectif ቅጽል : keṣel

Adjectif démonstratif አመልካች : ቅጽል : 'amalkūčh keṣel

Adjectif descriptif የገብር : ቅጽል : iageber keṣel

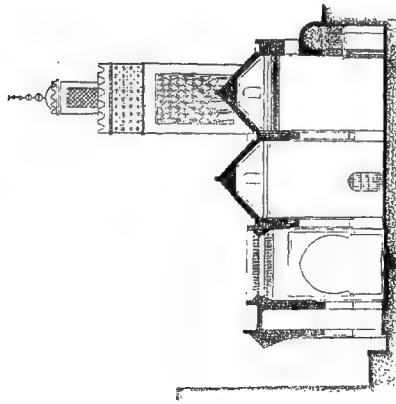


FIG. 14.—FEZ: Longitudinal Section through Mibrab of Mosque of Zhar. (Boris Maslow.)

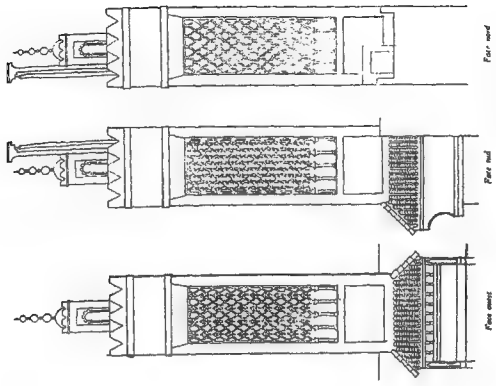
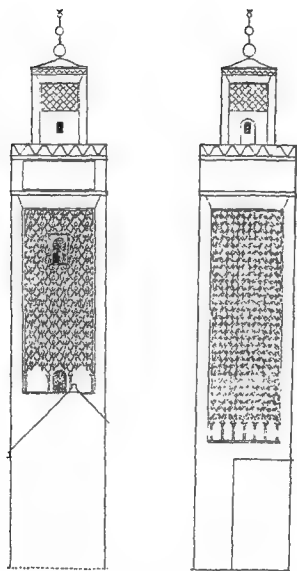


FIG. 15.—FEZ: Minaret of Mosque of Chrabliyyine (Boris Maslow).

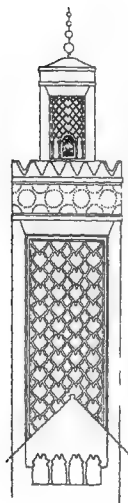


Face est

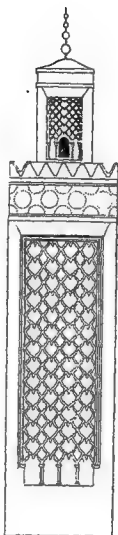
Face ouest

18 — Minaret de la Jama' Hammra à Fès

FIG. 13.—FEZ: Minaret of Mosque of Hammra (Boris Ma-slow).



— Face Est du
minaret de la Jama
'Kbir de Fes



— Face Ouest du
minaret de la Jama
'Kbir de Fes

FIG. 12.—FEZ: Minaret of the Great
Mosque (Boris Maslow).

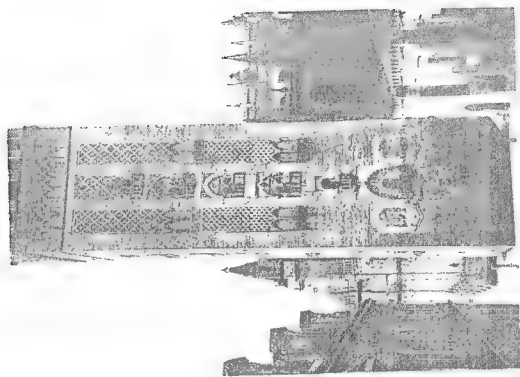


FIG. 11.—Giralda, Minaret of the Great Mosque at Seville. (Glick and Diez)

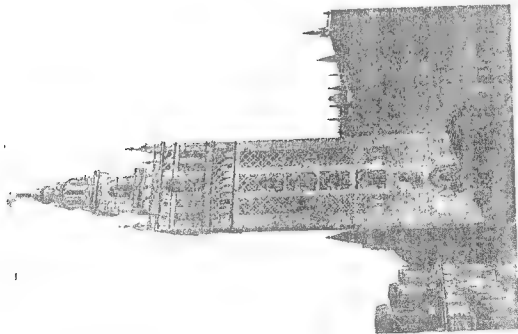


FIG. 10.—SEVILLE: Giralda; Minaret of the Great Mosque at Seville

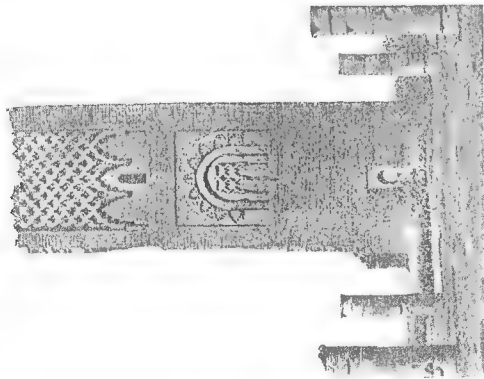


FIG. 8.—Rabāt: Minaret of Hassan (From Marçais)



FIG. 9.—The Minaret of
Kutubiya at Marrakesh
(Springer)

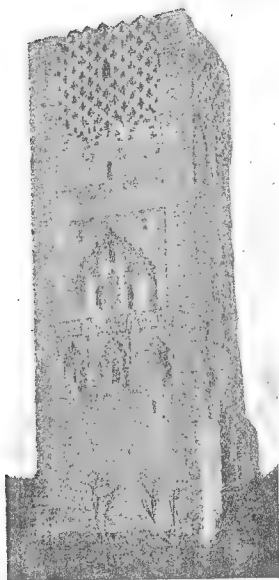


FIG. 7.—RABĀT; Minaret of Hassan,
North Face. (Marçais)

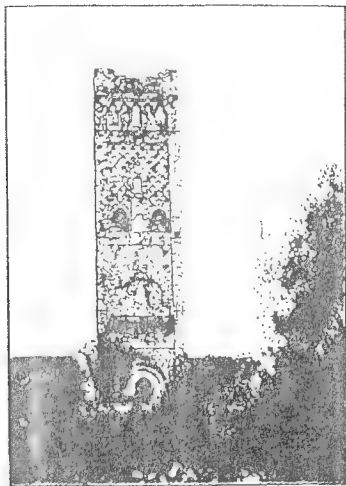


FIG. 6.—TLEMOEN : The Minaret.

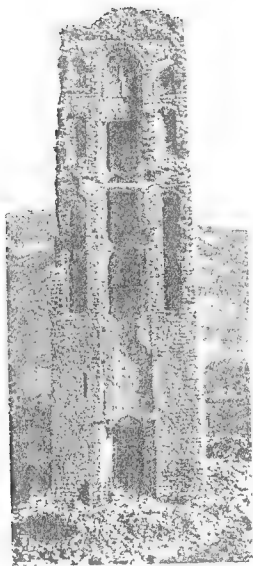


FIG. 5.—Minaret of Qal'a
of Beni-Hammād
(from Marçais)

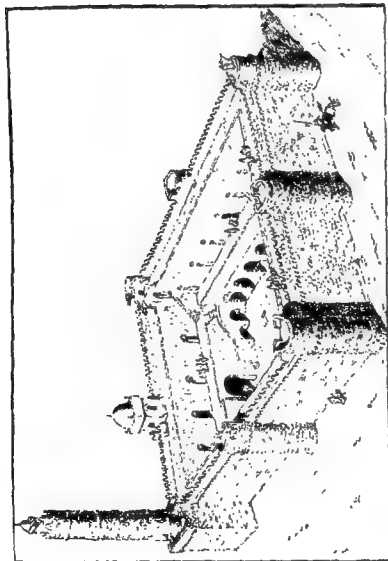


FIG. 3.—NŪSA : The Bilâṭ, from the North-East
(From Marçais, Manuel).

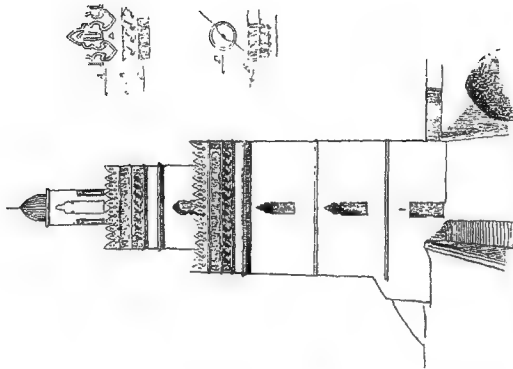
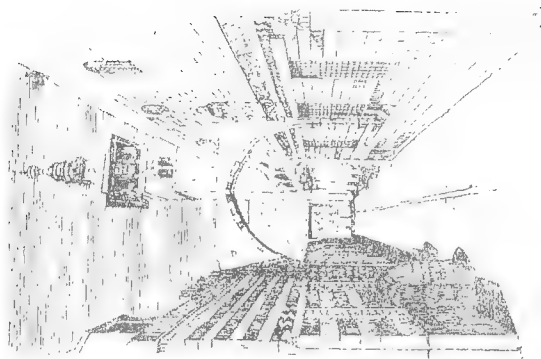


FIG. 4.—SEFAX : Minaret of Great Mosque
(From Marçais, op. cit.)

PLATES



(Briggs)
 FIG. 2.—Damascus: The Great mosque.
 The 'Arūs Minaret.



FIG. 1.—Minarets of Mosques of Zitūna,
 Tūnis and the Great Mosque at
 Qairawān.

Other examples of minarets of the same form are found in the Jama' Hamra (*), Jama' ez-Zhar (*) (759 H.—1357 A. D.), Jama' Chrabliyin (*) at Fez (Merinide XIV) and restored by Moulay Slimān (1792-1823).

The just mentioned types of minarets represent the most decorated and embellished with deeply shaded network of squared and lozenged decorations and also with scalloped and horse-shoe arches. More recent minarets are found in several towns of Morocco, Fez, Tetouan, Tanger, etc.

The type found in Algeria is represented by that of Tlemcen and other minarets, dated XIII-XIV A. D. They are embellished with bold decoration of network in relief. A Moorish aspect is found also in the minaret of the great mosque of Al-Mangūra erected by a Merinide (701-1302).

So the square form of minarets was the predominating type in all western countries of North Africa and Andalusia. Later on, at XVI A.D., an octagonal tower appeared. This is considered by Saladin as a result of Hanafite influence.

(*) Boris Maslow Figs. 17, 18, pp. 60-61.

(*) Boris Maslow p. 70. Pl. XXXII, p. 65 and Fig. 23.
p. 71. Pl. XXXIII.

(*) Boris Maslow Pl. XXXIV. Figs. 68 und 69 (p. 78, Fig. 26).

BIBLIOGRAPHY

1. Basset, H. et Terrasse H. :—

Tinmel (Sanctuaires et Forteresses Almohades), ap. *Hesperis*, 1924.

Le Minaret de la Kotoubiya, ap. *Hesperis*, 1925.

2. Boris Maslow, *Les Mosquées de Fés et du Nord du Maroc*. (Belgique 1934).

3. Creswell, K.A.C. *Early Muslim Architecture*, Vol. II.

4. *Encyclopédie de l'Islam*, Tome III, Paris, 1936.

5. Kühnel, *Maurische Kunst*.

6. Marçais, G.: *Manuel d'Art Musulman*. Vol. I, Paris, 1926.
and Marçais et W., *Les Monuments Arabes de Tlemcen*.

7. Saladin, *Bull. Arch.* 1904.

8. Terrasse, *L'Art Hispano-Mauresque*.

9. Thierch. H., *Pharos*, Leipzig-Berlin, 1909

The minaret of Hassan is built of regular courses of stone while the mosque at Seville is constructed in brickwork. This latter minaret is the tower of the cathedral now called "The Giralda". The base of the Qasba at Merrākesh is of ashlar masonry with angles in brickwork, while the upper part surmounting the base is in brickwork.

Most of the minarets of North Africa are decorated with lozenge network design called "Derj or Ktef" ⁽¹⁾ surmounted by a horizontal frieze of coloured mosaics.

A series of minarets were built at Fez and Northern part of Morocco. They are well described by Boris Maslow. Of these mosques was the great mosque at Tāza ⁽²⁾, founded by the Almohade 'Abd Al-Mu'min (1152-1163) and enlarged by the Merinide Abu Yū'qūb and restored by Abu 'Inān. It is considered as the best example in North of Morocco after Al-Qarawiyn. It is also of a square tower form, slightly tapering at its top ending with a crenellation. Above this huge tower is another (smaller one serving as lantern, ended also with crestings and capped by a shallow dome. This lantern has an arched opening.

The great mosque at Fez ⁽³⁾, founded by Al-Amīr Abu Yū'uf (674 H.—1275 A.D.). The square minaret is placed at the S.W. angle of the edifice. Eastern and western faces of minaret are decorated with lozenge network (Derj ou Ktef à double Boujat). The South face is decorated with a rectangular panel with interlacings of simple "Derj or Ktef" supported by two lobed arches. Also the northern face is decorated the same (Pl. XXIII, phot. 47, Boris Maslow).

(1) Boris Maslow, *Les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc*. (Belgique 1934).

(2) Plan Fig. 5, p. 18 (Mosquée Almohade) and Fig. 6 plan de la Jama'at Kbir de Taza (Mosquée Mérinide).

(3) Boris Maslow, p. 38, Figs. 12, 13, pp. 48-49.

The minaret of the mosque at Tinnal⁽¹⁾ was a tower of a rectangular form measuring (9·50 m. × 5·50 m.) rising behind the mihrab.

The works of Ya'qūb Al-Manṣūr as we are told by Al-Qirṭās⁽²⁾ (date is given as 1195 and corrected in Al-Istibṣār to 1196):—

1. Mosque of Ḥassan with its minaret at Rabāt.
2. Al Qaṣaba at Merrākesh.
3. Giralda at Seville.
4. Al-Kutubiyah at Merrakesh (which began during the time of 'Abd Al-Mu'min).

Although the minarets of these mosques were built by the same prince, yet they differed in decoration. The minaret of mosque of Ḥassan at Rabāt is of the form of a square tower standing in the middle of the N.W. façade, lapping⁽³⁾ on the outer north-western wall.

Most of the minarets of N. Africa have got a lantern at their summits called "Azri". The minaret of Qarawiyīn is an exception: it has no lantern. It is also noticed that the proportions of height to width is 4 times in nearly all these minarets, only the Kutubiya at Merrakesh⁽⁴⁾ is 5 times and so appeared elegant and tall minaret.

(1) Cf. H. Basset et H. Terrasse, Tinnal (Sanctuaires et Forteresses Almohades), ap. Hesperis, 1924, pp. 9-21 and Marçais, Manuel Fig. 180, p. 325.

(2) Qirṭās, ed. Tornberg, p. 179, in fine. [L'année 593 commence 25 Novembre 1196. Sur cette chronologie, cf. Henri Basset et Terrasse, le Minaret de la Kutoubiya], ap. Hesperis, 1925.

(3) Marçais, Manuel, plan Fig. 182, p. 330, the minaret Fig. 183, p. 332 and p. 328 and Qirṭās, ed. Tornberg; Lt.-Colonel Dienlaffoy, la mosquée d'Al-hassan, ap. Mémoires de l'Académie des insc. et b. lettres XLII, pp. 167-315.

(4) Marçais, Manuel, p. 334.

In the period from XIth to XIIIth centuries A.D., Islamic Spain and the Berbers of North Africa were ruled by several Empires⁽¹⁾. Al-Manṣūr, the minister succeeded to be the founder of a new dynasty called "Taifas". He was followed by the 'Abbadids of Seville 1042-1091 under the rule of Al-Mu'raqil and Al-Mu'tamid. Ibn Tachfin, afterwards succeeded to the throne and founded the Almoravid's Empire. Morocco was the capital and Extreme Maghrib, central Maghrib up to the limits of Algeria were governed by this dynasty. Also Islamic Spain at the beginning of the 12th century was ruled by the Almoravids. Al Mahdi ibn Toumer succeeded to found the Almohade's Empire and Tinmal was the capital.

Of the mosques belonging to this period which were constructed in Algeria are the following:—

The great mosque at Algeria⁽²⁾, to which a square minaret was added during the XIVth century at the N.E. corner. The great mosque at Tlemcen⁽³⁾, built 530/1135 and had a square minaret built 70 years after the construction of the mosque proper (as considered by Marçais, whereas date is given by Qirṭās as 548-1153 and constructed by 'Abd Al-Mu'min).

During Almohade's Period, 'Abd-Mu'min ordered the construction of the minaret at Marrakesh⁽⁴⁾, which was finished by Ya'qūb Al-Manṣūr in the year 1196. Tinmal's minaret was also built during Almohade's by 'Abd Al-Mu'min in 548 (1153) and at the same time he ordered the construction of the mosque at Taza which reached its present form during the 13th century.

(1) Marçais, G., *Manuel d'Art Musulman* Vol. I, Paris 1926, Chap. IV p. 293.

(2) Marçais, Manuel, p. 306, plan Fig. 166 p. 307.

(3) Cf. W. et G. Marçais, *Les Monuments Arabes de Tlemcen*, pp. 140 ss and Marçais, Manuel, p. 313.

(4) The first Kutubiyah at Marrakesh constructed by 'Abd El-Mu'min was destroyed and he ordered to rebuild the second minaret which was completed by Ya'qūb Al-Manṣūr at 1196.

Marguinou has published accounts of the remarkable minaret of the great mosque of Sfax, which may be compared to the well-known minaret of the Fāṭimid Mosque of Al-Hikm in Cairo.

This suggestion would be valid if the minaret of Sfax can be attributed to the Berbers of the *Ḥanbalī* period, presumably the Zirid branch. They ruled at Qairawān, first as governors for the Fāṭimids after the departure of Al-Mu'izz for Cairo in 362 H. and later as an independent dynasty until (972) middle of the 12th century. The minaret is composed of three storeys, all square, of which the lowest is very massive and is decorated by bands of simple horizontal mouldings. At the top of this storey is a dog-tooth moulding, then a base band and then two friezes, the first composed of shallow saucers and the second of a *ḥif* inscription, the whole crowned by an open-work cresting. Above this is a second storey, much less in height, crowned by a similar frieze and cresting. The whole is surmounted by a square lantern with a pointed fluted dome and a scalloped arched opening in the middle of each face. This upper storey has an engaged column at each corner.

The minaret of the Qal'a at Beni Hammād is considered as the only Fāṭimid example still existing. It was erected in 393 (1001) and damaged in 1152 by the Almohades⁽¹⁾. It is of the form of a vertical square tower. The south façade is divided into three vertical divisions (strips); the central division is wider than the laterals. The middle vertical strip is composed of a vertical arched recess with an entrance at the bottom, surmounted by five arched recesses. Each of the two flanking strips is composed of vertical semi-circular elongated niche surmounted by two arched recesses decorated with ceramics of a Mesopotamian influence.

(1) Manuel d'Art Musulman: L'Architecture, I, pp 162-5 and Fig. 91.

(2) Saladin, Bull. arch., 1904, p. 243 and the following pages; and Marguinou, G.: Manuel d'Art Musulman: Paris 1926, p. 172.

VIIIth century A.D., was the minaret of the mosque of Zeituna at Tunis, *i.e.* before its restoration in the XIXth century. The ancient reproductions ⁽¹⁾ represent a square lower storey without ornaments surmounted by an upper octagonal one of smaller section. Round this upper storey, which appears as a colonnaded gallery, runs a platform. This upper storey is believed to have been repaired in 1653.

'Abd El-Rahmān I, born in 113 (731), was the founder of the reigning dynasty of Andalusia. He was an Umayyad refugee from Syria, and his entourage was mostly of Syrian origin.

It was 'Abd El-Rahmān III (Al-Nāṣir), who erected a new stone minaret at Cordova in 340 H. (951/2). It was of the square type and had two independent staircases, one in the eastern and the other in the western half. The position of the minaret was almost the same as that at Damascus, except that the minaret at Cordova is placed to the west of the corresponding axis, drawn from the centre of the minaret to the centre of the transept, instead of being immediately to the east of it.

The minaret of Al-Nāṣir was severely damaged by the great storm of 1589. The shaft of this minaret still exists inside the lower part of the present Campanile ⁽²⁾. Al-Idrīsī (548 = 1154) gave a brief description of this minaret. It was considered as a model for other following minarets built in Seville and Morocco.

The minār of the mosque of the Ribāṭ at Sūsa 306 H. (821/2) stands at the S.E. corner rests upon a small platform, 73 cm. higher than the rest of the roof. It is crowned by a small square lantern. It probably served a double purpose; to give the call to prayer and to sound the fire alarm at night. The Ribāṭ was a small fortified barracks built on the frontier of the territory of Islam and garrisoned by volunteers. Men attached to a Ribāṭ was called *murābiṭīn*.

⁽¹⁾ Reprod. K. J. 11 IX: Kühnel, *Maurische Kunst* (VI).

⁽²⁾ See Terrasse, *L'Art Hispano-Mauresque*, pp. 80-82

MINARETS IN NORTH AFRICA AND SPAIN

BY

Dr. KAMAL EL-DIN SAMEH

After the conquest of Egypt, 'Amr proceeded to invade Barca and made peace with the inhabitants in A.D. 642. No permanent conquest was made until 50 H. (670).

'Uqba ibn Nāfi' was appointed over the Maghrib by Mu'āwiya, so he invaded Ifriquiya and founded Qairawān. Date of completion of mosque of 'Uqba at Qairawān as given by Baladhuri who quoted Waqidi, is given as 55 H. (674/5).

The present minaret of the great mosque at Qairawān corresponds to that described by Al-Bakrī and it was built by order of the Khalif Hishūm, son of 'Abd El-Malik, the Omayyad Khalif (105-9 H.) (724-727/8). This minaret is composed of three receding storeys, all square, the first being 18·87 m. in height, the second 5 m. and the third 7·50 m. The lowest storey is about 10·60 m. square at the base and tapers slightly upwards. Although these dimensions, measured by Creswell, correspond to those given by Al-Bakri, nevertheless, the first believes it possible that the minaret really dates from Ziyādat-Allah in 221 (836). In my opinion, the lower storey dates 105 (724) and the upper two storeys of later dates 221 (836).

The minaret of Qairawān was merely a continuation of Syrian tradition and had no connection with the Pharos as Thiersch⁽¹⁾ tried to prove.

Minarets in North Africa were given the term "Sawma'a", Another second Sawma'a in North Africa dating [Ist century H.—

(1) H. Thiersch, *Pharos*, Leipzig-Berlin, 1909, pp. 123-126.

39. Niebuhr's Travels through Arabia, Edinburgh, 1792.
40. R. Chandler. Travels in Asia Minor. London, 1775
41. Letters of a traveller on the various countries of Europe, Asia and Africa, edit. by A. Thomson, London, 1798.
42. R. R. Madden, Travels in Turkey . . . Egypt. London, 1827.
43. S. Rogers. Epistles in verse, 3 Italy. London, 1828.
44. The Polite Traveller, London, 1783.
45. Charles Augustus, Travels in North America ... 1839.
46. P. Cavendish, The World ... 3 vols. London, 1819.
47. New Voyages and Travels, edited by Sir Richard Phillips, ol. 1-9, 1819-23.
48. A Collection of Modern and Contemporary Voyages and Travels, published by Sir R. Phillips, 1805-10.
49. Robert Walpole, Memoirs relating to European and Asiatic Turkey, edited from manuscript Journals, London, 1817.
50. R. Walpole, Travels in various countries of the East . . . 1820.
51. Catalogue des Livres de Geographie, d'Histoire, Voyages, etc Composant la Bibliotheque de Feu. M.J.—B. Eyries, Paris, 1846.
52. John Pinkerton, A general Collection of the best and most interesting voyages and travels in all parts of the World, 17 vols., London, 1814.
53. John Hamilton Moore, A New and Complete Collection of voyages and travels . . . London, 1785.
54. R. Kerr. A General History and Collection of voyages and travels. 18 vols., London, 1824.
55. The General Catalogue of the Royal Geographical Society, London.
56. William Mavor, Historical account of the most celebrated voyages and travels, 25 vols., 1796-1810.
57. The Edinburgh Review (1812-1830).
58. The Quarterly Review (1809-1850).
59. The Eclectic Review (1805-1850).
60. The British Review and London Critical Journal (1811-15).
61. Annual Register (1779-1850).

16. J. L. Lawes, *The Road to Xanadu*. New York, 1944.
17. H. Darbishire. *Kents and Egypt in Review of English Studies*, Vol. III, No. 9.
18. C. B. Tinker. *Nature's Simple Plan*, Princeton, 1932.
19. H. N. Fairchild, *The Noble Savage*. New York, 1928.
20. W. C. Brown. *English Travel-Books and Minor Poetry about the Near East, 1775-1825* in the *Philological Quarterly*, Vol. 16.
21. N. W. Frantz: *The English Traveller and the Movement of Ideas, 1660-1732*. Lincoln, Nebraska, 1932-33.
22. E. Pons, *Le Voyage, Genre Littéraire au XVIII Siècle*. Bulletin de la Faculté des Lettres de Strasbourg, 1926.
23. A. S. Collin, *The Profession of Letters*, London, 1928.
24. F. L. Lucas. *The Decline and Fall of the Romantic Ideal*, Cambridge, 1936.
25. Alex-Comfort, *The Novel and our Time*, London, 1948.
26. J. Laockington, *Memoirs* (Seventh Edition, London M. D. CCXCIV).
27. J. P. Malcolm, *Anecdotes of the Manners and Customs of London during the 18th Century*, London, 1808.
28. R. Southey, *Letters from England*, 1807.
29. W. Robert's *Memoirs of the Life and Correspondence of H. More*, 1834.
30. W. West, *Fifty Years Recollections of an old Bookseller*, York, 1835.
31. Dibdin, *The Library Companion*, 2 vols. London, 1824.
32. Boswell. *The Life of S. Johnson*, 1791.
33. J. J. Halls, *The Life and Correspondence of Henry Salt*, 2 vols.. London, 1834.
34. Hugh Murray, *Morality of Fiction, or an enquiry into the tendencies of fictitious narratives*, Edinburgh, 1805.
35. W. Butterworth, *Three Years of a Minor*, Leeds, 1826.
36. H. Salt. *Voyage to Abyssinia*, London. 1814,
37. J. Forbes. *Oriental Memoirs*, London, 1813.
38. G. E. Leon. *A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 1819 and 20*. London 1821.

novelist, could be easily applied to the writer of Travels as he was appraised at the time. "The other qualities which he needs, besides descriptive power, are a sense of dramatic construction, the power of exact observation and of drawing conclusions, trained intelligence, and a knowledge of the detail involved" (1).

BIBLIOGRAPHY

1. Oliver Elton, *a Survey of English Literature, 1780-1830*, 2 vols., 1912.—*A Survey of English Literature, 1830-1880*, 2 vols., 1920.
2. *Cambridge History of English Literature*, Vol. 14.
3. W. E. H. Lecky, *History of England in the 18th Century*, 1878.
4. M. D. George, *England in Transition*, London, 1931.
5. J. B. Bot-ford, *English Society in the 18th Century, as influenced from overseas*, N.Y., 1924.
6. F. S. Roscos, *The English Scene in the 18th Century*, L. 1912.
7. A. E. Richardson, *Georgian England (1799-1820)*, L. 1931.
8. W. E. Mead, *The Grand Tour in the 18th Century*, New York, 1914.
9. C. E. C. Hussey, *the Picturesque*, New York, 1927.
10. B. S. Allen, *Tides in English Taste, -1619-1850*, 2 vols. (Cambridge, Mass., 1937).
11. R. A. Aubin, *Topographical poetry in XVIII Century England*, New York, 1936.
12. A. M. Dobbs, *Education and Social Movements, 1700-1850* (London, 1919).
13. G. E. Fussell and Constance Goodman, *Travel and Topography in 18th Century England*. The library, X., 1929.
14. L. H. Cust, *History of the Society of the Dilettanti*, London, 1914.
15. H. G. Fordham, *The Road Books and Itineraries of Great Britain. 1570-1850*, Cambridge 1924.

(1) The quotation, which refers to the modern novelist is taken from Mr. Alex. Comfort's 'The Novel and our Time', Phoenix House Limited, London, 1948, p. 60.

Mills (1822), where the author was trying 'to give a light and elegant account of the revival of letters and art in modern Europe' :

In 1812, the *Quarterly Review* wonders that the form had not been used in poetry before Lord Byron ; and states that few books were 'so extensively read and admired as those which contain the narratives of intelligent travellers' (1). It, also, compares the travel-book to the epic, proclaiming that 'the *Odyssey* is formed exactly of such materials' (2). Later, the *Edinb'g Review* compares it favourably with the novel as 'an agreeable after dinner companion' (3).

From all this, we see that the age was propitious to the production of Travels, that they were produced in great abundance, and regarded by both producer and consumer as a definite form of literary expression. We can, also, see that as such it flourished with great abundance roughly between 1780 and 1850 ; and that it can be safely regarded as one of the most popular forms of prose-writing in the period. That a few travel-books were produced whose interest was almost purely informative does not invalidate our generalization which is that 'entertainment' was always an aim with the generality of travellers. So they wrote almost always with that in view ; and their writings exhibited such diversity as is found only in 'works of the imagination' (4). In fact, one tends to think that such qualifications as are generally attributed to writers of these latter works would necessarily form part of the equipment of the authors of Travels in the period of this study. I find, for example, that the following quotation, taken at random from a recent work and referring to the modern

(1) The Travels of Theodore Ducos, in various countries of Europe at the Revival of Letters and Arts, edited by Charles Mills, London, 1822. See also, *Quarterly Review*, Vol. 28, p. 386.

(2) Vol. VII, p. 191.

(3) Ibid.

(4) N.S. (Nov. 1820), Vol. XIV, 302.

(5) *Edinburgh Review*, Vol. 60, p. 125.

that a journal 'should be what that name implies—a record of daily impressions' all emphasis is obviously laid on the narrative ⁽¹⁾.

Anecdotes, involving the delineation of characters, were another aspect of form which was regarded by some as 'the most delicate part of a traveller's task' ⁽²⁾. For in relating his adventures, he was expected to describe 'men as well as man' ⁽³⁾. This came into prominence in the second quarter of the 19th century, when in some cases, the traveller gave his narrative the form and the spirit of the novel.

The subjectivity or the objectivity of the traveller was, also, considered; and, 'in the intermediate space' between these two poles, he was to arrange 'his stores of criticism, narrative, history, sentiment, or science, or whatever else he can collect for display' ⁽⁴⁾.

In fact, the travel-book was subjected to critical examination in almost all its aspects; its future and every new development that it made was noted down and sufficiently discussed ⁽⁵⁾. For instance, the political consciousness, which the travellers acquired only in the early decades of the 19th century, was noted as a 'most gratifying proof of the progress of political knowledge' ⁽⁶⁾ and rightly attributed to the French Revolution.

Moreover, the travel-book had become so familiar a form of expression that it was sometimes used as a vehicle to convey ideas outside the sphere of travel. An example of these 'Voyages imaginaires' was the Travels of Theodore Ducos, by Charles

⁽¹⁾ *Edinburgh Review*, Vol. 60, pp. 125, 126.

⁽²⁾ *Edinburgh Review*, Vol. I (1802), p. 165.

⁽³⁾ *Ibid*

⁽⁴⁾ *Quarterly Review*, Vol. 103 (1855), p. 348.

⁽⁵⁾ See an interesting article on the merits and future of travel-books in *Edinburgh Review*, Vol. VIII, Part I (1812), pp. 113-117.

⁽⁶⁾ *Quarterly Review*, Vol. 22 (1813), p. 106.

grounds that they possess 'a bloom and vividness which tardy recollections hardly ever can bestow'. Such narratives, compared with general statements of facts, are 'what pictures are to plans'. In one instance, with the former gains in individuality, it also gains in vividness and force; 'it conveys less knowledge of the whole, but a more lively comprehension of a particular part'. Finally, we are told that nothing can equal the pleasure 'which we derive from being able to station ourselves in imagination by the side of the traveller, and witness the identical scene and circumstance which is called into being by his pen or pencil' (1).

Not only in the contents, but also in the form of the travel-book did the age show a lively interest. This again points to and emphasizes the fact that it was regarded as literature. The 'narrative', which was an inseparable part of most books of travels, was regarded as an important component which should be preserved in its integrity at all costs. Even in the works of scientific travellers, it was desirable that the details of science should not be interwoven with the general narrative; for it was observed that 'breaking the thread of the story necessarily lessens the general interest' (2).

Its absence, as in the French traveller Volney, 'was very much regretted; and the systematic 'fullness and method' with which information was conveyed did not compensate for the lack of these 'picturesque and dramatic qualities of narrative ... which ... bestow a powerful interest on the romantic adventures and relations of Bruce' (3).

The best mode of conveying information about human life and manners seemed to be by 'a narrative of such events as have actually taken place', whereby '... the deficiencies of personal observation can be completely supplied' (4). In the insistence

(1) *Edinburgh Review*, Vol. 60 (1831), pp. 125 and 126.

(2) *Quarterly Review*, Vol. XVIII, p. 208.

(3) *Edinburgh Review*, Vol. 25, (1815), p. 417.

(4) Hugh Murray, *Morality of Fiction*... Edinburgh, 1805, pp. 3 and 4.

have 'all the simplicity of Culliver, with the advantage which truth always carries over fiction' ⁽¹⁾. And the ideal traveller was one who could work in the dual capacity of a labourer who 'brings the stones from their native seat', and the architect who 'works them into the regular building' ⁽²⁾. Information, as the prerequisite of this class of books was gradually superseded by other functions as the age advanced. But even as early as 1811, the *British Review* divides books of travels into six classes, three of which are not noted for information; and states that 'perhaps two-thirds of books of voyages and travels consist as in the other departments of literature, of works which ... afford neither description nor amusement' ⁽³⁾.

But a study of the *Edinburgh Review*, at three distinct stages of its career, will be illuminating. In 1810, we are told that more readers and writers of travels have a taste for the useful rather than for the wonderful ⁽⁴⁾. In 1824, the same paper regards travels which abound with such information as 'works of science and philosophy', and suggests that books of travels, by giving us the first impressions of the traveller in their freshness and simplicity should "excite us to follow out the train of feeling and reflection into which they lead us..." ⁽⁵⁾.

In 1834, the *Edinburgh Review* prefers such books as are mere records of the traveller's feelings and adventures to those which are merely descriptive of places visited. As to travels of information, they are dismissed, in an Aristotelian vein, as works which "have deviated from their true province and are no longer good of their kind". The same article goes further to limit the scope of the travel-book to 'the impressions of the moment' and justifies the probable inaccuracy of such impressions on the

⁽¹⁾ *Quarterly Review*, Vol. XVII, p. 464.

⁽²⁾ *Edinburgh Review*, Vol. 15 (1810), p. 367.

⁽³⁾ Vol. I (1811), p. 175.

⁽⁴⁾ Vol. 15, p. 368.

⁽⁵⁾ Vol. 41 (1824), pp. 31 and 32.

With such a conception, it was habitual to expect from the travel-book elements which other forms of literature provided, and to compare it with them from this point of view. As early as 1783, we are told that it provides us with instruction and amusement when young, and, when old, 'we draw from it solid reflections on the vanity and instability of all human concerns' (1). It is often contrasted with 'romance', for here, indeed, are 'none of those lofty flights of imagination—which lead men into the paths of error and folly' (2). It was what the age classed as 'polite literature', productive of *rational entertainment*, as well as information (3).

But mere information was not all that the readers demanded; a good traveller should combine the vivacity of first impressions with the accuracy of minute examination, and be able to place 'a nation strongly individualized by every mark of its mind and disposition, in the midst of ancient monuments, clothed in its own apparel engaged in its ordinary occupations and pastimes amidst its native scenes—like a grand historical painting with appropriate drapery, and with the accompaniments of architecture and landscape, which illustrate and characterize, as well as adorn' (4). That books of travels were, no longer, regarded as mere repositories of facts is implied in an analogy which the *Eclectic Review* draws between them and 'some of the retail shops which exhibit an imposing show of articles tastefully arranged in the window, and on the counter, to tempt even those who need not purchase, and to amuse such as cannot' (5). The model travel-book should

(1) *Polite Traveller*, Vol. I, London, 1783, Preface ix.

(2) *Ibid.* pp. v and vi.

(3) See: *Letters of a traveller in the various countries of Europe Asia and Africa*, edited by A. Thomson, London, 1798, Letter I, p. 1. Also H. Salt: *Voyage to Abyssinia in 1807-1810*, London, 1814. Preface.

Also: *The Life and Correspondence of Henry Salt ...* by J. J. Hall—2 vols., London, 1834. Vol. I, p. 390.

(4) *Edinburgh Review*, Vol. 22 (1813), p. 305.

(5) *Eclectic Review*, Vol. III, Part 2, p. 367.

people read travels as they read romances, for the interest of the narrative, for the emotions they give rise to,—in short for anything but information' (1). A few years afterwards the *Edinburgh Review* refers to books of travel as 'a class of literature', and makes several comparisons between their contents and the contents of novels and poems (2). But nothing can be more emphatic than the *Dublin University Magazine* writing in 1848 'that the only variety this walk of literature—for it has regularly become such—presents, is in the character and position of the traveller himself' (3).

That books of travel were regarded by the age as a form of literary expression is implied negatively in the travellers' prefaces, where many apologise for their work being published and 'claim no literary merit' (4). Reviewing the Travels of J. Campbell, the *Quarterly Review* in 1815 found it necessary to state, at the outset, that the book made 'no pretensions to literature' (5). In such books, as did not adhere much to the popular form, but were 'intended only to detail facts in the plainest manner, without attempt at embellishment', it is significant that the author should hope 'to escape without very severe comment from the examination of the critic' (6).

(1) Vol. 22 (1829), p. 490.

(2) Vol. 60 (1834), p. 125.

(3) Vol. (1843), p. .

(4) See: James Forbes, *Oriental Memoirs*, Vol. I, London, 1813: Preface.

(5) 'The form which the travel-book, almost always, took was either the Letter or the Diary'. To emphasize that intimate and personal note, however feigned it may be, travellers found it necessary to preface their books with such apologies. They often stated that they had kept their diaries with no intention of publishing them had it not been for the 'solicitations of friends'. 'Such a statement', comments a contemporary traveller, 'meets with as much credit as the laboured imprudent wit: or with the professions of diffidence made by a practical speaker'. Charles Augustus, *Travels in North America in 1834*, 25-26 (1839), Preface V.

(6) *Quarterly Review* Vol. 13, p. 308.

(7) Preface to a *Narrative of Travels in North Africa*, by . . . (1821).

hastened the travel-book to its end, was the appearance of new guide-books. There is, naturally, a marked difference between this category of books and travels; and, in the enthusiasm which their first appearance caused, they must have shaken the demand for Tours and Travels. This will appear a natural process, if we consider that the staple function of all travel-writing is to provide us with information, however little it may be. The modern guide-books did this in a manner superior to many nondescript Tours; for, in them, information was laboriously collected, carefully condensed, and methodically arranged for use⁽¹⁾.

III

How was this vast library of Travels regarded by both its writers and its public? We tend to think of travel-books that do not belong to our time as historical references and to resort to them, whenever we do, in their capacity as such. This is an injustice engendered, perhaps, by a misconception of the nature of these travel-books. That they give information is a fact; but this did not make their readers regard them as histories, blue-prints, or guide-books any more than we regard as such T. E. Lawrence's *Seven Pillars of Wisdom*, Doughty's *Arabia Deserta*, or D. H. Lawrence's *Twilight in Italy*. In fact, the travel-book of the first half of the 19th century was regarded as a literary genre, which occupied a distinctly high place among other forms of literature. As such, its form and its content, what it ought, and what it ought not to be, the changes that occurred in it, its ethics, and its relation to other forms of writing:—all these aspects of the travel-book were simply discussed and delineated by contemporary critics.

There is plenty of evidence that this was so. In 1829, for example, we find the *Oriental Herald* stating emphatically that

(1) Quarterly Review, Vol. 102, p. 353.

years ago the journey from London to Inverness' (1). And the Quarterly Review finds it difficult 'indeed to bring that numerous and increasing body, the authors of books of travel under a simple classification' (2).

Thus, the stream continued to flow; while men and women of every description, and with or without talent, if they could not in all cases earn a living or make a future, were always sure of 'paying the expenses of their journeys by recording the ordinary incidents of travel' (3).

It was not until, perhaps, the late fifties that the volume of travel-writing began to decrease. The stream is, then, found to 'flow with a languour which shows that it has slackened' (4). It is not that readers had become less curious, but they were more exacting. With an accumulated wealth of Tours and Travels at his disposal to consult about most lands and peoples, and capable himself of making such tours easily with comparatively less expense, the common reader became more fastidious. And the Tourist, addressing himself to such a reader, was handicapped in more than one way. With the labour of his predecessors before him in abundance to compare with his own observations, and with readers who are either familiar with the countries described, or who will soon have an opportunity of testing his fidelity, he was forced to ascertain 'not what his first impressions were, but what they ought to have been and what emotions they ought to have excited' (5).

The golden era of travel-writing was thus coming to an end; for, instead of spontaneity, which is an essential prerequisite of this branch of literature, we begin to notice 'a certain amount of disingenuousness and affectation' (6). Another thing which

(1) Quarterly Review, Vol. 76 (1854), pp. 490-491.

(2) Ibid.

(3) Quarterly Review, Vol. 103 (1858), p. 348.

(4) Quarterly Review, Vol. 103 (1858), p. 247.

(5) Quarterly Review, Vol. 103, p. 356.

(6) Ibid.

number of persons are constantly engaged and ready to engage' (1). The keeping of a journal, with a view to its publication, was becoming a fashion, not only with literary adventurers, but also with 'diplomatic agents, commercial adventurers, ~~safe~~ attendants on the march of armies and even the mere rovers for amusement' (2). Taking into account the vast literature of travel which had been produced over a period of thirty years, and also the great amounts which were likely to be written, the same paper looks forward 'with compassionate dismay to the condition of our inquisitive great grandson, with respect to that department of reading' (3). In 1815, the *British Review*, referring to the subject writes:—

"... whether the increase of voyages and travels maintain a due proportion to the increased number of voyagers and travellers we shall not pretend to determine ... but the chief ambition of our times among literary adventurers seems to be to print a book ... and we do not much like to receive an account of an author's feats before he has well recovered from the fatigue of his travels and changed his dress ..." (4).

In 1818, the *Eclectic Review* writes of the 'extreme facility' with which "Journals", "Letters" and "Tours" are fabricated (5). Treating of travel-books in his *Library Companion*, Dibdin finds himself 'launched into an interminable ocean' (6). In 1835, the *Journal of the Royal Geographical Society* writes: 'Never perhaps were books of travels so much read as now' (7). In 1845, we are told that the transit from New Bond Street to the Bazaar of Constantinople or the Pyramids 'is as readily made as was sixty

(1) *Eclectic Review*, Vol. VIII, Part I (1812), p. 11.

(2) *Ibid.*

(3) *Eclectic Review*, Vol. VIII (1812), Part I, p. 113.

(4) *British Review*, Vol. 6, p. 156.

(5) *Eclectic Review*, N.S., Vol. IX, p. 470.

(6) T. F. Dibdin, *The Library Companion ... etc.*, 2 vols., London, 1824, Vol. I, p. 367.

(7) Vol. 5, p. 347 on an interesting article entitled: "On Picturesque Description in Books of Travel".

... and the existence of travel-magicians. A man could easily earn his living by making it his work to put together scraps of travel which he had collected from travel-accounts and diaries⁽¹⁾.

The demand was incessant; in fact, (as Robert Heron says) all 'was called for, and eagerly read'⁽²⁾. By 1806, English travellers had described Europe 'without so much variety of style, and with so much minuteness of details, that they scarcely left anything new to be either said or sung from Petersburg to Naples'⁽³⁾.

Throughout the period, contemporary periodicals abound with reviews of books of travel; and where Kents's *Endymion* would occupy only three pages, a review of Clarke's or Valentia's Travels would take four times as much space. If the press may be regarded as index to the time, there can be no doubt that travel-literature occupied a high place among other forms of writing. There is scarcely a single number of the 'Quarterly' the 'Edinburgh', or the 'Eclectic' Reviews, to mention only a few, all through their careers until the middle years of the century, which does not review at least one book of travels. We can hardly say the same about any other form of prose writing which the age produced. This 'vast library without a Haklyut' (as Professor Oliver Elton calls it) very much engaged the interest of contemporary reviewers. They were fully aware of its vastness; and remarks taken at random will help to show the extent of this interest.

In 1812 the Eclectic Review writes, 'It is evident, that travelling with a view to the publishing of travels is becoming a regular department of employment, in which a considerable

(1) See W. West, *Fifty Years Recollection of an Old Book-seller*, York, 1835, p. 71.

(2) Robert Heron's Translation of Niebuhr's '*Travels through Arabia*', Edinburgh, 1792, i, viii.

(3) *Edinburgh Review*, April 1806, p. 35.

popularity of travel-books and its cause, the '*Annual Register*' writes :—

"Books on travel are read with as much relish as ever, though the number of publications of that sort might well be supposed to have satiated the public curiosity. There is scarcely a part of Europe into which the travels of several of our ingenious countrymen have not been published. The travels of foreigners have all been translated into English. Polite education, the love of variety, the pursuit of health, have rendered foreign lands and foreign customs familiar to our countrymen of higher ranks. The immense extent of our commerce has communicated a considerable share of the same knowledge to all degrees. However, a desire of comparing our own observations with those of others, will make the demand for these books, perhaps, greatest with those, who have actually visited the countries described by every new writer of travels. This accounts for the reception of books of travel, in which they are multiplied, and the sameness of the objects which they describe" (1).

That books of travel or abridgements and collections of these books sold well is certain. Lackington states that Dr. Hawkesworth received 26,000 for his compilation of voyages (2). In speaking of Hawkesworth's collection of voyages to the South Seas, Dr. Johnson remarked that anything which pertained to travel or exploration would probably achieve financial success (3). Dr. Johnson himself sold four thousand copies of his *Journey to the Hebrides* during its first week (4).

This, to some extent accounts not only for the great library of travels, in which the age abounds, but also for the appearance of professional traveller-writers, numerous translations of foreign

(1) *Annual Register*, 1773 : 271.

(2) *Memoria*, op. cit. 221.

(3) Boswell, pp. 217, 218. *The Life of Dr. Johnson*, 2 vols., 1791.

(4) Letters from Miss H. More to Mrs. Gwatkin, 1777 in W. Robert's *Account of the Life and Correspondence of Hannah More*; 1831, i. 32.

side by side with history books. They were almost the only sources for the study of men and manners in foreign societies; and Lauckington, commenting on this, wrote "The reading and studying of history, voyages, and travels, will no doubt contribute much to that useful kind of knowledge, but will not alone be sufficient". Later on, as in someone like E. Warburton (author of the *Orescent and the Cross*, 1845), we find that the traveller writes chiefly to instruct and entertain such men and women of the working classes as were unable otherwise to enjoy the pleasures of foreign travel. In the general movement for the diffusion of knowledge, it was natural, therefore, that the travel-book should have its share and achieve more popularity.

II

That the writing of travels increased from the last quarter of the 18th century onwards may be well expected as a result of such motives and forces as we have summarily surveyed. The expression of a native propensity⁽¹⁾, a channel for the newly released energies, a means for satisfying a revived curiosity and also for enabling the mind to travel both in space and in time, useful and entertaining, the travel-book became a fashionable form of expression.

The body of work produced is impressive, and contemporary references to the travel-book provide us with ample testimony of its popularity and importance. The earlier numbers of the '*Annual Register*', for example, contain little reference to travel-books, but roughly from 1770 onwards there is scarcely a Register without some reference or another. In some cases, over a quarter of a whole Register is found to be taken up by episodes from, or accounts and reviews of books of travel. Of the subject of the

(1) The '*maladie du pays*' was the name foreigners gave to the English love of travel early in the 18th century.

(See: '*Social England*' by H. D. Traill: 6 vols. 1882-97. V. p. 345).

nature of the great bulk of English travellers. 'The surface of the globe had been levelled to all ranks and conditions of men', and they were emphatically described as 'a vast mass of the middle class society' ⁽¹⁾.

Another factor for the popularity of travel-literature, which is closely connected with the appearance of the middle class traveller, was the change he helped to effect in the general tone of the travel-book. For, up to the fourth quarter of the 18th century travel-books in general were regarded as little more than mere repositories of facts. They consisted of informations and observations laboriously connected, and intended chiefly to add to the general stock of human knowledge ⁽²⁾. In most cases, they reflected the traveller's erudition, but hardly any attempt to entertain his reader. For example, it was habitual for 18th century travellers, especially when describing the remains of antiquity, to strew their pages with frequent references to the writers of antiquity and with abundant quotations from their works ⁽³⁾. Now, with the advent of the middle class traveller who was less culturally equipped (or at least differently so), we notice that the erudition which had characterized the travel-book began gradually to disappear. This naturally helped to make it less ponderous and more readable to a larger number of people than before. Indirectly, it also gave more room for entertainment in the travel-books of the period.

On the other hand, the fact that it conveyed information of various kinds gave the travel-book much prominence and popularity in an age which was both thirsty for knowledge and intent on spreading it. As early as 1790, books of travel were read

⁽¹⁾ *Quarterly Review*, Vol. 76 (1845), p. 492.

⁽²⁾ See: *Cambridge History of English Literature*, p. 246.

⁽³⁾ See: R. W. Frantz, *The English Traveller and the Movement of Ideas, 1660-1732*, Lincoln, Nebraska, 1932-33, E. Pont. *Le Voyage. Genre littéraire au XVIII^e Siècle*.

Bulletin de la Faculté des Lettres de Strasbourg, 1926.

Lackington thought he was disqualified to be a traveller on account of the disadvantages he 'laboured under for want of having received a proper education'; and he refers to the travellers of his time as 'fortunate gentlemen' (1). But this was not the case, and many members of the new middle class, a few years after Lackington. We have several references to the fact that foreign travel was becoming one of the distractions of this large body of men to whom the Industrial Revolution had brought material welfare. So as early as 1808, we find the *Edinburgh Review* complaining that books of travel were written 'by any man who can hold a pen, or dictate to a writer,—without any previous knowledge of science, or history of policy, or of morals' (2). Referring to the travellers of the day, the *Quarterly Review* confesses that 'of most of them the education presents but little occasion for admiration' (3). Later, the same paper states that '... while in other nations travelling is limited to certain of the aristocracy ..., England sends forth intelligent travellers from almost every class and order of society' (4). It adds, however, that many of them 'might far better have been treading their turnip fields, or superintending their warehouses at home' (5).

As the century advanced and neared its middle, the emergence of this large class of travellers became much more conspicuous. In 1839, the *Quarterly Review* makes the following interesting remark:— 'The youth who has been measuring yards of tape behind a counter, or squatting crosslegged upon a tailor's board may now revenge himself upon his betters by taking a measure of his own importance and of theirs, and cutting the one and the other into such dimensions as are most agreeable to his own vanity' (6). A short time later, there was no doubt as to the

(1) J. Lackington: *Memoirs* (1794), p. 273.

(2) *Edinburgh Review*, Vol. 12 (1808), p. 255.

(3) *Quarterly Review*, Vol. 22 (1813), p. 149.

(4) *Quarterly Review*, Vol. 38. (1825), p. 149.

(5) *Ibid.*

(6) *Quarterly Review*, Vol. 64 (1839), p. 65.

travel-literature and the Romantic Movement was one of action and reaction (*).

In addition to these factors, there were other forces which contributed largely to the popularity of travel. Among these we may notice the Napoleonic Wars which, by excluding the British from the Continent, gave (as the *Quarterly Review* observes) "a sudden fashion for foreign travel when the obstruction was removed (*)". Another factor lay in the facilities and comfort introduced by the steam vessel.

But of perhaps greater importance than these two was the Industrial Revolution. For until late in the third quarter of the 18th century foreign travel seems to have been the privilege of the aristocracy or the learned few. Thus we notice that the appearance of another class of travellers, less cultured and less privileged than these two, often called for comment. For example, the *Annual Register*, reviewing the travels of one Joseph Marshall in 1772 makes the following comment:—

"If a traveller has chosen to oblige the world with his observations ... it is very little material whether the author is or is not a gentleman of good estate in any particular country of England" (*).

(*) For the relation between Bruce's Travels and Coleridge's *Kubla Khan* see: J. L. Lowe, *The Road to Xanadu* (New York, 1644), p. 377. Between Keats's *Endymion* and travellers' accounts of the monuments of Egypt, see *Review of English Studies*, vol III, No. 9, Jan. 1927, 'Keats and Egypt' by Helen Darbishire.

For similar relationships between travel-literature and the Romantic movement, see also:—

C. B. Tinker, *Nature's Simple Plan*, Princeton, 1922.

H. N. Fairchild, *The Noble Savage*, New York, 1928.

The Philological Quarterly, Vol. 16, 1937, p. 249.

English Travel-books and Minor Poetry about the Near East-1775-1836 by W. C. Brown.

(*) See *Quarterly Review*, Vol. 38 (1824), p. 149.

(*) *Annual Register*, 1772, p. 241.

is now looked upon to be as essential as ever a course of spring physic was in old times. Whilst one of the flocks of fashion migrates to the sea-coast, another flies off to the mountains of Wales ... some to mineralogize, some to botanize ... all to study the picturesque, a new science for which a new language has been formed, and for which the English have discovered a new sense in themselves, which assuredly was not possessed by their fathers ⁽¹⁾”.

The result was a flow of travel-literature both in prose and in verse, which concentrated on natural scenery either for its own sake, for the picturesque, or the stimuli it gave to the writer's thought and emotions. By 1793, too many ‘descriptive tours’, it seems, had already made their appearance. For, following the publication of Wordsworth's *Sketches*, the *Monthly Review* made the following comment :

‘ More descriptive poetry. Have we not yet enough ? Must eternal changes be rung on upland and lowlands, and cells, and dells and dingles ? Yes : more, and yet more ; so it is decreed ⁽²⁾’.

And the stream continued to flow.

An important ingredient in the general ferment of the pre-Romantic period, satisfying a craving for remoteness both in space and in time, the travel-book was, later, to receive impetus from the spread of ‘romantic’ ideals ⁽³⁾. Men travelled in search of these ideals, for love of the marvellous and the mysterious, to observe the noble savage, or meditate upon the ruins of empire. In fact, throughout the period, the relation between

⁽¹⁾ 2nd edition, London, 1808 ; i, 349-351.

⁽²⁾ 2nd series, xii. (1793), 216, 217.

⁽³⁾ The description of Swiss scenery in the *Nouvelle Reloie* gave rise to more than sixty accounts of travels in Switzerland which were published between 1750 and 1895.

See: Lecky, *History of England in the 18th Century* (1878). (1928 Edit. Vol. vii. p. 236).

encouragement in the last quarter of the 18th century. For with the improvements in roads and transport, as Fussell and Goodman observe in their valuable account of travel and topography in 18th century England, "people set out to see the country. While doing so, they recorded their impressions either in diaries or in letters to their friends, and quite a number of them published these observations at a late date" (1). The same authors point out that it was not till the last quarter of the 18th century that "travelling became rather popular and the writing of diaries of observations made upon the journey almost habitual" (2). Indeed, a study of their list of these diaries will show that the number of recorded tours made of Englishmen in the British Isles between 1775 and 1800 was almost three times what it had been between 1750 and 1775 (3).

It is difficult to separate the encouragement which facilities in transport gave to this love of movement from the new passion for the picturesque by which men were, at the same time, possessed. It was this passion which greatly nourished, for many years to come, the taste for travel both at home and abroad, and which gave birth to 'tourism' in its modern sense (4). A new type of traveller appears—he who travels for pleasure both at home and abroad, and, with the taste for scenery, goes in search of the romantic and the picturesque. Of such a traveller, Southey, in the 'Letters from England' (1807), gives the following account:—

'Within the last thirty years a taste for the picturesque has sprung up—and a course of summer travelling

(1) 'Travel and Topography in 18th Century England' by G. F. Fussell and Constance Goodman, *The Library* X, 1929, pp. 84, 85.

(2) *Ibid.*

(3) *Ibid.* (Between 1750 and 1775 the number was 33 tours; between 1775 and 1800 it was 86).

(4) "... tourism, as known in modern times, had its rise in journeys, through the mountainous areas of England, Wales, Scotland, towards the end of the century". Sir H. G. Fordham, *The Road Books and Itineraries of Great Britain 1570-1850* (Cambridge 1924), Introduction X.

THE ENGLISH TRAVEL-BOOK (1780—1850)
A POPULAR LITERARY FORM

BY

Dr. RASHAD RUSHDY

I

Apart from the greater popularity which the Grand Tour achieved in England towards the last quarter of the 18th century, foreign travel began to take on new forms, and also, to increase in volume

By the publications of various circumnavigators such as Dampier, Anson, and Cook, knowledge of the increased safety of navigation was also published. For the first time, 'many new bays and harbours and anchoring places were brought forward, where ships may be sheltered, and their crew find refreshments' ⁽¹⁾. But, of perhaps more interest to us was the encouragement which the taste for travel-literature received from these publications. For, by firing the imagination and arousing the curiosity of the age, they rekindled a craving for that mixture of the unknown and the marvellous which they embodied and whose echo was to be found in every bosom ⁽²⁾. Thus, exciting "an almost universal interest in the perusal of voyages and travels", as Cavendish observes in his collection of travels, they consequently increased the popularity of and the demand for travel books ⁽³⁾.

But it was at home that the love of travel for pleasure and of Travel-literature as entertainment received the greatest

(1) *European, Magazine*, June, 1784, p. 428.

(2) See *Annual Register*, 1797, p. 594.

(3) Pelham Cavendish. *The World*, London 1819, Vol. ii, p. 5.

that the performers disguised their faces with paint. But Virgil's

non aliam ob culpam Baccho caper omnibus ari-
caeditur et ueteres inuenit proscaenia ludi,
praemiaque ingentis pignus et compita circum
Thesidae pasnere, atque inter pocula laeti
mollibus in pratis unctos saluere per utres.
nec non Ausonii, Troia gens missa, coloni
uersibus incomptis ludunt risuque soluto,
oraeque corticibus sumunt horrenda cauatis,
et te Bacche, uocant per carmina laeta, tibi
oscilla ex alta suspendunt mollia pinu (¹).

seem to suggest masked performers.

Unfortunately, the fescennine verses that have come down to us are not extensive enough to enable us to judge their nature, and they are not in the saturnian, but in the trochaic metre (²). We have no evidence to decide the question whether the trochaic metre was borrowed with the fescennine verses from Etruria, or found its way from Greece to Rome in an early period, or whether it was a native Italian metre. Perhaps the trochaic was used in the fescennine only in a later period.

After the introduction of the Etruscan model of dramatic performances, the Romans discarded the fescennine and started producing a different genre of drama that Livy calls *Satura*.

(¹) *Georg.* II, 381-390.

(²) *cf.* Suetonius, *Jul. Vit.* 51.

urbani, seruate uxores, moschum caluom adducimus.
aurum Gallia affutaisti, hic sumpsisti mutuum.

by the history of Greek Old Comedy, where the artificial phallus, as part of the actor's uniform dress in the Fifth Century Athenian Comedy was familiar on the Attic stage. Cornford says⁽¹⁾: "The probable conclusion seems to be that it (*i.e.* Phallus) had been a traditional part of the actors' dress, as it is of the Phlyakes', and that Aristophanes, and perhaps Eupolis too, were trying to get rid of it, but did not altogether succeed. No doubt it was still popular with the less refined part of their audience, and it had behind it a religious tradition".

The fact that the Roman authorities turned to Etruria when they had to establish the *Ludi scaenici* presupposes a certain degree of familiarity with Etruscan dramatic art, and an assurance of its popularity with the Roman populace⁽²⁾.

The *Versus Fescennini* must have been composed of songs, because that element though missing in the Etruscan performance was rather dominant in the Roman ones. These Fescennine verses were probably improvised, amoebean, merry and personal.

We gather from Tibullus:

agricola adsiduo primum satiatus aratro
cantant certo rustica verba pede,
et satur arenti primum est modulatus auena
carmen, ut ornatos diceret ante deos;
agricola et iniunx suffusus, Bacche, rubenti
primus inexperta duxit ab arte choros.
huic datus a pleno memorabile munus ouili
dux pecoris curtas auxerat hircus opes⁽³⁾.

(1) *The Origin of Attic Comedy*. Cambridge, ed. 2, p. 183.

(2) Hendrickson, *The Dramatic Saturnalia*, A.J.P., Vol. XV, 1894, p. 51 says that "the Roman antiquarians were always tempted to do whatever was obscure in their language and customs from Latin", but he does not account for the derivation of the word *ludus*.

(3) II 1 vs., 51-58.

may have taken place when the Fescennine freedom passed from villages and country districts to the active social and political life within the city of Rome. That this change had taken place in Rome at an early period is proved by the fact that libellous verses were forbidden by the laws of the Twelve Tables (¹).

The derivation of the adjective *fescenninus* is given neither by Livy nor by Horace. The obvious explanation is to account for it as derived from the town Fescennium on the confines of Etruria near the ancient Falerii (²) and the modern Viterbo (³). Festus' statement (⁴), preserved by Paulus (⁵) "*fescennini versus qui canebantur in nuptiis ex urbe Fescennina dicuntur allati*" bears that explanation out. But Festus offers an alternative explanation when he adds to the above statement "*sive ideo dicti quia fascinum putabantur arcere*". This is indeed, as H. J. Rose says (⁶): "a hardly possible explanation" though it is widely spread (⁷). Scholars who adopt this view are obviously influenced

(¹) *Sri quis oventasit, casmenus emdisit, quod infamiam fuit fluctioneque alteri. fume feritor.* cf. Cicero, *De Rep.* IV. 10. 12.

(²) cf. Virgil, *Aen.* VII. 695; Pliny, *Nat. Hist.* III. 52.; Dionysius, I. 21 who says that the town existed in his time but its only historical importance is in its being supposed to have given its name to the Fescennines.

(³) Servius (*Ad Aen.* VII. 695) connects the Fescennine verses with a town in Compinia. Lucan (II. 368) suggests yet a third place of origin: the Sabine country.

nec soliti lusere sales, nec more sabino
excepit tristis convicia festa maritus.

Reare (*The Italian Origin of Latin Drama*, Hermathena, No. LIV, 1939, p. 44) says "In all probability there were traditions of Fescennine performances in many of the country towns near Rome".

(⁴) Festus, p. 70.

(⁵) p. 85 M.

(⁶) cf. *A Handbook of Latin Literature*, ed. 2, 1949, p. 10.

(⁷) cf. e.g. W. Y. Sellar, *The Roman Poets of the Republic*, Oxford, ed. 3, 1889) who says (p. 35, Note 2): "It seems more natural to connect the name of these verses, which were especially characteristic of the Latin peasantry, with *fascinum* (the phallic symbol) than with any particular town of Etruria, though the name of that town may perhaps have the same origin". This view is rejected by Walde A. (Lateini-sches Etymologisches Wörterbuch, ed. 2, Heidleberg, 1938), p. 286.

stage the Romans reached when they began to produce *Saturae*. So far Livy's account of the origins of Latin drama agrees in the main with that of Valerius Maximus⁽¹⁾.

Horace in his famous account⁽²⁾ of the origin of Roman drama says :

Fescennina per hunc iuuenta licentia morem
versibus alternis opprobria rustica fudit,
libertasque recurrentes accepta per annos
lusit amabiliter, donec iam saeuus apertam
in rabiem coepit uerti iocus et per honestas
ire domos inpune minax. doluere coruento
dente lacessiti, fuit intactis quoque cura
condicione super communi : quin etiam lex
poenaeque lata, malo quae nollet carmine quemquam
describi ; uertere modum formidine fastis
ad bene dicendum delectandumque radacti.
Graecia capta ferum victorem cepit et artes
intulit agresti Latio : sic horridus ille
defluxit numerus Saturnius et grave uirus
munditiae pepulere ; sed in longum tamen aeuum
manserunt hodieque manent uestigia ruris⁽³⁾.

He attributes the origin of the Fescennine verses to the festive meetings and exuberant mirth of the harvest time among a primitive, strong and cheerful race of husbandmen, and he points out how this rustic raillery gradually assumed the character of fierce lampoons and had to be restricted by law. Then he goes on to describe how it then changed its character from coarse and good-humoured bantering to libellous scurrility⁽⁴⁾. This

(1) cf. *De Spectaculis* II, IV.

(2) *Epist.* II, I.

(3) *Ibid.* vs. 145-160.

(4) cf. e.g. the fragment, preserved by Aulus Gellius (V. 7. 8. 5), where Naevius makes a satirical allusion to some youthful adventures of Scipio Africanus :

Etiam qui res magnas manu saepe gessit gloriose
Quius facta uia nunc uigent, qui apud gentes solus praestat.
Eum saus pater cum pullo uno ab amico abduxit.

them, and a professional class of actors sprang up to give performances as diverting as those of the Etruscans. Livy says that, thereafter, the young Romans began to imitate them and at the same time uttered jokes among themselves in rude verses, nor were their movements discordant with their word. When Livy says the young Romans imitated the Etruscan *Ludiones*, he means that they imitated the dance. But they could not dance to the tunes of the flute⁽¹⁾. This needs professional dancers. Livy tells us that the native professional actors were called *histriones* from *ister*, the Tuscan word for player.

They no longer, as before, alternately threw off rude lines hastily improvised like the Fescennine verses, but performed *saturne* full of musical measures and songs which were now written out to go with the music of the flute, and with appropriate movement. No doubt the word '*motus*' here means, as in the two previous occurrences in the passages⁽²⁾, dances. Then the dancing that was introduced by the Etruscans was imitated by both the young Romans and the professional actors, while dancing to the flute was performed only by the professionals.

The striking point about these native professional actors is that their performance contained songs while that of the Etruscan model had none. This is perhaps the explanation of Livy's stress on the words '*sine carmine ullo*'.

But the main difference between the Roman performances and the Etruscan lies in the words '*inter se*', as applied to the young men imitating the Etruscans and '*alternis*' as applied to the Fescennine verses. Here the personal element in the primitive Roman dramatic performances appears. This stage of development is looked down upon by Livy, as compared with the

(1) Beare, W. says ("Flute" is the conventional but inaccurate translation of *tibit*; "pipe" is better). *The Roman Stage*. 1950, p. 11, Note 1.

(2) cf. *sultantes hauri indecoros motus* and *nos absimi a voce motus erant*.

description of the *pompa* citing Fabius Pictor as his authority ⁽¹⁾. In this *pompa* the sons of Roman citizens took part on horse and foot, followed by the charioteers, then bands of dancers arranged in three divisions according to age, and attended by flute and cithara players, then bands of actors burlesquing and ridiculing the dancers.

These two were accompanied by musicians. Then came the religious part of the procession.

Since the procession goes from the Capitol to the Circus, and the charioteers take part in it, the obvious conclusion is that all those who took part in it paraded by way of anticipation and had something to perform in the Circus. It is well to bear in mind here that the first stage in Rome was erected in the Circus ⁽²⁾. Mommsen says: "the multitude were probably left mainly to furnish amusement for themselves. Although musicians, dancers, rope-walkers, jugglers, jesters, and such like, would not fail to make their appearance in the occasion whether hired or not" ⁽³⁾.

Perhaps that was the case until the authorities wanted to make the *Ludus* more diverting and summoned players from Etruria. Livy goes on to say that *ludiones*, brought from Etruria, dancing not indecent movements to the tunes of the flute, gave performances in the Tuscan manner without any song and without action representing the song. Livy is reporting here the Tuscan not the Roman fashion. But the emphatic position of "*sine carmine ullo, sine imitandorum carminum actu*" gives us a glimpse of the character of the performances of the Roman *ludiones* before the introduction of the Etruscan influence.

They most probably gave performances with songs and actions representing and interpreting the songs. The Etruscan performance had a double influence. The young Romans imitated

⁽¹⁾ *Ant. Rom.* VII, 72.

⁽²⁾ *cf.* Livy, VII, 3.

⁽³⁾ *Rom. Gesch.* 1908, Vol. II, p. 97.

fululam serere, idem scilicet—id quod omnes tum erant—suorum carminum actor, dicitur, cum saepius reuocatus uocem obtudisset, uenia petita puerum ad canendum ante tibicinem cum statuisset, canticum egisse aliquanto magis uigente motu, quia nihil uocis usus impediēbat”.

An examination of Livy's account of pre-Andronican drama will reveal the rôle of the Feacennine verses in the development of Roman Drama. The review starts with the statement that in the consulship of L. Sulpicius Peticus and C. Licinius Stolo (i.e. 364 B.C.), Etruscan *Ludiones* were summoned from Etruria to perform for the first time to appease the wrath of heaven.

This statement is confirmed by Plutarch's citation of Rufus who was a contemporary historian of Nero's reign⁽¹⁾. The fact that the Roman authorities summoned *ludiones* from Etruria to divert the mind of the populace, who had given way to superstitions under the pretence of appeasing the Gods⁽²⁾ presupposes familiarity of the people with some such *ludiones*, and the popularity of some such *ludi* with them. The mere application of the word *ludiones* to the Etruscan players in Livy's account shows that *ludiones* were known in Rome before the introduction of the Etruscan influence. Plutarch, however, implies that there had been Roman players before the Etruscan players were summoned.

These Roman players performed in the *Ludi Romani*. The most important feature of the *ludi* in the early days was, as Livy says, the racing of chariots in the Circus. But preceding the circus games there was always a grand *popina* from the Capitol to the Circus. Dionysius of Halicarnassus has left us a

(1) cf. *Quaest. Rom.* 107.

(2) For the frequency of the adoption of such methods, cf. Fowler, W. W. *The Religious Experience of the Roman People*, London, 1911, p. 263.

THE UERSUS FESCENNINI

BY

Dr. WAHEEB KAMEL

Livy, in his brief review of the early history of dramatic performances in Rome, provides us with the most detailed account, which has come down to us, of the steps taken by the Romans in their effort to establish a national theatre. He says (¹): "et hoc et insequenti anno C. Sulpicio Petico C. Licinio Stolone consulibus pestilentia fuit. eo nihil dignum memoria actum, nisi quod pacis deum exoscendae causa tertio tum post conditam urbem lectisternium fuit. et cum vis morbi nec humanis consiliis nec ope diuina leuaretur, uictis superstitione animis ludique scenici, noua res bellicoso populo—nam circi modo spectaculum fuerat—inter alia caelestis irae placamina instuti dicuntur, ceterum parua quoque, ut ferme principia omnia, et ea ipsa peregrina res fuit. siue carmine ullo, siue imitandorum carminum actu, ludiones ex Etruria acciti ad tibicinis modos saltantes haud indecoros motus more Tusco dabant. imitari deinde eos iuuentus, simul inconditis inter se iocularia fundentes uersibus, coepere; nec absoni a uoce motus erant. accepta itaque res saepiusque usurpando excitata. uernaculis artificibus, quia ister Tusco uerbo ludio uocabatur, nomen histrionibus inditum; qui non, sicut ante, Fescennino uersu similem incompositum temere ac rudem alternis iaciebant, sed impletas modis saturas descripto iam ad tibicinem cantu motuque congruenti peragebant. Liuius post aliquot annis, qui ab saturis ausus est primus argumento

(¹) VII. 2. For a detailed analysis of this passage cf. W. Beare, *The Italian Origin of Latin Drama*, Hermathena, No. LIV 1939, pp. 30-53.

Nachtrag zu den Schrift über den aschyleische Trilogie. Frankfurt
on Main, 1826.

Der Prometheus des Aeschylus (in Griechische Götterlehre II,
246 et seq.). Göttingen, 1859. Io (in Griechische Götterlehre, II, 246-
278). Göttingen, Dieterich 1859.

Zur Trilogie des Prometheus (in Rheinische Museum, N. F., 16.
Jahrgang, 147-153), 1861.

Erster Entwurf einer Abhandlung über des Aeschylus Prometheus
(in Das Leben von Reinhard Kekulé, 459-488). Leipzig, 1880.

Wenig, K.: On the Prometheus of Aeschylus (in *Listv filologické*,
161-173, 391-342).

Werkhanpt, G.: Prometheus. Leipzig, 1914.

Wieseler, F.: Zu Aeschylus' Prometheus (in *Philologus, Zeitschrift
für das klassische Altertum*, IX, 716-722), 1860.

Schedae criticae in Aeschyli Prometheus, 1860.

Adversaria in Aeschyli Prometheus Vincitum et Aristophanis Aves
philologa atque archaeologica. Göttingen, 1843.

Wilamowitz-Moellendorff, U. von: Prometheus 566 et seq. (in
Hermes, No. 145).

Winckelmann: Observationes in locos aliquot Promethei Aeschyli
eiusdemque fabulae in gerin. translatae spec. Salzwedel, 1834.

Witkowski, S.: Introduction and Notes to Prometheus (tr. J.
Kasprowicz). Cracow, 1921.

Wlastoff, G.: Prométhée, Pandore et la légende des siècles (in
Hesiod). St. Petersburg, 1883.

Yorke, E. C.: The Date of Prometheus Vincitum (in *Classical
Quarterly*, 153-4), 1936.

Zacher, N.: Loki und Typhon (in *Zeitschrift für deutsche Philologie*,
XXX, 3), 1896.

Zumfelde, J.: De Aeschyli Prometheus quaestiones. Göttingen, 1914.

Usener: Prometheus (in Götternamen, 217).
Die Sintflutsagen.

Valimigli, M.: Ad Aeschyli Prometheus 165 (in Bollettino di filologia classica, IX, 208-210).

Eschilo: la trilogia di Prometeo. Bologna. Zanichelli, 1904.

Valle, Della: Il Dono di Prometeo. Bari, Laterza, 1941.

Vandvik, Kirik: The Prometheus of Hesiod and Aeschylus. Upsala, 1943.

Vischer, Wilhelm: Über die Prometheus-tragödien des Aeschylus. Basel, 1859.

Völcker, Karl Heinrich: Die Mythologie des japetischen Geschlechts. Giessen, 1824. Mystische Geographie der Griechen und Römer I. Über die Wanderungen der Io des Aeschylus' gefesselten Prometheus und die damit zusammenhäng. mythisch.-geograph. Gegenstände. Leipzig, Winter, 1832.

Voragine, Jacobus de: Pandora (in Legenda Aurea). Leipzig, Insel-Verlag, 1921.

Vreeken, W. A. L.: Prometheus Vincit: studiosae iuventutis in usum, ed. Vreeken. Leiden, Brill, 1935.

Wachter, Wilhelm: Das Feuer in der Natur, im Kultus und Mythos, im Völkerleben. Wien, Hartleben, 1904.

Wackernagel, J.: Sprachgeschichtliches zum Prometheus (in Verhandlungen der Versammlung deutscher Philologen, XLVI, 65), 1901.

Wagner, F. C.: De Aeschyli fabula Prometheo. Marburg, 1824.

Walz, P.: Note sur la composition de deux passages des Travaux et des Jours, v. 504-553 and 765-778 (in Revue des études anciennes, 205-211), 1904.

A Propos de l'Elpis hésiodique (in Revue des études grecques 49-57), 1910.

Weil, Henri: Eschyle: Prométhée 51 (in Revue de Philologie, 117), 1880. La Fable de Prométhée dans Eschyle (in Annuaire pour l'encouragement des études grecques, XX, 280-290), 1887.

Weise, F.: Zur Frage der Bühnenaufführung des äschyleischen Prometheus, 1908.

Weiske, B. (f.): Prometheus und sein Mythenkreis. Leipzig, 1842.

Welcker, F. G.: Die äschyleische Trilogie Prometheus und die Kabirenweihe zu Lemnos. Darmstadt. 1824.

Thomsen, A.: Der Betrug des Prometheus (in *Nordisk Tidsskrift for filologi*, XV, iii-iv, 105-127), 1907.

Der Trug des Prometheus (in *Archiv für Religionswissenschaft*, 480-490), 1909.

Thomson, George: Notes on Prometheus Vincetus (in *Classical Quarterly*, 155-163), 1929.

Aeschylus: Prometheus Bound (in *Journal of Hellenistic Studies*, 301), 1933.

Thomson, J. A. K.: The Religious Background of Prometheus Vincetus (in *Harvard Studies in Classical Philology*, XXXI, 1-37), 1920.

Timm, G.: De Promethei 526-608, 1874.

Todd, O. J.: The Character of Zeus in Prometheus Bound (in *Classical Quarterly*, XIX, 61-68), 1925.

Todt, Bernhard: Prometheus (in *Wochenschrift für klassische Philologie*, VII, No. 34, Sp. 930-4), 1890.

Todt, L.: Bemerkungen zu Aeschylus' Prometheus (in *Philologus*, XLIV, ii, 376-377), 1890.

Toepelmann, Bernhardt: Commentatio de Aeschvli Prometheus. Adjecta est interpretatio eius fabulae germanica. Leipzig, Gauthier, 1829.

Tommasini, V.: Note sul testo del Prometeo legato (in *Studi italiani di filologia* 443-446), 1905.

Tommasino, G.: Esame critico di alcune note ad Eschilo (Prometeo): contra un' ipotesi del Cosattini (in *Atti della r. accademia di archeologia*, II, 188-191). Napoli, 1910.

Tournier, Ed.: Sur Prométhée 43 (in *Revue de Philologie*, II, 176), 1878.

Türk, Hermann: Pandora und Eva; Menschenwerdung und Schöpfungsthum im griechischen und jüdischen Mythos. Weimar, Verna-Verlag, 1931.

Tutryn, Aeschvli Prometheus: fragm. 199. 6, 1928.

Uhlmann, N.: Zum Prometheusproblem (in *Zeitschrift für die österreichischen Gymnasien*, 328-332), 1913.

Unità, G.: Eschilo, significato artistico e letterale del Prometeo legato. Roma, Nuova Rinerva, 1938.

Untersteiner, M.: Interpretando Eschilo: Prometeo (in *Antiquitas*, I, 2), 1946.

Stuifmüller, H.: *Emendationes ad Titanomachiam* (in Festschrift zur 36. Philologen-Versammlung zu Karlsruhe, 85 et seq.), 1882. Zu Aeschylus' Prometheus und zur neuesten Angabe dieses Dramas (in Blätter für d. bayer. Gymnasialschullehrer I. 16-20), 1894.

Stake, J. M.: Zu Aeschylus' Prometheus (in Rheinische Museum XLIV, 628-631), 1885.

Stai, V.: *De Vanis gigantium formis in fabula et arte Graecorum*, 1884.

Stark, Johann August: *De Aeschylō et eius inpr. tragoedia quae Prometheus Vincitū inscripta est libellus*. Göttingen, 1763.

Stensloff, B.: Zeus und die Gottheit bei Aeschylus. Liess, 1867.

Stone, Edward D.: *Iambic Exercises Based on the Prometheus Vincitū*. Eton, Williams, 1878.

St. Pease: Prometheus and Tityos (in Classical Philology, 277-8), 1925.

Stumpo, B.: *Nuove osservazioni sul Prometeo di Eschilo*. Roma, Maglione, 1934.

Süsskind, A.: *Aufführung des gefesselten Prometheus des Aeschylus auf der modernen Bühne* (in Philologische Wochenschrift, XLVII, 999-1006, 1036-1039, 1067-1071), 1929.

Terzaghi, Nich.: Prometeo (in Estratto dagli studi religiosi, fasc. VI, 1903; I and II, 1904). Florence, 1904.

Contributo allo studio di un mito religioso ellenico. Florence, 1094.

Monumenti di Prometeo (in Studi e materiali, III, 199 et seq.), 1905.

Eschilo: Prometeo (in Bollettino di filologia classica, XXII, 173-7).

Prometeo. Palermo, 1914.

L'Irreligiosità del Prometeo di Eschilo (in Mons I, 81-88).

Il Rito di Prometeo Prima di Esiodo (in Atti dell' accademia di archeologia, 115-157). Napoli, 1916.

Teuffel, Wilhelm: *Einleitung zur ... Feier des Geburtsfestes ... des Königs Wilhelm von Württemberg ... Beigefügt ist eine Abhandlung über des Aeschylus' Prometheus und Orestie*. Tübingen Universität, 1861.

Thomas, Eugène: *Essai sur la géographie astronomique du Prométhée d'Eschyle*. Montpellier, Boehm, 1856.

Les Fragments de la Prométhéide d'Eschyle, 1856.

- Schövuert, A. : La Date du Prométhée enchaîné, 1943.
- Schütt : De Promethei Aeschylei natura. Hunsu, 1842.
- Schütz, Christian Godfried : De Lectione Aeschyli Prometheus Vincetus 425 et seq. Jena, 1781.
- Schwartz, E. : Prometheus bei Hesiod (in Sitzungsberichte der preussischen Akademie der Wissenschaften, I, 133-148), 1915.
- Schwartz, Paul : Die Darstellung des Zeus in Prometheus des Aeschylos. Salzweel. 1875.
- Séchan, Louis : Pandore, l'Eve grecque (in Bulletin de l'Association Guillaume Budé, No. XXIII, 3-36), 1929.
- Les Noces de Thétis et de Pélée (in Revue des Cours et Conférences, XXXII, i, 673-688 ; ii, 330-340), 1931. Le Mythe de Prométhée. Paris, 1952.
- Seelmann, F. : De Prometheo Aeschyleo. Dessau, 1876.
- Seippel, G. : Die Typhonmythus. Greifswald, Dallmayer, 1939.
- Seymour, Thomas Dale : On the Date of the Prometheus of Aeschylus (in Transactions of the American Philological Association, III, 111-124), 1879.
- Siret, L. : Prométhée (in Revue archéologique, XIII, 132-5).
- Skard, E. : A Remark on Prometheus 613 (in Symbolae Osloensis, 11-18). Oslo, 1949.
- Smyth, Herbert Weir : Commentary on Aeschylus' Prometheus Vincetus in the Codex Neapolitanus (in Harvard Studies in Classical Philology, XXXII, 1-98), 1921.
- Prometheus Vincetus (in Aeschylean Tragedy). California, 1924.
- Sobolewski, S. : Ad Aeschyli Prometheum : annotationes criticae et exegeticae (in Journal du Ministère de l'Instruction Publique en Russie, XIV, 155-170, XV, 171-192).
- Solmsen, Friedrich : Aeschylus : the Prometheia (in Hesiod and Aeschylus, 124-177). Cornell University Press, 1949.
- Sorof, M. : De Ratione, quae inter eos codices recentiores, quibus fabulae Prometheus, Septem adversus Thebas, Persae continentur, et codicem Laurentianum intercedat. Berlin, Mayer und Müller, 1882.
- Spindler, H. : Der Gigantenmythus in seiner älteren Überlieferung, 1888.

Salac, A.: The Myth of Prometheus and Pandora in Hesiod (in *Listv filologické*, XLIV, 385-404). Title sometimes given as: "Hesiod's Myth of the Five Ages of Man".

Sanford, E. M.: The Battle of Gods and Giants (in *Classical Philology*, 52-7, Chicago, 1911).

Sarasin, P.: Prometheus (Basel, Helbing, 1913; *Berliner philologische Wochenschrift*, 1914; *Zeitschrift für das Gymnasialwesen*, 1914).

Schaefer, Th.: Aeschylus' Prometheus und Wagners Loge (in *Festschrift-45. Versammlung: Phil.* 1-94).

Schmid, W.: Untersuchungen zum gefesselten Prometheus. Stuttgart, 1929.

Epikritisches zum gefesselten Prometheus (in *Philologische Wochenschrift*, 218-223), 1931.

Schmidt, C. P. Ch.: Udvalgte Stykker a Hesiodus: I. Zeus, II. Prometheus, III. Titankampen, IV. Pandora (in *Opuscula philolog. ad Madvigium*, 279-293), 1876.

Schmidt, J. H.: De Prometheo Vincto. Augsburg, 1831.

Schneider, C. E. U.: De Tempore quo Prometheus Vincitum Aeschylus scripserit, 1823.

Commentatio de Aeschyli Promtheo. Vratislav, 1829.

Schneider, Richard: Der Prometheus des Aeschylus. Duisburg, 1889.

Schoebel, Ch.: Le Mythe de la femme et du serpent: étude sur les origines d'une évolution psychologique primordiale. Paris, 1876.

Schoell, F.: De Pandora Hesiodi meletamata critica (in *Satura philologa sauppio*, 133-147), 1880.

Schömann, G. F.: Mantissa animadversionum ad Aeschyli Promethum. Greifswald, Koch, 1844 (Reprinted in *Opuscula III*, 81-94), 1858

Vindiciae Jovis Aeschylei. Greifswald, 1846. (Reprinted in *Opuscula III*, 95-119).

Über den Prometheus des Aischylos (in *Opuscula III*, 120-133).

De Pandora. 1853.

Noch ein Wort Über Aischylos' Prometheus. Greifswald, Koch. 1859.

Aeschylus. Prometheus 86 (in *Philologus*, 17. Jahrgang), 1861.

Les Origines du christianisme selon l'école de Tübingen : le Docteur Bauer et ses œuvres (in *Revue des Deux Mondes*, XLV, 101-142), Paris, 1863.

Ribbeck, O.: Qua Aeschylus arte in Prometheus fabula divertia composuerit. Bern, 1859.

Zu Aeschylus Prometheus 424 et seq. (in *Rheinische Museum*, N.F., 14 Jahrgang, 627). 1859.

Riccomagno, L.: Il Prometeo incatenato. Lanciano (Arabbia), 1937.

Richards, H.: On Prometheus Vincit 1930 (in *Classical Review*, 393-7), 1902.

Richardson, L. D. J.: Three Notes: I. On Prometheus, 592 (in *Hermathena* LXXIII), 1919.

Ridgeway, William: On Aeschylus' Prometheus Vincit 420 (in *Transactions of the Cambridge Philological Society*, II, 179-180), 1881-2.

Ritschl, Fr.: Caroli Reisigii emendationes in Aeschyli Prometheus (in *Apparatus criticus et exegeticus in Aeschyli tragoedias*, vol. I, XIX-XXXII, 1832; and in *Opuscula* I, 378-393).

Robert, C.: Pandora (in *Verhandlungen der 48. Versammlung deutscher Philologen und Schulmänner in Hamburg*, 53 et seq.), 1906. Pandora (in *Hermes*, 17-38), 1914.

Roehlecke, A.: Septem adversus Thebas et Prometheus Vincit esse fabulas post Aeschylum correctas. Berlin, 1882.

Rombaut, L.: Het Prometheus-probleem. Gand, 1934-5.

Roscher, W. H.: Prometheus (in *Ausführliches Lexikon der griechischen und römischen Mythologie*). Leipzig, 1902-9.

Roscoe, Burton: Prometheans: Ancient and Modern. Putnam, 1933.

Roth, R.: Über den Mythos von den fünf Menschengeschlechtern bei Hesiod und die indische Lehre von den vier Weltaltern, 1860.

Roussel, P.: Remarques sur les Suppliants et le Prométhée d'Aeschyle (in *Revue de Philologie*, 241-7), 1920.

L. Folklore dans Prométhée (in *Revue des études anciennes*, 229-232). Paris, Boccard, 1934.

Rudberg, G.: Aeschylea: Prometheus 88 et seq. (in *Symbolae Osloensis*, XVII, 1-8). Oslo, 1937.

Rutherford, W. G.: Prometheus 687 (in *Three Emendations: Classical Review*, 368), 1899.

Post, L. A.: Note on Promethens 52 (in American Journal of Philology, 342-3). Baltimore, 1937.

Potter, Robert: Preface to Promethens Vincetus, 1777.

Prabucki, J.: Meletematum in Aeschyli Promethens specimen, 1835.
De Prometheo Hesiodi. Vratislav, 1835.

Prentice, W. K.: Promethens Bound of Aeschylus (in Classical Weekly, XV, 26-32).

Puntoni, Vittorio: Sulla Narrazione del mito di Prometeo nella Teogonia esioda (in Memorie della r. accademia delle scienze di Torino, II, 38, 443-459), 1888.

Pylarinos, : Promethens Desmotes (in Philologische Wochenschrift, XLVIII, 942-4), 1928.

Quinet Edgar: De la Fable de Prométhée considérée dans ses rapports avec le christianisme (in Revue des Deux Mondes, XIII, 337-351). Paris, 1838.

Rackham, H.: Notes on Aeschylus, Promethens Vincetus (in Classical Review, XLI, 9), 1927.

Raddatz, G.: De Promethei fabula Hesiodica et de compositione operum. 1911.

Rehm, A.: Promethens Desmotes. München, 1926.

Reinach, Salomon: Aetos Promethens (in Revue archéologique, X,ii, 59 et seq., 1907; reprinted in Margaret Frost's translation of Cults, Myths, and Religions).

Reinhardt, K.: Aischylos als Regisseur und Theologe. Bern, Francke, 1949.

Reinganum, Hermann: Über den die Irren der Io betreffenden Abschnitt der Schrift: Die aeschylische Trilogie Promethens von Welcker (in Jahn's Jahrbücher II, 325-338), 1828.

Reisig, Karl: Emendationes in Aeschyli Prometheum (in Ritachil's Opuscula. I, 378-393, 1860, first published with Stanlii commentariu-). Halmes, 1832.

Reuter, A.: De Promethei Septem Persarum Aeschyli fabularum codicibus recentioribus. Itostock, 1883.]

Réville, Albert: Le Mythe de Prométhée et les études modernes sur l'humanité primitive (in Revue des Deux Mondes. XI., 842-871 15 août). Paris. 1862.

Navarre, O.: De l'Hypothèse d'un mannequin dans le Prométhée d'Eschyle, ca. 1892.

Nestle, W.: Ein passionistischer Zug in Prometheus-sage (in Archiv für Religion-wissenschaft, 378-381). Leipzig, Teubner, 1937.

Niedzballa: De Copia verborum et elocutione Promethei Vincti, Breslau, 1913.

Nöldeke, E. G. C.: Aeschyli Prometheus 49 emendatur. Marburg, 1845.

Oberlick, J.: Zum Prometheus des Aeschylus (in Wochenschrift für klassische Philologie, VII, 16, 445-6), 1890.

Orlando: Il Prometeo di Eschilo e il Prometeo della mitologia greca, saggio sulle origine e la trasformazioni dei miti (in Rivista europea, N.S. XIII, 3, 1st of June), 1879.

Orsini, P.: Observations sur la mise en scène du Prométhée enchaîné (in Mélanges Navarre, 495, 510).

Otto, Guilel.: Quaestiones de Promethei Aeschyleae re scenica. Berlin, 1872.

Overbeck: De Ione telluris non lunae dea. 1872.

Owen, John: The Prometheus Vinctus of Aeschylus (in the Five Great Skeptical Dramas of History, 1-106). London, 1896.

Paldamus, Hermann: Aeschyli Prometheus Vinctus 48-9. Greiswald, 1831.

Peretti, A.: Osservazioni sulla lingua del Prometeo (in Studi italiani di filologia classica, V, 165-231), 1927.

La Cronologia del Prometeo di Eschilo. Ravenna, 1937. Zeus und Prometheus bei Aischylos (in Antike, 1-39), 1944.

Picard, Ch.: Le Péché de Pandore (in Antiquité classique, 39-57). Louvain, 1932.

Pfleiderer, O.: Der Prometheus-Mythos (Vom Fels zum Meer, No. III, 272-6), 1881.

Platt, A.: Aeschylus: Prometheus Vinctus 49, 464 (in Journal of Philology, 333 et seq.), 1919.

Pohlentz: Die Prometheus-gestalt bei den Griechen (in Humanistisches Gymnasium), 1930.

Porson, Richard: Adversaria, 1812.

On Schütz's edition (in New Review, I, ii), 1812.

Tracts, ed. Kidd, 1815.

Mistchenko, Th.: Notes sur divers auteurs: Aeschyli Prometheus 242 (in *Revue de Philologie*, 3ème livre, juillet, 268 et seq.), 1877.

Die Prometheus-Mythus in der Tragödie des Aeschylus: Eine historische literarische Untersuchung (in Russian), 1879.

Moeller, H.: Untersuchungen zum Demostes des Aischylos, Greifswald, 1936.

Moller, E.: Aeschyli Prometheus Vincit 266 (in *Philologus*, 8 Jahrgang, 753-5), 1852.

Muff, C.: Zwei Titanen, Prometheus und Faust. Halle, 1883.

Mullens, H. G.: Hercules Furens and Prometheus Vincit (in *Classical Review*, 165-6). Oxford, 1923.

Prometheus in Cult, Legend, and Tragedy (in *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, XLV), 1928.

Date and Stage Arrangements of the Prometheia (in *Greece and Rome*, VIII, 160-171). Oxford, 1939.

Müller, Alfred Dedo: Prometheus oder Christus, die Krisis in Menschenbild und Kulturrethos des Abendlandes. Leipzig, Mainer, 1948.

Müller, C. F.: Die soenische Darstellung des aeschyleischen Prometheus. Stade, 1871.

Myres, J. L.: The Wanderings of Io in Aeschylus: Prometheus 770-869 (in *Classical Review*, 2-4). Oxford, 1946.

Nauk, A.: Kritische Bemerkungen I: Aeschylus Prometheus 239, 655 et seq. (in *Bulletin de l'Académie Impériale des Sciences de St. Pétersbourg*, II, 317-8, 1860; *Mélanges gréco-romains*, II, 240-1).

Kritische Bemerkungen III: Aeschylus Prometheus 475, 941 (in *Bulletin de l'Académie des Sciences de St. Pétersbourg*, VI, 34-40, 56, 1863; *Mélanges gréco-romains*, II, 435-444 and 467).

Über eine dem Hrn. A. von Hilferding gehörende griechisch. Handschrift enth. Pindar's Olympische Oden und Aeschylus Prometheus und Sieben vor Theben (in *Bulletin de l'Académie des Sciences de St. Pétersbourg*, VI, 296-317, 1063; *Mélanges gréco-romains*, II, 487-518).

Kritische Bemerkungen V: Aeschyli Prometheus 38, 51 (in *Bulletin de l'Académie des Sciences de St. Pétersbourg*, XII, 494-6, 1868; *Mélanges gréco-romains*, III, 26-28).

Kritische Bemerkungen VII: Aeschyli Prometheus 1 et seq., 88-91, 732, 101 et seq. (in *Bulletin de l'Académie des Sciences de St. Pétersbourg*, XXII, 76-83, 1877; *Mélanges gréco-romains*, III, 297-301).

Martin, Thomas Henri: *La Prométhéide* (in *Mémoires de l'Académie d'Inscriptions et Belles-Lettres*, XXVIII 2, 1-74). Paris, 1875.

Marx, Fr.: *Aktaion und Prometheus* (in *Berichte über die Verhandlungen der Kgl. Sächs. Gesellschaft d. Wissenschaften, Philologie, etc.* II, 101-123), 1906.

Matz, W.: *Prometeo encadenado: Ensayo sobre la estructura dramática y el ideario religioso de una tragedia griega*. Madrid, Cruz y Raya, 1936.

Mavromichalis, C.: *Représentation de Prométhée enchaîné au théâtre d'Avenches*. Juin 1946 (in *Suisse contemporaine*, 506-8), 1946.

Mayer, Max: *Die Giganten und Titanen in der antiken Sagen und Kunst*. Berlin, 1887.

Mazon, P.: *Le Mythe des races* (in *Revue des études grecques*, LIV), 1914.

Méautis, Georges: *Le Mythe de Prométhée*. Neuchâtel, 1919.

La Prométhéide (in *Eschyle et la trilogie*). Paris, Grasset, 1936 (fifth edition).

Meineke, Aug.: *Kritische Beiträge: Aeschylus Prometheus 319* (in *Philologus*, 15 Jahrgang, 189), 1860.

Kritische Bemerkungen über Aeschylus, IV: Zum Prometheus Vincetus (in *Philologus*, 19 Jahrgang, 193-246, 400), 1863. *Bemerkungen zu Aeschylus: Prometheus* (in *Philologus*, 20 Jahrgang, 51-75), 1863.

Meister, J.: *Über den Prometheus des Aeschylus*. Troppau, 1853.

Meister, Richard: *Aeschyli Prometheus 39* (Tacit. *Annal.* I, 8, 280-2). Leipzig, 1874 (in *Commentationes philologiae, (tratul. Schr.* zum 25 Jahrgang, acad. Jubil. von G. Curtius, 280). Leipzig, 1874

Ménard, Louis: *La Symbolique du feu* (in *Gazette des Beaux-Arts*, XXXVI, 164-175). Paris, 1875.

Ménard, Louis: *Les Sources grecques du christianisme* (in *Revue bleue*, XXI, 641-9). Paris, 1891.

Mess, A. von: *Der Typhonmythus bei Pindar und Aeschylus* (in *Rheinisches Museum für Philologie*, NF, LVI, ii, 167-172), 1901.

Meyer, P. J.: *Aeschyli Prometheus Vincetus quae in loco agi videntur*. Bonn, 1861.

Milchhoefer, Arthur: *Die Befreiung des Prometheus, ein Fund aus Pergamon*. Berlin, Reimer, 1882.

Lawson, J.C. : Prometheus Vincitus 332-3 (in Proceedings of the Cambridge Philological Society, CLVII-CLIX).

Lawton, W.C. : The Prometheus of Aeschylus (in Atlantic Monthly, 62, 207-222), 1848.

Lelièvre, Albert : Notes de mythologie grecque, I. Le Mythe de Prométhée dans Hésiode (in Annales de la Faculté des Lettres de Bordeaux, 7ème année, série 2, 249-255), 1183.

Lenzi, A. : Il Mito del Prometeo di Eschilo. Spaleto, 1877.

Lincke, A. : Miscellanea : Prometheus 801 (in Philologus, 186-200), 1900.

Lindblom, J. : Job and Prometheus : A Comparative Study (in Mélanges, 280-7), 1939

Linde, A. : Der Ursprung des Fackellauts und die Prometheusage (in Der Wagen, 136-140). Lübeck, 1937.

Lobel, E., E. P. Wegener, and C. H. Roberts : New Fragments from the Prometheus of Aeschylus (in Oxyrhynchus Papyri, XX). London, Egypt Exploration Society, 1952.

Loodts, M. Th. : Etudes des caractères dans le Prométhée d'Eschyle. Louvain, 1949.

Lowinski, Anton : De Emendando loco Prometheus Aeschyleus 40 (in Zeitschrift für das Gymnasialwesen, 83 Bd., 531-535), 1861.

Ludovici, A. N. : Man's Descent from the Gods. Knopf, 1931.

MacRae, D. A. : The Date of the Extant Prometheus (in American Journal of Philology, 405-415, 478 et seq.), 1909.

Madvig, Joh. Nic. : Prometheus 460 : Fragment Prometheus 74, 536 (in Adversaria critica ad scriptores graecos).

Macciotta, I. : L'Autenticità del Prometeo eschileo (in Dioniso, X, 83-101). Siracusa, 1947.

Manning, C. A. : The Prometheus and the Ion (in Classical Weekly, XI, 214-6).

Marbach, Oswald : Chor der Okeaniden beim Felsen des Prometheus nach Aeschylus (in Jahrbuch, 2 Jahrgang, 475 et seq.), 1833.

Marcowitz, W. : De Aeschyli Prometheus. Düsseldorf, 1865.)

Marot, K. : Kronos und die Titanen (in Studia e materiali, viii, 1-33). Bologna, 1932. (Also in Revue de l'histoire des religions, XXV, 108). Paris, 1937.

Konitzer, Th.: *In Fabulae Prometheae in arte litterisque usu*. Königsberg, 1885.

Körte, A.: Das Prometheusproblem (in *Neue Jahrbücher für das klassische Altertum*, 201-213), 1920.

Kraft, F. R.: *In Hominum peccatis quid Aeschylus nos docet?* 1867.

Kramer, H.: *Prometheum Vincitum esse fabulam correctam expos.* 1878.

Kranz, W.: Gott und Mensch in Drama des Aeschylus (in *Zeitschrift für die österreichischen Gymnasien*), 1920.

Kruppe, A. H.: *Prométhée* (in *Revue de l'histoire des religions*, (CIX, 172-181). Paris, Leroux, 1939.

Kraus, A.: Der kaukasische Prometheus (in *Antika*, X, 78-82; XI, 88-91), 1889.

Kretschmer, P.: Die Strafe des Prometheus (in *Wochenschrift für klassische Philologie*, 237 et seq.), 1918.

Krügelstein, E.: *Pauca de consilio Aeschyli in Promethei fabula componenda*. Gotha, 1845.

Kuhl: *Promethei Aeschylea stasimon alterum emendatur, enarratur*. Andernach, 1888.

Kussemahly, F.: *Beobachtungen zum Prometheus des Aeschylus*, 1888.

Evicala, Job.: Zur Texteskritik des Aeschylus: Prometheus 356 et seq. (in *Zeitschrift für die österreichischen Gymnasien*, 10 Jahrgang, 605-6), 1859.

Lampredi, U.: *Osservazioni critiche sul Prometeo* (in *Opere inedite e rare di Vincenzo Monti*, vol. II).

Landberg, C. H.: *Prometheus Vincit 561-940 aethicae redditae atque annotat. instructi*, 1872.

Lang, Lorenz: *Des Aeschylus Prometheus and Goethe's Faust*, 1856.

Langlotz, E.: *Epimetheus* (in *Antike* VI, 1-14), 1930.

Lasaulx, E. von: *Prometheus, die Sage und ihr Sinn*. Würzburg, 1843; Ratisbonne, 1854.

Lattanzi, G. M.: La Questione dell' autenticità del Prometeo legato (in *Il Mondo Classico*, 239-245) Torino, 1934.

Lawrence, J. B.: *The Theology of Prometheus Bound* (in *Bibliotheca Sacra*, 408-420). Oberlin, Ohio.

Kamerbeck, J. C.: Aeschylea: Prometheus 28 (in Mnemosyne. Bibliotheca Classica Batava. XLII, 73-80). Leiden, Brill, 1947.

Kan, J. B.: Epistula critica ad C. G. Cobet: Prometheus 256, 903 (in Mnemosyne IX, 192-200, 340-354), 1881.

Katterfeld: De Prometheo ternione Aeschyli (in Jahn's Jahrbuch Supplement, XIX, 406-436), 1853.

Kausche, W.: Mythologumena Aeschylea. Halle, 1888.

Keck, C. Heinrich: Der theologische Charakter des Zeus in Aeschylos, Prometheus-trilogie. Glückstadt, 1851.

Die neueste Litteratur über Aeschylos Prometheus (in Jahrbücher für klassische Philologie, 81 Bd., 459-477; and Über Aeschylus Prometheus, 478-486), 1860.

Kerényi, Karoly: Prometheus, des griechische Mythologem von der menschlichen Existenz, 1946.

Keseling, P.: Ailchylus, Gefesselter Prometheus in Platons Protagoras und Gorgias (in Philologische Wochenschrift, 1469-1472), 1930.

Kiehl, E. J.: De Prometheo Aeschyli denuo edendo. Brill, 1850.

Kitto, H. D. F.: The Prometheus (in Journal of Hellenistic Studies, 14-20), 1934.

Knight, W. J. F.: Zeus in the Prometheia (in Journal of Hellenistic Studies, 51-4), 1938.

Knütel, A.: Die Sage vom Prometheus und seinen Brüdern nach ihrem Ursprunge und ihrer geschichtlichen Ausbildung (in Jahn's Archiv, 18 Bd., 206-242), 1852.

Küchly, H.: Über Aeschylos: Prometheus. Zürich, 1859.

Kock, Theodor: Emmendationes Aeschyleae: Prometheus 188 et seq., 385, 883 et seq. (in Hermes XX, 288-311), 1885.

Koepp, F.: De Gigantomachiae in poeseos artisque monumentis u. u. 1883.

Kolisch, A.: Der Prometheus des Aeschyles nur zu verstehen aus der Eigentümlichkeit seiner Entstehungsweise. Berlin. 1876.

Über den Prometheus des Aeschylos (in Philologus, XL, 227-241), 1882.

Wer löst die Fesseln des Prometheus? (in Zeitschrift für das Gymnasialwesen, XXXIII, 65 et seq.), ca. 1886.

Herter, H.: Okeanos (in Pauly-Wissowa-Kroll: Real Encyclopädie der klassische Altertumswissenschaft, 2349-2361), 1937.

Herwerden, H. van: Varia: Prometheus 291 et seq. (in Mnemosyne, Nov. Ser. V, 128-192), 1877.

Heydenmann, H.: Zeus in Gigantenkampf (in Hallesches Winkelmannsprogramm). Halle, 1876.

Hignard: Etude sur le mythe d'Io, 1868.

Hirst, E.: Aeschylus: Prometheus 801 (in Classical Review, XVIII), 1922.

Hoehe, E.: Versuch einer Darstellung der Irren der Io, 1835.

Hoffmann, E.: Zu Aeschylus Prometheus (in Jahrbücher für Philologie, N. 121, vol. X, 670-4), 1886.

Hoffmann, Wilhelm: Schedae criticae ad tragicos Graecos: Prometheus 858 et seq. (in Jahrbücher für klassische Philologie, Bd. 85, 589-591), 1862.

Holle, Karl: Die Prometheusage mit besonderer Berücksichtigung ihrer Bearbeitung durch Aeschylus (in Virchow and Others, Sammlung wissenschaftlicher Vorträge, Series XIV), 1879.

Hoppin, J. C.: Argos, Io, and the Prometheus (in Harvard Studies in Classical Philology, 335-345), 1901.

Houllevigne, L.: La Seconde légende de Prométhée. Paris, Le Temps, 9 Avril, 1914.

Housman, A. E.: Scholiast on Aeschylus' Prometheus Vinctus (in Classical Review II, 1, 2, 40 et seq.), 1888.

Huit, Charles: La Prométhée d'Eschyle (in L'Instruction Publique, juillet-août). Paris, 1877.

La Prométhée (in L'Instruction Publique, mai). Paris, 1878. Encore un mot sur le Prométhée (in L'Instruction Publique, 8, 284-286, 300-302). Paris, 1879.

Jahn, O.: Prométhée, 1848.

Jebelev, S.: The Titan Japet (in Russian: Jusik, Liter. V, 19-28).

Jodl, Fr.: Die Prometheusage und ihre ethische bedeutung (in Ethische Kultur, N. V, VII, VIII, 33-5, 42-3, 52-3, 59-60), 1896.

Kühel, Georg: Prometheus 978 et seq. (in Sententiarum liber tertius. III: in Hermes, XIX, 246-263), 1884.

Kaiser, Johannes: Pelus und Thetis. Eine sagenengeschichtliche Untersuchung. München, Beck, 1912.

Hartung: Prometheus (in Griechische Mythologie, I, 216 et seq.).

Haupt, Mor.: Aeschylus Prometheus 51 (in Observationes criticae, 17 et seq.). Leipzig, 1841.

In Scholia Aeschylea: Prometheus 793 (in Hermes IV, 433, 1870; and in Opuscula III, il, 310).

Haverfield: Note on Aeschylus' Prometheus 358 (in Classical Review, 98), 1897.

Hayn: De Herum divinarum apud Aeschylum, ca. 1905.

Headlam, Walter: Aeschylea: Prometheus 118 et seq. (in Journal of Philology, XXX, 290-319).

Prometheus and the Garden of Eden (in Classical Quarterly, 63-71), 1934.

Heidler, Theodor: De Compositione metrica Promethei fabulae Aeschyleae. Breslau, Köhler, 1837.

Heinsorth, F.: Prometheus 420, 543 (in De Interpolationibus commentatio altera. Bonn, 1868.

Prometheus 329, 354, and 295 (in Commentatio critica). Bonn 1866.

Prometheus 18, 66, and 1007; achol. Prometheus 103, 106, 385, 484, 895 (in De Diversa diversorum mendorum emendatione commentatio). Bonn, 1867-8.

Prometheus 849 (in De Interpolationibus commentatio tertia Bonn, 1871.

Prometheus 20, 472, 541, 706, 771, 872 (in Commentatio critica). Bonn, 1871.

Prometheus 36 et seq. (in De Interpolationibus commentatio IV). Bonn, 1872.

Prometheus 425, 706, 849 (in De Madvigii Hauniensis adversariis criticis commentatio altera). Bonn, 1872.

Prometheus 966-970 (in De Interpolationibus commentatio V) Bonn, 1873.

Hermann, G.: Aeschyli Prometheo Soluto, 1828 (Reprinted in Opuscula IV, 253-283), 1831.

De Erroribus Ioni Aeschyleae (in a treatise on the Aeschylean Trilogy), second edition 1838.

De Prometheo Aeschylco. Leipzig, 1854 and in Opuscula VIII 144-158), 1877.

Guarducci, M. : Il Mito di Pandora (in *Studi e materiali*, III, 14-30), 1927.

Leggende dell'antica Grecia relative all' origine dell' umanità e analoghe tradizioni di altri paesi. Roma, Bardi, 1927.

Gulick, C. B. : The Attic Prometheus (in *Harvard Studies in Classical Philology*, 103-114), 1899.

Haeberlin, Carl : Zu Aischylos : Prometheus 546 (in *Philologus*, No. 52, 615), 1894.

Hahn, A. : Die Aufeinanderfolge der Dramen in Aeschylus' Prometheus-trilogie, 1905-6. (Selbstverlag).

Haines, O. R. : Notes on the Parallelism between the Prometheus Vinculus of Aeschylus and the Antigone of Sophocles (in *Classical Review*, 8-10), 1815.

Harman, E. C. : Prometheus Vinculus Represented and Explained, Arnold, 1920.

Harrison, Jane E. : Pandora (in *Journal of Hellenistic Studies*, XIX, 205 et seq.).

Pandora's Box (in *Journal of Hellenistic Studies*, XX, 99-114), 1900.

Prométhée et le culte du pilier (in *Revue archéologique*, nov.-déc., 429-431), 1908.

Harry, Joseph E. : A Misunderstood Passage in Aeschylus, Prometheus 119 (in *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, 64-71), 1901.

The Meaning of Prometheus 435 (in *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, XLV-XLVI), 1905.

Notes on Aeschylus' Prometheus 46 (in *Classical Philology*, No. IV, 469), 1907.

The Meaning of Prometheus 86.

Problems in the Prometheus of Aeschylus (in *University of Cincinnati Studies*, II, vol. III, Jan.-Feb., 1907; in *Philological Review*, 79-80, 1920).

A Proposed Restoration with a New Interpretation of Aeschylus' Prometheus 790-2 (in *Classical Review*, XXIV, vi, 174-8).

Prometheus (in *Greek Tragedy*, vol. I Aeschylus and Sophocles), New York, 1933.

Hartmann, J. J. : Ad Aeschylum Prometheum 354 (in *Miscellanea Numismatica*, XLV, 133 et seq.).

Freyer, Hans: *Prometheus: Ideen zur Philosophie der Kultur*. Jena, Diederichs, 1923.

Fritz, K. von: Pandora, Prometheus, and the Myth of the Ages (in *Review of Religion*, 227-260), 1917.

Fritzsche, Franz Volkmar: Aeschylea de versibus Promethei 20, 19, 52, 112 et seq., 115-119, 215, 315 et seq., 478 et seq. (in *Miscellaneu*, 6-8). Rostock, 1882.

Früreisen, Isaac: *Argumenta zu Aeschylus' Prometheus*. 1897.

Gadamer, H. G.: Prometheus und die Tragödie der Kultur (in *Anales de filologia clasica*, IV, 329-344). Buenos-Aires, 1917-9.

Gardner, Percy: A New Pandora Vase (in *Journal of Hellenistic Studies*, XXI, 1-9), 1901.

Gent, J. M. van: In Aeschylum: Prometheus 311 (in *Mnemosyne* VI, 443), 1857.

Gerhardt: Prometheus (in *Mythologie*, 128).

Gess, O.: Über den Prometheus des Aeschylus (in *Kirchliche Monatsschrift*, I, 287-299). Halle, 1882.

Gietmann, Gerhard: Prometheus (in *Klassische Dichter und Dichtungen*), 1887.

Gilbert: Prometheus (in *Griechische Götterlehre*, 93), 1898.

Girard, P.: Sur un Passage interpolé du Prométhée d'Eschyle, 816-8, 823-843, 845, 875-6 (in *Revue des études grecques*, 149-188), 1899.

Le Mythe de Prométhée dans la poésie hésiodique (in *Revue des études grecques*, 217-230), 1909.

Godet, Frédéric: Le Prométhée d'Eschyle (in *Le Chrétien évangélique*, No. 26, 57-73), 1883.

Gow, A. S. F.: Elpis and Pandora in Hesiod (in *Ridgeway Essays*, 99-109).

Graf, A.: *Prometeo nella poesia*. Torino, 1920.

Gray, H.: On Prometheus, 425. 558. 568, 599 (in *Review of Philology*, 124-7), 192h.

Grazia, D. de: Il Mito e l'arte nel Prometeo di Eschilo, 1900.

Groenboom, P.: De Aeschyli Prometheo (in *Mnemosyne*, LV, 88-100), 1927.

Gruppe, Otto: Prometheus (in *Griech. Kulte und Mythen*, I, 131).

Fairfield, A. R. and D. W. Freshfield: *The Wanderings of Io* (in *Academy*, No. 375, 33 et seq.; No. 377, 68 et seq.; No. 378, 105 et seq.), 1879.

Farnell, L. R.: *The Paradox of the Prometheus Vincetus* (in *Journal of Hellenistic Studies*, 40-50), 1933.

Félix-Faure-Guyau, L.: *Un Pressentiment païen du Calvaire: le Prométhée d'Eschyle* (in *Correspondant*, XV, 3). Paris, 1914.

Feuerbach, A.: *De Prometheo Aeschyli consilio atque indolo*. Brunswick, 1853.

Fischer, F.: *Nereiden und Okeaniden in Hesiods Theogonie*. Halle, Jung, 1934.

Fischer, F. F. C.: *De Deo Aeschyleo*. Amsterdam, 1893.

Flach, Hans: *Zur Prometheusage* (in *Neue Jahrbücher für Klassische Philologie*, No. 123, 817-823), 1881.

—: *Zum Prometheus des Aischylos* (in *Neue Jahrbücher für Klassische Philologie*, No. 129, 827-831), 1884.

Flaxman, John: *Compositions from the Tragedies of Aeschylus* designed by John Flaxman. London, 1831.

Foake, F.: *Aeschylus' Prometheus* (in *Verhandlungen der Versammlung deutscher Philologen*, 48), 1929.

—: *Aeschylus' Prometheus* (in *Hermes: Zeitschrift für klassische Philologie*, LXV, 259-304), 1930.

Forschhammer, P. W.: *Ueber das mythische und geographische Wissen des Aeschylus* (in *Verhandlungen der 20. Versammlung deutscher Philologen und Schulmänner zu Frankfurt*, 1862, 31-41. Leipzig, 1863. (*Die Wanderungen der Io*).

—: *Die Wanderungen der Inachostochter Io, zugleich zum Verständniss des gefesselten Prometheus des Aeschylus erklärt*. Kiel, 1881.

Foss, B.: *De Loco in quo Prometheus apud Aeschyli vincetus sit*. Bonn, 1862.

Fränkel, Jonas: *Wandlungen des Prometheus (Antrittsvorlesung gehalten am 6 november. 1909)*. Bern. Dreesel, 1910.

Franz, E.: *Die Beziehungen der japetischen Mythologie zur griechischen*. Bonn, Rührcheid, 1932.

Frensdorff, E.: *Sur le Prométhée enchaîné d'Eschyle* (in *Etudes sur Eschyle*). Bruxelles, 1845-6.

Frey, Karl: *Aeschylus Studien. I. Prometheus*. Bern. Jent and Reinert, 1879.

Defontenay, Paul: Prométhée (in *Etudes dramatiques*, 187-236), Lezoyen, 1854.

Delf, H.K.H.: Prometheus, Dionysos, Sokrates, Christus (in *Beiträge zur Religionsgeschichte*). Göttingen, 1877.

Devalani, N.: La Figure du tyran dans le Prométhée d'Eschyle (in *Comptes rendus de l'Académie des sciences de Russie*, IV, 70-4), 1929.

Diessel, L.: Die Sintflut und die Flutsagen des Altertums. 1871.

Dollinger: Heidenthum und Judenthum. Regensburg. 1859 (on 10).

Donnoni, P.: Il Significato del Prometeo di Eschilo (in *Ann. Lyc. Cinn. Vitt. Ph.* II, Napoli, 1934-5; *Il Mondo classico*, 286, Torino 1935).

Dressler, M.: Prometheus (in *Preuss. Jahrbücher*, Bd. 96, II, 193-202).

Duncan, Raymond: Les Grands crucifiés: conférence à l'Université Philosophique, le 16 mars, 1919). Paris, 1919.

Düntzer, H.: Über den Prometheus Desmotes des Aeschylus (in *Jahrbücher für klassische Philologie*, No. 143, 737-750), 1892.

Earle, M. L.: Prometheus 129 (in *Classical Review*, 20-22), 1900. *Miscellanea Critica Prometheus 2* (in *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, XXVIII-XXIX), 1902.

Egmont, Gabriel Trarieux d': Prométhée ou le mystère de l'homme. Paris, Adyar, 1947 (3^{ème} édition).

Eitrem, S.: De Prometheo (in *Eranos, Mélanges*, Rudberg, 14-19), 1946.

Elmsley: On Blomfield's edition (in *Edinburgh Review*, Nov., XVII, 211 et seq.) 1810.

On Blomfield's edition (in *Edinburgh Review*, Nov., XIX, 64 et seq.), 1811.

Endert, J. van: Die Prometheussage, in Lichte der Offenbarung betrachtet. Köln, Bachem, 1865.

Engelmann, R.: De Ione commentatio archaeologica. Halle, 1868 (Cf. *Jahrbücher des kaiserlichen d. archäolog. Institut*, XVIII, 37 et seq.).

Errante, V.: Prologo e parodos del Prometeo eschileo (in *Cult.* V, 433-442).

Caesar, Jul.: Reply to Schumann (in *Zeitschrift für das Altertum*, 113-114), 1845.

Zu Aeschylus Prometheus 49, 209, 259 et seq., 313, 386, 493 et seq. 574 (in *Philologus*, 18 Jahrgang, 608-611), 1858.

Der Prometheus des Aeschylus; zur Revision der Frage über seine theologische Bedeutung. Marburg, 1860.

Cammelli, C.: La Figura di Oceano nel Prometeo legato di Eschilo (in *Atene e Roma*, N.S., IG. 31-68), 1928.

Campbell, Lewis: The Intention of Aeschylus in the Prometheus Trilogy (in *Academy*, No. 271, 43 et seq.), 1877.

Carrière, M.: Prometheus (in *Deutsche Museum*, 14 et seq.), 1855.

Case, Janet: On Prometheus Desmotes 980-1 (in *Classical Review*, 99-100), 1904.

Cobet: De Locis quibusdam in Aeschyli Prometheo et scholiis antiquis ad hanc tragoediam (in *Mnemosyne, Bibliotheca Philologica Batava*, XIV, 121 et seq.), 1886.

Coleridge, S. T.: Lecture on the Prometheus of Aeschylus, 1825.

Coman, J.: L'Authenticité du Prométhée enchaîné d'Eschyle. Bucharest, 1943. Titanul Prometheu. Bucharest, 1935.

Conradt, C.: Die Abteilung lyrischer Verse in griechischen Drama und seine Gliederung nach der Verszahl, I Heft: Aeschylus' Prometheus und Perser. Berlin, Weidmann, 1879.

Über die zahlenmässige Grundlage in Pläne des aeschyleischen Prometheus (in *Verhandlungen der 33. Versammlung deutscher Philologen in Gera*, 137-141). Leipzig, 1879.

Cosattini, A.: Nota di Prometeo 886-7 860-1 vulg. (in *Rivista di Filologia*, 336-7), 1906.

Croiset, M.: Le Mythe de Pandore (in *Revue des cours et conférences*, 5 mars, 5 et 20 mai), 1914.

Csengeri, J.: Les Traductions en hongrois du Prométhée depuis 1783 (in *Egyetemes philológiai közlöny*, 601-623), 1901.

Cunerth, J. C. G.: Jupiter Aeschylus. Cörlitz, 1818.

Delincentur Prometheus, Oceanus, etc. 1821.

Darenberg et Saglio: Prométhée (in *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, article by J. Toulain).

Declercq, M.: Origine et évolution du mythe de Prometheus dans l'antiquité grecque. Louvain, 1942-3.

Bellmann, C. F. A.: *Dissertationis de Aeschyli trioniae Prometheus*, particula prior, c. 1830. *De Aeschyli trioniae Prometheus liber duo*, 1839.

Bergk, Theod.: *Lösungen VII. Zur Prometheus-sage* (in *Philologus*, Bd. XXXII, 673-8), 1873.

Bikélas, D.: *Sur une Traduction néo-hellénique du Prométhée et sur la métrique contemporaine* (in *Annuaire de l'association pour l'encouragement des études grecques en France*, IX, 97-105), 1875.

Birt, Th.: *Aeschylus und sein Prometheus, oder die Erziehung Gottes* (in *Humanistisches Gymnasium*, 124-134). Leipzig, Teubner, 1932.

Blomfield: *On Samuel Butler's Edition* (in *Edinburgh Review*, Oct. XV, 152), 1809.

On Samuel Butler's Edition (in *Edinburgh Review*, Jan. XVI, 315-320), 1810.

On Samuel Butler's Edition (in *Edinburgh Review*, Feb. XIX, 477-502), 1812.

On Stanley's Aeschylus (in *Museum Criticum*, III, 250-4), 1812.

Bock, M.: *De Aeschilo poeta orphico et Orpheo pythagorico*. Jena, 1914.

Bogner, H.: *Die Stellung des Zeus in Prometheus Desmotes* (in *Philologus*, 469-470). Leipzig, 1933.

Böklen, E.: *Die Sintflutsage: Versuch einer neuen Erklärung* (in *Archiv für Religionswissenschaft*, VI, ii, 97-150).

Bonnard, A.: *La Révolte de Prométhée et le devenir de la justice* (in *Suisse contemporaine*, 417-422). Lausanne, 1946.

Borgeaud, W.: *Le Déluge, Delphes et les Anthestères* (in *Museum Helveticum*, 205-250). Basel, Schwabe, 1947.

Bosurgi, Dominico: *Il Fato e la libertà umana nel Prometeo legato di Eschilo* (in *Il Fatalismo e il sentimento della libertà morale*, IV). Catania, Giannotta, 1892.

Brunnhofer, Hermann: *Die Geographie von Centralasien in den Irrern der Io in Aeschylus' Prometheus* (in *Des Verf. Einzelbeiträge zur allgemeinen u. vergleichenden Sprachwissenschaft* IX, 124-142). Leipzig, 1890.

Bussler, E.: *Die Reihenfolge der Tragödien in Aeschylus Prometheus* (in *Jahrbücher für klassische Philologie*, No. 147, 276-282). 1893. *Job und Prometheus*, 1897.

BIBLIOGRAPHY OF PROMETHEAN SCHOLARSHIP

Adams, S. M.: *Hesiod's Pandora* (in *Classical Review*, 193-6), 1933.
The Four Elements in the Prometheus Vincetus (in *Classical Philology*, 97-103), Chicago, 1933.

Alenti, B.: *Idee religiosi e morali nei frammenti eschilei* (in *Rendiconti dell' istituto Lombardo*, LXXIV, 616-624). Milano, Noepi, 1940-1.

Alexanderson, A. M.: *Öfversigt af Prometheus-mythen*. Upsala, 1870.

Allen, F. D.: *Prometheus and the Caucasus* (in *American Journal of Philology*, No. 49, 51-61), 1892.

Allen, J. T.: *The Romantic Aeschylus* (in *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, XLIII), 1914.

Aly, W.: *Zu Prometheus* (in *Rheinisches Museum für Philologie*, 44 et seq., 1914; *Berliner philologische Wochenschrift*, 417-423), 1914.

Andrieux: *Le Prométhée enchaîné d'Eschyle* (in *Revue encyclopédique*, mai V, 442-469), 1820.

Anonymous: *Observationes in Aeschyli Prometheus eiusdemque fabulae in germ. translatae specimen*. Salzwedel, 1834.

Anonymous: *L'Irreligiosità del Prometeo di Eschilo* (in *Rivista di antichità*, 81-9), 1923.

Anonymous: *Le Prométhée d'Eschyle* (in *L'Instruction publique*, VII, 754-5, 770). Paris, 1878.

Arbusov: *Prometheus* (in *Russian*) 1856.

Bacon J. R.: *Three Notes on Aeschylus' Prometheus Vincetus* (in *Classical Review*, 115-120), 1928.

Buenteli, M.: *Le Mythe de Prométhée* (in *Revue occidentale*, 19 et seq.). Paris, Crès, 1914.

Bailey, John: *Prometheus* (in *the Continuity of Letters*). Oxford, 1923.

Bapp, K.: *Prometheus, ein beitrage zu griechi-chen Mythologie* (in *Interprogram des Gymnas. zu Oldenburg*), 1896.

Baumann, E. D.: *Der Wahnsinn der Io* (in *Archiv für Geschichte der Medizin*, XXX, 307-314). Leipsig, Barth, 1932.

Bayne, Th.: *The Wanderings of Io* (in *Academy*, No. 373, 566 et seq.).

Brother in relation to Zeus. The Demiurge, however, was originally understood by many to represent Man on two planes of existence: Archetypal Man, the creator of the cosmos, and the earthly Adam, the founder of the human race.

The great mystery of antiquity is that the fertility hero was at once the Arch-Sinner and the Friend of Man and that the story of the creation did not call for universal rejoicing but was the basis of the first tragic pattern. That the Evil Principle was one and the same as the Good Principle cannot be explained unless we re-examine the mythical symbols of the ancients in the light of their fundamental religious beliefs.

minor variations in the cultures of the ancient world. The fertility cycle is the cycle of the creation. Consequently, the Demiurgic functions of Prometheus so insisted upon in all post-Aeschylean literature, vase-paintings, and monuments are inherent in his myth, and not accretions of a later age. It was the progress of monotheism that robbed Prometheus, and the fertility hero in general, of his creative functions and transferred those functions to the Allfather, reducing the role of the Titan in the creation to the Theft of Fire and the animation of an already existing cosmos. Plato is the best example of this deviation. Creative Mind is a late development in the history of ideas; to the ancients the formula was Creative Love.

To the ancients the creative Demiurge was always the True Son of Apsu or primordial waters; he was always described as a "sinner", and always portrayed as a mutilated hero, whose sufferings called for universal compassion (*Ezekiel*, 8,14). The Eagle devouring him was the zoomorphic symbol of the female principle of generation, or the female Demiurge, whom he himself impregnates, though occasionally it appears as the symbol of the male principle of generation itself. Astronomically the seat of the female Demiurge was Sirius whose cycle was connected with the descent of maximum heat and with the Flood. The seat of the female Demiurge was sometimes Venus and sometimes the Moon.

In pre-Hellenic civilizations, highly advanced in monotheism, the Idea was enthroned before Matter. It was, therefore, possible for the Demiurge to be the True Son or the Younger Brother of the Allfather, symbolizing the inferior phallic nature of the Allfather himself. In the more dialectical religion of the Greeks, the emergence of Zeus from brute irrational Matter is a late development. By insisting on the anteriority of the Titans to the Olympians, the sinning Demiurge, while still remaining in name the Son of Iapetus, a reminder of his origin, Greek theogony did not permit him to occupy the place of the Son or the Younger

another source, the cycle of the Bright Yima is another offshoot of the cycle of the sinning god⁽¹⁾. Yima's epithet is the Friend of Man, and he is the founder of civilization (agriculture, metalurgy, medicine, etc.). The cycle of Mithra, also called the Friend of Man, is another but more archaic variant on the same theme.

CONCLUSION

The foregoing observations are not intended to constitute a study in etymology. They are merely notes in comparative mythology. They show that the basic facts in the myth of the Titan Prometheus, or the Son of Iapetus, are contained in the archetypal pattern of the fertility cycle which repeated itself with

= "The fair Yima, the good shepherd of high renown in the Airyana Vaego, by the good river Daitya, called together a meeting of the excellent mortals." *Vendidad*, Fargard II, *Zend Avesta*, Part I, *Sacred Books of the East*, vol. IV, pp. 10-21, Darmesteter. The issue of these meetings is the Flood episode and the mutilation of Yima. Punishment by sawing suggests that Yima passed through the tree phase and is reminiscent of Hesiod's ambiguous account of the torture of Prometheus, which some give as a shaft driven into him, while others give as the Titan being driven into a pillar. The Vedic Yama is called the First Man, the Avestan, the First King; both are manifestations of the Demiurge.

(1) The fair Yiman seems to be a manifestation of the (Semitic?) Sohayl Yaman, probably the basis of the suffering sinner Salomoneus chained in Hades with Tityos, Sisyphus, etc. (*Aeneid* VI), himself a form of the Hebrew Seihor, i.e. Sirius, the Biblical name for the Nile and the star of the Nile (vide *l'encyclopédie française*, article: Sirius). His persistent appellation in Arabic literature as Ashar betrays his Asar (Osiris), and therefore Sirius, origin. An extant Arabic form of Sohayl is Sohuyr. This identifies Seihor-Sohayr-Sohayl, whose epithet is Yima or Yima or Yaman, as one with the Arabic Shi'ra, or frankly Sirius (also cf. *Kings* I, 11, 5). In another system he is identified with Canopus or Canopus, the central star of Navis Argo (vide Lane's *Lexicon*, article: Sohayl). But the two dogs of Yama and the traditional derivation of Canopus itself from the Phoenician Hanobach, the Dog, suggest that Canis Major was the origin of the Demiurge. As for Yima or Yiman or Yama if he is a variant on the (Semitic?) Yam, meaning Water, Sea, probably Okeanos, this establishes the descent of the Demiurge Sohayl-Sohayr-Seihor, ultimately Sirius, from Apsu. It is not impossible that a cult of Asar-Ammon was the basis of this concordance.

hordes. When the Iranians came into conflict with the neo-Babylonians, about the time of the composition of the *Gathas*, the Serpent Izi, like Dumuzi, had for millenniums been the national fertility hero of Babylonia, and his latest manifestation was the Biblical fiend Nimrod.

The ambivalence in the character of the fertility hero is preserved, however, in the Avestan cycle of Yima or Yiman, the Vedic Yama, later known as Jemschid the (Bright Yima). We can see that the cycle of Yima was a variant on the archetypal fertility cycle because it follows closely the essential pattern in all its details. Yima was the Demiurge who defied Ahura Mazda, increased generation in the world and stretched the fertile cosmos by "three thirds". In his wrath, Ahura Mazda called a meeting of the gods in which it was decided that the creation should perish by the Flood. Thereupon, Yima ordered a great ark to be constructed, called the Vana, wherein all the elements of life were preserved; and when the Flood came, which was a Flood of snow, the human race was saved. Yima was punished for his pride, self-deification, and revolt against the will of Ahura Mazda. He was sawn into two by the fiend Azi himself at the order of Ahura Mazda. His symbols of fertility were the Sword and the Ring, and his peculiar form of mutilation seems to have been known in other ethnic centres⁽¹⁾. Though coming from

(1) "13. Then I (i.e. Ahura Mazda) warned the fair Yima, saying: 'O fair Yima, son of Vivanghat, the earth has become full of flocks and herds, of men and dogs and birds and of red blazing fires, and there is no more room for flocks, herds and men'.

"14. Then Yima stepped forward, towards the luminous space, southward to meet the sun (cf. the heliac rise of Sirius to meet the sun and the ascension of Prometheus towards the sun), and afterwards he pressed the earth with the golden ring, and bored it with the poniard -speaking thus:

"O Spenta Aramaiti (the earthgoddess), kindly open asunder and stretch thyself afar, to bear flocks and herds and men'.

"21 (42). The Maker, Ahura Mazda, of high renown in the Airyana Vaego, by the good river Daitya, called together a meeting of the celestial gods.

Professor Louis Gray has already suggested that the cycle of Azi is at the basis of the Promethean cycle, but did not explore this possibility any further⁽¹⁾. It will be noted, however, that in every case the fiend is an offshoot of the Babylonian Izi or Itsi, centre of the Izdubar legend of the Flood, whose seat was Sirius. In the story of Harut and Marut we are told that the names of the two fallen angels in Babylonia were Azabiah and Azabeel, which brings us nearer in the story of the creation to the root of the fertility principle in the ancient world, Azi or Izi, the basis of the more famous suffering deities Asar (Osiris) and Dumuzi (Thammuz)⁽²⁾. He is the Son; he is the Serpent; he is the symbol of the male principle of generation. The root is equally the fundamental element in the female principle of generation: Ast (Isis), Istar, Ishtar, Astarte, Ashtaroth. She is the Sister of the sinning god, and one of her zoomorphic symbols is the Snake (cf. the Semitic Hawwa = Eve, Hayya = Snake, Hayaah = Life).

Thus, at one stage of his career, the Demiurge and Thief of Fire, whose tragedy was originally the subject of universal compassion, became in Iran a thoroughly evil entity. In the strict dualism of the Zoroastrian system the episode of the Thief of Fire became distinct from that of the Fire-giver. The Theft of Fire was interpreted as an encroachment of Darkness, symbolized by the Serpent, on the empire of Light, and was therefore identified with the activities of the Evil One. The benevolence of the Evil Principle was lost partly because the sharp Zoroastrian dualism allowed no room for such a synthetic concept of a divinity who is mixture of Good and Evil, and partly because the Serpent became so involved in the politics of the Iranian

⁽¹⁾ *Foundations of Iranian Religion*.

⁽²⁾ Cf. *The Book of Enoch*, VI. 7, where the two fallen angels are Samyaza and Azazel or Azazel as in LXIX, 2; cf. *Genesis*, VI. 4 and 5; in the Talmud they are Ouzas (*alias* Schembezaï and Azazel as in *Talmud Babli*, "Nidah", 61' and "Yoma", 67'. The name of the temptress in Rabbinic literature is Istehar, the Istar of *Gilgamesh*.

In Iranian sacred literature there is another parallel cycle, stemming from the same common root, which developed independently. It is the story of the mountain-chained Thief of Fire, the Serpent Azi. It has its Vedic antecedents in the story of the Serpent Ahi, and the name of the Serpent yields other variants such as Aji and Ashi in Pahlavi literature⁽¹⁾. The cycles of Haarvatat and Amervatat and of Meshya and Meshyana, though essentially fertility cycles, preserve no trace of binding or mutilation. In Iran, the binding was reserved for the Thief of Fire who is not a sinning hero in the Greek sense, but a dark and fire-like entity, called the emissary of Ahriman to ravage the world of man. Azi stole the fire of the clouds from the god of Lightning, Atar (the Vedic Indra), to stop the rain and to starve the "Aryan nations". Thus he is not a fire-giver but a fire-extinguisher. Another standing description of him is that he stole "the light which cannot be forcibly seized", the light of the Aryan nations. He was, therefore, identified with the political enemies of Iran, one after the other, particularly with the Turanians and with the neo-Babylonians. He is overthrown and bound in chains by the legendary national hero either on Mount Damavand, the loftiest peak of Mount Berezaiti, now Al Burz or the Caspian Caucasus, or in Bawri, i.e. Babylon, and usually in a cave. In either case, there is the character of the Iranian Herakles, called Kherasaspa, who sleeps on the slopes of the mountain until the end of time, when he shall rise, not to liberate the chained fiend, but to smite him to death and thus free the world finally from disease, old age, and death, restoring the eternal spring of the Golden Age.

(1) In Firdausy's epopee, the *Shahnamah*, Azi appears as Zohak and in Arabic literature as Al Asdihaq or as El Dabhak. In many Iranian sacred texts Azi acquired the epithet Dahaka, probably a regional name, which explains the later corruption of Azi Dahaka into the other distant variants.

them is redundant. But this assumption is unfounded, since the real reason for this transposition is that both Haurvatat and Amervatat, like Prometheus and Epimetheus, are two aspects of the Demiurge, one on a cosmic, the other on a human, scale. Hence the frequent confusion of their functions which was common even in Greece. As for the birth of the Demiurge, the same principle operated everywhere. In Greece out of the blood dripping from Uranus' removed genitalia sprang the Titans, one of whom created the human race. In Egypt it was the spittle of Ra and in Vedic literature it was the seed of Prajapati.

The object of all this grand preparation is the appearance of that be-all and end-all of the creation: Man. Meshya, scholars of Indo-European languages tell us, simply means Man. He is the basis of the Teutonic "Mensch" and its derivatives. His counterpart in Hebrew is Meshyah or Messiah who, in Manichaean literature, is described as the Man of Light created by God to combat Satan but was defeated in the first round. Meshya is Man Anthropos, Primal Man, Al Insan ul Qadeem of the Gnostic-Manichaean school. The Avestan Meshya never appears in Iranian sacred literature as a proper name, but always as a common, generic noun, signifying Man. In such a system, Prometheus is Archetypal Man while Epimetheus is the Earthly Adam. Prometheus is Pro-Meshya and Epimetheus is Epi-Meshya. They are two aspects, if not etymologically, at least functionally of Dumuzi, the True Son of Apsu. The Avestan Meshya was the first to produce fire with the fire-stick⁽¹⁾.

(1) Another inventor of fire in the sacred literature of Iran is Hoshiyang the Paradhata, but he produced fire with flint and not with the fire-stick. Again Hoshiyang had to cope with a Serpent in order to produce fire, for it was by throwing a stone at the Serpent that the stone struck against another stone and produced the first spark. Herzfeld classifies Hoshiyang the Paradhata as a Scythian fertility hero (cf. Herodotus' Protothyes) and calls him a foreigner in Iran. As a Paradhata he is equally the Son of Athwya or of Aptya or the Son of Water, the legendary ancestor of the Iranians, another Son of Apsu or Son of Taptans.

Prometheus as lord of the netherworld is no exception ⁽¹⁾. With Amervatat is associated the Tree of Gaokerena ⁽²⁾, a tree whose fruit gave immortality and drove away old age, which places him in the position of Adam. As water divinities, both Haurvatat and Amervatat are descendants of Apsu, or of the House of Athwya, as the Avesta would call it. This links them up with the other sinning gods, the suffering fertility heroes of the ancient world.

By transposing all the available motifs in the cycle of Harut and Marut and in that of Khordad and Mordad we are thus able to form an idea of the substance of the lost Avestan story of Haurvatat and Amervatat and to see the bearings of all three on the myth of Prometheus and Epimetheus. Arabic sources concentrate on the fall through the temptress Venus, and therefore show more interest in the cycle of Epimetheus and Pandora. Parsee sources emphasize the role of the Deniurge in the creation as well as in the communication of fire to man. Hence they deal more with the cycle of Prometheus.

This enables us to see that the story of Haurvatat and Amervatat is not really lost. We still have it in Avestan literature in the story of Gayo Mart or Maratan or simply Marut. In other words, while Parsee sources show Haurvatat-Khordad-Harut as the Deniurge and the creator of the first pair Meshya and Meshyana, Avestan literature attributes this role to Amervatat-Mordad-Marut. The Iranian story of the creation corresponds closely to the well-known pattern common to all the extinct cultures of the past. The sweat of Ahura Mazda falls down on earth and out of it is born Maratan, the titanic Deniurge. The seed of Marutan falls down on earth and out of it are born Meshya and Meshyana, the Iranian Adam and Eve. Darmesteter concludes that "Le mythe de Gayomart et celui de Meshya, primitivement parallèles, ont été subordonnés l'un à l'autre" ⁽³⁾. The assumption is that one of

⁽¹⁾ Plato, *Corgias*, Loeb, vol. V. pp. 519 et seq.

⁽²⁾ *Bundahish*, 19, 19: 42, 14; 59, 5.

⁽³⁾ *Ormazd et Ahrmann*, p. 29, Paris, Vieweg-Franck, 1877.

call them Khordad and Mordad, give them a Promethean etymology. They connect Khordad with fire and explain him as the Lightgiver (Khor-dad) ⁽¹⁾. They have a special kind of fire which they call Ader Khordad as in the *Zerdusht Namah*, a special festival which they call the Day of Khordad or the Day of Illumination on which Zarathustra embraced the faith. But above all it was the day of the creation of the cosmos as well as the day of the creation of the first pair, Meshya and Meshyana, the Iranian Adam and Eve. This association of Haurvatat-Khordad-Harut with the story of the creation reveals the sin of this Titan or fallen angel: it is the sin of the Demiurge. His association with the descent of fire and light establishes his identity as the Firebringer. It is not a coincidence that Firdausy writes in the *Shāhnamah* that "the faith in hearts was lit from the sun" ⁽²⁾. As for Amervatat-Mordad-Marut, Darmesteter's commonly accepted etymology is: *amervata* = *a-mereta-tat* = non-mortuus, *i.e.* immortality. Thus, if Khordad is the giver of Light, Mordad is the giver of Immortality. The former corresponds to Lucifer (*lux-ferrere* = light bringer), the latter to Adam. As Darmesteter puts it: "L'étymologie populaire ne pouvait voir que *du mort* dans Mordad, comme elle n'avait vu que *du feu* dans Khordad" ⁽³⁾. Still better is Qazweeny's: "Amurdad est Azrael qui motiones sedat et animas a corporibus separat. Eum enim animas corporibus solvere credunt Persarum magi". The othonic functions of every fertility hero has already been noted, and

(1) Hyde, *Religio Persarum*, 2nd ed., p. 243; cf. Anquetil, *Zend-Avesta*, II, p. 24, note 1; cf. Persian Dictionaries of Johnson and Peninsky.

(2) Edition Maecan, 1933, 3.

(3) *Haurvatat et Amervatat*, infra p. 61; cf. D'Herbelot, *Bibliothèque orientale*; Anquetil, *Zend-Avesta*, II, 174. Darmesteter accepts the popular Hordad as Immortality but rejects the popular Khordad as light. Instead, he gives Health and Immortality: Health = (Zend) *haurva*, (Sanskrit) *Salva*, (Latin) *Salvus* yielding *servus*; cf. Meillet, *Trois conférences sur les Gathas*, p. 67, Paris Geuthner, 1923; Sahl-Blom, *Manuel de l'histoire des religions*, p. 372, Paris, Leroux 1925.

the Cup of the Holy Grail. Vases, caskets, and coffers abound in mythology and folklore. They all stand for the Virgin of the World who is herself the incarnation of the gnos̄is as Plutarch tells us in *De Iside et Osiride* (352, a, b).

It is noteworthy that the accounts of Arab scholiasts are merely intended to be footnotes to the Qoran which briefly states that Harut and Marut were two (fallen) ministers of God (chained) in Babylon for teaching magic to men and for separating husbands from their wives. We know from Propertius that from the passionflower of Prometheus a magic potion was extracted for the "sundering of lovers" (1). The motifs of the Cave and of the Dog occur at the end of the story of Harut and Marut, yet they are not worked out to anything effective. But, above all, their story acquires added significance when, at the end, we see them jubilant in their chains: on hearing of the appearance of the Prophet Mohammed, they are assured that their days of suffering are over. In this tradition Mohammed is the Deliverer who fulfils the office of Herakles and the unbinding of Harut and Marut corresponds to the unbinding of Prometheus.

German scholarship has identified the Harut and Marut of Arabic literature with Haurvatat and Amardvatat of Iranian literature (2), but Darmesteter thinks differently (3). We have already seen how the theme and sequence of their story are identical with those of the story of Prometheus and Epimetheus. The Arabic Mared = Titan or Giant, and Yatamarrad = to Rebel or Mutiny, are direct derivatives from Marut. Nimrod belongs to the same cycle, and Babylonian archaeology tells us that his seat was Sirius. The Pursees, who have the same pair and

¹ *Élegies*, Bk. I, xii, 5-10 (Loeb, p. 33).

(2) *Zeitschrift der Deutschen morgenländischen Gesellschaft*, IV, 368: cf. Adolphe Lods, "La chute des anges", paper read before the Congrès d'Histoire du Christianisme, tome I, pp. 29-54, Paris 1928; Sidersky in his *Origines des légendes musulmanes*, Paris, Gentner, 1933, pp. 22-5, is also alive to this connexion.

(3) *Haurvatat et Amardvatat*, Vieweg-Franck, Paris, 1875.

It is obvious that the Prometheus-Epimetheus pattern is repeated in the story of Harut and Marut, though the setting and the values are strictly monotheistic. The complaint of the angels of the misdeeds of men preserves the wrath of the Olympians against the human race, though the Almighty of monotheism is more compassionate than the Allfather of polytheism, and therefore does not work to blast mankind. The particular relish with which lady Venus and her ravishing raiments are described preserve the Hesiodic account of Pandora and her sumptuous dress woven by Athene. In fact the *dédoublment* of Venus and her Maid echoes a tradition in which sometimes Athene and sometimes Aphrodite is associated with Pandora (in Hesiod both). The binding in Babylon preserves the binding on Caucasus, and the unceasing torture is the same, though the methods are different. In fact, the raising of the temptress to occupy her place in the starry heavens intimates that she originally descended from the abode of the gods and that, like Pandora, she was commissioned by the Almighty to waylay Harut and Marut. The Cup of Venus is a variant on the pithos of Pandora, preserving the very ancient Methe element in the cycle. The *dédoublment* of the temptress as Venus and her Maid is probably a device to cope with the *dédoublment* in Harut and Marut. Even Hermes continues to play the part of the Messenger more than a thousand years after Aeschylus.

The Theft of Fire, as we have seen before, at one stage passed from a purely physical fertility symbol to a more abstract symbol of creativity, and came to mean the theft of the gnosis, *i.e.* superior wisdom and forbidden revelation. This passage is akin to the passage from the Tree of Life to the Tree of Knowledge. Similarly, the Cup, which once stood for the female principle of generation, came in the advanced symbolism of the Gnostics to mean initiation into the gnosis. The Cup, the Pithos, and the Coffer, were interchangeable, and to the same order of symbolism belonged the Cup of Venus, the Cup of Apollo in which Herakles crossed the Ocean to deliver Prometheus, the Cup of Jemschid,

Avesta, but the Yasht telling their story is lost. Apart from the fragmentary liturgical incantations which vaguely reveal that they are water divinities, nothing useful could be gathered about them. Variants on their names are Haurot and Maurot⁽¹⁾. It is, however, through Arabic mythographers and through Parsee religious literature that we are able to reconstruct their story.

In Arabic religious literature the following story is told about two fallen angels named Harut and Marut: Harut and Marut were formerly two members of the celestial host who surpassed all other angels in piety. When the angels complained to the Almighty of the misconduct of mankind, He defended it by saying that the imperfections of the human race are all due to its composition out of base clay, and that the angels themselves would do no better if they were made of the same stuff. At this, the angels protested their infinite loyalty to God. To put them to the test, the Almighty chose the best two among them, Harut and Marut, clothed them in flesh, and sent them down on earth to rule mankind. Once on earth, Harut and Marut resisted temptation for a short while, but finally succumbed when they saw a lady named Venus, the cunningest pattern of excelling nature, with her Maid whose splendour shines afar. To seduce them, Venus came bearing a Cup of Wine, of which they tasted and through which they fell. Their cardinal sin was idolatry. Thus their power to ascend to the empyreum deserted them. Thereupon, the Almighty sent Idris (the Hermes of Arabic literature) to them, with the choice between punishment on earth until the end of time and punishment everlasting in hell. They chose the former, being the shorter, and were subsequently chained to two mountains in Babylon and incessantly whipped with iron rods. As for Venus, she was raised by the Almighty to occupy the place assigned to her among the stars⁽²⁾.

(1) Georges Dumézil: "Les Fleurs Haurot-Maurot et les anges Haurvatat-Amervatat", *Revue des études arméniennes* 1926, VI, pp. 42-70.

(2) Al Kisa'iy. *Tales of the Prophets*: Al Thalaby, *Tales of the Prophets*.

Ionians, and in this manner the founder of the human race too (1). She was the object of contest between Zeus and Prometheus, or rather between the superior and the inferior natures of the Allfather himself. The story of the creation, before it was that of the Fall of Prometheus, was that of the Fall of Zeus through Prometheus and his own self-binding and self-mutilation. The suicide motif, as Diodorus has shown, is latent in the myth of Prometheus.

4

There still remain several motifs in the myth of Prometheus which cannot be obtained from the sacred literature of Egypt or Babylonia. They are supplied by the sacred literature of Iran. Here we are drawing nearer to the Greek myth, not only chronologically but also linguistically. The impact of the Persian wars in which Aeschylus and his generation were actively involved had a noticeable influence on the development of the myth of Prometheus. Yet there are indications that the cultural transference from Iran into Greece began as early as the ninth century B.C., sometime between Homer and Hesiod.

The Avesta and its Pahlavi derivatives are probably the richest known documents dealing with the story of the chained Titan. The names of two closely related divinities, always mentioned together, Haurvatat and Amarvatat, occur in the

(1) In one tradition Poseidon, not Oceanus played the part of Apau, the Greek Iapetus: he engendered a monster (*cf.* Prometheus as the Serpent), to whom Hesione, daughter of Laomedon, King of Troy, was to be sacrificed by her father, in order to avert the ravages inflicted on his land by the monster (*cf.* Io, daughter of Inachus, King of Argos, being driven away by her own father from Argos as a sacrifice, so that the curse on his land may be lifted and the Argives may have the seed of fire; Io was then metamorphosed into a heifer pursued by the myriad-eyed Argos, the monster of Zeus). This shows the identity of Hesione and Io. Laomedon himself was involved in a cheating episode, for it is said that he employed Poseidon and Apollo to build him a wall then swindled them out of their wage, which caused Poseidon to send his sea-beast against his land.

When Io is told by Prometheus that she is to be, after the fourteenth generation, the mother of the "son mightier than his sire", who is to deliver the Titan from his chains and might even depose Zeus if the Titan does not come to Zeus' help, we immediately realize that Io is the same as the Nereid Thetis, and that the "son mightier than his sire" is Herakles himself. The persons of the Promethean drama are all members of the same family.

Thus the Babylonian fertility cycle helps us to learn a few more facts about the origins of Prometheus. It establishes his relations to the Flood hero and clears up his obscure descentance from Iapetus and his family ties with the Oceanides. They are all the issue of Apsu, which explains why the Oceanides are all Nertida or fresh-water nymphs. It traces back to its sources his function as Creator of Men. This function, though not discussed in Hesiod and Aeschylus, nevertheless asserts itself in the accounts of classical and post-classical mythographers so strongly that we cannot in any way leave it out of the picture.

A closer scrutiny of *Prometheus Bound* will reveal that Prometheus was a Creator of Men even in Aeschylus, through his wife Hesione. For the Chorus of Oceanides says: "and this strain that now cometh to mine ears is the opposite to that wedding song I sang around thy bath and thy couch in pleasure at the nuptials, when, having won Hesione with wedding-gifts, thou didst take to thyself her, my sister, as thy wedded wife". The wedding-gifts the Oceanides are referring to are no doubt a euphemism for the gift of all gifts, the Gift of Fire, which is the force of generation. If so, it is possible to reconstruct the main lines of the lost *Prometheus Firebringer*. With the fire he stole from the gods, the male Demiurge (Prometheus) animated or impregnated the female Demiurge (Hesione) to engender the human race. For this he was bound. Hesione herself, pursued by the lust of Zeus, becomes the Virgin Cow, Io, mother of the

This supplies many features in the myth of Prometheus, features that are missing in the story of Osiris. It was in Babylonia, where the indomitable waters of the Tigris and the Euphrates continued to ravage the land, that the legend of the destruction of mankind by the Flood flourished most. It was from Zionsouddu via the Medic Diocides that Deukalion arose.

The Son of Iapetus also took his name from the Son of Apsu. The importance of this can only be realized if we bear in mind that Apsu is the Greek Oceanus, father of the Oceanides. This makes the Son of Iapetus actually the Son of Oceanus and therefore brother to the Oceanides, including his wife Hesione, the female Demiurge. It is precisely the relation of Osiris to Isis and of Thammuz to Ishtar or Astarte.

In Aeschylus, who knew his symbols well, all the dramatic personne of the Promethean tragedy are members of the same household. Hephaestus, a fire-divinity, is another phase of the Demiurge himself. He claims kinship in plain words addressed to Kratos and Bia. The question: "why Oceanus?" becomes answerable. Oceanus, being Apsu, is Iapetus, the father of Prometheus and of the Oceanides, his compassionate sisters, of whom Io is one, for Io is the same as Hesione. When Prometheus tells Io that she is the daughter of Inachus, he means of Oceanus. When the Oceanides bewail the fate of their hapless sister Hesione, Io immediately makes an appearance. The words of the Chorus are the stage-direction announcing the coming of Hesione herself, an indispensable stage-convention practiced from the earliest times until the present day, for lack of a better means, to introduce the persons of the drama, not to each other, but to the public⁽¹⁾.

(1) The same technique is adopted by Aeschylus throughout: Hephaestus, Bia, and Kratos, call each other by name; the coming of the Oceanides is announced by Prometheus (*P.B.*, 113-126) who introduces them to the public (*P.B.*, 136-144); Oceanus introduces himself (*P.B.*, 298-9), but the arrival of Hermes is announced by Prometheus (*P.B.*, 941-3).

After the god Ea had created humanity⁽¹⁾
And imposed on it the cult of the gods.

He is a seer ; he is a god of magic ; but above all he is the saviour of the human race from destruction by the Flood. Like the "crafty" son of Iapetus, Ea's standing epithet is the "Intelligent" or the "Understanding", an epithet coupled with his name even since the days of Sumeria. In the different epics of the Flood, from the *Isdubar Legend* ⁽²⁾ to *Gilgamesh* ⁽³⁾, Ea betrays the confidence of the gods and divulges to the Flood hero the design of the gods to obliterate the human race, ordering him to build an ark wherein to collect all the seeds of life. The name of the Flood hero may have been Zioudsouddu (Zisouddou) or Khasisatra or Utanapishtim or Xsouthros, according to the passage from Aryan to Semitic dynasties and vice versa, but his relation to Ea is always the relation of Deukalion to Prometheus. The name of Ea himself may have changed from empire to empire, yet he is always the Creator of Men and the Founder of Civilization. Above all he is a water divinity or rather the Son of Water. For in the pantheon of Mesopotamia the son always replaced the father in position as well as in functions. He is always the son of "Ap", the Sanskrit for Water. He is always a variant on Thammuz or the True Son of Apsu. Herzfeld's identifications show that the Iranian Son of Athwya belongs to the same cycle, being the Son of Aptya or simply the Son of Water. Ea is also identified with Oannes the fish-god of whom Herodotus tells us on the authority of Apollodorus, that he was the first to teach the Chaldeans the arts and the sciences, particularly the art of writing. As a water divinity his representation is the fish-man. Ea is a stage of the Son of Apsu or the Son of Water, and, therefore, a stage of the suffering sinner, Thammuz, the Babylonian Osiris.

(1) *Enuma Elish*, Sixth Tablet, Dhorme *Religions de Babylonie et d'Assyrie*, pp. 31 et seq.

(2) *Assyrian Discoveries* by George Smith.

(3) Fr. Dhorme.

with Erichthonius⁽¹⁾, Thetis with Achilles⁽²⁾, Isis with the child of the Queen of Byblos⁽³⁾. Herakles, too, cremated himself to become immortal. But the complete shift from the primitive association of fire with the fertility functions on a physical plane to the advanced interpretation of fire as the symbol of the creative functions on a spiritual plane only began with Plato and his derivatives.

3

The Egyptian elements in the myth of Prometheus form only the substratum. Much of the scaffolding seems to have come from other ethnic centres, especially from Mesopotamia.

The Babylonian Demiurge, Thanmuz, is in most respects the counterpart of the Egyptian Demiurge, Osiris. His name is Dumuzi-Apsu or the True Son of Apsu, which brings us nearer to the Hesiodic *cliché*: "the Son of Iapetus". Apsu is the Greek Okeanus, the primordial subterranean fresh waters that encircle the earth. In the many shifting dynasties of Sumeria, Akkadia, Babylonia, Assyria, and Chaldea, partly Aryan or Scytho-Medic and partly Semitic, Apsu often changed his name. He was supplanted by Ea or the "House of Water" whose other name was Enki, or the "Master of the Earth". This Enki-Ea was a culture divinity, patron of the artisans, especially the potters, and founder of civilization. He was the Demiurge whose epithet in the *Enuma Elish*, the Assyrian Poem of the Creation, is the "Creator of Men". Even when he was replaced in Babylon by his son Marduk, Ea continued to play the part of the Demiurge. When Marduk wanted to create his first man, Lullu, he appealed to his father for aid, and it was Ea who kneaded the clay with the blood of the immolated Kingu, enemy of the sons of primordial chaos:

With his blood he created humanity,
Imposed on it the cult of the gods and liberated the gods.

¹ Hom. *vic. Hygm to Demeter*, 231-262.

Apol. *min* : Athodius, IV, 865 et seq.; Apollodorus, III, 13.

Prosech. *De Iside et Osiride*, 16.

creative functions could not have arisen unless they were latent in the myth of Hermes. Two concepts split the world during the Messianic Age, from Plato to the official triumph of Christianity, namely those of Prometheus Demiurge and of Hermes Demiurge. To the former adhered the worshippers of the archetypal Osiris and his fertility compeers; they were the potters, the peasants, and the slaves of the ancient world to whom the act of creation always brought mutilation in its trail, and represented a form of Fall from the passive innocence and the inert bliss of the Golden Age. To the latter adhered the masters in general, who rallied around Gnosticism in every form it took, for to them the gnosis and every mode of creative activity were means of salvation. Their Demiurge was not a suffering sinner but the blessed Logos, the "Mind of my Mind and Soul of my Soul" as the Allfather puts it.

In both cases the Demiurge was one of the two natures of Tehuti, the good Thoth or the evil O-iris, and his seat was invariably Sirius or Canis Major. The Greeks called the good Thoth Hermes because their astronomical symbols were different from those of the Egyptians. They identified functions and not astral bodies. The canicular origin of Hermes, definitely established in Plato⁽¹⁾, is at least as old as Hesiod and the Homeric Hymns.

Long before Aeschylus the Theft of Fire had come to mean the theft of the gnosis, by which mortals were raised to divine status. It is implied in the stories of the burning of infants by benevolent deities to confer on them immortality, as did Demeter

(1) "At the Egyptian city of Naucratis, there was a famous old god, whose name was Thouth; the bird which is called the Ibis is sacred to him and he was the inventor of many arts, such as arithmetic and calculation and geometry and astronomy and draughts and dice, but his great discovery was the use of letters". *Phaedrus* 274 c, 275 c: (cf. *Phaedrus* 18 b; this Thouth was rebuked for his inventions by Ammon, head of the gods).

he stole to man, Hermes hid the kine in a manger by the river Alph, beyond the reach of man. But it is precisely because Prometheus and Hermes did opposite things that they must be understood to belong to the same cycle. It is the cycle of the Demiurge in which Hermes represents the superior Logos of Zeus, while Prometheus represents his inferior generative nature.

(d) *The Canicular Origin*: There is nothing in Greek mythology to explain why Hesiod's Hermes gave Pandora a "dog's mind and the heart of a thief", and the explanation might lie in Hermes' own canine origin. The dog, a rare animal in Greek mythology, is repeatedly associated with the son of Maia (another Virgin cow), in the Homeric *Hymn to Hermes*: "On his long-wandering, neither Man nor God had met him; since he killed Apollo's kine, Nor house-dog barked at him on his road". Again, Apollo exclaims: "And what is strange, the author of this theft hath stolen the fattened heifers every one, But the four dogs and black bull are left: Stolen they were last night at set of sun".

There are several other minor correspondences between the myth of Prometheus and that of Hermes such as the reference to a possible punishment by binding in the cycle of the latter, his association with a cave, and intimation to his former cannibalistic habits and the passage to the phase of cooked meat⁽¹⁾. But most important of all is the emergence of Hermes as a full-fledged Demiurge in neo-Platonism, in the literature of Hermes Trismegistus, and throughout the Gnostic tradition. There he is frankly equated with Thoth and all the creative functions of Prometheus are transferred to him, including the creation of the cosmos and of Pandora. But there the creation is ennobled, spiritualized and carries with it no sense of sin or of suffering. It is performed by order of the Allfather and with his full consent. Such

⁽¹⁾ Before Hermes stole the kine, he was "seized with a sudden fancy for fresh meat" (cf. cannibalism in the Osiris tradition which also seems to be of the canine root).

ascension. Another representation of flames is the "heifers with crooked horns", equally the zoomorphic symbol of the female Demiurge whom we later come across in the concept of the Virgin Cow, typified by Io. The metamorphosis of Zeus into a bull (Prometheus) to impregnate the Virgin Cow (Io) illustrates the place of this emblem in the cycle of the Demiurge. Hermes the thief was the patron of thieves.

(b) *The Fire-stick and the Arts*: Hermes' invention of the fire-stick is not couched in symbolic language but is described with precision and in detail. The conclusion is: "This glory and power thou dost from Jove inherit, to teach all crafts upon the earth below". Of Prometheus Aeschylus says: "All arts to mortals known are from Prometheus".

(c) *Partition of the Sacrifice*: The immolation of the bull in sacrifice to Zeus features in both cycles of Hermes and Prometheus. So does the partition of the sacrifice. Yet Hermes and Prometheus proceeded differently. Once Hermes stole the oxen of the sun, he invented the fire-stick and produced fire to roast two of those oxen: "Then he drew the fat spoils to the more open station of a flat smooth space, and portioned them; and when He had by the lot assigned to each a ration. Of the twelve Gods, his mind became aware of all the joys which in religion are". This is exactly the opposite of what Prometheus did. In the partition of the immolated bull he cheated the gods in favour of mortals. It is not unlikely that the Hesiodic reference to Prometheus cheating Zeus over his share of the sacrifice represents the lower end of a forgotten tradition in which Prometheus, like Hermes, did not steal fire from the sun, but stole Apollo's kine. Considering that Prometheus himself was the immolated bull, the all-gory reveals that the Demiurge gave more of himself to mortals than he did to the immortals, an allusion to the preponderance of the lower nature in the fertility hero. On the other hand, Hermes, a trickster and a cheat all along, devoutly observed the forms of worship and only played fair when it was a question of the offerings. While Prometheus gave the kine or the fire

The Greeks, while adopting the fertility pattern common to all the ancient world, applied it to a different system of astronomical symbolism where Sirius plays no vital part as it did in countries that owed to it their floods and its canicular heat.

2

The Homeric *Hymn to Hermes* contains all the evidence we need to prove that the Greeks, as early as the Homeric age, knew two thieves of fire, one blithe and benign, Hermes, the other a suffering sinner, Prometheus-Tityos.

Most of the principal features of the myth of Prometheus occur in the myth of Hermes. Those features are: (a) the Theft of Fire, (b) the Invention of the Fire-stick and of the Arts and Sciences, (c) the Partition of the Sacrifice, (d) the Canicular Origin:

(a) *The Theft of Fire*: If Prometheus was "the crafty son of Iapetus", so was Hermes, to use Shelley's translation "A schemer subtle beyond all belief" and "A night-watching and door-waylaying thief, Who 'mongst the Gods was soon about to thieve, and other glorious actions to achieve". The very day he was born, Hermes went up like Prometheus to the empyrean heights and stole, not Apollo's fire, but Apollo's cattle. Like the Prometheus of the *Protagoras*, he was tried by Zeus and the Olympians, but was saved by his wit and wily talk. The stealing of Apollo's kine, if properly interpreted, stands for the stealing of Apollo's fire. Before the horse, an Aryan animal, was introduced, Apollo was not a charioteer drawn by fiery-footed steeds, but a waggoner drawn by oxen. The kine as symbol of fire still survive in such metaphors as "fire grazes", common to some languages such as the spoken Arabic of Egypt: "el nar ter'a". The cycle of the bull itself is even more intimately connected with the birth of the cosmos, an emblem of the male Demiurge who is usually immolated and mutilated as in the Mithraic tradition. The bull is typified by Prometheus himself. So much for the broad-fronted oxen of the Sun which Hermes stole on his birth

Such are the facts related to Sirius whose extraordinary centre led Aristarchus of Samos to call it another sun, and caused not less a philosopher than Kant himself to regard it as the central axis of the entire universe.

As Zeus and Prometheus, and for that matter the Olympians and the Titans, represented different entities in the higher and lower natures of the supreme Deity himself as he presented himself to the Greek mind, so were Seth and Osiris two aspects of the same divinity, Sirius, the most powerful potentate in ancient Egypt, at least under the New Kingdom. The bewilderment of the Egyptologist between a fully benign Seth and an evil Seth illustrates this ambivalence in the character of the deity whose seat was the Dog-star. The fully benign Seth is Manetho's Sothis or Thoth enthroned as the supreme Deity. The evil Seth suggests that Seth himself, by etymology cognate with "set" meaning fire, at one stage of his career performed the same fertility functions attributed to his younger brother Asar or Osiris. The same ambivalence may be illustrated by the opposite applications of the fundamental root of all divinity in the ancient world. Whether his name be Set or Sothis or Thoth or Tehuti or Tat, the evil Sirius is the basis of the Semitic Shaytan (*i.e.* Satan) and of the Indo-European Titanos, whose etymology cannot be construed⁽¹⁾. The good Seth, on the other hand, is traceable in words like Zeus, Theos and Deus. Deus and Diabolus, we know, stem from the same root, and the same ambivalence attaches itself to the Dævas, who are in Vedic literature benign deities but are diabolical entities in Iranian religion. The same applies to Daemons. Like Seth, Osiris also reveals this dual status. Asar is the Serpent; he is the Son of Ra. The Serpent and the Son are the same figure. The Vedas give us the evil Asuras who militate against the Dævas as the Titans militated against the Olympians; but the Avesta gives us an Ahura of an elevated nature who exterminates evil by exterminating the Dævas⁽²⁾.

(1) Jane Harrison, *Prolegomena*.

(2) This is fully discussed by Herzfeld in his *Zoroaster*.

Dog or the Bird, it is almost invariably a case of stealing fire, very often from the sun and for the benefit of mankind. The Winged Hound or Flying Griffin of Aeschylus combines both in one ⁽¹⁾.

The survival of the term "canicula", expressing the period of maximum heat, is by itself sufficient to prove that the heliac ascension of Canis Major during the summer solstice was directly associated with the descent of that heat on earth. So is the testimony of ancient writers who sang of Sirius such as Homer, Hesiod, Horace, Virgil, and Manilius ⁽²⁾. There was also a strong tradition that the rise of Sirius brought along with it diseases and epidemics ⁽³⁾.

(1) Salomon Reinach: "But in primitive mythologies, the eagle was the bird who mounted to the sun and took fire from it to give to man; on the other hand, the eagle was immune from thunderbolts, and was nailed to the summits of buildings to serve as a lightning conductor. Hence the name of the eagles (*aetoi*) given to the pediments of Greek temples; hence also the legend of Prometheus, which corresponds to the following ingenuous dialogue: 'Why was this eagle crucified?' 'To punish him for stealing fire from heaven'. Originally, the legend was that of the eagle's chastisement. When for the eagle, *prometheus* (the far-seeing, a name given to the eagle as a bird of augury), men substituted the Titan, Prometheus, the eagle remained in the legend, but as executioner instead of victim". *Orpheus*, p. 90, Liveright, New York, 1930. Reinach's theory that Prometheus and his Eagle are the same figure is also expounded in his *Cults, Myths and Religions*, "Aetna Prometheus". Though it is substantially correct, this theory in Reinach does not repose on the plausible interpretation of the primitive fertility symbol as the anthropomorphic representation of the male genitalia being devoured by their zoomorphic representation. In Vedic literature the Eagle Cayatri steals the fire from the sun.

(2) Cf. Plutarch. *op. cit.*, XI, 1, 2; XIV, 7; XVIII, 1; XXI, 2; XXII, 3; LXI; LXXI, 3. Hesiod, *Works and Days*, 413 et seq., Loeb, p. 33; *loc. cit.*, 584 et seq., Loeb, p. 47; *The Shield of Heracles*, 115 et seq., Loeb, p. 231; *loc. cit.*, 397. Loeb, p. 247; vide Pluche, *Histoire du ciel*, tome I, pp. 40 and 50, Paris 1778.

(3) In Theon of Alexandria, the canicula began twenty days before the rise of Sirius and ended twenty days after it, a period which brought rabies to dogs and fever to men.

those phenomena occurred⁽¹⁾. It is my contention that this heliac flight of Sirius was the basis of the story of Prometheus the Firegiver climbing up to the empyrean and lighting his torch from the wheels of the Sun's chariot. It is equally the basis of the story of Deukalion and the destruction of mankind by the Flood and of all other stories constructed on the same pattern. In Egypt, where the Nile was controlled as early as the third millennium B.C., the cycle of the flood ceased to be associated with the destruction of mankind. Sirius came to be regarded as the seat of the benign deity Thoth who is Tehuti, the Dog, regulator of Egyptian agriculture. But in Mesopotamia, where the ravages of the deluge never ceased to be experienced annually, the Flood legend was more strongly connected with the destruction of mankind. Its centre was also Sirius, called Izi, patron of the potters and brick-layers in whose honour his devotees held a Torch Festival in the month of the Canicula, similar to the Prometheia in Athens which took place in autumn, in the month of Pyanopsion, the rain season, close to the Hephaestia as Demosthenes tells us⁽²⁾.

The ethnological work of Sir James Frazer and Edward Tyler on the origin of fire in the lore of primitive races, as well as in the more advanced systems of mythology, has shown that the descent of the First Fire on earth is consistently ascribed to the activities of a fire-stealing Dog or a fire-stealing Bird. Within the canine group, the Coyote, the Fox, and the Jackal are all possible variants. Of the Bird species, the Eagle, the Vulture, and the Bat are the most common types. But whether it be the

(1) Camille Flammarion, in his *Les Étoiles*, pp. 471-2 (Paris 1882), has pointed out that since 3285 B.C., when Sirius regulated the Egyptian calendar, it has altered its cycle. Canis Major no longer rises in the summer solstice but at the end of August. Nevertheless, our almanacs still indicate that the canicula falls between the 3rd of July and the 11th of August, a period which has no relation with the present reign of Sirius.

(2) Langdon, *The Babylonian Calendar*.

in an irrational cosmos as well as its complete mastery over the situation symbolized in the chaining of the Titans. In this respect Plato's Idealism is more Egyptian than Greek and, therefore, more advanced in monotheism.

The Egyptian origins of the story of Prometheus may be confirmed by the interpretation given to it by Diodorus Siculus who gives the following account:

While Osiris and his army were thus employed, the Nile, they say, at the time of the rising of Sirius, which is the season when the river is usually at flood, breaking out of its banks inundated a large section of Egypt and covered that part where Prometheus was governor; and since practically everything in this district was destroyed, Prometheus was so grieved that he was on the point of quitting life wilfully. Because its water sweeps down so swiftly and with such violence the river was given the name of *Aëtus* (i.e. Eagle); but Heracles, being ever intent upon great enterprises and eager for the reputation of a manly spirit, speedily stopped the flood at its breach and turned the river back in its former course. Consequently certain of the Greek poets worked the incident into a myth, to the effect that Heracles had killed the eagle which was devouring the liver of Prometheus. The river in the earliest period bore the name *Oceanè*, which in Greek is *Oceanus*; then because of this flood, they say, it was called *Aëtus*, and still later it was called *Aegyptus* after a former king of the land (Bk. I, § 19, 1-4, Loeb vol. 1, pp. 59-61).

The Euhemeristic school, to which Diodorus belonged, generally rationalized religion by reducing divinities to historical persons and explaining myths by natural phenomena. In spite of many transformations, however, the basic relations of Prometheus with the Flood legend are preserved.

The cycle of Canis Major, the Great Dog Constellation, or simply Sirius as it is better known by its alpha star, was connected, both in Egypt and in Babylonia, with the descent of maximum heat and with the release of the annual flood, owing to its auroral rise and ascension towards the sun in the summer solstice when

frenzies inflame me", is the cry of one travailing with the Divine Efflux. Prometheus bound is the phallus of Zeus in agony, and Io, the Virgin of the World, whose other names are Asia, Hesione, Pandora, and occasionally Athene herself, is the female Demiurge or the First Woman who is to bring forth the cosmos, or the human race, or the Saviour who is to unbind man at the end of time and install the millennium, Horus-Herakles. The paradox of the situation is that, though the agency is titanic, the informing spirit is divine. The literature of Hermes Trismegistus has fully explored this mystery of the creation. The parentage of the Divine Child, Horus-Herakles, being at the centre of this mystery, was the subject of fruitless discussion by gods and men alike. The Trial of Isis in ancient Egypt over the obscure birth of Horus solved this issue. The formula reached was: Osiris was the agent, but the efflux was from Thoth.

As Osiris could not have been the incarnation of the Good Principle, so Seth, his torturer, could not have been identical with the Evil One. Seth is no other deity than Thoth himself, head of the Egyptian Ogdoad in the New Kingdom, whose sea we know from Manetho was Sothis or Sirius, the Dog-star that released the annual flood in the lore of ancient Egypt. The Pharaohs always called themselves after the head of the pantheon: the Thothmeses, the Amenheteps, the Ramesses, after Thoth, Ammon, and Ra. The Allfather, in any advanced system of monotheism, is of necessity a benign deity. No one called himself after the malefic Asar or Osiris, the Son of Ra and the sinning Demiurge.

The most substantial difference between the Greek approach to the story of the creation and the Egyptian approach is that the former insists on the anteriority of the Titans to the Olympians, or the anteriority of brute Matter to pure Mind, while in the latter, the Idea is enthroned from the beginning of time and the ethonic Demiurge is subordinated to it, now as the son of Ra, and now as the younger brother of Thoth. To the Greeks Zeus was the latest development representing the emergence of Mind

the other perfectly concrete, as implied in the concept of the First Woman. Whether she be one or the other, she is the object of dispute between the Allfather and the Demiurge, each trying to impregnate her or, in some cases, to animate her. Being pure Idea, the Allfather is unable to descend into generation without the help of some inferior agency. On the other hand, the Demiurge, having no fire of his own, is equally unable to impregnate the Virgin of the World without the help of some superior efflux. This problem is solved by yet another ambivalence: the agency is human but the efflux is divine. Hence the Theft of Fire or of the Anima Mundi.

This leads us to a new conception of the fertility myth. It suggests that the drama of the creation took place entirely within one being: the Allfather. His superior nature the Greeks called Zeus, while his inferior nature they called Prometheus. Prometheus is Zeus' own tool and agency to descend into generation and to create the cosmos. Zeus as Mind is unwilling to bring imperfection into being. But descending into generation is a Necessity stronger than Mind, and it can only be accomplished through Love, which is the inferior nature of the Deity. The Deity is at war with himself. His Mind punishes his Passion. The torture of Prometheus is an act of self-mutilation on the part of Zeus for having descended into generation.

If the stories of Osiris and Prometheus have any relation at all, an obscure episode in Aeschylus becomes clear at last, namely, the Io episode. Dramatically speaking, the Io episode which occupies one-third of the extant Promethean work of Aeschylus, is irrelevant. It interrupts the action needlessly. If its object is to forestall the birth of the Deliverer, then a choral ode or a Promethean speech would have fulfilled this purpose more adequately. We must, therefore, look for some more organic purpose in the episode of Io. Io roamed around the Promethean cliff, not to hear about her woeful wanderings, but, like Isis roaming around the Osirian pillar, to conceive in the spirit. Her cry: "Eleleu! Eleleu! Again the spasm and maddening

the perfection of Mind. He is commensurate with the Evil One, the author of imperfection in the universe. He is bound; he is mutilated. But he also plays the part of the Redeemer. By accepting the responsibility for the creation, he saved pure Mind from the charge of creating impure Matter and he saved impure Matter from the nihilistic tyranny of pure Mind. In fact he saved Mind from the sterility of unobjectified existence by clothing it in productive flesh, and he saved Matter from the sterility of inanimate being by suffusing it with immortal Mind.

This explains the ambivalent nature of the Demiurge. It makes him the centre of the archetypal tragedy of the creation. As creator, he was a rebel against the divine Mind that could suffer no imperfection to exist and was therefore opposed to creation, at least in its present form. He was a sinner whose binding and mutilation were a moral necessity. But as creator too, he was a benefactor to both gods and men, a hero whose downfall was universally lamented, and whose unbinding and apotheosis were equally a moral necessity once he fully expiated his sin. The Plutarchian identification of Osiris with the Good Principle and of Seth with the Evil One, transforms the drama of the creation into a vast epopee, in which Good is all good and Evil is all evil, something akin to the cosmic struggle between Ormuzd and Ahriman in Zoroastrianism. Plutarch himself was an avowed Zoroastrian and a dualist⁽¹⁾. In rigorous dualism, as in rigorous monotheism, there is no room for compassion with the arch-sinner. The concept of the sinning god is a concept that has been lost to the modern world.

In the struggle between the Allfather and the Demiurge over the issue of the creation, a female Demiurge is needed to conceive the cosmos and to nourish it after its birth. This entity, like the male Demiurge himself, has an ambivalent nature and, in fact, two planes of existence, one highly abstract, as implied in the concept of the Minerva Mundi or the Virgin of the World.

⁽¹⁾ *De iside et osiride*, l. 5 et seq.

perish unless it duplicates itself or realizes itself in Matter, creation becomes an imperative Necessity, as imperative for the creator as it is for the creature. To solve this deadlock of the unwilling creator and the necessity of creation, an intermediary figure is called upon, a willing creator. This willing creator accepts the responsibility for the imperfections of the creation and, in this manner, exculpates the Allfather, the epitome of excellence, from soiling the perfect Idea with imperfect Matter. This willing creator must himself be, at least in part, imperfect and sufficiently removed from the Idea to undertake the creation of an imperfect cosmos. Indeed he must have roots in the physical world itself, which is covered by the concept of the Titan. At the same time, the willing creator, being the saviour of the Idea from perdition, is of necessity related to the unwilling creator by bonds of kinship. In some religions he occupied the position of the Younger Brother or the True Son of the father of "gods and men", as in the case of Osiris and Thammuz respectively; in others, he merely allied himself with the Allfather, but he is also described as anterior to him in stock and therefore with a stronger title to rule the cosmos, as in the case of Prometheus. In either case, he is the Demiourgos who, on a cosmic scale, brings into being the physical world, and, on a human scale, creates mankind. Where Matter exists, he impregnates it with a mysterious efflux which is not his own, for he has none to give, but the Allfather's. He animates it with divine fire which he steals, or thinks he steals, from the gods. For though the physical cosmos is base and full of shortcomings, the Anima Mundi is perfect and divine in origin.

The clash between Mind and Matter constitutes the essence of the struggle between the Allfather and the Demiurge. Between the unwilling Allfather and the willing Demiurge falls the cosmos. There can be no place for Matter where Mind rules supreme. Hence the Demiurge is perforce a sinning god, and must be chastised for assuming the creative functions of the Allfather, or at any rate for creating imperfect Matter and soiling

In another tradition, Isis took the shape of the far-famed cow Hathor (*i.e.* the House of Horus). The wanderings of Hathor form an important part of the cycle of Osiris. Like Io, Hathor was to conceive by the mysterious efflux and give birth to the Herakles of the Egyptian pantheon, Horus, among the papyrus swamps of the Delta where she suckled the divine infant and hid him from the wrath of Seth.

Such correspondences between the myth of Osiris and the myth of Prometheus are too close to be overlooked. There is no extant account of any Theft of Fire in the story of Osiris, and his cycle is entirely the cycle of generation. He was the mutilated fertility hero whose body was dismembered by Seth and whose parts were scattered all over the country and every province claimed possession of his head or genitalia to boast of the fertility of its soil. Like Prometheus, he was the founder of civilization and the giver of the arts and sciences to mankind. Apart from his supervision over vegetation, his creative functions are established by the fact that he created the First Man or the First Woman from the spittle of Ra mixed with earth.

Plutarch's estimate of the issue between Seth and Osiris has misled many inquirers into Egyptian religion. It is generally understood that, because Osiris was the fertility deity, he was the incarnation of the Good Principle, while his enemy Seth is that of the Evil One. This reverses the roles they play in the drama of the creation. Osiris was identical, not with the Good, but with the Evil Principle, precisely because he was the fertility deity. For in any system of religion advanced in monotheism, the task of creation is incumbent on, or rather vested in, the supreme deity, the Allfather. Being himself the sum-total of perfection, the Allfather, like Plato's Mind in the *Timaeus*, sees that creation involves, as it always does, a descent of the perfect Idea into imperfect Matter, and is therefore opposed to it. This opposition is commonly interpreted as "the jealousy of the gods", a motive which Plato has taken pains to refute. Born as the Idea, with all its perfection, remains a "poor potency", only seen to

Prometheus was not always bound on Caucasus. In Hesiod he was bound into a pillar or a shaft. This is an indication that, like all the elemental deities of the ancient world, he passed through the tree-pillar stage. The binding of Prometheus to or into the tree-pillar is later revived in the literature of the Gnostics, particularly Zosimus and Jamblicus. It explains the curious presence of the tree in bas-reliefs and vase-paintings dealing with the popular theme of the deliverance of Prometheus.

After the downfall of Osiris, Isis, his sister and wife, filled the valley with lamentation, and her tears caused the flood of the Nile. She scoured the earth searching for Osiris, until she learned that he was bound in the tree-pillar at Byblos. There she took the form of an Eagle and fluttered around the Osirian pillar. In doing so, she bore immaculately the young Horus, who was destined to be the avenger of the chained hero. When he grows up, Horus accomplishes labours similar to those of Herakles and grapples with Seth.

Isis is the Eagle fluttering around the chained Prometheus and perpetually devouring his liver. This is the inner meaning of Hesiod's peroration, in the course of his Promethean account, on the role of woman in devouring man's happiness. If the scourge of Epimetheus is Pandora, the scourge of Prometheus is the Eagle. Pandora and the Eagle are interchangeable because they perform the same function. Another zoomorphic symbol of the female principle of generation is the sacred bird sometimes known as the ibis and sometimes as the bennu bird. It was the symbol of the First Woman in ancient Egypt and was the basis of Venus and probably of Pandora herself. In Herodotus the ibis was sacred to the Egyptians because it devoured the serpents in the spring. The struggle between the Eagle and the Serpent is but an offshoot of this primitive pattern in which the male fertility principle is identified with the Serpent, the female, with the Eagle. It is noteworthy that in some of the popular variations on the story of artificial creation, the Alchemist manufactures a beautiful bird which he tries to endow with life, but the bird crumbles to pieces.

In the Egyptian fertility cycle Seth is at war with his younger brother Osiris. Unable to defeat him by force, Seth resorts to a subterfuge. In collaboration with the seventy-two gods of the valley he manufactures a beautiful coffer, all wrought with gold, precisely to the measure of Osiris. He holds a banquet at Netar to which he invites Osiris and all the members of the pantheon. When Osiris' judgment is overpowered by wine, Seth announces that the golden coffer is his gift to whomsoever finds it to his size. As the coffer is especially designed for Osiris, it falls to his lot. But while he is lying inside the coffer to try out his size, Seth and his confederates close it, seal it, then throw it into the Nile.

This episode is strongly reminiscent of Pandora and her pithos or pyxis. As Pandora with her pithos was the gift of Zeus and "all the Olympians" to Epimetheus, so was the golden coffer the gift of Seth and the seventy-two gods to the intoxicated Osiris. The special emphasis laid in the two accounts on the splendour of the gift is significant. Epimetheus is Prometheus' lower self or his weaker nature. He is the inebriated Osiris who lost his foresight through Methe or drunkenness, and the coffer of Osiris is at once Pandora and her pithos. This Methe element, though it does not feature in the Greek myth, is a fundamental motif which is preserved in some of the later variants⁽¹⁾.

The coffer of Osiris floated on the waves of the Nile down to the Mediterranean, where it drifted to the shores of Byblos in Phoenicia. There, an erica tree shot up containing the coffer, and thus Osiris was bound in the tree. It was such a beautiful tree that the queen of Byblos, Astarte, ordered it to be cut and placed in the middle of her temple or palace.

(1) The Methe motif is confirmed in the Hellenic world by Herodotus (II, 156) who says that Isis wedded Dionysus, and by Anticleides who calls Isis the daughter of Prometheus and adds that she was wedded to Dionysus, i.e. Osiris after the banquet (Plutarch, *De Iside et Osiride*, 365. c. 37, Loeb V, p. 91).

and not an indigenous deity. At no time was there a recognized "cult" of Prometheus in Greece⁽¹⁾. Even in the age of Aeschylus, when he is most heard of, his worship was restricted to the Kerameikos and the Akademeia. The pre-Hellenic origins of Prometheus are discussed by Pausanias who places Prometheus even before the Pelasgians and "those called at Athens [autochthones]"⁽²⁾.

In the lore of the ancient world, there are several parallels to the myth of the suffering Titan, which, if considered in their totality, may help to clear up some of the obscurities regarding the name and nature of Prometheus. They mainly belong to the fertility cycle, the cycle of the sinning god, as Frazer has termed it, whose theme is the creation. Though the setting of the story of the creation is modified according to the ethnic centre it flourished in, the archetypal pattern remains always the same, because it alone gives adequate expression to the archetypal theme of the creation.

1

The archetypal pattern from which all fertility cycles are derived is the cycle of the ancient Egyptian trinity, Osiris, Isis and Horus. As reconstructed by Plutarch⁽³⁾, it contains several fundamental motifs which have their counterparts in the myth of Prometheus and Epimetheus. They are (a) Pandora's box, (b) the binding and mutilation of the hero, (c) the Eagle fluttering around the chained hero, (d) the wanderings of the Virgin Cow and the immaculate conception and birth of the Saviour, the "son mightier than his sire".

(1) Lucian, *Prometheus*: "In fact, there are temples to Zeus, to Apollo, to Hera, and to you Hermes, in sight everywhere, but nowhere any to Prometheus"; Farnell extends this to the other three-divinity, Hephaestus, who had no cult in Greece: *Culte of the Greek Gods*, vol. V, pp. 374-380.

(2) *Description of Greece*, II, XIV, 4 (Loeb I, p. 323).

(3) *Isis et Osiris*.

revolving wheel, to Atlas the dome of heaven, to Io the gadfly, to Epimetheus Pandora's riches, and to Prometheus the liver gnawing culture. It is hardly likely that they repeated themselves regarding the methods of torture. This means that in the Homeric age, the suffering Prometheus was better known as the suffering Tityos.

The sin of Tityos, as explained by Homer, is not exactly that of Prometheus. Tityos stole, not the fire of Zeus, but his mistress, Leto; "For he dealt violently with Leto, the famous bed-fellow of Zeus", Homer says. However, in some of the variants of the myth of Prometheus, we are told of an illicit relation between the Titan and Athene, the famous daughter of Zeus. The rape of Athene by Prometheus is another concept justifying his binding and mutilation. The story of Leto, as given by Callimachus, is the same as the story of Io. Pursued by the lust of Zeus, she incurred the wrath of Hera, and through the Allfather's embraces she gave birth to the "son mightier than his sire" (1). She is Virgil's Latona, mother by Zeus of Apollo and Diana. The shift from Io to Athene will be explained in its proper place.

The locality assigned by Homer to Tityos, namely, Panopeus, is assigned by Pausanias to Prometheus (2). Homer's interest in the stature of Tityos, that "he covered nine roods as he lay", is later echoed by Philostratus in connexion with Prometheus (3).

Such correspondences between the cycle of the suffering Tityos and that of the suffering Titan reveal their identity. Other indications show that the fundamentals of the myth formed the core of the central fertility pattern common to all systems of religion in the ancient world. The minor role that Prometheus played in Greek mythology intimates that he was a naturalized,

1 *Hymn to Pallas* (Bohn, pp. 392 et seq.).

2 *Description of Greece*, X. 4, 5 (Loeb vol. IV, pp. 385-7).

3 *Life of Apollonius of Tyana*, II. 52 (Loeb I, p. 123).

THE ESSENTIAL PROMETHEUS

Some Preliminary Assumptions

BY

LOUIS AWAD, M. Litt., M.A., Ph.D.

Assistant Professor in English Cairo University

It is generally taken for granted that Prometheus is a post-Homeric divinity because he does not occur in Homer. Yet there are several indications that the Titan was known to Homer under a different name. In fact, there is sufficient evidence that Prometheus belongs to an antiquity considerably higher than Homer and that he was not altogether a native of Greece.

Some of the most important features of the myth of Prometheus are: (a) that he was a Titan, (b) that he was the son of Gaia-Themis, (c) that he was bound by Zeus, and (d) that his liver was perpetually devoured by a vulture. When we read in Homer of Tityos that he was the "son of renowned Earth, lying on a levelled ground ... and vultures twain beset him on either side, and gnawed at his liver... but he drove them not away with his hands" ⁽¹⁾, we have reason to suspect that Homer was using a form of the generic word Titanos to stand for Prometheus. The context is equally significant, as it is the catalogue of famous sinners suffering in the infernal regions, like Tantalus and Sisyphus.

The Greeks had a luxuriant imagination, especially when they dealt with the tortures of hell. To Tantalus they assigned unquenchable thirst, to Sisyphus the rolling rock, to Ixion the

Odyssey, XI. 576 et seq.; cf. *Virgil's Aeneid*, VI. 595 and *Lucan*, 237.

et que l'Amour leur a causé mille maux—une démonstration qui est dans le goût de l'alexandrinisme et que Théocrite réussit à présenter avec talent. C'est pour atteindre ce but que le poète a complètement transformé le mythe traditionnel. Celui-ci, dès lors⁽¹⁾, devient une fable gracieuse, dépeinte dans un tableau idyllique.

(1) Cf. Prop. I, XX ; A. Chénier, Bucols. éd. Dinoff, p. 41.

de tout étalage d'érudition : pas d'aitiologie⁽¹⁾ religieuse ; pas d'abus de science géographique⁽²⁾, ni mythologique⁽³⁾. Il n'y a pas non plus de longueurs ni de digressions ; mais cela ne nous empêche point de trouver quelques exemples de pédantisme : le rappel des relations amicales qui unissent Héraclès et Télamon⁽⁴⁾, l'attribution d'un arc scythe⁽⁵⁾ au héros, l'indication de sa forme recourbée⁽⁶⁾. Mais ces détails ne suffisent pas pour accuser Théocrite de trop d'érudition⁽⁷⁾ alexandrine. Sa simplicité est, donc, indiscutable ; quant à son originalité, elle réside en ceci. Le poète a voulu simplement, comme il le dit en termes assez clairs⁽⁸⁾, montrer par un exemple que mêmes les êtres d'une nature supérieure, tels qu'Héraclès, ont subi le joug de l'Amour

(1) Il ne dit pas un seul mot sur le culte d'Hylas ; le poète se contente de le compter parmi les bienheureux, XIII. 72. Remarquons qu'Apollonios dit seulement que la nymphe épouse Hylas sans expliquer si ce mariage a rendu l'époux immortel ou non. Mais si le Rhodien passe rapidement sur la divinisation d'Hylas, il enveloppe, pourtant, son enlèvement d'une certaine atmosphère sacrée. Ne célébrait-il pas le culte d'Artémis avec beaucoup d'éclat et de solennité ?

(2) Pas de villes, pas de montagnes, pas de sources, pas de peuples, comme chez Apollonios et Nicandre. Signalons, à ce propos, que l'énumération des sanctuaires d'Aphrodite, Idy. XV, 101, est à sa place dans le chant, consacré à glorifier la déesse ; que celle des héros et des peuples nommés à la fin du même hymne (137-143) ne doit pas être inspirée par un souci d'érudition mais par d'autres motifs. Par exemple, le nombre considérable des fils d'Hécube est indiqué (139) pour faire valoir Hector, qui surpassait tous ses frères en mérite.

(3) Théocrite ne fait aucune allusion aux épisodes de Polyphemos, de Théiodamas, de Glaucos.

(4) Cf. Pindare, Ném., IV, 25 et suiv. ; Isthm., V, v. 37-38. Pourtant il est facile d'admettre que la parenté (καὶ ὄντα μὲν Τέλαμον v. 37) est indispensable car elle présente Héraclès comme un de ceux qui estiment la vaillance et la grandeur d'âme : ce qui corrobore les vers 14-15 ; d'autre part elle nous montre le héros fidèle et jaloux en amitié (ὄλ-38). Théocrite voulait donc prouver, par cette allusion mythologique, que l'amour d'Héraclès était très ardent.

(5) Cf. Lycoph., Alexand., v. 458.

(6) Cf. Esch., Choeph., v. 160 ; Herod., VII, 69 ; Lycoph., Alexand., 217.

(7) Legend., Étude sur Théoc., pp. 83-103.

(8) Théoc., Idy., XIII, 1-6 ; 60.

d'une manière bien théocriteenne : l'introduction de détails familiers dans l'exposé d'événements légendaires⁽¹⁾. En outre, ces deux détails démontrent la force de l'Amour. En effet, en insistant sur les inconvénients auxquels s'expose Héraclès amoureux, le poète réussit à prouver d'une manière frappante la puissance d'Eros. De ces inconvénients, passer pour un homme faible sans parole n'est pas le moindre. Ainsi les deux vers (73-74) apportent une innovation qui se rattache bien au début du récit. Quant au vers (75), il réhabilite Héraclès. Le héros ne pouvait rester sous le coup d'une accusation injuste *λιποναιτής* ; il rejoindra alors ses compagnons, en voyageant à pied, et cette fatigue endurée, conséquence indirecte de sa passion brûlante, sera une preuve de plus des rigueurs de l'amour⁽²⁾.

Voilà, donc, la marque inéffaçable que Théocrite a imprimée sur la légende d'Hylas. Le poète, comme nous l'avons déjà constaté, dépouille la fable de tout merveilleux pour la transformer en un récit plus vraisemblable, plus réel qui emprunte ses éléments à la vie même. Il dépeint l'amour d'Héraclès tel qu'il l'a subi, il l'analyse rapidement, mais avec puissance. Pour lui, Héraclès n'a rien d'extraordinaire, ni de surnaturel⁽³⁾ ; il est le fils d'Amphitryon⁽⁴⁾, une victime d'Eros. Il souffre sous le joug de ce dieu dont les traits sont infaillibles ; en somme, il n'est guère un héros, il perd toute qualité divine. La comparaison du poème avec le développement d'Apollonios au chant I, nous permet encore une fois d'apprécier la simplicité aussi bien que l'originalité du S; racusain. Son poème est net de toute intention didactique,

(1) Legrand, *Étude sur Théoc.*, p. 90.

(2) *Ibid.*

(3) Cf. Idyl. XXIV, 134 et suiv. *Contra*, Apollonios et Nicandre qui témoignent beaucoup de révérence pour la grandeur future de demi-dieu.

(4) Dans cette idylle XIII, 72. Héraclès est le fils d'Amphitryon mais ailleurs il est le fils de Zeus. Cf. Idyl. XVII, 33 ; Idyl. XXV, 159.

jeune garçon en pleurs, le consolait par des douces paroles' (1). La scène a de la grâce sans manquer de naturel (2).

Autre innovation, beaucoup plus importante: les compagnons d'Héraclès, las de l'attendre, l'abandonnent sciemment; et lui, après avoir cherché en vain le bel adolescent, gagne à pied le pays de Colchide et le Phase. Le premier de ces détails ne se trouve, à notre connaissance, chez aucun autre Alexandrin (3); le second détail ne se trouve nulle part. Expriment-ils, donc, une tradition obscure que notre poète a préférée aux autres en raison même de son obscurité? Nous en doutons fort; car Théocrite, en traitant ce sujet que traitèrent ses contemporains, le fait avec une simplicité sans égale (4). A notre avis, il imagine ces deux détails toujours en vue du même but; d'autre part, c'est aussi une excellente façon de conclure son poème. Tout occupé d'Hylas, Théocrite n'a rien dit d'Héraclès avant d'avoir à peindre son chagrin; ce trait commande la suite du récit. Les héros peuvent fort bien oublier celui qui les avait quittés à cause d'une vive inquiétude, sans avoir rien confié à ses amis. Pourtant (5) Türk estime incroyable que les Argonautes aient douté d'Héraclès. 'Mais montrer les compagnons d'un futur demi-dieu parlant de lui comme d'un homme ordinaire, prêter à une troupe de héros les sentiments de matelots quelconques, ce n'est qu'un cas particulier

(1) Theoc., XIII, v.v. 53-55.

(2) Theoc., XIII, 40 et suiv. Autour de la fontaine poussent l'ache, les joncs, le chiendent. Ce sont les plantes qui croissent naturellement dans les prairies et non pas les lis, les pavots, les fruits dont parle Properce, I, xx, 35-40.

(3) D'après l'auteur de *Notas de Géyx* et d'après Hérod., VII, 193. Héraclès fut abandonné en Magnésie, au lieu dit Aphetai, tandis qu'il était allé chercher de l'eau; les textes ne disent pas d'une manière positive si l'abandon fut volontaire ou non. Chez V. Flaccus seul, les choses pussent comme chez Théoc., à cette différence près que les Argonautes avant de lever l'ancre, attendent Héraclès pendant huit jours.

(4) Comparé à Nicandre et à Apollonios, le Syracusain montre qu'il cherche la simplicité.

(5) Türk. De Hyla, p. 29.

père, tué misérablement par le héros. Théocrite, au contraire, ne fait aucune allusion ni à la mort du père, ni à la servitude du fils. Hylas va chercher l'eau pour Héraclès et Télamon, il le fait 'sans sponte'—comme un fils pieusement affectueux envers son père 'qui le chérit et qui veut que son enfant soit façonné selon son cœur et qu'il devienne enfin un vrai homme'.

A cette préoccupation : décrire ce sentiment profond et démontrer la puissance d'Eros, s'ajoute celle de transposer le mythe dans le ton de la vie quotidienne et de l'interpréter en 'scènes de genre'—pratique chère aux Alexandrins⁽¹⁾. C'est pour cette raison que Théocrite apporte à la légende des innovations tout à fait personnelles.

Aux vers 58-59 Héraclès, en cherchant Hylas, l'appelle, 'trois fois'⁽²⁾, de toute la force de son gosier profond et 'trois fois' l'enfant répond. Nous pouvons rapprocher cette idée de ce que disait Nicandre⁽³⁾ : en Mysie, lors de la fête d'Hylas, un prêtre appelait par 'trois fois' le jeune homme. Il n'est pas impossible que Théocrite ait connu ce rituel, ou même les causes de son établissement et qu'il y ait conformé son récit d'une façon originale. Lui seul imagine qu'Hylas répond à Héraclès ; peut-être pour montrer que le bel adolescent aime tant son ami, qu'il préfère sa compagnie à la vie auprès des nymphes. Pourtant ces nymphes, habitantes de la fontaine, à qui le poète donne de jolis noms⁽⁴⁾, sont très gracieuses ; Théocrite en trace un tableau charmant. Regardez comment elles reçoivent Hylas quand il tombe dans l'eau : 'Les nymphes, tenant sur leur genoux le

(1) Legrand, *Buc., Grecs*, T. I, p. 169.

(2) Legrand, *Etude sur Théoc.*, p. 99. Il est vraisemblable que Théocrite imite un passage de l'Iliade, XI, 462 : τρίς μὲν ἔπειτ' ἦσεν ... τρίς δ' ἔειπεν. Cf. Prop., I, 20-49.

(3) Antoninos Liberalis, 26 : Cf. Servius, In Verg. Buc., VI, 43.

(4) Selon Türk, *De Hyla*, p. 27 : c'est Théocrite qui imagine ces noms ; cependant ils existaient déjà dans d'autres textes. Eunike figure parmi les cinquante Néréides nommées par Hésiode : Theog., v. 240 et suiv. Cf. Suidas, S.V. Napho—Eunike fut une disciple de Sapho, Idyl. XX, 1 : 42—la jeune citadine, qui méprise le berger, s'appelle Eunike.

pour raconter l'histoire de Théodamas et d'Héracles (v.v. 1212-1220), pour ajouter à la fable l'épisode de Polyphemos (v.v. 1243-1252), pour faire surgir Glaucos de la mer (v.v. 1310-1328) afin que celui-ci annonce aux Argonautes le destin des trois compagnons. Il fait encore une digression pour nous décrire la dispute entre Jason et Télamon. Théocrite suit des procédés de composition différents, parce que son but est tout autre.

En effet il veut uniquement nous dépeindre le rapt d'Hylas et la douleur d'Héracles. Il consacre une grande partie de son poème à la description de l'amour du héros pour le gracieux adolescent ; et fait de cet amour le sentiment le plus noble qui puisse lier deux êtres⁽¹⁾. Une simple comparaison entre lui et Apollonios, à ce propos, nous prouve la supériorité du Syracusain⁽²⁾. Le Rhodien nous donne l'impression qu'Hylas sert Héracles, comme s'il était son captif ; il le suit comme un 'esclave' pour porter ses flèches et garder son arc⁽³⁾ ; un peu plus loin, le poète ajoute

ὃς γὰρ μιν τοιοῖσιν ἐν ἡθαρίᾳ αὐτοῦ ἔφερβεν (v. 1211).

Ce qui explique comment Héracles avait élevé le bel enfant depuis le temps où celui-ci avait été enlevé de la maison de son

=sujets que traite Théocrite, l'enlèvement d'Hylas, Apollonios nous permet d'apprécier l'inconvénient de trop d'érudition. Apollonios voulut, sinon concilier les versions différentes qui avaient cours sur la légende, du moins nous laisser entendre qu'il les savait toutes".

(1) Pour Héracles, ce fut un devoir d'élever jusqu'à lui l'être aimé par un enseignement de chaque jour ; je ne crois pas que Théocrite ait voulu faire dans le poème l'apologie de la pédérastie tout au moins de la pédérastie comme la comprennent les modernes. Voir, Narrou (H.), Hist. de l'Éduc. dans l'Ant., Paris, 1948. Le savant consacre un chapitre entier à la pédérastie chez les Grecs où il donne une analyse minutieuse de la conception grecque à ce sujet. Il réussit à prouver que ce genre d'amour ne fut pour les Grecs 'qu'un idéal, fait de vertus'. (cf. Strab., X, 483 ; Plat., Conv., 178 a.

(2) Geoffroi : Idylles de Théocrite : Paris. 1843, p. 168.

(3) Apollon. Rhod. l. v, 131.

Cependant le fils d'Amphitryon, s'inquiétant au sujet de l'enfant, se mit en route, avec son arc recourbé à la mode scythique et sa massue, qu'il avait toujours dans sa main droite. Trois fois, il appela Hylas, de toute la force de son gosier profond. Trois fois l'enfant répondit; mais sa voix, venant du fond de l'eau, arriva toute grêle; et bien qu'il fût tout proche, il semblait éloigné. Alors Héracles, plein du désir d'Hylas, s'agitait au milieu d'épines impraticables et dévorait une vaste étendue de pays, comme un lion carnassier se précipite de son repaire quand il entend de loin un faon bramer dans la montagne. Malheureux ceux qui aiment ! Que de peine il endure, à battre montagne et fourrés. Toutes les affaires de Jason ne venaient pour lui qu'en seconde ligne. Le navire, tout prêt pour le départ, était plein des demi-dieux qui, au milieu de la nuit, descendirent de nouveau les voiles, pour attendre Héracles. Lui, cependant, allait où le menaient ses pieds, en proie à la folie d'amour. Voilà comment le bel Hylas est compté parmi les bienheureux. Quant à Héracles, les héros le traitaient de matelot déserteur, parce qu'il avait abandonné Argo. C'est à pied qu'il gagna le pays des Colchiens et le Phase inhospitalier⁽¹⁾.

Malgré les frappantes similitudes d'expressions chez Apollonios et Théocrite⁽²⁾, nous remarquons que les détails de la légende diffèrent beaucoup de l'un à l'autre. En effet, le développement de la fable chez Apollonios fut partie d'une longue épopée, tandis qu'elle est présentée, chez le Syracusain, dans un autre genre poétique.

Le premier, donc, s'attache étroitement aux règles de l'art épique—*ars continetur variis rebus quam plurimis colligendis, ut legentium animi copiosa expeditionis clarissimae imagine deleantur*⁽³⁾. Aussi interromp-il⁽⁴⁾ le cours de son récit

(1) Idyl., XIII, v.v. 10 et suiv.

(2) Cf. Théoc., XIII, v.v. 36, 49, 63, 70 et Apollon. Rhod., I, v.v. 123, 124, 1552, 1264. Signalons encore que, de la comparaison entre le récit au Chant I et l'idylle XIII, il ressort avec certitude que l'un des deux poètes s'inspira de l'autre. Pourtant il est difficile de savoir lequel écrivit le premier. Voir Gow, *Class. Quart.*, 1942, p. 10.

(3) Türk, *De Hyla*, p. 26.

(4) Voir Legend, *Étude sur Théocrite* p. 92 : "Traitant un des=

(c) *Chez Théocrite.*

L'idylle XIII—Hylas—est un très beau poème (*carmen pulcherrimum*)⁽¹⁾, écrit avec une finesse, bien supérieure à celle d'Apollonios de Rhodes⁽²⁾. Théocrite commence par la constatation de cette loi fatale : " L'amour fut mis au monde pour tous ; personne n'y échappe ; sa puissance est écrasante même pour le fils d'Amphitryon au cœur de fer qui ne recula pas devant le lion féroce mais fut frappé au cœur par Eros. Il aime le gracieux Hylas, il lui enseigna, comme un père à son fils chéri, tout ce que lui-même avait appris pour devenir 'fortissimus graecorum vir'. Jamais il ne le quittait. " Aussi, quand Jason, accompagné des Grecs les plus braves, prit la mer pour aller conquérir la toison d'or, Hylas suivit-il Héraclès et descendit-il avec lui au rivage, vers le navire Argo. Poussés trois jours par le souffle du vent du Sud, les Argonautes atteignirent l'Hellespont et mouillèrent dans la Propontide à Kios. Débarqués sur la plage, ils préparèrent le repas du soir. Alors le blond Hylas alla chercher l'eau nécessaire au repas pour Héraclès et Télamon, couple d'amis⁽³⁾ qui toujours mangent à une même table ; il avait un vase d'airain. Bientôt il remarqua une source dans un lieu bas ; autour poussaient en abondance des herbes diverses. Au milieu de l'eau, des Nymphes formaient un chœur. Comme le jeune homme approchait de l'eau la vaste cruche, pressé de l'y plonger, toutes s'attachèrent à sa main ; car toutes sentirent leur tendre cœur emporté par l'amour vers l'enfant argien⁽⁴⁾. Celui-ci tomba dans l'eau tout d'un coup. Les nymphes tenaient sur leurs genoux le jeune garçon en pleurs et le consolaient par des douces paroles.

(1) Türk, *De Hyla*, p. 24.

(2) Wissowa, *N. V. Hylas*, T. IX, p. 110 : Cf. Wilamowitz, *Textgeschichte Der Griechischen Bukoliker*, 1906, p. 177.

(3) Cf. Pindare qui rappelle plusieurs fois les rapports d'amitié entre Héraclès et Télamon, *Ném.*, IV, 25 et suiv ; *Isthm.*, V, 37-38.

(4) 'Αργείος signifie 'Grec', non pas d'Argos ; aussi ne doit-on pas en conclure que Théocrite prenait Hylas pour un Argien, compatriote d'Héraclès. *Contra*, Hygin, fable XIV, p. 11 : 'Hylas, ephelus, ex Oechalia, filii autem ex Argis'

pas la sienne (1). Héraclès est, en somme, le héros épique qui menace de bouleverser (2) le pays des Mysiens et qui achèvera les douze travaux (3), à la suite desquels il montera au ciel et sera un des immortels (4). Cette façon de concevoir Héraclès et de développer ainsi l'ensemble de la fable s'explique, d'ailleurs, facilement : le Rhodien traite de la légende dans une épopée et pense, avant tout, à suivre les lois épiques pour s'approcher d'Homère—son maître.

(1) Apollon. Rhod., v. 1291.

(2) Ibid., v. 1348-1349.

(3) Ibid., v. 1381.

(4) Ibid., v. 1319.

ne renferme rien qui puisse confirmer l'idée de Türk. En effet, l'épithète (δῖος) peut être une simple allusion à l'habileté professionnelle du laboureur (1) et non pas à sa race. Nous en outre, parle de Theoklamos comme d'un simple paysan : (ἀροτριῶντά τινα θειοκλάμαντα οὕτω λεγόμενον) (2).

A ces innovations qu'apporte Apollonios, poète épique, s'ajoutent celles qui sont le résultat de l'érudition, trait caractéristique des poètes Alexandrins. La science mythologique et géographique se déploie, en effet, partout dans son chant. Nous rencontrons, çà et là, des noms de déesses, de peuples, de héros, de villes, de montagnes, de sources et de fleuves; même un nom commun devient chez lui un nom propre tel le mot (Πηγάι) qui est pris comme nom d'une source particulière. Le poète a tellement lu, tellement étudié qu'il donne dans son récit certains (3) détails que nous ne lisons pas ailleurs.

Mais malgré les innovations qu'Apollonios apporte à la fable, malgré le talent dont il fait preuve quand il fond les versions multiples (4) pour en donner une originale, nous ne pouvons pas prétendre qu'il laisse une empreinte personnelle sur la légende. Le poète reste, dans l'ensemble, attaché à la tradition épique; le fond de son récit ressemble à celui de Kinéthou (5). Héraclès, pour lui, est encore un héros puissant qui tient une place prépondérante dans la légende. Apollonios décrit sa force et sa vigueur; il en fait le rival redoutable de Jason et celui-ci veut le laisser exprès en Mysie pour que la gloire du héros n'obscurcisse

(1) Cf. Théoc. XXV, v. 51: δῖος ἀροτρεὺς; Homère: Ody., XIV, v. 3, v. 413; XV, v. 301; XVI, v. 1—Eumée appelé δῖος ὀφιοβόος.

(2) Tiré d'après Türk, De Hyla, p. 40.

(3) Par exemple, une seule nymphe entraîne Hylas et l'épouse.

(4) Türk, De Hyla, pp. 19-20 - étudie le procédé qui consiste à fonder deux récits différents pour en faire un. A maintes reprises, Apollonios suit ce procédé—les deux versions sur la nomination d'Héraclès comme chef; les deux versions sur l'amour d'Hylas.

(5) Cf. Sch. Apollon. Rhod., l. 1357.

identiques une douleur que seuls éprouvent les amants à la perte de leur amour. Nous pouvons, donc, avouer, comme nous l'avons déjà signalé, que Nicandre, à ce propos, est bien supérieur à Apollonios et qu'il fond les deux versions d'une façon plus heureuse : son récit présente moins d'incohérence et de confusion.

Un autre épisode intéressant qu'Apollonios rattache à la légende est celui de Theiodamas, père d'Hylas. Le Scholiaste ⁽¹⁾ d'Apollonios nous raconte dans quelles circonstances Héraclès tua Theiodamas : "Le héros se trouvait chez les Dryopes, avec son fils Hyllos, qui mourait de faim ; son pédagogue Lichas l'avait abandonné. Héraclès demanda à Theiodamas un peu de nourriture qui lui fut refusée. Le héros, très en colère, lui arracha un de ses bœufs, l'immola et s'en régala. Theiodamas fit une expédition contre Héraclès . . . le héros le tua enfin et prit son fils Hylas". Ajoutons que les fragments, qui nous restent des Aitia de Callimaque, font allusion à Theiodamas. Ils sont assez nombreux pour que nous constatons que le poète s'étendit sur cette histoire de Theiodamas et d'Héraclès ⁽²⁾. Apollonios, par contre, traite cet épisode avec concision et avec simplicité car le poète ne voulut pas, comme le dit Türk ⁽³⁾, répéter ce que son adversaire avait déjà décrit en détail. Apollonios, d'ailleurs, nous donne cette impression quand il déclare :

ἄλλα τὰ μὲν τηλοῦ κεν ἀποπλαγξίεν ἀοιδῆς. ⁽⁴⁾

Avant d'en finir avec Theiodamas nous devons signaler un mot qui a déjà attiré l'attention de Türk. Apollonios appelle le père d'Hylas 'le divin Theiodamas', tandis que Callimaque le représente comme un simple laboureur. Fut-il donc le roi des Dryopes, comme le pense Türk ⁽⁵⁾ ? ou non ? A vrai dire le texte

⁽¹⁾ Sch. Apollon. Rhod. I, v. 12-2.

⁽²⁾ Cf. Sch. Apollon. Rhod. I, v. 1212 : τοῦτων δὲ καὶ ὁ Κάλιμαχος ἐμνησται.

⁽³⁾ Türk. De H. p., p. 33.

⁽⁴⁾ Apollon. Rhod. I, v. 1220.

⁽⁵⁾ Türk. De H. p., p. 33.

d'Hylas, nous permet d'aboutir à la même conclusion. Cette constatation du poète, 'Hylas aimé de Polyphemos et non pas d'Héraclès', montre qu'il connut aussi deux versions de cette légende et qu'il choisit la moins courante. C'est pourquoi nous partageons l'avis de Türk (1) : la légende qui donne Polyphemos comme amant du bel adolescent, n'est pas une invention d'Apollonios, mais l'originalité du poète réside uniquement dans la façon de fondre les deux versions déjà connues et d'introduire le personnage de Polyphemos, tout en conservant à Héraclès son rôle traditionnel de héros. En effet, il réussit, dans une certaine mesure, à passer sous silence ce qu'il avait lu sur l'amour de Polyphemos; il se contente de faire participer celui-ci à la recherche d'Hylas. L'empressement de Polyphemos s'explique logiquement. Tout d'abord, il est 'le seul' parmi tous ses compagnons qui entendit crier le jeune homme; d'autre part il est un parent par alliance d'Héraclès (2). En outre, si nous nous demandons pourquoi Polyphemos ne quitte pas la Mysie avec les autres Argonautes, le poète nous donne facilement la réponse : c'est l'ordre de Zeus qu'il reste pour fonder la ville illustre de Kios (3). Ce ne serait, donc, pas par amour pour Hylas. Pourtant nous avons quelquefois l'impression que le sentiment de Polyphemos pour le jeune homme n'est pas moins ardent que celui d'Héraclès. En deux passages (4) exactement symétriques, le poète exprime avec la même force et dans des termes presque

(1) Türk, *De Hyla.*, p. 21-22.

(2) Sch. Apollon. Rhod., v. I, 124 :

... .. γυναικα δὲ ἔσχεν ὁ Πολύφημος Λαονόμην,
 Ἡρακλείους ἀδελφὴν, Ἀμφιτρώανος καὶ Ἀλκμήης θυγατέρα.

(3) La fondation de cette ville est très contestée. Cf. Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1177. C'est une ville de Mysie, ainsi nommée de Kios, chef d'une colonie de Miliéniens, comme le raconte Aristote dans sa constitution de l'Asie.

Selon Strabon, 483, 52, Kios, fils d'Olympos, était un compagnon d'Héraclès, c'est à son retour de l'olchide qu'il fonda la ville à laquelle il donna son nom et qui plus tard fut appelée (Prases). D'autre part, Apollonios, I, v. 1347, dit que Polyphemos doit fonder cette ville.

(4) Ch. I, v.v. 1240-1260 : v.v. 1274-1285.

a fait son époux par amour. C'est à cause de leurs courses errantes à sa recherche que les deux héros ont été abandonnés'. Ayant ainsi parlé, Glaucos se précipita au fond de la mer. Les héros s'embrassèrent et la concorde fut rétablie parmi eux ; ils continuèrent leur voyage.

Quant aux deux héros abandonnés, la volonté de Zeus était que l'un Polyphemos fondât, chez les Mysiens une ville du même nom que le fleuve qui la baigne, et que l'autre partit pour achever les durs travaux imposés par Eurysthée. Mais Héraclès menaça de bouleverser avant de partir, le pays des Mysiens, si on ne découvrirait pas ce qu'était devenu Hylas, qu'il fût mort ou vif. Les Mysiens donnèrent en otage à Héraclès des enfants choisis parmi les notables du peuple, et ils s'engagèrent par serment à ne jamais cesser leur travail de recherche. Voilà pourquoi les habitants de Kios recherchent encore maintenant Hylas, fils de Theiodamas et s'intéressent à Trachis, la ville bien construite. Car c'est là qu'Héraclès installa les enfants que les Mysiens lui avaient donnés en otage" (1).

Apollonios, en poète épique, introduit dans la fable, comme nous le voyons, beaucoup d'épisodes, et fait de multiples digressions. Par exemple, quand il mentionne Theiodamas, le poète donne les détails de l'enlèvement d'Hylas après la mort de son père ; de même, il rattache à la dispute entre Jason et Télamon au sujet d'Héraclès l'anecdote des deux fils du Thrace Borée. Mais de tous les épisodes qu'Apollonios ajoute à la légende, celui de Polyphemos retient particulièrement notre attention.

Cet Argonaute cherche Hylas (1243-1252) et manifeste à sa disparition autant de douleur qu'Héraclès (1260-1272). Le rôle que joue Polyphemos, chez Apollonios, nous porte à croire qu'il y avait deux versions différentes sur l'amour d'Hylas—dans l'une il fut aimé de Polyphemos, dans l'autre d'Héraclès. D'autre part, le fragment de Socrate, qui fait une allusion nette à l'amour

(1) Apollon. Rhod., I, v.v. 1177-1357.

Polyphemos l'entendit, lui, qui avait fait route plus avant, car il attendait le retour du grand Héraclès. Il s'avança en hâte vers les sources. Dégainant sa grande épée, il se mit à la recherche d'Hylas pour le sauver des bêtes sauvages ou pour le libérer des brigands. Il allait ainsi, brandissant son épée nue dans sa main, quand il rencontra sur sa route Héraclès. Aussitôt, il lui annonça le malheur déplorable qui venait d'arriver : 'Malheur ! Je vais, le premier de tous, te dire une nouvelle bien triste : Hylas, qui est allé à la source, ne revient pas sain et sauf. Mais des brigands l'ont saisi et l'entraînent de force, ou des bêtes le dévorent ; moi je l'ai entendu crier'. Héraclès, très ému de cette nouvelle, se mit en route, courant devant lui où le menaient ses pieds. Il poussait des cris qui retentissaient au loin. Au moment où l'étoile du matin commençait à briller, Tiphys ordonna de s'embarquer. Mais quand l'aurore sereine resplendit, les Argonautes s'aperçurent que, sans y prendre garde, ils avaient laissé leurs compagnons. Une violente querelle s'éleva entre eux, un tumulte affreux. Télamon accusait Jason d'avoir laissé Héraclès pour que sa gloire n'obscurcît pas la sienne. Ils seraient, certes, revenus en arrière, vers la terre des Mysiens, si les deux fils du Thrace Borée n'avaient interpellé Télamon par de dures paroles : infortunés ! Une terrible vengeance leur était réservée dans l'avenir, de la main d'Héraclès, pour avoir empêché qu'on allât à sa recherche. Mais, du fond de la mer, Glaucos apparut aux Argonautes. Il éleva la tête à la surface de l'eau et leur annonça ceci : 'Héraclès, selon le dessein du grand Zeus, ne doit pas aller à la ville d'Aietès mais retourner à Argos pour accomplir les douze travaux jusqu'au bout, suivant les ordres de l'injuste Eurysthée⁽¹⁾. Quant à Polyphemos, l'ordre fatal est qu'après avoir fondé une ville illustre chez les Mysiens, à l'embouchure du Cios, il achève son destin dans le pays immense des Chalybes⁽²⁾. Pour Hylas, une nymphe divine en

(1) *Contra*. Chant I, v. 122 et suiv. Après avoir pris vivant le sanglier du marais d'Erymanthos, Héraclès partit avec les Argonautes, par sa propre volonté, sans l'ordre d'Eurysthée.

(2) Cf. Hégins, table, XIV, 25 : *Condita in Mœsia civitate pergit apud Chalybas*.

(b) *Chez Apollonius de Rhodes.*

Il nous donne, sur l'aventure d'Hylas, le récit le plus long et le plus riche en détails ; en voici les grandes lignes.

« Quand les Argonautes arrivèrent aux habitations de la terre de Kios, près du mont 'Arganthoneios' et de l'embouchure du Cios, les Mysiens, habitants du pays les reçurent avec hospitalité. Pendant que les héros préparaient le festin, Héraclès partit pour la forêt; il avait hâte de se fabriquer, avant tout, une rame. De son côté, Hylas⁽¹⁾, muni d'un vase d'airain, s'était écarté de l'assemblée des héros, à la recherche du jaillissement sacré d'une source pour puiser l'eau nécessaire au repas d'Héraclès. En effet, dès sa petite enfance, il avait été élevé par Héraclès dans ces habitudes, depuis le temps où celui-ci l'avait enlevé de la maison de son père, le divin Theiodamas, tué misérablement au pays des Dryopes par le héros, à la suite de leur querelle au sujet d'un bœuf de labour. Or, Hylas arriva bien vite à une fontaine que les habitants du voisinage appellent 'les sources'. A ce moment, des chœurs de nymphes y étaient installés; car toutes, tant qu'elles étaient, habitantes de ce riant promontoire, elles avaient soin, chaque nuit, de célébrer Artémis par leurs chants. Toutes celles qui habitaient les hauteurs ou les grottes des montagnes ou les forêts arrivaient de loin; et, de la source aux belles ondes, venait de s'élever la nymphe de la fontaine. Elle aperçut Hylas près d'elle, resplendissant de beauté et de grâces séduisantes. Cypris frappa le cœur de la nymphe. Alors dès qu'Hylas eut plongé son vase dans le courant, dès que l'eau commença à s'engloutir avec bruit dans l'aimin sonore, aussitôt la nymphe lui mit sur le cou son bras gauche, pleine de désir de baiser sa bouche délicate; de sa main droite, le saisissant au coude, elle l'entraîna au milieu du tourbillon d'eau. Il cria; seul, parmi tous ses compagnons,

(1) Il fut déjà signalé aux vers 131 et suiv.

... .. σὺν καὶ οἱ Ὑλας κίεν ἐσθλός ὀπάων,
πρωθήβης ἰδὼν τε φορεὺς φύλακός τε βίοιο,

explique ainsi. Le poète avait trouvé, chez l'auteur où il puisa sa légende, que le fleuve Ascanius baignait toute la région ; ensuite il avait lu qu'Hylas fut entraîné par les Nymphes dans une source quelconque. Il voulut faire entrer ces deux récits dans un seul ; et pour établir une relation entre le fleuve et les nymphes, il imagine que celles-ci étaient filles d'Ascanius. Cette explication est, pourtant, peu probante ; Türk n'aborde pas le point qui cause la confusion. Quel est le rapport entre le fleuve et la source ? Pourquoi le poète les signale-t-il l'un après l'autre ? Si dans l'esprit de Nicandre, la source, où Hylas disparaît, est la source du fleuve, il faut penser au lac d'Ascagne (1).

Or le mot (κρήνη) employé par le poète ne signifie "lac" ni non plus un endroit où peut naître un fleuve. A notre avis, cette confusion est due à l'érudition du poète. "A l'époque où il vivait, la recherche érudite ne se glisse-t-elle pas un peu partout ? Le récit, qu'on croirait fantaisiste, n'est-il pas en réalité un tissu de curiosités historiques, mythologiques, géographiques" (2) ? Nicandre se fait donc volontiers gloire de déployer son pédantisme dans ce récit.

En ce qui concerne la métamorphose d'Hylas en Echo, elle est une innovation créée par Nicandre. Dans la version ancienne aussi bien que dans le poème de Théocrite et d'Apollonios, Hylas disparaît dans la source et les nymphes (3) s'emparent de lui ; chez Nicandre elles le précipitent dans la fontaine et le métamorphosent en Echo. Mais cela s'explique très bien si nous n'oublions pas que le récit fait partie des *Ἐτεροισύμενα*.

(1) C'est là que naît le fleuve ; (cf. Verg., *Georg.*, III, v. 270 ; Plin., V, 144 ; Prop., I, XX, v. 16.

(2) Legrand (Ph. E.), *Etude sur Théoc.*, p. 83.

(3) Chez Apollonios, il s'agit d'une seule Nymphé ; chez Théocrite, elles sont trois.

qui prépare le repas pour ses compagnons ? A vrai dire, c'est une innovation heureuse que le poète ajoute, avec habileté, à la fable antique. En effet, étant le capitaine, Héraclès n'a pas le droit de quitter son navire ni ses compagnons ; il poursuivra son voyage jusqu'au bout. Sur ce point, Nicandre diffère de Théocrite chez qui Héraclès, considéré comme "matelot déserteur" est abandonné par les Argonautes. Aux yeux de Nicandre, Héraclès demeure le type du héros qui remplit sa mission sans défaillance ; chez Théocrite, Héraclès n'est guère un héros, il est un mortel qui cède à Eros ; et toutes les affaires de Jason ne viennent pour lui qu'en seconde ligne¹.

Quant à la façon d'introduire Polyphemos dans le récit, elle est ingénieuse aussi bien qu'originale. Le poète passe sous silence l'autre version de la légende sur l'amour de Polyphemos pour Hylas ; il n'y fait aucune allusion. Polyphemos, chez lui, est un simple argonaute qui, sur les ordres du capitaine, reste en Mysie pour chercher Hylas. Ainsi le poète réussit à donner un récit cohérent. A ce propos il est plus adroit qu'Apollonios ; car celui-ci, en fondant les deux versions en une seule, nous laisse croire que Polyphemos est toujours l'amant d'Hylas autant qu'Héraclès. Ce qui laisse une impression de confusion et d'incohérence dans son récit⁽¹⁾. D'autre part, Nicandre est le seul à dire qu'Hylas fut le fils de Céyx. Peut-être apporte-t-il cette modification parce qu'il ne veut pas qu'Héraclès aime le fils d'un ennemi—Theiodamas ; cela pourrait affaiblir l'amour du héros pour Hylas. Il traiterait le bel adolescent comme un captif⁽²⁾, pris par la force des armes. Aussi le poète remplace-t-il Theiodamas par Céyx.

Cependant le récit de Nicandre soulève une difficulté : le poète, en effet, raconte qu'Hylas arrive au fleuve ; et tout d'un coup il dit que les nymphes, filles d'Ascanius, le précipitent dans la source. Il y a donc, dans son récit une confusion que Türk⁽³⁾

(1) Voir Sect. (b) de cet article.

(2) Voir Sect. (c) de cet article.

(3) Türk. De Hyla, p. 33.

(a) Chez Nicandre.

Il nous donne au livre II des *Hétéronoumena* ce récit⁽¹⁾ : "Héraclès partit avec les Argonautes qui le nommèrent 'chef'. Il emmena avec lui le plus bel adolescent, Hylas, fils de Ceyx⁽²⁾. Quand ils furent arrivés au détroit du Pont Euxin et eurent dépassé la montagne d'Arganthe, une tempête les obligea à jeter l'ancre et à s'arrêter. Héraclès prépara le repas pour ses compagnons et Hylas alla (ἔχων κρῶσσόν) jusqu'au fleuve Ascanius pour puiser de l'eau. Quand les nymphes, filles de ce fleuve, l'aperçurent, elles brûlèrent d'amour pour lui. Tandis qu'il puisait l'eau, elles l'entraînèrent dans la source et Hylas disparut. Comme il ne revenait pas, Héraclès s'éloigna de ses compagnons et le chercha par toute la forêt en l'appelant à plusieurs reprises. Les nymphes, craignant qu'Héraclès ne le trouvât caché chez elles, le changèrent en Echo ; et l'Echo répondit plusieurs fois à l'appel d'Héraclès. Celui-ci fit de son mieux pour trouver Hylas mais en vain. Alors il retourna au navire et poursuivit le voyage jusqu'au bout après avoir laissé Polyphemos dans cette région pour qu'il trouvât Hylas s'il pouvait. Or, Polyphemos mourut avant de le trouver. Les habitants du lieu font encore des sacrifices, près de la source, en honneur d'Hylas ; le prêtre l'appelle par son nom trois fois et trois fois l'Echo lui répond".

Parmi ces détails, quelques-uns sont tout à fait personnels ; ils appartiennent à Nicandre seul. Le poète met Héraclès à la tête des Argonautes. Il est le chef de l'expédition⁽³⁾—'généreux et affable' comme il convient à tout grand chef. N'est-ce pas lui

(1) Antoninos Liberalis, 26 : τοιοῦτοι Νικάνδρως.

(2) Hylas a plusieurs généalogies. Chez Hellanicos. Sch. Théon., XIII, v. 17-9 il est le fils de Theioménès ; chez Socrate, Sch. Théoc., XIII, v. 7, il est le fils d'Héraclès, mais ce n'est qu'une confusion du nom avec celui d'Hyllos. Selon la version la plus répandue, il est le fils de Theiodamas ; Cf. Apollon. Rhod., Callimaque ; Hygin, fab. XIV.

(3) Cf. Apollod., I, 9, 19 ; Diod. Sic., IV, 41, 3 : *contra*, Apollon. Rhod., I, v. 341 ; Théoc., v. XIII, 37.

Quant à Nicandre, à Apollonios de Rhodes et à Théocrite, ils sont les trois poètes importants à qui nous devons les détails caractéristiques du mythe. Tâchons, donc, d'examiner ces détails pour suivre l'évolution de la légende, connaître les modifications apportées par chaque poète et ainsi mieux juger de leur goût et de leur originalité.

3. — LA LÉGENDE CHEZ LES ALEXANDRINS

De toutes les œuvres alexandrines qui traitèrent de la fable d'Hylas, il nous reste le développement d'Apollonios dans son premier chant et le poème XIII de Théocrite; ils nous sont parvenus intégralement. D'autres auteurs, l'histoire nous a conservé quelques fragments maigres ou des débris de quelques vers ⁽¹⁾.

Callimaque, dans les 'Aitia' fait allusion à l'épisode de Theiodamas et Héracles; il le rappelle encore dans l'hymne d'Artémis (v. 160). Mais le caractère très fragmentaire des livres des 'Origines' ne nous permet pas de dégager une idée nette sur cet exploit d'Héracles.

L'histoire de Theiodamas fait-elle partie d'une série des aventures du héros? Fut-elle suivie de l'enlèvement d'Hylas? Dans ce livre même des 'Aitia' y avait-il une suite de récits relatifs au voyage des Argonautes? Autant de questions dont la réponse aurait pu nous intéresser! Or, le manque de textes grecs laisse la discussion ouverte malgré les arguments des critiques modernes, de nombreux arguments que nous ne voulons pas soulever de nouveau ⁽²⁾.

(1) Philétas, frag., Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1178; Sch. Théoc., XIII, v. 7; Euphorion. frag., Sch. Apollon. Rhod., I v. 1236; Sch. Théoc., XIII, v. 48; Onasos, frag., Sch. Apollon. Rhod.: Une version unique sur la disparition d'Hylas—"Ὀνασος δὲ ἐν πρώτῳ Ἀμαζονικῶν ἀληθέστερον τὴν ἱστορίαν ἐκτίθεται, οὐχ ἡρπάζεσθαι αὐτὸν ὁπὸ Νυμφῶν, ἀλλὰ κατηνέχθαι εἰς κρήνην καὶ οὕτως ἀποθανεῖν."

(2) Voir. Calien (E.), Callimaque, Hymnes, Epigrs. frags., Paris, 1929, p. 40 et suiv. Il réfute toutes les hypothèses de ses adversaires pour arriver à cette conclusion: 'Les Aitia contenaient un grand nombre de récits variés, où étaient rapportés des mythes, des traditions, des usages locaux, non pas une série des aventures des Argonautes'. (Cf. Türk., De Hyla, p. 39—qui affirme que Callimaque n'avait pas abordé l'histoire de l'enlèvement d'Hylas. *Contra*, Schneider (O.), Callimachia, T. II, p. 79 et suiv.: Cf. Couat, La Poésie Alex., p. 161. Les fragments, 410, 512, 546 ed. Schneider, dit-il, prouvent que Callimaque avait développé toute la fable d'Héracles et d'Hylas depuis la rencontre d'Héracles avec Theiodamas.

Kinéthon⁽¹⁾ semble avoir vécu et écrit son, 'Héraclès' aux environs de cette date. Nous aurions pu même fixer une date antérieure, mais le fragment d'Hésiode⁽²⁾ ne nous permet pas de supposer l'existence d'une relation entre Héraclès et Hylas pendant ce voyage.

(1) Il faut remarquer que la confusion, concernant la date et l'œuvre de Kinéthon et de Créophyle de Samos, n'infirme pas notre constatation. Car l'auteur de l'Héraclès et l'auteur de la Prise d'Oechalië vécurent au plus tard au 8^e av. J. Ch. ; Voir, Croiset (A. et M.), *Hist. de la Litt. Grec.*, T. I, p. 579 ; Cf. Rüscher, *Lexikon Der griech. Mythologie*, Leipzig, 1884, S. V. Hylas—col. 2794.

En outre Wilamowitz, cité par Köhler, *op. cit.*, p. 262, croit fermement que : "Hylas antiquus in ipsa Graecia collocatum fuisse". *Contra*, Rüscher, S. V. Hylas : "Erst die Alexandrinische Poesie hat die Hylasage in die Argonautensage aufgenommen".

(2) Sch. Apollon. Rhod., I, v, 1289. Hésiode dans les *Noctes* de Créxus dit qu'Héraclès, débarqué en Magnésie pour chercher de l'eau fut abandonné à l'endroit appelé (Aphetai) à cause de sa séparation (ἀφαιρεσις) d'avec les héros en ce lieu. Le Scholiniste ajoute que Poséidon, l'épigrammatiste et Phérécyde ont suivi ce récit Cf. H. Rodete. VII. 123.

Théomène, fut l'ami d'Héraclès. Eschyle⁽¹⁾ et Aristophane, eux aussi, ont dû connaître la légende de la disparition d'Hylas ou tout au moins le proverbe né de cette légende; puisqu'ils font allusions aux "vains appels" lancer pour "regretter un objet ardemment désiré"⁽²⁾. Cependant chez ces auteurs nous ne trouvons rien qui puisse montrer le rapport entre cette légende et la fable des Argonautes. Il nous reste, en outre, quelques fragments qui soulèvent, à ce propos, une autre difficulté. Quand Onasos⁽³⁾, dans le premier livre de ses Amazoniques parle d'Hylas, il nous donne l'impression que cette légende fut rattachée à l'aventure d'Héraclès contre les Amazones. Servius⁽⁴⁾, de son côté, quand il aborde les diverses raisons de la guerre de Troie, mentionne Héraclès cherchant Hylas. Bien que le texte ne soit pas clair, nous y rencontrons Héraclès—"quaerentem Hylam". Il est possible, dit-on⁽⁵⁾, que le critique fasse allusion à une version ancienne, isolée, que l'on ne connaît guère. Il nous est difficile, pourtant, d'affirmer cette hypothèse car nous n'avons aucun texte qui nous ait conservé les traces d'une telle version. Ajoutons qu'à l'exception du fragment d'Onasos et du texte de Servius, toutes les traditions anciennes, en particulier les alexandrines, rattachent la légende d'Hylas à l'expédition des Argonautes. Nous pouvons, donc, constater que la légende mysienne fut mêlée à la fable grecque à partir du 8^e siècle av. J. Ch. ou peut-être avant car

(1) Les Perses, v. 1054: "Frappe aussi ta poitrine et lance l'appel mysien"—telles sont les paroles de Xerxès regrettant sa gloire perdue.

(2) Aristop., Ploutos, v. 1127 "ποθέεις τὸν οὐ κἀρόντα καὶ μάτην κολᾷς." Cf. Suidas, δ. V. "Υλαν.

κραιυάζειν—une expression qui est devenue un proverbe—"crier Hylas" veut dire chercher quelque chose en vain.

(3) Sch. Théoc., XII, v. 46; Sch. Apollon. Rhod., I, 1236.

(4) Servius, In Verg. Aeu., XI, v. 263: "Sunt qui volunt nec raptam esse a Paride Helenam, sed aliam causam belli fuisse Troiani, illam scilicet, quod Herculē, quaerentem Hylam, suscipere noluerant".

(5) Köhler, Analecta Hellanica. p. 265.

s'était éloigné de ses compagnons, soit pour puiser de l'eau⁽¹⁾, soit pour chercher son ami⁽²⁾. fut abandonné en Mysie ; les autres racontent qu'il resta avec les Argonautes jusqu'à la fin du voyage. Théocrite⁽³⁾ seul dit que le matelot déserteur gagna à pieds le pays de Colchide.

Quoi qu'il en soit, nous pouvons, peut-être, tirer cette conclusion : si cette expédition eut jamais lieu, Héraclès y participa, sans doute, et arriva avec les Argonautes en Mysie, pays des gens de Kios, adorateurs d'Hylas.

Quant à la date où la légende d'Hylas fut mêlée au récit de l'expédition des Argonautes, le Scholiaste d'Apollonios nous l'indique ainsi⁽⁴⁾ : " La plupart des fables et des légendes locales de sources anciennes sont mêlées au récit de l'expédition par les poètes et les prosateurs postérieurs à Pindare ". C'est une constatation vague car elle ne donne aucune information sur les poètes antérieurs à Pindare ; elle n'indique non plus qui de ces poètes postérieurs mêla le premier cette légende à la fable argonautique. D'autre part, peu clairs sont les renseignements que nous donnent les écrivains anciens.

Kinéthon⁽⁵⁾ nous raconte l'amour d'Héraclès pour Hylas ; il parle des otages qu'Héraclès exigea des gens de Kios après la perte d'Hylas. Hellanicos⁽⁶⁾ n'ajoutait rien à ces détails ; son fragment est, au contraire, très maigre. Il y disait qu'Hylas, fils de

(1) Hésiode, les Noces de Cécrops ; Poséidippos, l'épigrammatiste et Phérécyde ; Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289.

(2) Selon la tradition la plus répandue, Héraclès resta pour chercher Hylas.

(3) Théoc., XIII, v. 77. Mais Denys de Mitylène, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289 dit que " le héros navigua avec les guerriers jusqu'au pays des Colchidiens et aida Jason dans toutes les conjonctures concernant Médée ". (Cf. Démarate, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289 ; Antimaque seul, dans son poème Lydé, dit qu'Héraclès fut mis à terre parce que le navire Argo était surchargé par le poids du héros.

(4) Sch. Apollon. Rhod., IV, v. 259.

(5) Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1357.

(6) Sch. Apollon. Rhod., I, v. 131 à I, v. 1207.

Il est certain, d'après toutes les traditions⁽¹⁾, qu'Héraclès participa à l'expédition des Argonautes. Les opinions sont, pourtant, diverses en ce qui concerne le rôle qu'il y joua et la distance qu'il parcourut avec ses compagnons.

Nicandre⁽²⁾, Apollodore⁽³⁾, et Diodore⁽⁴⁾ constatent qu'Héraclès fut le chef de l'expédition ; les autres écrivains⁽⁵⁾ le considèrent simplement comme un des Argonautes. Quant à Apollonios de Rhodes, il connut, semble-t-il, les deux versions, les fonda pour nous en donner une originale. C'est du moins l'impression que nous donne ce récit : "Les jeunes gens de leurs regards indiquèrent l'audacieux Hercule, assis au milieu d'eux, et d'une clameur unanime, ils l'invitèrent à prendre le commandement. Mais celui-ci de sa place éleva la main droite et leur parla ainsi : Que personne ne m'attribue cet honneur, car je ne consentirai pas à l'accepter et j'empêcherai tout autre de se lever comme chef parmi nous. "Que celui-là (Jason) qui nous a réunis commande aussi notre peuple"⁽⁶⁾.

Pour l'itinéraire que suivit le héros, il est encore plus difficile de l'indiquer avec exactitude. Les uns disent qu'Héraclès, qui

(1) Hésiode, Les Noces de Célyx, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289 ; Kinéthon, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1347 ; Hellanicos, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1207 ; Cf. Sch. Théoc., XIII, v. v. 7-9. Tous disent qu'Héraclès participa à l'expédition, sauf Aristote, Polit., III, 13, qui raconte que le héros ne voulut pas accepter Jason pour chef et qu'il se retira de l'expédition, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289.

(2) Nicandre, Hétéroioumena, II, frag. 48 ; Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1236—'Ηρακλῆς ὅτε μετὰ τῶν Ἀργοναυτῶν ἔπλεε, στρατηγὸς ὄν' αὐτῶν ἀποδειχθεὶς.

(3) Apollod., I, 9, 19 : Διονύσιος . . . αὐτὸν (Héraclès) καὶ ἡγεμόνα φησι τῶν Ἀργοναυτῶν γενέσθαι.

(4) Diod. Sic., IV, 41, 3 : ... τοὺς δ' ὅν ἀριστεῖς συνελθόντας ἐλάσσει σφῶν αὐτῶν στρατηγὸν Ἡρακλῆα προκρίναντας κατ' ἀνδρείαν.

(5) Apollon. Rhod., I, v. 131 ; Théoc., XIII, v. 20 ; Hésiode, Les Noces de Célyx, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289 ; Kinéthon, Sch. Apollon. Rhod., v. I, 1357.

(6) Apollon. Rhod., I, v. 341 et suiv ; Cf. Hygin., fable, XIV, 31.

2.—LES RAPPORTS ENTRE LA LÉGENDE ET LA FABLE ARGONAUTIQUE

Selon les auteurs grecs, nous savons que la fable des Argonautes remonte à l'origine même de leur race. Le navire *Argo* fut connu de tout le monde, dit Homère⁽¹⁾; et après lui, la plupart des poètes, jusqu'à Apollonios de Rhodes⁽²⁾, traitèrent de cette légende. Celle-ci, en se transmettant d'âge en âge devait, donc, subir, pendant cette longue suite de siècles, de nombreuses transformations. Elle fut élargie, surchargée d'incidents par les poètes et les logographes qui cherchaient à combiner les diverses traditions et les forçaient à entrer dans un récit suivi⁽³⁾. Mais nous n'avons pas à nous occuper de toutes ces modifications, car cela n'entre pas dans le cadre de cette étude. Il nous suffira de nous consacrer à celles qui concernent Héraclès et son compagnon—Hylas.

(1) Hom., *Ody.*, XII, v.v. 69-72. Voir la dissertation de Groeger (M.), *De Argonauticarum fabularum historia quaestiones selectae*, Vratislaviae, 1889.

(2) Hésiode, *Théog.*, v.v. 992-1002—résumé en quelques vers tout le sujet des Argonautiques. Pindare en fait l'objet de la IV^e Pythique; Sophocle, dans les *Lemniennes*, Sch. Apollon. Rhod. IV, v. 223 et Euripide dans *Héraclès Furieux* et *Médée*, avaient présenté les diverses phases de l'expédition. Antimaque, dans son *élégie*, Lydé, réserve une grande place à l'histoire de Jason et Médée; Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289. Dans les *Héracléides*, de Pisandre—selon Théoc., *Epig.*, XXII—et de Panyasis; Sch. Apollon. Rhod., IV, v. 1149, on lisait plusieurs détails de la légende *Argo*.

Pour les ouvrages alexandrins et les fragments qui nous en restent, Voir la *Scholie d'Apollon. Rhod.*, éd. Keil; consulter l'*index* qui est à la fin du volume.

(3) Voir. Stender (J.), *De Argonautarum ad Colchos usque Expeditione Fabulae Historia critica*, Kiel, 1874. Dans cette étude précise, l'auteur suit l'évolution de la fable chez les écrivains grecs, éclaircit les points confus et signale les modifications et les épisodes apportés à la fable; Cf. Couat (A.), *La Poésie Alex.*, sous les trois prem. Ptolémées, Paris, 1882, p.p. 300-304.

Mais Hylas fut-il un dieu indigène ou une source ? Les auteurs anciens nous expriment, à ce propos, des idées contradictoires. Hésychius⁽¹⁾ dit qu'Hylas fut une source dans le pays des gens de Kios ; Pline⁽²⁾ le range parmi les trois fleuves qui arrosent cette région. Cependant tous les autres écrivains⁽³⁾, sans exception, affirment qu'Hylas fut un bel adolescent, aimé par Héraclès⁽⁴⁾ et ravi par les nymphes⁽⁵⁾ de 'la source'. Philostrate⁽⁶⁾ aussi bien que les critiques modernes⁽⁷⁾ ont accepté cette tradition du fait qu'ils comparent la triste fin d'Hylas à la mort prématurée d'Hyacinthe et d'Adonis⁽⁸⁾. Pour les modernes, ces dieux sont "l'image de la fraîche végétation printanière, qui chaque année, se flétrit, après une courte et brillante floraison"⁽⁹⁾.

(1) Hésychius., S. V. Ὕλας, κρήνας Κίονοι (καλοῦνται).

(2) Pline., Hist. Nat., V. 143 : Ascanius, Cios et Hylas. Pline dit vrai en ce qui concerne les deux premiers, car ils existèrent ; quant au troisième, il nous est inconnu. Cf. Türk., De Hyla, Breslau, 1895, p. 8.

(3) Apollon. Rhod., I, v. 1177 et suiv. ; Théoc., XIII, v. 45 ; Strab., XII, 564 ; Apollod., I, 9, 19 ; Hygin., fable 14 ; Val. Flacc., III, v. v. 545 et suiv. ; Prop., I, xx, v. 6 ; Verg., Buc., VI, v. 41.

(4) Socrate seul, dans son livre à Eidothéos, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1207, dit qu'Hylas fut aimé de Polyphemos et non d'Héraclès.

(5) Théoc., XIII, v. 45 ; Nicandre., Sch. Apollon. Rhod., I, v. 236. *Contra*, Apollon. Rhod., I, v. 1229 — chez qui Hylas fut ravi par la nymphe de la fontaine. Onasos donne une version unique, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1207. " Dans le livre I de ses Amazoniques, Onasos dit qu'Hylas ne fut pas ravi par les nymphes, mais qu'ayant été entraîné dans la source il mourut ainsi ".

(6) Philos., II, p. 197, 23, remarque les similitudes entre Adonis, Narcisse, Hylas et Hyacinthe.

(7) Voir, Wissowa., Real. Encyc., S. V. Hylas 'Heros der Kianer' ; Cf. Decharme., Myth. de la Grèce Ant. p. 332.

(8) Mellink (M. J.) : Hyakinthos, Introd., p. 1.

(9) Decharme., Myth. de la Grèce Ant., p. 332. Parmi les divinités qui représentent la même image qu'Hylas, signalons celles-ci : Osiris ; Cf. Frazer, Adonis, Attis, Osiris, London, 1906, p. 319 ; Bormos, Voir Athénée, XIV, 619 ; Linos, Voir, Pausan., I, 43, 7 ; IX, 29, 6-9 ; Cf. Théoc., XXIV, v. 103 ; Apollod., II, 63 ; Homère, II, XVIII, v. v. 169-71. " Le chant des moissonneurs en honneur de Linos ".

Est-ce une légende qui date des origines de la race grecque, connue de tous les poètes à partir d'Homère ? Ou n'est-elle qu'une fable locale, mêlée, à une certaine époque, au récit de l'expédition des Argonautes ? Quels sont les écrivains qui l'ont traitée ?



Strabon ⁽¹⁾ nous décrit une fête, célébrée tous les ans, depuis l'antiquité, dans Kios, une ville de Mysie. Cette description nous apprend que les habitants de cette ville sortaient en foule et erraient dans les montagnes et les bois pour appeler 'Hylas' et le chercher. Le géographe ajoute qu'auprès de la ville, s'élevait la montagne (Arganthion) où Hylas fut enlevé—ἐνταῦθα δὲ μυθεύουσι τὸν Ὑλαν, ἕνα ⁽²⁾ τῶν Ἡρακλέους ἐταίρων συμπλεύσαντα ἐπὶ τῆς Ἀργοῦς αὐτῷ, ἐξιώντα δὲ ἐπὶ ὕδρῳ ὑπὸ νυμφῶν ἀρπαγῆναι.

Servius ⁽³⁾, de son côté, constate qu'on célébrait en l'honneur d'Hylas des cérémonies religieuses où l'on avait l'habitude de l'appeler 'trois fois' dans les montagnes. Nicandre ⁽⁴⁾, lui aussi, dans le livre II des Hétéroïoumena racontait qu'Hylas fut ravi par les nymphes et que les habitants de Kios faisaient des sacrifices en son honneur auprès de la source—le prêtre l'appelait trois fois et l'Echo lui répondait. Selon ces récits nous pouvons affirmer qu'Hylas fut l'objet d'un culte chez les Mysiens, habitants très anciens de cette région ⁽⁵⁾. Sa légende est, donc, d'origine mysienne ⁽⁶⁾ et c'est pourquoi elle reste liée à la Mysie, même après avoir été mêlée à la fable argonautique.

(1) Strabon, XII, 4, 3 ; Voir Knorr (A.), *De Apollonii Rhodii Argonauticorum fontibus quaestiones selectae*, Lipsiae, 1902, p. 33.

(2) Sch. Apollon. Rhod., I. v. 1207 : Il y eut beaucoup de gens aimés par Héraclès : Hylas, Philocrète, Diomos, Perithous et Phrix.

(3) Servius, In Verg., Buc. VI. v. 43.

(4) Sch. Apollon. Rhod., I. v. 1236. Cf. Suidas., s. V. Ὑλαν κραυγάζειν

(5) Sch. Apollon. Rhod., I. v. 1177.

(6) Apollod., I. 9. 19. Voir Köhler (R.), *Analecta Hellanica*, Lipsiae, 1898, p. 262-264.

Ἥλας

— Mais Alcide inquiet, que pressent un noir augure,

— Va, vient, le cherche, erle : auprès de l'onde pure,

— Hylas, Hylas ! "

A. Chénier

PAR

Dr. M. S. KHAFAGA

1.— L'ORIGINE DE LA LÉGENDE

“ Quand les argonautes abordèrent, dans la Propontide, à la côte de Bithynie, le jeune Hylas, ami d'Héraclès, fut envoyé à la recherche d'une source pour y puiser l'eau nécessaire au repas pour Héraclès. Sous un bosquet verdoyant où le sol est émaillé de fleurs brillantes, il aperçoit une fontaine dont la fraîcheur et la limpidité l'attirent. Il s'approche, se penche à la surface des eaux et y plonge son urne. Mais les nymphes de la source l'ont vu. Elles fendent les flots, sortent et entraînent Hylas par la main au fond de leur brillante demeure. Cependant Héraclès, en proie à la folie, court çà et là à la recherche de son ami ; il l'appelle trois fois, mais la voix d'Hylas, venant du fond de la source, arrive toute grêle. On ajoutait que le héros avait menacé de ravager toute la contrée si l'on ne découvrait pas Hylas. Depuis ce temps, à un jour consacré, les habitants de cet endroit et des environs se répandent sur la montagne, en prononçant à grands cris et à plusieurs reprises le nom d'Hylas ” (1).

Avant d'étudier cette légende, nous voulons, pour la mieux comprendre, éclaircir ces points historiques.

(1) Résumé d'après Apollon. Rhod. Argon., I, vv. 1207-1240. Théoc., Idy. XIII, v. 45 et suiv. Cf. Decharme (P.) : Mythologie de la Grèce Antique, p. 354.

The Demotic name *nbe* is probably a shorter form of the Egyptian word *nb* meaning "wall", *τεῖχος*; hence the meaning "dyke", literally "wall", *τεῖχος*. Yet it may be worth adding that the word is possibly composed of two elements: the first *n*, a *nisbe*-adjective meaning "that of", and the second *br*, = *by* (*Wb. Aeg. Spr.*, I, p. 417; 15, 16) or *b¹₃* (*ib.*, p. 418; 1) meaning "breach in a dyke", *διδκομμα*. And thus the word would mean "work on the *διδκομμα*", which exactly corresponds to the term *يشغل في قطع الجمر* "to work on the breach in the dyke" in current use in to-day's Egypt. Again, the word might possibly be connected with the Egyptian word *nbyw* meaning "protector" (*Wb.*, II, 245) and so means "protection or preservation (of the dykes)". For the equation of the Demotic *nbe* with the Greek *χωματικόν* "dyke-tax", see Thompson *Theban Ostraca*, p. 26, note 3.

The tax called *χωματικόν* in the Third Century B.C. was a burden on land and, therefore, entirely distinct from the *χωματικόν* of the Roman period. In the Second Century B.C., the Greek name of the tax was displaced by the Egyptian name *ναόβιον* (*Pap. Tebtunis* 5, 79, 119) (*Tait, Gr. Ostr.*, p. 5, No. 81, note on line 3). The receipts for the dyke-tax were usually issued by the bank, sometimes by tax-collectors.

THE CHŌMATIKON: ITS FORM AND NATURE IN DEMOTIC AND GREEK TEXTS

BY

GIRGIS MATTHA

During the period between the beginning of June and the middle of August, the Government officials used to summon from every village in Egypt a number of its inhabitants to work each for a period of five days on the dykes and canals and so prepare for the rise of the Nile. Such inhabitants as were not summoned had to pay a fixed sum as the equivalent, a dyke-tax, known in Greek texts by the name *χωματικόν*. Demotic receipts for this tax from Thebes describe such sums as were paid for it (which are, with very few exceptions, 6 drachmae 4 obols each, paid at the end of the year for which they were due or at the beginning of the next year) as *ht nbe* (var. *nb*), "dyke-money" or as for *nbe* (var. *nb*), "dyke".

Some receipts from Thebes record 4 drachmae and 5 drachmae 2 obols as sums paid for this tax; but these sums possibly represent what remained for the tax after the payment of previous instalments in respect of it.

At Edfu and Denderah the sums paid were described as *pr n/*, "the commutation of dyke (-work)". The sums paid as commutation were at times 6 drachmae at Edfu, while at Denderah the rate was the same as that at Thebes, namely, 6 drachmae 4 obols.

In a receipt from Hermouthis, the sum of $\frac{1}{2}$ drachma 2 obols is paid for the dyke-tax as an adjunct to the poll-tax of year 8 of Ve-pasian. The sum is certainly an instalment.

to be discharged in gross on a later date, possibly at the end of the year for which the corn-tax was due, just in the same way as money-taxes were receipted with the further remark that they were paid *n wē n wē* "without prosdiagraphomena", literally "without payment or sending dues", or that *pe-w wē hn-w* "their prosdiagraphomena are being included in them".

THE PROSMETRŪMENA IN DEMOTIC TAXATION RECEIPTS

BY

GIRGIS MATTHA

A technical term, which frequently recurs in receipts for corn-taxes, is the phrase (n) *ut* (n) *ēp* "without extra charges". This demotic term is suggested by Spiegelberg (*Ostr. Strassb. G.* 329, note) to mean "ohne koerperlichen Empfang". He, moreover, suggests that the sentence *st ēp n 'p* "they are credited" or "they are received on account", which frequently recurs in receipts for payments both in money and in kind issued by the taxation officials of the bank or the granary to describe the sum or the amount received as being an interim payment, has the same significance. But the contexts in which either of these two different terms occurs point to the contrary. I, therefore, suggest that *ēp*, in *n ut n ēp*, is the technical word for an "extra charge", literally "collecting or receiving dues", identical with the *προσμετρούμενα* of Greek texts, to meet the expenses of collecting corn, and comparable to the *ut* or *προδιαγραφόμενα* of money-taxes. The word *ut* "extra charge", literally means "sending charges", which latter points to the practice of *sending* money-taxes into the bank through the tax-collectors who charged tax-payers a certain percentage, normally $6\frac{1}{4}\%$, of the amount of the tax *sent* through them (sc. tax-collectors) into the bank. The whole phrase *n ut n ēp* "without extra charges" implies that these charges were not included in the amount of corn paid to the collectors or farmers of corn-taxes and remained

"I am paid in full by thee the rest of my wine for the shrine of Batow the great goddess—one keramion of wine—for year 20 of Hadrian Caesar our lord. It is credited (*e-f šp n 'p*)". In this case it is hardly possible to translate the phrase *e-f šp n 'p* into "it is being received by reckoning", as already suggested by Thompson, since the amount this phrase refers to is *only one* keramion.

For the use of the term "received on account" in Greek documents it will suffice to adduce here the following passage from *Pap Oxy.* 54, ll. 15-17, by way of illustration: αἰτούμεθα ἐπισταλῆναι ἐπὶ λόγου ἀργυρίου τάλαντα τρία, ... ὅν λόγον τάξομεν ὡς δεόν ἐστίν "We request that we may receive... three talents of silver on account, of which we will render due account".

INTERIM PAYMENTS IN GREEK AND DEMOTIC DOCUMENTS

BY

GIRGIS MATTHA

In acknowledging payments, whether in money or in kind, the tax-collectors of the Ptolemaic and Roman periods, as well as private individuals, frequently mention after the sum or amount paid to them that this sum or that amount is *šp n 'p* "received on account", i.e. credited as an interim payment, which exactly corresponds to the Greek technical term *ἐπὶ λόγου* "on account". In a tax-receipt from Hermonthis of the 12th year of Euergetes I the tax-collector, in referring to the sum of 2 kiti (= 4 drachmae) paid to him by the tax-payer, declares to the latter: *mt-y ty šp-w s n-k n 'p* "and I shall cause them (sc. the 4 drachmae) to be received on account for thee (i.e. credited for thee as an interim payment)". In another receipt, from the same locality and dating from the 4th year of the same king, the tax-collector's declaration to the tax-payer of the receipt of 4 kiti (= 8 drachmae) is elaborated into *mt-y ty šp-ir s n-k n 'p n p h-v n 'p 'rm-k nt e-w a 'r-f* "and I shall cause them (sc. the 8 drachmae) to be credited to thee on the day on which the account will be settled with thee". Thompson suggested (*Theban Ostraca*, p. 33, note 10) that the frequently recurring sentence *st šp n 'p* seems to mean that the amount has been reckoned after being counted or measured and diffidently translated it "they are received by reckoning". But it must be remarked that, in an acknowledgement of receipt of wine from Thebes of the 20th year of Hadrian, a certain Petehespekhret son of Hatre, divine-father of the goddess Ratow, consort of Mont at Thebes, declares to a certain Amenhotp son of Harphök

l'invention individuelle, si caractéristique dans les ostraca figurés de même provenance⁽¹⁾.

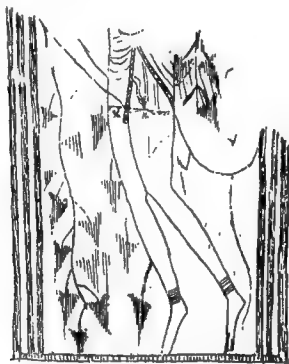


Fig. 44.—Danseuse jouant de la double flûte
(Deir el Medineh).

⁽¹⁾ J. VANDIER D'ARRADIR: Catalogue des ostraca figurés de Deir el Medineh, 1936, 1937, 1946.

naviguant au milieu des fourrés (N.O. XII) (fig. 43), une gracieuse danseuse nue jouant de la double flûte sur un fond de feuillages (S.E. VIII) (fig. 44), une femme allaitant, sans doute l'Isis lactans (S.E. I).

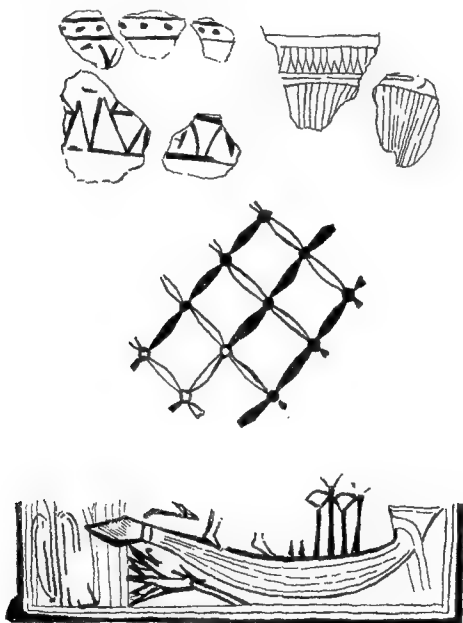


Fig 43.—Homme naviguant et motifs végétaux
(peinture d'autel, Deir el Medineh)

Ce n'est plus la stylisation très poussée et souvent rigide du répertoire officiel, mais bien une production originale qui tient de

profil sur deux panneaux flanquant la porte de l'entrée de l'autel, et sur le panneau central, de face, les bras étendus, munis d'ailes déployées et tenant des fleurs de lotus (N.E. X) (fig. 40). On

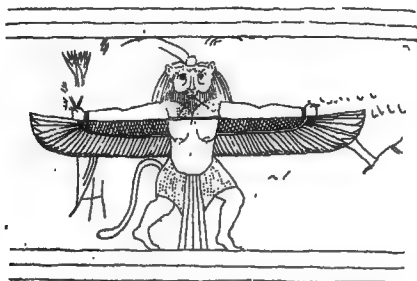


Fig. 40. — Bès ailé (frise de couronnement d'autel, Deir el Medineh, N.E. X).

prendra même le soin d'en faire un masque en haut-relief à l'échelle humaine (fig. 41).

On pourra aussi représenter des scènes de la vie journalière : une femme à sa toilette (C. VIII), servie par une esclave nue (fig. 42), un homme debout dans une barque de papyrus



Fig. 42. — Femme à sa toilette et servante (peinture d'autel, Deir el Medineh).



Fig. 41. — Masque en haut-relief de Bès, en limon coloré (Deir el Medineh).

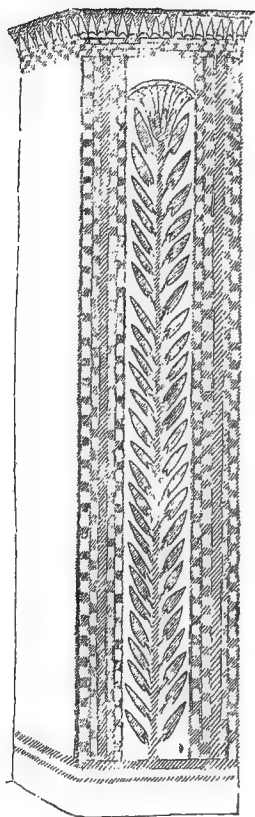


Fig. 38.—Décoration d'un pilastre
(maison N° 9, rue principale,
village oriental, 'Amarus).



Fig. 37.—Peinture au trait de Bès
(maison N° 2, rue principale,
village oriental)



Fig. 39.—Bès dansant (peinture d'autel,
Deir el Medineh, S.O. VI).

Dans le registre inférieur une série de cinq panneaux identiques, dont l'un est cependant plus haut, semblent indiquer cinq portes arquées en bois. Le registre supérieur figurerait l'intérieur.

'Amarna.—Dans la première phase de la construction du village ouvrier la décoration a recours à une peinture riche, polychrome, en panneaux situés à 20 cm. du sol ⁽¹⁾. Plus tard ce sera un style plus léger, consistant en esquisses au trait monochrome noir sur paroi badigeonnée, ou en blanc sur un enduit de limon. D'ordinaire c'est le living-room qui bénéficie de l'ornementation. Ce sont des frises végétales à feuilles de lotus, chevrons, cercles, quelquefois avec un Bès (fig. 37), des têtes de Hathor, une Taout ou l'oeil sacré de Horus. Un pilastre de section quadrangulaire, couronné d'une gorge, est décoré d'une tige de lotus bordée de feuilles lancéolées et flanquée de deux bandes à carreaux en damier (fig. 38).

Deir el Medineh.—La verve de l'artisan a fait ses preuves dans des productions d'une grâce et d'un goût sûr, qui peuvent atteindre au chef-d'œuvre.

Toutes les pièces bénéficient de la décoration murale, mais c'est surtout l'autel ('lit clos'), qui est doté de scènes religieuses. Les parois sont divisées ⁽²⁾ en deux registres, celui du bas étant peint en une plinthe blanche au lait de chaux (0,9-1,30 m. de hauteur), bordée au haut d'un filet et d'une cimaise grise. Les niches, au ras du sol, destinées aux stèles ou statues, et celles au-dessus de la plinthe, pour les lampes, sont encadrées d'une large bordure blanche délimitée par un listel noir.

L'autel est badigeonné en blanc et les parois en sont décorées de panneaux gris à filets noirs et encadrés de larges bandeaux blancs. Les dessins sont en gros traits blancs. On affectionne les dieux populaires propices au bonheur du foyer. C'est surtout Bès qui y figure sous différents aspects : il peut danser au son de la musique (N.E. XIII) (fig. 39) ou être répété deux fois de

⁽¹⁾ T. ERIC PEET—C. LEONARD WOOLLEY : *The City of Akhetaten*, I, 1923, p. 59-64, 66, pl. IX.

⁽²⁾ B. BURVÈRE : *Fouilles de Deir el Medineh (1934-1935)*, III, p. 55, 57-61, 65.

C'est souvent une plinthe courant le long des parois internes, jusqu'à une hauteur de 1-1,5 m., à lignes noires et rouges sur fond blanc (Kahoûn), ou blanches avec lignes de faîte noires (Deir el Medineh). Le procédé n'est pas nouveau, puisqu'on le rencontre déjà dans les mastabas de l'Ancien Empire à Giza et à Saqqara, et qu'il devait provenir de l'architecture civile de l'époque.

Plus prétentieuses sont les scènes de genre. Les sujets, d'ordinaire religieux, peuvent aussi traiter de la vie journalière, telles ces façades de maisons à Kahoûn, ou ces panneaux figurant une femme à sa toilette, un homme dans une barque ou une danseuse nue à Deir el Medineh. On aime figurer les divinités tutélaires, celles qui protègent l'homme du peuple, qui lui assurent le bonheur au foyer. C'est Bès, de face ou de profil, Bès dansant, Bès ailé, Bès en haut-relief. Ce sera aussi Isis et Horus, Taout, l'œil sacré de Horus, la tête de Hathor. La peinture peut aussi décorer le contour des niches à stèles ou à lampes. Le parterre, recouvert de gypse, était peint d'un badigeon rouge. Les colonnes en pierre étaient aussi colorées en rouge.

On ne peut s'empêcher de rapprocher le décor de ces maisons mitoyennes de celui des maisons de plaisance à Pompéi ou à Ostie, où chaque foyer a son *lararium*, son panneau où sont figurées les divinités tutélaires du lieu, où certaines scènes représentent les mystères dionysiaques, d'autres les amours familiaux.

Kahoûn. — La plinthe présente à sa base une bande noire ou foncée et une cimaise de lignes noires et rouges sur fond blanc, à une hauteur de 1-1.65 m. (1).

Dans deux maisons deux scènes murales en jaune, blanc et noir, sur enduit de gypse, représentent des constructions (2). Le panneau le plus important figure un dessin architectural composite le plan du mur extérieur servant de cadre à deux registres (3).

(1) W. FL. PETRIK : Kahon, Gurob und Hawara, 1890, 23.

(2) W. FL. PETRIK : Illahun, Kahon und Gurob. 1891, p. 7, pl. XVI, 4, 6.

(3) Alexandre BADAWY : Le dessin architectural chez les Anciens Egyptiens, 1948, p. 74-75, fig. 79.

La colonne du living-room, comme à 'Amarna, est un tronc de palmier enduit de limon et de stuc peint, érigé sur une base tronconique (60 cm. de diam. ; 10-25 cm. de ht.), munie d'une assiette centrale (30 cm. de diam.), circulaire ou à pans coupés.

Dans la cuisine le mobilier a été, comme à 'Amarna, construit : auges, pétrin en brique crue, cuvette en quart de cercle, silo carré ou rectangulaire. Le four est une cloche en limon (0,8 m. de diam. ; 0,75 m. de ht.), contenant trois cerceaux de hauteurs différentes en terre-cuite. Le plafond est en branchages.

Constructions autour du temple de Medinet-Habou ⁽¹⁾.—La caractéristique saillante de ces constructions est l'épaisseur excessive des murs en brique. Il semble que la couverture y ait été, tantôt en plafond à poutres en bois, tantôt voûtée. L'étage était, sans doute, couvert d'un plafond en bois.

Il est intéressant de décrire la construction du portique formant le fond de la cour d'entrée. Deux colonnes octogonales en grès (28 cm. de diam. ; 2,25 m. de ht.) retiennent un muret d'entrecolonnement (1,03 m. de ht.) dans les deux baies latérales.

III.—LA DÉCORATION

La maison mitoyenne a bénéficié du goût inné de l'Égyptien pour la décoration. Mais, tandis que l'initiative de l'exécution des grands ensembles de maisons en série est certainement due à des organismes officiels, celle de la décoration semble pouvoir être assignée à des individus. Les occupants, le plus souvent de simples ouvriers, ont essayé d'agrémenter leur demeure en en décorant les parois internes.

On retrouve des traces de décoration dès l'époque du Moyen Empire, dans les maisons à Kahoûn, puis, communément par la suite, dans les cités ouvrières de 'Amarna et de Deir el Medineh.

(1) U. HÜLSCHER : The Excavations of Medinet Habu. IV. 1951, p. 14-16.

les parterres soient en brique. Des traces de plâtre rouge ont pu être relevées. L'installation sanitaire, à proximité de l'entrée, comporte un bassin, une dalle en pierre et un support en brique pour le siège. Pour les colonnes on a aménagé des bases en pierre (0,58 m. de diam.) sur lesquelles reposent les futs (0,3 m. de diam.).

Quartier des serviteurs dans le Grand Palais à 'Amar-na⁽¹⁾.—Le parterre y est fait d'un mélange de brique et de pierre, en cailloux ou en brique. Le seuil peut être en pierre. Comme ailleurs les bases de colonnes sont en pierre (35, 45, 50, 60, 65 cm. de diam.), et les futs en bois (17, 21, 28, 29, 33 cm. de diam.). Certaine petite colonne en pierre semble avoir appartenu à une loggia érigée sur la terrasse. Dans le hall une dalle en pierre pour ablutions est munie d'un deversoir communiquant à un petit bassin.

Village ouvrier à Deir el Medineh ⁽²⁾.—Une porte d'entrée à un vantail en bois, tourne au-dessus d'un seuil en bois ou en pierre. Le sol, de terre battue, peut être badigeonné à la chaux, stucqué et peint en rouge. Pour couverture on dispose des troncs de palmier et tiges végétales en un plafond, au-dessous duquel s'ouvrent des fenêtres en bois ou en pierre, munies de barreaux.

La construction de l'autel ('lit clos') est intéressante (fig. 25) : le massif inférieur est composé de deux parois externes (épaisseur 1 br., 18 cm.) et d'un mur de refend central encaissant un remplissage de terre. Le haut est en mortier de limon, blanchi, bordé d'une margelle de briques de champ (5 cm. d'épaisseur).

Le lit, qui est aménagé dans le living-room, est une estrade basse (20 cm. de ht.), bordée de blocs de calcaire et quelquefois munie, aux extrémités, d'un ou de deux accoudoirs en pierre (6 cm. d'épaisseur) ou en brique, au faite arrondi, ou en corniche.

⁽¹⁾ *Ibid.* p. 35-6.

⁽²⁾ B. BRUYÈRE : Fouilles de Deir el Medineh, III, p. 54-72.

Un loquet à coulisse, manipulé de l'extérieur par une cordelette, assure la fermeture du vantail, et une solide barre de bois le butait pendant la nuit.

La réserve d'eau est emmagasinée dans de grandes jarres placées sur une dalle en calcaire dans le living-room et communiquant par une rigole à un pot enterré. D'autres grandes jarres souterraines servent de dépôts à provisions.

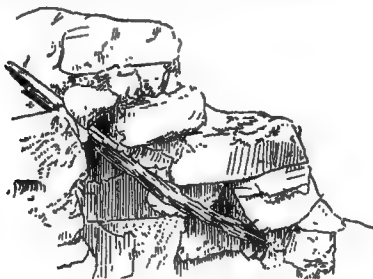


Fig. 36.—Voûte d'escalier supportée par une tige en bois ('Amarna).

Dans la cuisine l'aire réservée à la préparation du pain est séparée par un rebord en brique enduite d'un mortier au calcaire. Des bassins plats (10 cm., 65 cm. de profondeur) servent de resserres.

Pour les fenêtres aucune donnée sûre ne nous est parvenue. Toutefois, d'après les dessins architecturaux de l'époque on peut supposer qu'elles s'ouvraient au haut des parois. Pour la chambre-à-coucher aucune fenêtre ne semble avoir été employée, la ventilation étant assurée par un malqaf.

La cuisine est simplement couverte de branchages et une ouverture y est laissée au-dessus du foyer.

Maisons de fonctionnaires à 'Amarna (1) — Les maisons sont mal construites et les murs n'en sont que badigeonnées, quoique

(1) *Ibid.* p. 122-3.

tiges sont disposées à angle droit, le tout étant recouvert d'une épaisse couche de boue (10-25cm.) (fig. 35).

Lorsque les dimensions ne permettent plus l'emploi d'une seule travée on érige au centre de la pièce, généralement le living-room, une colonne en bois, quelquefois un simple tronc de palmier (2,1m. de ht.) enduit de limon, et dont le fût est taillé en tenon quadrangulaire pour être fixé aux poutres. Dans tous les living-rooms on a retrouvé les bases de ces colonnes : blocs circulaires plats dont la face supérieure est munie d'un disque simplement épannelé, destiné à recevoir la base de la colonne. On a aussi retrouvé une colonne en pierre peinte en rouge.

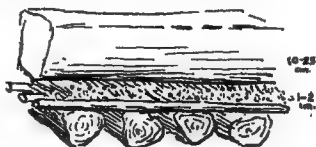


Fig. 35.—Coupe de la couverture d'une maison ouvrière ("Amarna).

Les escaliers sont en brique crue (marche : 30 cm. ; contre-marche : 20 cm.), et montent en volées rectilignes disposées autour d'un pilier en brique, sur l'extrados d'une voûte ou, le plus souvent, en un massif de brique crue enfermant un remblai de sable. Quelquefois, pour la seconde volée, on fixe des tiges en bois suivant l'inclinaison à donner à l'escalier, l'une extrémité engagée dans un massif de brique au départ et l'autre extrémité, dans le mur, à l'aboutissement (fig. 36). Les marches sont construites au-dessus de ces soutiens, tandis qu'au-dessous on a ménagé une armoire.

Les seuils sont en pierre, en bois, comme dans les maisons de Kahoûn, ou le plus souvent en brique. Le vantail de la porte est en bois et le chambranle est fixé au moyen de tenons et de mortaises dans les pied droits, ou des fentes dans le seuil. La crapaudine d'usage courant est en bois.

(*) T. ERIC PEET—C. LEONARD WOOLLEY : *The City of Akhetaten*, I, 1923, p. 53 fol.

à l'étage. On a même retrouvé la base d'une colonne érigée à l'étage. Aucune trace d'installation sanitaire n'a pu être relevée.

Comme à 'Amarna, les grandes maisons ont, dans la chambre-à-coucher, une alcôve aux murs épais et au sol surélevé en brique crue, destinée à contenir un lit.

'L'ité ouvrière à 'Amarna.—C'est sans doute dans les restes du village ouvrier que les données relatives à la construction de la maison mitoyenne sont le plus abondantes.

Le mur d'enceinte (0,75-0,8 m. d'épaisseur) fut bâti seul, au premier stade de l'exécution. Puis ce furent le quartier intérieur et muraille mitoyenne. Les maisons sont adossées à la paroi interne de l'enceinte et elles furent réparties en séries, en érigeant des parois parallèles sur un plan en L. Les murs secondaires furent ajoutés par la suite.

Les ruelles, quoique rectilignes dans le plan d'urbanisme, ne le demeurent pas longtemps : les occupants placent au-devant de leurs maisons des blocs de pierre entourés d'un rebord en brique pour soutenir de grandes jarres, des mangeoires en brique pour leurs vaches ou leurs ânes ; ils fixent aux parois des métiers à tisser. Et qui plus est ils construisent dans les rues de petits tunnels. Ces rues n'étaient pas d'ailleurs à ciel ouvert, mais couvertes d'une toiture de poutres rudimentaires et de branchages. Aucune paroi externe n'est enduite.

Les murs sont minces, n'étant pas destinés à porter un étage, en brique crue, quelquefois au-dessus de fondations et d'assises inférieures en pierre. Les seuils, et rarement (deux maisons) les jambages des portes, sont en pierre taillée. Pour les murs principaux on a choisi une épaisseur de 35 cm. tandis que l'on s'est contenté de 13 cm. pour les murs internes (1 brique).

La couverture, au-dessus de murs aussi minces, ne pouvait être que légère. C'est, en effet, un plafond consistant en une armature de branches assez rapprochées, au-dessus desquelles des

maisons est tantôt voûtée, mais le plus souvent en plafond de poutres soutenant un lassis de branches et de faisceaux de tiges végétales. Un enduit de limon, à l'intérieur et à l'extérieur, rend cette couverture imperméable et rigide⁽¹⁾. Les voûtes pouvaient être construites sans cintre, sur un remplissage de sable. Dans les pièces spacieuses une colonne en bois supporte les poutres du plafond. On en reconnaît les traces de section octogonale sur les bases en pierre (20-24 pouces diam.) encore en place. Dans le type de la grande maison les colonnes sont employées en groupes de quatre pour les halls et dans les portiques droits ou coudés. L'ordonnance des colonnes, d'environ dix pouces de diamètre, est de l'ordre d'espacement de trois à quatre coudées (62-83 pouces).

Les baies des portes sont en arc cintré de deux briques de haut, les joints s'élargissant vers l'extrados étant remplis de caillasse. Des vantaux et chambranles en bois fermaient les baies des portes. Le seuil pouvait aussi être en bois, la crapandine en pierre ou simplement un trou dans le seuil. Un dispositif ingénieux d'un rebord en pierre fixé autour du trou empêchait la poussière d'y rentrer. A mesure que le fond du trou s'usait, on y fixait des pièces de cuir, sans doute de vieilles sandales, pour en rehausser le niveau.

Les escaliers vers la terrasse comportent deux volées égales de cinq ou six marches, de directions opposées. Les degrés ont 25-28 pouces de large.

Agglomérations à Sesebi⁽²⁾ — Les murs de brique crue comportent des seuils en pierre et sont enduits de boue et badigeonnés. Les parterres sont de terre battue. Les plafonds en paille, palmes et boue, sont posés sur des poutres rudimentaires, sans colonnes. Ce n'est que dans les grandes maisons que des escaliers mènent

(1) *Ibid.* W. FL. PETRIE: Kahun, Gurob and Hawara, 1890, p. 23.

(2) A. M. BLACKMAN (FAIRMAN): Preliminary Report on the Excavations at Sesebi. Anglo-Egyptian Sudan. 1936-1937. J.E.A., XXIII, p. 149-151.

les programmes domestiques c'est la brique crue qui est le matériau de base. Souvent les parois sont enduites et on n'a pas oublié le soin de l'ornementation, puisque en de nombreux cas, des peintures, quelquefois religieuses, ou simplement des plinthes, viennent égayer le leurs polychromie la monotonie des intérieurs. Les parois sont aussi munies de niches servant d'armoires ou d'étagères, de petits retraits pour lampes. Le long des soubassements des tréteaux servent, dans les harems royaux, à soutenir les coffres à lingerie.

Les parterres sont en terre battue, souvent en brique crue, crépie et peinte en rouge. On aura quelquefois soin d'aménager des estrades servant de divan, des massifs pour autels, et, dans les cuisines, des fours, des aires pour le grain et le pétrin. L'installation du bain est aussi construite.

On ne peut souvent se prononcer sur la nature de la couverture. Il semble cependant permis de supposer l'hypothèse de voûtes, lorsque le plan consiste en pièces longues et étroites et que les murailles sont épaisses. Tel n'est certainement pas le cas lorsque le plan se compose de pièces quadrangulaires séparées par de minces parois : c'est alors la couverture en faisceaux de tiges végétales ou de poutrelles, conches de roseaux ou palmes, enduites de limon ou de crépi.

On n'a pas négligé la fermeture des baies : portes en bois et fenêtres à clairevoie, en bois ou en pierre.

Habitations de prêtres à Giza.—Construites de gros murs en brique crue ces maisons montrent un soin particulier dans l'exécution. Les parois sont enduites à l'intérieur et à l'extérieur d'un mortier jaune (3,4 cm. d'épaisseur), à base de gypse, sel, poudre de calcaire, sable, silice et oxydes de fer et d'aluminium⁽¹⁾.

Habitations ouvrières à Kahoûn.—Les rues de la cité sont pourvues d'une rigole médiane en pierre⁽²⁾. La couverture des

(1) S. HASSAN : Excavations at Giza, III, p. 35.

(2) W.F. FETRIE : Illahun, Kahun and Guroh, 1891, p. 8.

II.—LA CONSTRUCTION

Les données utilisables pour l'étude de la construction de la maison mitoyenne sont de valeur variable, suivant l'état des

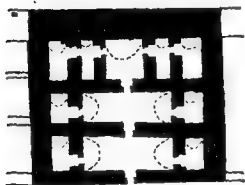
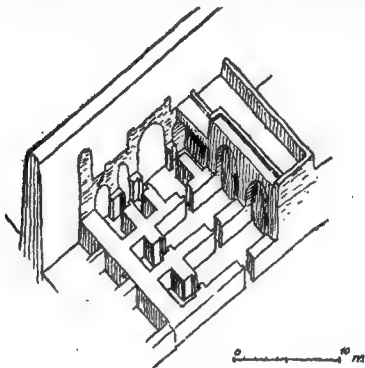


Fig. 34.—Plan et reconstitution axonométrique d'une unité des bâtiments de l'administration (Temple de Medinet-Habou).

monuments ou le soin porté à leur présentation par les fouilleurs. On ne saurait, toutefois, espérer une documentation aussi riche que pour l'étude des plans.

Le même facteur d'économie, qui a présidé à l'élaboration du plan est suivi dans l'exécution des projets. Comme pour les

ou aux habitations des prêtres (Giza, Médamoud). D'aucuns ont suggéré qu'il s'agirait d'une habitation pour fonctionnaires ⁽¹⁾.

Une allée (1,6 m.) sépare le dos de cette première rangée des façades de la seconde, plus profonde et de plan différent. Une porte mène à un vestibule profond (M), communiquant avec un second vestibule plus petit (M'). De part et d'autre du vestibule deux portes mènent à deux pièces, l'une indépendante (N2, N4), l'autre (N1, N3) communiquant à une pièce (O2) ou à quatre pièces (O1, P, Q, R). Un escalier monte dans l'une des pièces secondaires vers l'étage.

Le type de plan est à rapprocher de celui des greniers dans la grande maison à Kahouf. La couverture semble avoir été en voûtes, dans la direction longitudinale du plan. S'agirait-il de casernes pour soldats ou esclaves ? Le papyrus Harris I, IV, 5 (Vol. III, 2) prête bien à Ramses III la prétention d'avoir établi, au temple, des dizaines de milliers de captifs et leur progéniture⁽²⁾.

Les bâtiments de l'administration au temple de Medinet-Habou⁽³⁾ :

Un vaste bâtiment (16x16 m. = 256 m²), faisant face à l'esplanade et disposé symétriquement de part et d'autre du temple, consiste en un plan carré à trois sections transversales peu profondes. Chacune des deux premières est une salle flanquée de deux pièces, aux extrémités. La troisième section est un vestibule central, auquel sont adjointes, de chaque côté, deux pièces en enfilade (fig. 34).

Les proportions des pièces et l'épaisseur des murs feraient supposer une couverture en voûtes. C'est le type du plan à axe central, connu déjà au Moyen Empire (grande maison à Kahouf), ou au Nouvel Empire (habitations du harem au palais de Ramses III à Medinet-Habou).

⁽¹⁾ *Ibid.*, p. 15.

⁽²⁾ *Ibid.*, p. 15, N. 31.

⁽³⁾ *Ibid.*, p. 16, fig. 17.

Ramses III. Un hall peu profond communique avec un living-room, dont la paroi du fond est dotée de deux portes menant à deux petites pièces.

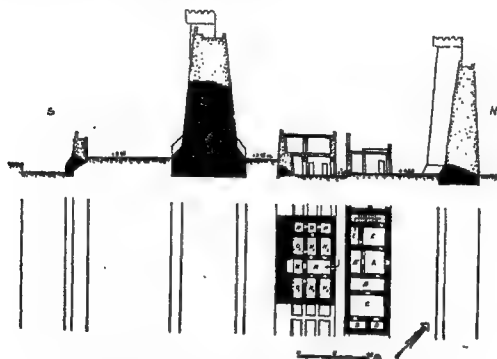


Fig. 32.—Constructions mitoyennes autour du temple à Medinet-Habou.

De l'autre côté de la cour une grande pièce communique d'une part avec une resserre et d'autre avec un escalier montant à l'étage. La superficie de l'ensemble ($16,5 \times 6,2 \text{ m.} = 102,3 \text{ m}^2$.)

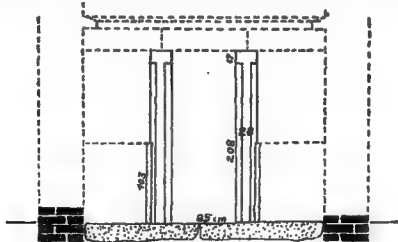


Fig. 33.—Élévation reconstituée du porche au fond de la cour.

classe ce plan au-dessus des habitations d'ouvriers, mais ne permet pas cependant de le comparer aux maisons moyennes de Kaboun.

latéralement sur le petit côté d'un hall profond, qui communique latéralement avec le living-room, lui-même menant à deux pièces : une garde-robe et un bain.

On sera frappé de la ressemblance contre ces maisons et celles figurées dans les représentations égyptiennes du harem au palais de 'Amarna (fig. 31).



Fig. 31.—Dessin égyptien représentant deux habitations de harem (Tombe d'Ay à 'Amarna).

Les habitations autour du temple à Medinet-Habou :

Les fouilles ont révélé à Medinet-Habou, entre le mur du temple et la muraille d'enceinte, deux rangées de constructions mitoyennes, séparées par une rue (6,5 m.) et une allée (1,6 m.). Les constructions dans chacune des rangées sont d'un type uniforme. L'épaisseur des murs et l'existence d'escaliers suggèrent l'emploi de l'étage (fig. 32).

La première rangée, celle desservie par la rue entourant immédiatement le temple, consiste en maisons, longues et peu profondes, accolées bout à bout. Une porte centrale ouvre dans une cour (A), dont le fond est occupé par un porche (A') à deux colonnes et murets d'entre-colonnement (1,03 m. de ht.) (fig. 33). La partie du plan au Sud de la cour est du type amarnien, employé d'ailleurs pour les maisons des concubines au second palais de

Le harem au second palais de Ramses III à Medinet-Habou⁽¹⁾.

Entre le palais et le mur d'enceinte à contreforts se trouve un îlot rectangulaire de trois maisons mitoyennes identiques

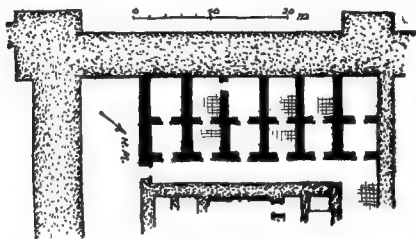


Fig. 29. Constructions mitoyennes (Palais de Ramses III à Medinet-Habou)

(fig. 30). L'îlot est entouré d'un dégagement qui en assure la surveillance. Le pharaon pouvait y accéder directement de la salle du trône par un couloir. Ce sont trois habitations destinées aux concubines.

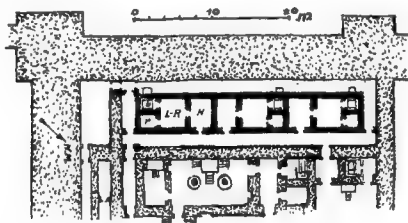


Fig. 30.—Trois habitations de harem (Palais de Ramses III à Medinet-Habou).

Le plan, de superficie modeste ($9 \times 5 \text{ m.} = 45 \text{ m}^2$), est identique à celui d'une aile des maisons mitoyennes autour du temple de Medinet-Habou⁽²⁾. L'entrée y est, en effet, disposée

(¹) *Ibid.* Abb. 60. S. 68.

(²) U. HÖLSCHER: *The Excavations of Medinet Habu*. IV. p. 14.

Nord-Ouest ou le Sud-Est. Ce sont, peut-être, des habitations de serviteurs ou gens du palais (fig. 28).

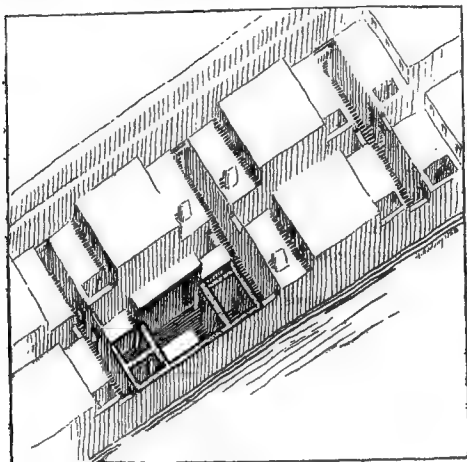


Fig. 28. Reconstitutions axonométriques de la rangée d'habitations identiques

Les constructions mitoyennes au palais de Ramses III à Medinet-Habou (1).

Une série de six constructions mitoyennes, de plan indentique ($10 \times 5 \text{ m.} = 50 \text{ m}^2$), est adossée au mur d'enceinte du palais (fig. 29). Le plan en est simple, comportant deux pièces en enfilade. L'absence de dépendances et le manque d'intimité semblent éloigner l'hypothèse d'une habitation. C'est plutôt le plan employé pour magasins (Temple du Moyen Empire à Médamoud, grandes maisons à Kahoûn).

(1) H. RICKE: *op. cit.*, Abb. 59.

La superficie du plan rectangulaire (22x8 m. 176 m².) est celle d'une maison moyenne, bien supérieure aux maisons d'ouvriers du Nouvel Empire ('Amarna, Deir el Medineh), mais est comparable à celles des contremaîtres à Kahoûn ou à celles des prêtres au temple du Moyen-Empire à Medamoud ou à Giza. Une anti-chambre ou hall peu profond, à une ou deux colonnes et dispositif pour jarres, communique avec un living-room carré à deux ou à quatre colonnes par une porte centrale. Dans la paroi du fond deux portes mènent à deux pièces servant de chambre-à-coucher et de dépendances. Une resserre, longue et étroite, avec de petits murets adossés aux parois, sert de garde-robe.

Ces habitations individuelles ne comportent aucun dispositif pour occuper les concubines royales à un travail.

Les habitations au palais d'Aménophis III à Malqata ⁽¹⁾ :

Ce sont des habitations individuelles, sur plan rectangulaire, complètement séparées les unes des autres par une allée longitudinale principale et des allées transversales. Les tracés des plans sont symétriques par rapport à ces allées. Le type du plan est tripartite amarnien, comportant un hall, un living-room à colonne et deux pièces (fig. 27).

On a pris soin d'aménager un dispositif d'entrée en chicane comportant un petit vestibule ou porche et un hall. La façade est orientée alternativement vers le

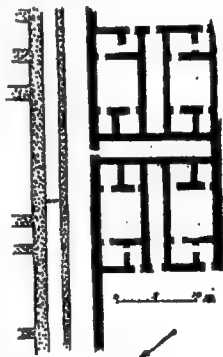


Fig. 27. Plans de quatre habitations identiques (Palais d'Aménophis III à Malqata).

(1) E. WHITE: The Egyptian Expedition, 1914-5. Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, 10, 1915, p. 254, fig. 3. Aussi d'après des notes communiquées par Dr. H. Rieke.

Les habitations du quartier externe sont du même type, mais sur des lots plus larges, et comprennent une cour à bestiaux, des silos et dépendances.

Le dispositif du mur d'enceinte, doté de deux portes et l'existence d'ouvriers d'origine étrangère prêteraient à supposer que la main-d'œuvre était contrôlée, peut-être même, recrutée de force ⁽¹⁾.

Le harem du palais d'Aménophis III à Thèbes ⁽²⁾ :

De part et d'autre de la salle hypostyle du palais d'Aménophis III à Thèbes deux groupes de constructions comprennent chacun quatre habitations mitoyennes identiques. Le plan est du type tripartite primaire de 'Amarna (fig. 26). Chaque habitation est indépendante et directement accessible de la salle hypostyle.

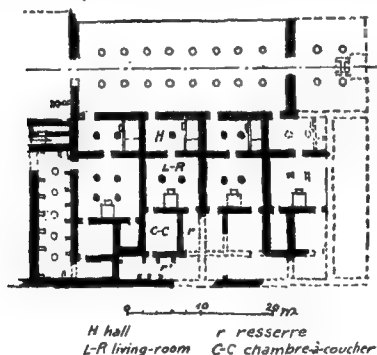


Fig. 26. Habitations moyennes du harem au palais d'Aménophis III à Thèbes

⁽¹⁾ H. W. FAIRMAN: *op. cit.* p. 46.

⁽²⁾ H. RIECK: *op. cit.* S. 61. Abb. 56

et dénommé "lit clos" ce massif n'est, en réalité, qu'un autel aux dieux qui y sont figurés en peinture : Bès, quelquefois Isis et Horus, auxquels avaient recours les gens du peuple. A 'Amarna la maison moyenne est aussi munie d'un autel privé. De petites niches au ras du sol contiennent d'ailleurs des stèles ou des statues.

Une seconde pièce, plus spacieuse et dont le plafond plat est soutenu par une ou deux colonnes en bois, sert de living-room. On y a toujours disposé un massif bas (0,2 m. de ht.) servant de divan. Le sol et le plafond sont plus élevés que dans le hall. Près du divan une baie à trappe ouvre sur un escalier descendant à une cave taillée dans le sous-sol. L'élément du divan est connu aussi à 'Amarna, où il est entouré d'une margelle (1). Des stèles peuvent être fixées dans la paroi et servent, comme à 'Amarna, au culte des ancêtres. Au-dessous du parterre de cette salle, on a trouvé, comme à 'Amarna, des sépultures de nouveaux-nés.

Dans la paroi du fond du living-room deux portes s'ouvrent, l'une dans une pièce servant de chambre-à-coucher, l'autre dans un dégagement menant à la cuisine. On y a aménagé, comme à 'Amarna, le four, l'auge en pierre, le silo et un escalier menant à la terrasse.

Quelquefois une baie ouvrant dans la paroi au fond de la cuisine mène, par un escalier descendant, à une resserre taillée dans le roc. Il est à remarquer qu'aucun soin n'a été pris pour masquer l'intérieur de la maison, les portes en enfilade permettant de voir jusqu'au fond de la cuisine.

Le village n'était approvisionné en eau, comme au village ouvrier à 'Amarna, que par des ânes, à partir du canal le plus proche situé à un mille. Un réservoir à l'entrée du village servait à la distribution et chaque ménagère gardait sa provision dans une jarre, devant sa maison.

(1) H. RICKS: *Der Grundriss des Amarna-Wohnhauses*, S. 31, Abb. 31.

centre du grand côté. Cet élément est quelquefois doté d'une margelle (0,5 m. de ht.), mais souvent aussi d'une paroi fermée,

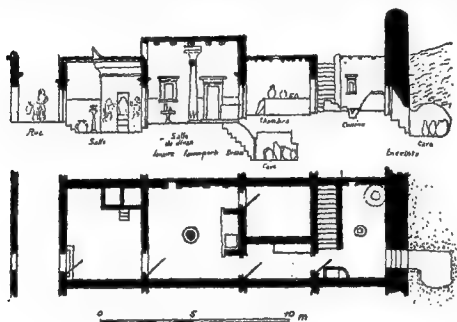


Fig. 24.—Plan type d'une maison à Deir el Medineh.

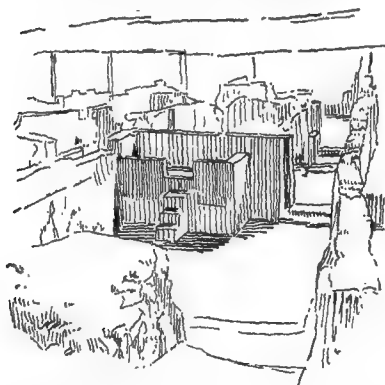


Fig. 25.—Perspective de l'intérieur d'une maison à Deir el Medineh.

couronnée d'une corniche, montant jusqu'au plafond et dans laquelle s'ouvre une porte, au haut de l'escalier. Mal interprété

La population du village était mélangée : Syriens, Nubiens, Hittites, Chypriotes. Il semble que les habitations d'ouvriers n'aient été occupées que par les femmes et les enfants, les ouvriers vivant dans des abris de la montagne pendant les neuf jours de travail et ne retournant à leur foyer que le dixième jour.

Le type de la maison dans le village clos a un plan axé (fig. 24). Les parcelles sont nitoyennes, extrêmement profondes et peu larges ($5 \times 15 \text{ m.} = 75 \text{ m}^2$), disposées de part et d'autre de la rue médiane et le long d'une rue secondaire cou-dée. L'espace restreint devait avoir sa répercussion dans une économie de la construction. Malgré le surpeuplement du village les maisons ne semblent pas avoir comporté d'étage, mais seulement une terrasse où l'on dormait.

Le plan en est, évidemment, extrêmement réussi, n'ayant recours à aucun dégagement et basé sur le type tripartite primaire amarnien. Les murs sont aussi plus épais qu'à 'Amarna. Les pièces sont disposées en enfilade, communiquant par des portes à l'extrémité des murs transversaux du plan (fig. 25). Une première pièce en contrebas de la rue sert de hall d'entrée et est munie, dans un angle, d'un massif de maçonnerie ($1,7 \times 0,8 \times 0,75$ de ht.), vers lequel montent quelques trois à cinq marches, au

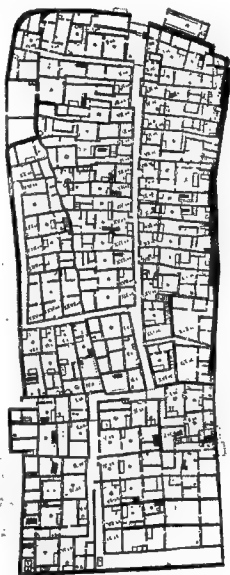


Fig. 23.—Plan d'ensemble de la cité ouvrière à Deir el Medineh.

d'enceinte, suivant des éléments parallèles coudés en L, la porte étant à l'extrémité de chaque façade.

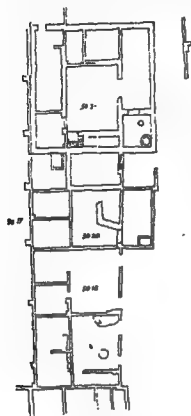


Fig. 22. Plans de grandes maisons à Hagg Qandil.

D'autres agglomérations trahissent une plus grande individualité et sont déjà plus spacieuses ($4,7 \times 2 \text{ m} = 38,5 \text{ m}^2$) (fig. 22). Au-devant de la façade on a aménagé une cour ($50 \cdot 20$), ce qui rapproche le programme du plan tripartite primaire de la maison au village ouvrier.

Le village ouvrier à Deir el Medineh⁽¹⁾:

C'est dans une petite vallée aride que fut bâti, sous le règne de Touthmosis I (1528-1512 av J.C.), le village destiné aux ouvriers de la nécropole royale. Le site fut habité pendant près de quatre-cents ans, subissant trois agrandissements

consécutifs, sous les XVIIIème, XIXème et XXème dynasties.

A son dernier stade le village comprend deux parties distinctes (fig. 23) :

1. Le noyau, plus ancien, enclos d'un épais mur d'enceinte de plan rectangulaire ($131,65 \times (47,5-50) \text{ m.}$), à rue médiane et contenant près de soixante-dix habitations pour ouvriers, scribes, artisans, chefs-de-travaux.

2. Le quartier externe, adjoint au petit côté Nord-Est de l'enceinte, comprend près de cinquante maisons, plus vastes, disposées le long d'une rue coudée et destinées à des prêtres.

⁽¹⁾ B. BRUYÈRE : Fouilles de Deir el Medineh (1934-1935) III, p. 15 fol. H.W. FAIRMAN : Town Planning in Pharaonic Egypt, p. 46-49.

La disposition des éléments du plan y est identique : hall peu profond, living-room spacieux attenant, au fond, à deux pièces (fig. 19). Un souci de l'intimité se manifeste dans le porche ou mur-paravent, érigé au-devant de la façade Nord, la porte d'entrée et la disposition des portes du hall dans les angles opposés, de manière à ne pas s'ouvrir en regard l'une de l'autre. Ce soin, qui ne se retrouve pas dans les maisons mitoyennes à 'Amarna, rappelle le dispositif à l'entrée de la maison mitoyenne des prêtres à Giza.

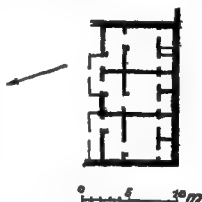


Fig. 19.—Plan de trois maisons de prêtres ('Amarna).

Maisons d'ouvriers à Hagg Qandil⁽¹⁾ :

C'est, sans doute, l'agglomération la plus pauvre à 'Amarna. La parcelle y est extrêmement petite ($2,5 \times 5,5 \text{ m.} = 13,75 \text{ m}^2$) et le plan consiste en un living-room et, dans le fond, deux petites pièces (fig. 20). Ce plan uniforme a, sans doute, été exécuté par



Fig. 20.—Plans de petites maisons à Hagg Qandil.

une administration, comme le plan du village ouvrier (fig. 21). Les murs (0,17 m. d'épaisseur) des maisons sont simplement accolés au mur



Fig. 21.—Plans de maisons moyennes à Hagg Qandil.

(¹) Les trois plans m'ont été communiqués par le Dr. H. Ricko, que je remercie.

profondeur des trois parties est uniforme, de sorte que les murs transversaux de toutes les maisons sont dans un même alignement. Le hall y est cependant doté de deux colonnes. Il en est de même du living-room qui peut n'avoir qu'une seule colonne, ou communiquer avec une pièce latérale correspondant à la seconde chambre de la maison privée normale⁽¹⁾. Au fond deux portes

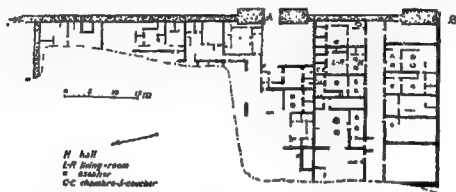


Fig. 18.—Habitations des serviteurs au Grand Palais à 'Amarna.

ouvrent dans deux, ou même trois pièces. Dans toutes les maisons un escalier monte du living-room vers la terrasse. À part l'abondance des colonnes toutes ces maisons sont munies d'un parterre en brique, en pierre et brique ou en cailloux; quelques-unes ont un petit cellier, des étagères contre les parois, des installations d'eau avec dalle en pierre, drain et bassin d'écoulement⁽²⁾, un dais en brique ou une loggia à colonnes sur la terrasse. Tous ces éléments trahissent une recherche du confort, voire même d'agrément, qui enrichissent le programme du type simple de la maison connue par ailleurs dans la cité ouvrière.

Les trois maisons des prêtres de service au Sanctuaire du Grand Temple à 'Amarna ⁽³⁾.

Occupant toute la largeur, à l'extrémité Sud de la cour du Sanctuaire, se trouvent trois maisons mitoyennes identiques, du type tripartite primaire. La superficie est légèrement inférieure (4,5x7,5 m.) à celle d'une maison de la cité ouvrière.

⁽¹⁾ *Ibid.* p. 36.

⁽²⁾ *Ibid.* pl. XXXIII, 1.

⁽³⁾ *Ibid.* pl. VII-VIII, p. 7.

L'installation sanitaire (N° 23, 27) et certains détails dans la construction, tels que le pavage en brique (N°37), l'aménage-

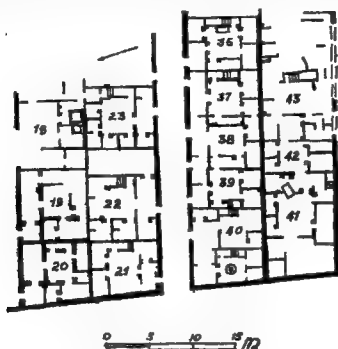


Fig. 17.—Quartier des fonctionnaires à 'Amarna.

ment d'un cellier dans le sous-sol du living-room ou d'un bassin à libations prouvent que l'architecte, tout en ménageant le facteur économie, a su adjoindre certains éléments de confort.

Quartier des serviteurs dans le Grand Palais à 'Amarna' (1).

Au Nord du palais deux groupes de maisons mitoyennes, s'alignant le long de deux rues Est-Ouest, en quatre rangées dont deux accolées dos-à-dos, servaient à loger les serviteurs. On y accède directement de la Rue Royale par un portail.

Les parcelles ne sont pas exactement de la même largeur, quoique de même profondeur (fig. 18). Une moyenne de cinq mètres semble cependant avoir régi la largeur, tandis que la longueur mesure dix mètres, ce qui coïncide avec les dimensions de maisons d'ouvriers dans le village Est. Le plan est d'ailleurs presque identique, toujours du type tripartite primaire. La

(1) *Ibid.* p. 35, pl. XIII A.

de cette pièce, où l'on vivait. Le souci de l'agréable se manifeste dans la plus grande hauteur du plafond soutenu par une colonne centrale, dans la décoration des parois au moyen de fresques.

La chambre-à-coucher contient un matelas en jones ou un lit de palmes. La cuisine est souvent dotée d'un récipient à provisions, un four cylindrique en poterie pour la cuisson du pain, un mortier en pierre à pilon en bois, une aire enduite de pisé et de mortier au calcaire pour la préparation de la pâte⁽¹⁾. Le combustible devait consister indifféremment en paille ou boue desséchée. Comme Peet-Woolley le font justement remarquer le programme ne comporte pas de pièce réservée à l'emmagasinage, puisque ce souci était laissé à l'administration dirigeant la cité ouvrière, gouvernement ou entreprise.

Le quartier des fonctionnaires à 'Amarna.

Au Sud du Bureau des Archives à 'Amarna se trouve un ensemble de maisons à plan uniforme mitoyen, accolé dos à dos, de part et d'autre de rues Est-Ouest. Les parcelles sont sensiblement plus spacieuses que celles du village d'ouvriers, et les pièces plus nombreuses, ce qui permet de supposer que ce plan d'urbanisme était destiné à des habitants d'une position sociale quelque peu plus élevée. On a pensé à des fonctionnaires subalternes⁽²⁾.

Le plan est de type tripartite (fig. 17) : un vaste hall transversal, muni à une extrémité d'une toilette, précède un living-room carré. Dans le fond deux portes mènent à la cuisine et à la chambre-à-coucher. Le living-room n'occupe pas toute la largeur de la maison, mais est bordé latéralement d'un escalier et d'une pièce longue et peu profonde. C'est, avec l'augmentation des dimensions (8,75×6 m. : N° 36, 37, 38 ; ou 8×8 m. : N° 22), la seule différenciation avec les maisons d'ouvriers.

⁽¹⁾ *Ibid.* p. 64.

⁽²⁾ T. ERIC PEET—C. LEONARD WOOLLEY : *The City of Akhenaten*, III. 1951. p. 122-3, pl. XX, XLIX. 4.

sous terre, contiennent les provisions. C'est aussi ici que se trouve la réserve d'eau : une jarre posée au-dessus d'une dalle en calcaire, d'où l'eau s'écoule par un drain vers un pot enterré sous terre⁽¹⁾. Quelques disques en pierre (5-10 cm. d'épaisseur), servant de tables, de chaises, des instruments de travail, des

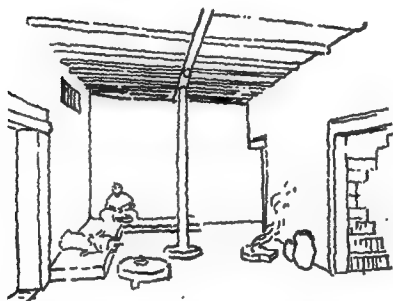
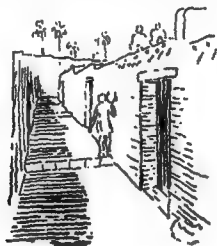


Fig. 16.—Perspectives reconstituées d'une rue et d'un intérieur ('Amarna)
(Ludolf Veltheim-Lottum : *Kleine Weltgeschichte des altägyptischen Wohnhauses*, 1952, S. 90-91).

lampes à huile placées dans des niches (1 m. ht. au-dessus du sol) ou sur des piquets enfoncés dans la paroi, complètent le mobilier

(¹) *Ibid.* p. 62.

Le plan axé est réduit à sa plus simple expression : trois pièces de la largeur de la façade se font suite, la dernière étant subdivisée en deux parties. Le principe de la division tripartite y est au stade primaire. On accède de la rue par une porte à une extrémité de la façade, à un hall. Quelquefois on y a aménagé une cuisine ou un escalier montant à la terrasse. La seconde pièce, la plus spacieuse, est un living-room, dont le plafond est soutenu par un tronc de palmier. Dans le mur du fond deux portes mènent à deux petites pièces adjacentes : une chambre-à-coucher et une cuisine, contenant souvent un escalier. En se basant sur la hauteur du tronc de palmier (2,10 m.) on a pu estimer la hauteur du plafond à environ 2,30 m. Les fenêtres, s'il y en eut, devaient s'ouvrir au haut des parois, ou au-dessous du plafond plus élevé du living-room. Le mur postérieur de la maison n'était pas, sans doute, percé de baie, un malqaf pouvant suffire à la chambre-à-coucher et un trou pour évacuer la fumée de la cuisine. Peut-être même celle-ci n'était-elle couverte que de fagots de bois à brûler (1).

L'attribution des différentes pièces est clairement corroborée par l'équipement qui a été retrouvé dans chacune d'entre elles. Le hall d'entrée (2x5 m.) contient souvent une mangeoire et des tenons d'attache pour animaux (N° 26, rue O) : on pouvait donc y élever des bestiaux ou héberger une bête de somme. L'existence de foyers ouverts ou de fours (N° 13, rue O), avec tout un attirail de moules, de bols, de broasses et de forets indique l'exercice d'un artisanat. Un métier à tisser pouvait aussi s'y trouver installé.

Le living-room est la pièce où la famille se retrouve à l'heure du repas et du repos : un estrade en brique crue (0,10-0,20 m. de ht.), sur laquelle on étend des nattes, sert de divan (fig. 16). On y établit un foyer consistant en un bol en terre-cuite entouré d'un rebord en terre. Des jarres, à même le parterre ou enterrées

(1) *Ibid.* p. 57.

destruction de la capitale. Le site n'aurait donc été occupé que pendant près d'un demi-siècle. ⁽¹⁾.

Ici aussi, comme à Kahoûn, un mur Nord-Sud traverse la ville, la divisant en deux quartiers de superficie inégale, celui à l'Est n'atteignant que la moitié de l'autre. Dans le quartier de l'Ouest une seule rue Nord-Sud dessert deux rangées de maisons. Les quatre autres rangées sont desservies, chacune, par une rue. Cette division en deux quartiers correspondrait-elle à une différenciation raciale ou sociale ? ⁽²⁾

Mieux qu'à Kahoûn les habitations mitoyennes sont à plan unique (fig. 15). Chaque parcelle mesure 10x20 coudées, soit

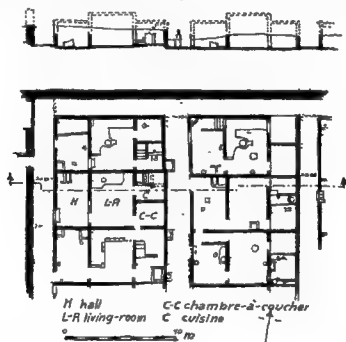


Fig. 15.- Plans de six maisons au quartier central Nord ('Amarna).

5x10 m. Les façades d'entrée des maisons sont orientées vers l'Ouest. Les murs d'une épaisseur minime (0,35 m. pour les parois externes ; 0,13 m. pour les parois internes) ne sont pas destinés à soutenir un étage ⁽³⁾.

⁽¹⁾ B. BRUYÈRE : Fouilles de Deir el Medineh (1934-1935), III, p. 52.

⁽²⁾ B. SMITH : Egyptian Architecture as cultural expression, 1938, p. 217.

⁽³⁾ T. ERIC PEET-C. LEONARD WOOLLEY : *op. cit.* I. p. 56.

d'anciens⁽¹⁾ en ont déduit que les ouvriers n'étaient pas toujours très paisibles et étaient astreints au travail. L'approvisionnement en eau devait se faire du Nil, situé quelques kilomètres à l'Ouest, par transports et il y a lieu de croire que cette difficulté seule aurait suffi à faire abandonner le village, au moment de la

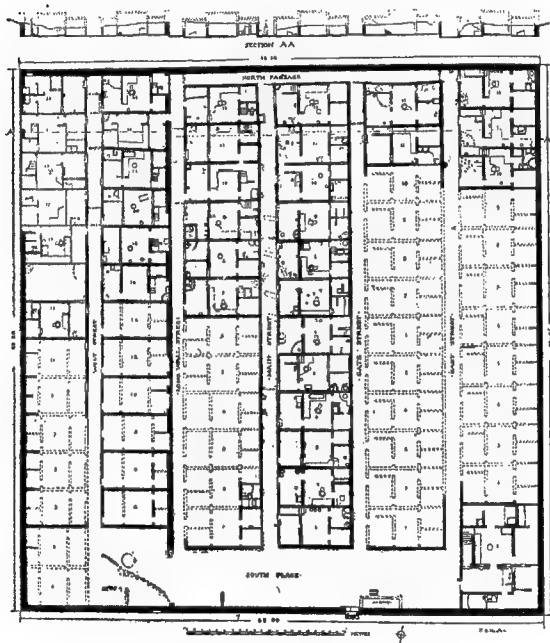


Fig. 14 — Village ouvrier à 'Amarna.

(1) H.W. FAIRMAN: *Town Planning in Pharaonic Egypt*, p. 46.
T. ERIC PRET—C. LEONARD WOOLLEY: *op. cit.* I, p. 52.

du roi Djoser imité en pierre dans l'ensemble de sa pyramide à Saqqara ⁽¹⁾ (fig. 3). Le plan axé, tripartite, se maintient pour aboutir bientôt au plan amarnien.

Les deux autres paires sont de même profondeur et accolées. Le type le plus grand se rapproche ($22,5 \times 7,5 \text{ m.} = 168,5 \text{ m}^2$) de la maison précédente : façade Nord à porte axiale, cour et portique à deux colonnes, deux halls en enfilade, desservant, le premier, une grande chambre et le second, deux petites. Le type le moins spacieux ($22,5 \times 5,5 \text{ m.} = 123,75 \text{ m}^2$) toujours en deux exemplaires mitoyens à une porte à l'extrémité de la façade, ouvrant sur une large pièce desservant deux chambres séparées latérales et deux autres pièces en enfilade.

Maisons ouvrières à 'Amarna.

Les architectes se devaient de mettre au point un plan de maison mitoyenne axée, ou le facteur "économie" aurait joué le rôle le plus important, normal dans un programme d'une capitale érigée du jour au lendemain, dans les sables du désert. On y trouve un type unique de maison mitoyenne, avec différences infimes, appliqué dans de grands ensembles, tels que la cité ouvrière, le quartier des fonctionnaires, ou individuellement dans les habitations des prêtres à côté des temples, les habitations des serviteurs dans le palais.

Le cité fondée par le pharaon Akhnaton pour les ouvriers de la nécropole de la nouvelle capitale, présente un plan d'urbanisme semblable à celui de Kahun (fig. 14). Située à l'Est de la capitale, dans un repli du désert et à proximité des tombes, cette cité, connue sous la dénomination de "village oriental" ⁽²⁾, est entourée d'une muraille d'enceinte sur plan carré ($69-70,2 \text{ m.}$), orientée vers les points cardinaux. Il semble que le village ait été fermé la nuit et surveillé par des gardes et

(1) H. RICKER: *Bemerkungen zur Baukunst des Alten Reichs*. I. Abb. 26.

(2) T. ERIC PEET—G. LEONARD WOOLLEY: *The City of Akhenaton*. I. pl. XVI. p. 51 fol.

le même prolongement, ce qui ferait croire à l'adoption d'un plan plus ou moins uniforme⁽¹⁾.

Annexes au temple du Moyen Empire à Médamoud⁽²⁾.

A l'intérieur des gros murs englobant le temple de Médamoud se trouve une série de bâtiments, dont certains semblent être des dépôts, d'autres cependant des habitations. Ces dernières sont réparties par paires en trois groupes (fig. 13). Les deux

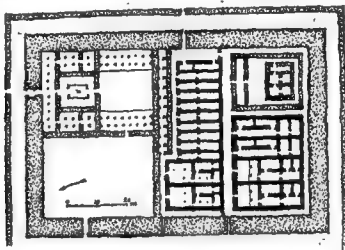


Fig. 13.—Maisons mitoyennes annexées au temple du Moyen Empire à Médamoud

plus petites sont mitoyennes, de même plan ($19 \times 7,5 \text{ m.} = 142,5 \text{ m}^2$), adjacentes à une série de dix magasins. La façade, dirigée au Nord, est munie d'une porte centrale, suivie d'une cour, dont la partie du fond est occupée par un portique à deux colonnes. C'est déjà l'aménagement amarnien qui s'annonce. La seconde partie du plan semble consister en un hall à deux colonnes, un living-room et une chambre-à-coucher, disposés en enfilade. Une pièce séparée accessible à partir du hall pourrait servir de cuisine. Le plan du type axé rappelle fortement celui du pavillon

(1) A.M. BLACKMAN (FAIRMAN): Preliminary Report on the Excavations at Sesebi, Northern Province, Anglo-Egyptian Sudan, 1936-1937, J.E.A., XXIII, p. 145.

(2) ROMCHON-VARILLÉ: Description sommaire du temple primitif de Médamoud, 1940, fig. 2.

pièces, dont la plus grande, au centre, pouvait être une cour, et les autres, les chambres du harem.

Comme on le voit la distribution proposée est des plus aléatoires et n'est guère suggérée que par l'étude des proportions des pièces, de leur position respective et une comparaison avec le plan de la grande maison de Kahnûn.

Maisons à Sesebi.

Dans la ville de Sesebi, au Soudan, le tracé suit les règles d'urbanisme : les rues se coupent à angle droit, se dirigent vers les points cardinaux et forment quatre grands blocs. L'agglomération date d'avant Akhnaton.

On ne saurait cependant y reconnaître un type uniforme de maison mitoyenne en série, quoique les habitations y soient quelquefois accolées, dos à dos, et de profondeur uniforme, avec des parois mitoyennes (fig. 12). Le type du plan semble suivre le principe tripartite : un vaste hall, rappelant le hall transversal de la villa amarnienne, un living-room entouré de quatre pièces. Les murs transversaux des maisons adjacentes se trouvent dans

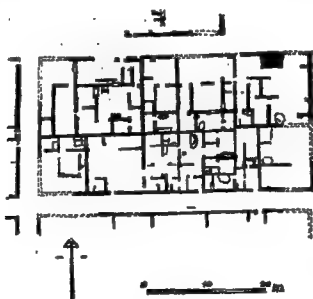


Fig. 12.—Quartier à Sesebi

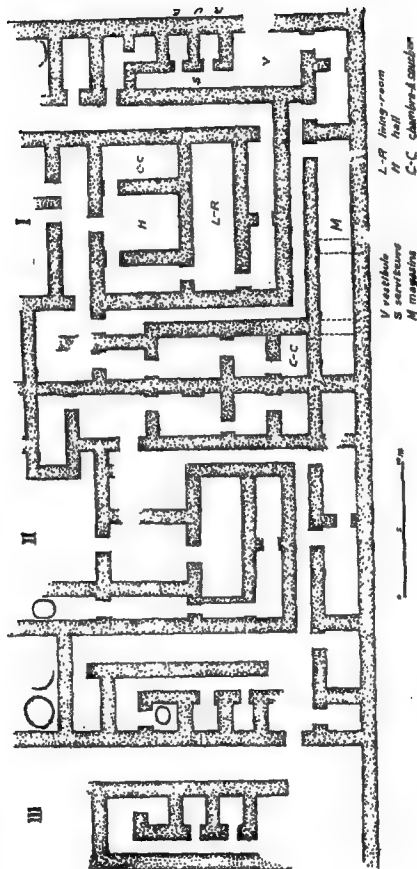


Fig. 11.—Plans de trois maisons mikroyoules (Abydos).

une baie. Souvent des nouveaux-nés furent trouvés ensevelis dans des coffrets, sous le parterre des maisons (¹).

Comme dans les maisons de Giza aucun dispositif spécial n'a été aménagé pour la cuisine, les traces de foyers se retrouvant indifféremment dans diverses pièces. On ne saurait donc parler de "cuisine".

Agglomération à Abydos.

Une cité pour loger le personnel employé à la construction de la tombe de Ahmes I fut aménagé à Abydos et n'aurait été habité que pendant dix ans (²).

Les parcelles sont grandes, carrées (26, 3x27 m. = 710 m².) et les habitations mitoyennes. Le plan de lotissement semble être uniforme, symétrique par rapport au mur de mitoyenneté, par paire de maisons adjacentes.

Le plan de la maison est du type asymétrique, avec de gros murs (1 m. d'épaisseur), bien construits (fig. 11). Il est difficile de reconnaître l'attribution des différents éléments. On pourrait, peut-être, les grouper en trois sections où l'on verrait les pièces de réception et l'habitation du maître, au centre, les chambres du harem, magasins et dépendances. Un hall d'entrée très peu profond mène à l'appartement du maître, qui forme le noyau de la maison. C'est un second hall central, flanqué d'une chambre-à-coucher et d'un dégagement menant à un living-room. Un long dégagement en sort et mène à de petites pièces servant de dépendances. A partir du hall d'entrée un vestibule, muni de deux portes, conduit vers les autres sections de la maison : un long dégagement coudé aboutit à de longues pièces, bordant la partie postérieure, et qui pourraient être identifiées comme magasins. La seconde porte ouvre sur une enfilade de quatre

(¹) W. FL. PETRIE : *Kahun, Guroab and Hawara*, p. 24.

(²) E.R. AYTON, C.T. CURNELLY and A.E.P. WIGGALL : *Abydos III*, 1904, p. 37.

proche du dégagement d'entrée, serait, peut-être, réservé à la réception.

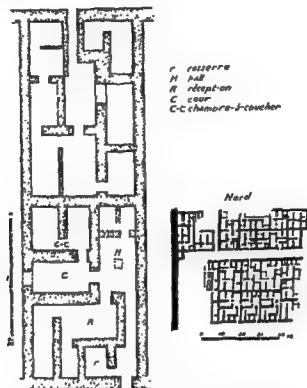


Fig. 10.—Plans de deux types de petites maisons mitoyennes (quartier Ouest, Kahoun)

L'attribution de la description "cour" à un élément du plan d'habitation égyptienne est très souvent aléatoire, lorsque ses dimensions permettent une couverture. L'éclairage et l'aération peuvent facilement se faire par la porte et des manches d'aération (malqaf).

Des greniers coniques (1,6 m. de diamètre) furent trouvés dans plusieurs pièces. Si l'on en croit le relevé d'urbanisme il semble que la plupart des maisons aient été rendues communicantes avec les maisons accolées, dans la même rangée ou dans celles au dos⁽¹⁾.

Dans une pièce on avait aménagé un cellier souterrain (0,90x1,50 m.), de hauteur médiocre (0,90 m.), et accessible par

(¹) W. Fl. PETRIE: *Mahun, Kahun and Gurob*, pl. XIV.

on pourrait le comparer aux installations d'appartements pour concubines ou servantes dans le palais de 'Amarna, connues d'après les représentations ⁽¹⁾ (fig. 30) et par les fouilles ⁽²⁾. Le même groupe en habitation mitoyenne, se retrouve dans le palais d'Aménophis III à Thèbes ⁽³⁾ et les deux palais de Ramses III à Medinet Habou ⁽⁴⁾. Là, cependant, l'habitation de la concubine n'est pas accompagné, comme à Kahoûn, d'un groupe consistant en une seconde cour et trois pièces destinées aux servantes.

Deux groupes de chambres, munies de cour et accessibles de l'entrée subsidiaire, pourraient avoir servi de bureaux ⁽⁵⁾.

Le type de la petite maison.—La majorité des maisons mitoyennes sont placées dos à dos, suivant des rangées bordant des rues Est-Ouest. Seules, quelques-unes des rues, les plus pauvres d'ailleurs, sont dirigées du Nord au Sud. Il semble que l'on puisse distinguer plusieurs types de plans variant légèrement. La superficie peut, cependant, monter de 95 m², pour quatre chambres, à 169 m², pour six à douze pièces.

Le type de plan est semblable à celui de l'ensemble de Khentkaous, plus simplifié sans doute (fig. 10). Ici aussi point de dégagement, mais des pièces coudées. Le programme le plus complet, celui de quelques dix maisons au Sud-Ouest du relevé d'urbanisme, consiste en une façade Nord ou Sud, à l'extrémité de laquelle s'ouvre une porte donnant sur un petit vestibule, à pièces latérales (resserre, ?), d'un court dégagement aboutissant à un hall au plafond soutenu par un pilier. C'est de cette pièce, qui forme le centre du plan, que l'on a accès par deux portes à deux groupes, de trois pièces chacun. L'un, aménagé dans le coin le plus éloigné de l'entrée, pourra être identifié comme cour et deux chambre-à-coucher communicantes. L'autre groupe, plus

(1) N. de G. DAVIES: *Amarna*, VI, pl. 28.

(2) J.D.S. PENDLEBURY: *The City of Akhenaten*, II, pl. XII, A, 1.

(3) H. RICKS: *op. cit.* Abb. 56.

(4) *Ibid.* Abb. 59, 60.

(5) H.W. FAIRMAN: *op. cit.* p. 43.

L'appartement principal forme le noyau du plan et se trouve sur l'axe principal, soit au centre (série Nord), ou au Sud (série Sud). Une vaste cour le précède et un portique à colonnes en borde la face Nord. Comme pour les grandes villas à 'Amarina le plan en est tripartite⁽¹⁾ : la porte d'entrée, à une extrémité du portique, ouvre dans un hall transversal très peu profond, communiquant avec une salle carrée de réception à quatre colonnes, flanquée d'un hall à deux colonnes et de la chambre-à-coucher. Dans le fond on a accès à un living-room et à quatre chambres secondaires, dont l'une est munie d'une salle de bain.

Que l'entrée de la maison soit unique ou double, on a aménagé un dispositif double de dégagements séparés desservant les appartements d'habitation (appartement du maître, harem) ou les dépendances. Un petit vestibule carré à une colonne communique avec deux dégagements, dont l'un, plus large, aboutit à un second vestibule pareil au premier et qui ouvre sur la cour principale. Le second dégagement mène, directement ou par le même vestibule, à deux ou trois cours desservant les pièces des dépendances et greniers. Ceux-ci, placés au Nord, consistent en deux rangées de quatre pièces carrées communicantes ou disposées en damier et dépendant d'une cour. L'écurie est une grande salle à quatre stalles, et se trouve reléguée à l'Ouest. On y parvient par une entrée séparée ou, de l'entrée principale, par un dégagement qui lui est réservé.

Le harem, disposé à l'Ouest ou à l'Est, n'est accessible que de la cour principale, et consiste en deux groupes de pièces disposées autour de deux cours. C'est l'habitation de la femme principale : dépendant d'une cour carrée, autour de laquelle est disposé un portique, se trouvent un living-room, une chambre-à-coucher, une resserre et un bain. C'est, en somme, le même programme du troisième groupe, dans le plan tripartite à 'Amarina. Là, cependant, le harem n'existe pas, puisque la condition sociale de l'épouse lui permettait de vivre avec son époux. Par contre,

(¹) H. RIEKE : *Der Grundriss des Amarna-Wohnhauses*, 1932, S. 53.

d'autre d'une rue Est-Ouest, qui leur est réservée, et qui se termine, à une porte, dans la muraille Est d'enceinte. Il est curieux de remarquer que la grande maison (40×60 m. = 2400 m².) occupe autant de terrain que vingt-cinq maisons ouvrières du type primaire ($9,9 \times 9,6$ m. = 95 m².) ou quatorze maisons d'un type moins modeste ($10,5 \times 16$ m = 168 m².). Il semble qu'elles aient été réservées à de grands fonctionnaires.

Plus de cent maisons de petites dimensions occupent le reste de l'espace fouillé.

Le type de la grande maison.—Les grandes maisons (40×60 m.) se trouvent de part et d'autre d'une rue Est-Ouest et n'y ont, chacune, qu'une ou deux portes d'entrée. Comme l'orientation vers le Nord a été maintenue pour les différents appartements, on a du avoir recours à des dégagements plus ou moins longs pour faire communiquer les vestibules avec la rue. On peut distinguer quatre sections dans le plan : l'appartement principal, réservé au maître, le harem, les dépendances et les pièces du bureau ou greniers (fig. 9) (1).

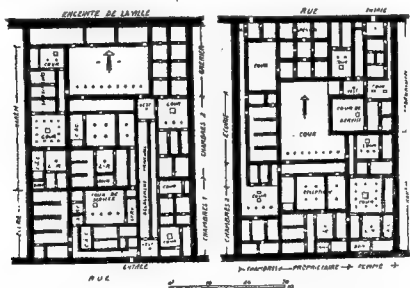
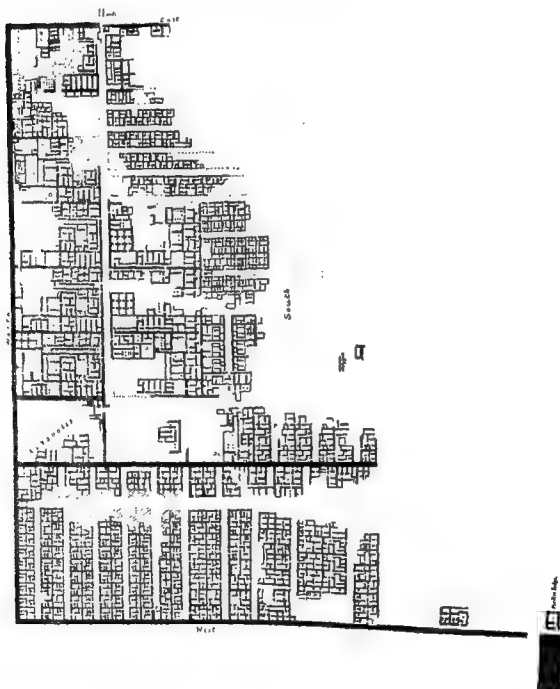


Fig. 9. —Plans de deux types de grandes maisons mitoyennes (quartier Nord, Kahun).

(1) H. W. FAIRMAN: *Town Planning in Pharaonic Egypt*, p. 43.

(de 20,1-21,3 inches) prouvent que le plan d'urbanisme a été soigneusement tracé d'après un projet unique⁽¹⁾.



Au Nord de la cité une large superficie est occupée par huit ou neuf maisons de grandes dimensions, mitoyennes, de part et

(¹) W. Fl. PETRIE : *Kahun, Gurob and Hawara*, p. 23.

ses lignes générales, a pu être reconnue dans la maison dès la troisième dynastie⁽¹⁾. Rieke a, en effet, pu retrouver le programme d'une habitation de l'époque, copié dans le pavillon du roi Djeser à Saqqara (fig. 3).

La couverture de ces maisons pourrait avoir consisté en voûtes de brique, les proportions des pièces étroites et les épaisseurs des murs (0,80 m. pour les murs externes, 0,60 m. pour les parois internes) étant en faveur de cette hypothèse.

La cité ouvrière à Kahoûn.

Cette cité, construite pour héberger les ouvriers travaillant à la pyramide de Senousert II (1897-1879 av. J.C.) et occupée pendant près d'un siècle, présente un plan d'urbanisme bien défini⁽²⁾ (fig. 8). Seule une partie du site a été fouillée, mais il semble qu'il ait été entouré, comme la cité ouvrière à 'Amarna, d'un mur d'enceinte sur plan carré, les côtés dirigés vers les quatre points cardinaux. Toujours comme à 'Amarna un mur Nord-Sud sépare une tranche occupant moins que le tiers de la superficie totale. Les maisons mitoyennes sont accolées dos à dos le long de rues Est-Ouest, dans le quartier Ouest, ou Nord-Sud dans la ville elle-même.

Elles sont pour la plupart très petites et ont subi maint remaniement de manière à faire communiquer deux ou trois maisons mitoyennes. On peut, toutefois, distinguer trois variantes d'un même plan caractérisé par l'absence totale de dégagements, ce qui trahit un souci d'économie. La répétition du même plan et l'emploi de dimensions à coudées entières, 10,5,4,3,2

(¹) H. RIEKE: *Bemerkungen zur Baukunst des Alten Reichs*, I. Abb. 26.

(²) W. F. PETRIE: *Ithahun, Kahun and Gurob*, 1891, p. 5. W. F. PETRIE: *Kahun, Gurob and Hawara*, 1890, p. 23. B. SMITH: *Egyptian Architecture as cultural expression*, 1938, p. 216. H.W. FAIRMAN: *Town Planning in Pharaonic Egypt*. *The Town Planning Review*, XX. N° 1, 1949, p. 43.

Sud de chaque maison on s'aperçoit que seule celle du Sud a été munie d'un dispositif en chicane bien étudié, éliminant une vue directe de la maison sur la voie. La largeur réduite des dégagements coulés n'est pas pour faciliter l'accès aux porteurs d'eau, aux serviteurs ou bêtes de somme. Tout porte à croire que l'entrée Sud était réservée à l'accès des prêtres. La rue au Nord desservait les entrées de service.

La description du plan est loin d'être aisée. L'étude comparative des trois types de plans dans cette agglomération peut suggérer la distribution suivante: le noyan est occupé par une cour attenant d'une part à la partie publique, et de l'autre à la partie privée de l'habitation. Ceci semble corroboré par l'existence de deux pieds-droits à l'extrémité Sud de cette cour, ce qui ferait supposer que seul ce retrait aurait été voûté, pour abriter un divan. Dans le type des six maisons identiques on aurait, à partir de l'entrée principale au Sud, le dispositif des murs-paravents, une cachette (r), un premier hall (H), duquel on parvient à un second hall ou salle de réception (R). De l'autre côté de la cour (C) se trouvent les deux chambres-à-coucher (C-C) communicantes, occupant le fond de la demeure. À côté de l'entrée Nord se trouve une resserre ou toilette (r') et une pièce, quelquefois subdivisée, servant de magasin (M). Dans un cas on y avait construit cinq silos⁽¹⁾. Dans le type des deux maisons à l'extrémité Est de la série, on aurait une disposition quelque peu différente: à partir de l'entrée principale on verrait une salle de réception (R), puis la cour (C), au fond de laquelle on aurait, d'une part, un resserre, et, d'autre part, une porte conduisant à un hall (H) et à une pièce attenante (H'). Le fond du plan est occupé par trois pièces, vraisemblablement un vestibule (V) et deux chambres-à-coucher (C-C). La resserre (r') et le dépôt (M) ont été étirés en longueur sur la façade Nord.

Cette disposition a l'avantage de concorder avec celle des maisons moyennes à l'époque de Amarna, disposition qui, d'au-

(1) S. HASSAN: *op. cit.* p. 38 (N° 75 duplan. fig. 1).

[illegible]

(4) Je remercie le Dr. H. Rieke qui a bien voulu examiner mes suggestions.

Le plan individuel de la maison semble avoir été mal interprété par le fouilleur, qui a placé l'entrée principale au Nord et l'entrée de service sur la façade Sud (fig. 6). Celle-ci se trouve, cependant, le long de la voie aboutissant à l'entrée de la chapelle du mastaba de Khentkaous, suivant l'axe de cette entrée. Il semble donc qu'elle soit en rapport avec celle-ci.

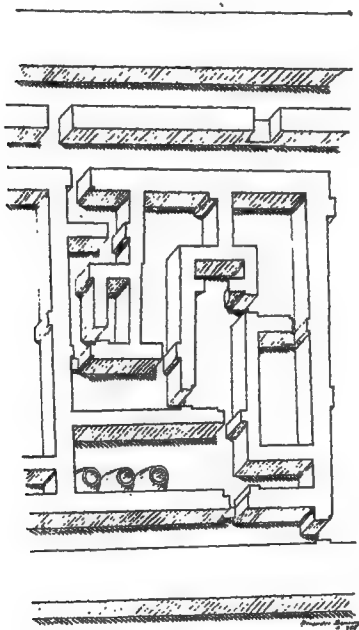


Fig. 6 — Vue axonométrique d'une maison, prise du Nord.

semble pouvoir être assignée à la même époque de construction que cette tombe, du fait qu'un seul mur d'enceinte englobe la tombe et cette agglomération⁽¹⁾.

On peut y reconnaître six maisons de plan identique (fig. 4), occupant toute la profondeur des parcelles (14,4 m.), placées côte à côte, puis, vers l'Est, deux autres dont le plan ne présente plus que la partie Sud du type précédent, la façade Nord ayant été reculée par la rue qui fait un crochet, et enfin deux dernières maisons assez semblables, de part et d'autre du passage souterrain creusé au-dessous de la rue Est-Ouest. Les parcelles sont quadrangulaires (11,4x14,4 m. pour la première à l'Ouest, ou 11x13 m. pour les deux à l'extrémité Est). La forme légèrement trapézoïdale des parcelles est due à ce que la rue Nord n'est pas rigoureusement parallèle à celle courant de l'Ouest, à partir de la superstructure de la tombe vers l'Est. La superficie construite est relativement modeste (164m², 142m²), si on la compare à celle des maisons d'ouvriers à Kahoûn (169m²).

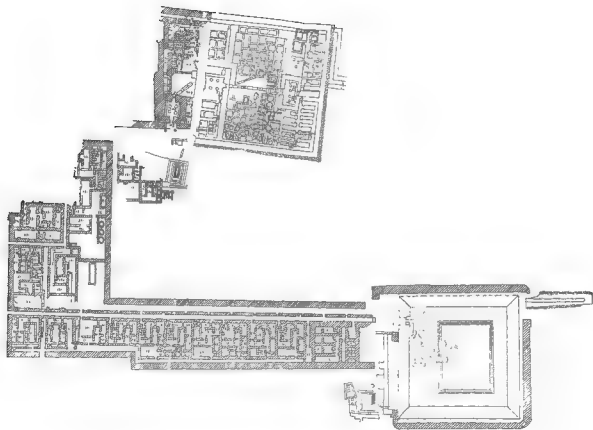
Le plan est clairement du type asymétrique ou à dédales (fig. 5), avec prédominance des éléments coudés en L, sans avoir, toutefois recours à des dégagements. Chaque maison a deux entrées aux deux coins opposés du plan, l'une au Nord-Ouest et la seconde au Sud-Est. Aucune trace d'escalier ne fait présumer de l'existence d'un étage.

Le plan des six maisons n'est pas rigoureusement identique. L'architecte a tracé la majeure partie du plan, celle qui est délimitée par la façade Sud et le mur transversal Est-Ouest, suivant un schéma uniforme, qui se maintient dans les maisons adjacentes à l'Est. La profondeur de la partie restante, immédiatement attenante à la façade Nord augmente sensiblement, de la première maison à l'Ouest, vers la sixième, à l'Est. C'est donc la rue Sud qui a servi de ligne de base au projet d'urbanisme.

(1) S. HASSAN: Excavations at Giza, 1932-1933, fig. 1, p. 35 fol.

**TABEAU COMPARATIF DE LA SUPERFICIE
DE LA MAISON SUIVANT L'OCCUPANT**

Occupant	Dimensions	Emplacement	Epoque	Superficie totale	Superficie utilisable	Pourcentage utilisable
Soldats ou esclaves (administra- tion ?)	16x16 m.	Medinet-Habou	Ramess III.	158,85 m ² .	97,5 m ² .	61,3 %
Serviteurs	6x10 m.	'Amarna	Akhnaton	60 m ² .	49,30 m ² .	82,1 %
	7x14 m.	Malqata	Arsénophis III	91 m ² .	54,2 m ² .	59,6 %
Ouvriers	10,5x16 m.	Kahoua.	Senouert II	169 m ² .	108 m ² .	63,2 %
	5x10 m.	'Amarna	Akhnaton	50 m ² .	40,2 m ² .	80,4 %.
	4,3x6 m	'Amarna	Akhnaton	25,8 m ² .	20,16 m ² .	80 %
	2,5x5,5 m.	'Amarna	Akhnaton	13,75 m ² .	10,27 m ² .	74,6 %
	5x15 m.	Deir el Medi- nab.	XVIII-XIXème dynastie.	75 m ² .	62,77 m ² .	83,5 %
Fonction- naires	40x60 m	Kahoua.	Senouert II	2400 m ² .	—	—
	26,3x27 m.	Abydos.	Ahmes . .	710 m ² .	425,84 m ² .	59,9 %
	6,2x16,5 m.	Medinet-Habou	Ramess III.	102 m ² .	55,44 m ² .	46,2 %
	8,7x11 m.	Medinet-Habou	Ramess III.	95,7 m ² .	38,78 m ² .	40,6 %
	8x8,7 m.	'Amarna	Akhnaton	69,6 m ² .	60,2 m ² .	86,8 %
	6x8,75 m.	'Amarna	Akhnaton	51,5 m ² .	—	—
Prêtres	11,4x14,4m.	Giza. . .	Khentkaous.	164 m ² .	99,47 m ² .	60,5 %
	11x18 m.	Giza. . .	Khentkaous.	143 m ² .	—	—
	7,5x19 m.	Medamoud.	Moyen-Empire	142 m ² .	104 m ² .	73 %
	7,5x22,5 m.	Medamoud.	Moyen-Empire	168,7 m ² .	104,2m ² .	61,9 %
	5,5x22,5 m.	Medamoud.	Moyen-Empire	123,7 m ² .	68,2 m ² .	55,2 %
	4,5x7,5 m.	'Amarna	Akhnaton	33,75 m ² .	31,05 m ² .	91 %
Harem	8x22 m.	Thèbes . .	Arsénophis III	176 m ² .	154,4 m ² .	87,5 %
	5x10 m.	Medinet-Habou	Ramess III.	50 m ² .	35,6 m ² .	71,2 %
	5x10 m.	Medinet-Habou	Ramess III.	50 m ² .	39,2 m ² .	78,4 %



Il est extrêmement intéressant de rapprocher les plans d'agglomérations ouvrières dans les deux principales cités de l'Inde préhistorique, Harappâ et Mohendjo-Daro. Au Nord-Ouest de la citadelle de Harappa deux rangées de quatorze maisons mitoyennes, remontant à près d'un millénaire avant l'époque amarnienne, ont été retrouvées. Le plan (40×34 pieds) consiste en deux pièces en enfilade, la première plus vaste, avec une entrée en diagonale. Le même dispositif est employé à Mohendjo-Daro, en deux rangées parallèles de maisons mitoyennes (20×12 pieds), desservies par une rue et une allée (*).

La superficie utilisable est celle des pièces habitables, tirée de la superficie totale, après déduction des superficies de la maçonnerie et des dégagements. Le pourcentage en est calculé, représentant le rapport de la superficie utilisable à la superficie totale.

Si l'on compare les données calculées d'après les dessins on est frappé de la haute efficacité atteinte par les architectes amarniens: Les habitations dépendant des temples ou des palais sont les plus coûteuses, parce qu'elles sont construites avec de gros murs, quelquefois même attenantes à des murailles d'enceinte. Il faut, par contre, mentionner qu'elles étaient munies d'un étage, ce qui compense les frais d'installation du rez-de-chaussée.

Certains plans, comme celui des habitations du palais d'Amenophis III à Malkata, ne donnent qu'un pourcentage utilisable relativement réduit, malgré l'emploi d'un système économique de murs, parce qu'érigés indépendamment, ne comportant aucune paroi mitoyenne.

Les maisons pour femmes du harem et les cités ouvrières sont certes, les réussites les plus brillantes de l'économie de la maison mitoyenne.

LES EXEMPLES

Maisons près de la tombe de Khentkaous à Giza

La date de l'ensemble de maisons mitoyennes s'échelonnant le long d'une rue Est-Ouest à l'Est de la tombe de Khentkaous

(*) S. PROUTY: *Prehistoric India*, 1952, p. 169-170, fig. 19.

Pour les grandes maisons (Kahou, rue Est-Ouest, au Nord) le groupe basique se retrouve dans l'axe du plan : on y reconnaît la cour au Nord, le portique à colonnes abritant la façade du vestibule transversal, la salle de réception, un living-room suivi de la chambre-à-coucher et des dépendances. On a dû, cependant, aménager des dégagements plus ou moins longs et dont les deux extrémités aboutissent à de petits vestibules, pour y parvenir de la rue. Deux petites cours quadrangulaires, placées de part et d'autre du groupe basique, servent de noyaux aux agglomérations des pièces du harem, dépendances et des chambres subsidiaires et écuries. La disposition des pièces est bien celle d'un plan axé et non asymétrique ou "à dédales", et l'élément du dégagement ne s'y trouve employé que pour relier les cours à l'entrée sur la rue.

Les portes s'ouvrent, d'ordinaire, à l'extrémité de la paroi d'une pièce, ce qui permet l'utilisation de cette paroi et évite les recoins déterminés par le vantail. Ici aussi le facteur de l'économie de l'espace a suggéré une solution pratique. Ce n'est que dans les programmes dépendant des palais royaux (harem du roi Ramses III aux deux palais de Medinet-Habou), ou des temples (habitations autour du temple de Medinet-Habou), que les portes principales se présentent dans l'axe des pièces. Le plan est, d'ailleurs, symétrique.

L'orientation des façades des parcelles est vers l'Ouest (village ouvrier à 'Amarna), vers le Nord ou le Sud (village des fonctionnaires à 'Amarna), vers le Nord-Est (harem des deux palais de Ramses III, barraquements du temple de Medinet-Habou), vers l'Est ou l'Ouest (Deir el Medineh).

L'évolution de la forme de la parcelle en profondeur, qui s'était amorcée au Moyen Empire, s'affirme. Les parcelles, quoique profondes, n'ont été que rarement accolées dos à dos (Deir el Medineh). D'ordinaire chaque rangée de parcelles est desservie par une rue qui lui est réservée.

Le groupe basique qui forme le plan le plus simple, mais qui peut être répété avec des variantes dans les grands ensembles, comprend une entrée, un living-room ou hall et une partie réservée à l'habitation. C'est le dispositif tripartite⁽¹⁾, que l'on retrouve à toutes les époques dans l'architecture domestique ainsi que religieuse en Égypte, et qui correspond au but assigné à chacune des parties : entrée, réception et habitation (fig. 3). L'importance des pièces varie suivant ce même but. C'est le hall central qui bénéficie de la plus grande superficie, tandis que les pièces d'habitation sont relativement étroites.

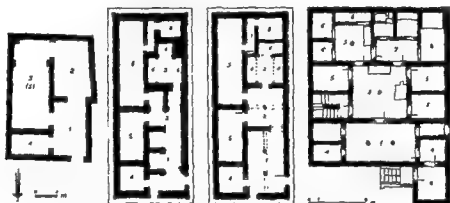


Fig. 3. Disposition du plan tripartite de l'habitation à différentes époques.
a. maison de la III^{ème} dynastie à Saqqara.
b. pavillon du roi Djoser à Saqqara et son plan original (d'après Ricke).
c. Villa amarienne (Q. 46, 2).

Dans les plans d'habitations réduites les éléments secondaires (loge de portier, cours, vestibules et portiques) ont naturellement été éliminés. Au village ouvrier de Deir el Medineh, aussi bien qu'à celui de 'Amarna, la maison, toute en profondeur, est divisée par deux murs transversaux en une pièce d'entrée, une salle carrée à colonnes et une chambre à coucher et cuisine. C'est le plan idéal de l'habitation mitoyenne réduite à sa plus simple expression. Un escalier disposé au-dessus de la cuisine mène à la terrasse où une installation subsidiaire peut être érigée.

⁽¹⁾ H. Rickt: *Der Grundriss des Amarna-Wohnhauses*, 1932, S. 53.

portes d'entrée, l'une principale au Sud et l'autre, secondaire, au Nord. A Kahôû les façades des petites maisons sont au Nord ou au Sud, quelquefois même à l'Est ou à l'Ouest, les rangées ayant la profondeur de deux parcelles, tandis que les grandes maisons rappellent la disposition observée à Giza, sans toutefois montrer deux entrées. Les proportions de la parcelle se rapprochent plutôt du carré (Giza, Abydos), mais tendent à s'allonger en un rectangle, dont le petit côté formera façade (Kahôû). C'est cette dernière phase, la plus économique pour des maisons en série, qui sera maintenue par la suite au Nouvel Empire.

Les dimensions des parcelles varient suivant la ville et l'époque. Il ne semble pas possible de trouver une relation constante avec la position sociale de l'occupant. C'est, du moins, ce que l'on a pu constater à Deir el Medineh où un chef de travaux et un ouvrier ont, tous deux, de grandes maisons ⁽¹⁾. D'après le tableau comparatif on peut, cependant, constater, malgré les différences individuelles dans les maisons de même type à une même époque, une tendance générale vers la diminution de la superficie. C'est, sans doute, un résultat de l'augmentation des effectifs et des charges qui grèvent les organismes responsables, gouvernementaux, royaux ou du clergé. À 'Amarna, où cette caractéristique est le plus sensible, il faut aussi considérer le facteur "temps", puisque la ville a été construite dans le désert pour servir de capitale à Akhnaton.

Le plan axé.

La grande majorité des habitations mitoyennes ont un plan régi par un axe, qui ne détermine pas la symétrie, mais une certaine balance des éléments constitutifs. La recherche de l'intimité a, ici aussi, conduit à la disposition des portes en chicane. Les pièces sont juxtaposées en enfilade, ce qui élimine tout dégagement et réalise une économie notable dans la superficie utilisable.

(1) B BRUYÈRE : Fouilles de Deir el Medineh (1931-1934) III, p. 17.

de la première époque (Djeser) (1). Peut-être pourrait-on appliquer à ce type de plan le qualificatif de "plan à dédales".

Il est intéressant de remarquer que dans deux habitations de dates aussi éloignées l'une de l'autre que celle de Khentkaous à Giza et celle de la cité ouvrière de Kahoïn (Senoufert II) on rencontre les mêmes caractéristiques. C'est ainsi que près de la porte d'entrée on a disposé un réduit indépendant qui fait penser à la loge du portier ou à la resserre d'eau. Un petit vestibule d'entrée communique avec un dégagement, plus ou moins long, qui mène à un second vestibule plus important attenaut à une cour. C'est ici que le plan se départage en deux groupes bien délimités de pièces de fonctions différentes. C'est, d'une part, les pièces servant à l'habitation proprement dite : deux chambres à coucher communicantes auxquelles pourra être adjointe une antichambre. D'autre part, situées sur l'autre côté de la cour, sont groupées cuisine et dépendances.

Cette disposition schématique, autant que nous le permet l'interprétation assez aléatoire de certains plans, semble se retrouver avec des variantes secondaires, dans les trois exemples. Il est extrêmement suggestif de rapprocher cette même disposition de celle que l'on a reconnue pour le plan de l'habitation indépendante à différentes époques. Le plan d'une ville amarnienne peut, en effet, être décomposé, à partir de l'entrée, en une loge de portier, un vestibule transversal communiquant avec un autre vestibule profond, entouré de chambres séparées en deux groupes. Ici cependant la cuisine et les dépendances ont été reléguées au dehors de l'habitation.

L'orientation des maisons est tributaire du plan d'urbanisme, basé sur un schéma de rues et de parcelles en damier. Les rues suivent une direction Nord-Sud ou Est-Ouest. A Giza les maisons ont deux façades Nord et Sud, puisque le bloc a la profondeur d'une parcelle et l'on en a profité pour ouvrir deux

(1) H. RICKE : *op. cit.* Abb. 24, 26, 30.

l'Empire le plan axé ne sera d'usage courant qu'au Nouvel Empire. Dans ce type de plan les pièces sont alignées en enfilade le long d'un axe longitudinal. C'est le plan dominant, qui fournira de nombreuses variantes.

Le plan asymétrique.

L'ensemble des habitations rattachées à la tombe de Khentkaous à Giza, ainsi que celui de Senouert III à Abydos, présentent la caractéristique des gros murs et des longs dégagements coudés. Aucun axe ne semble avoir régi la répartition des pièces. Les maisons sont tantôt juxtaposées suivant un plan uniforme, en une longue série, desservie par une ou deux rues (Giza), tantôt accolées de manière à ce que les plans de deux maisons soient symétriques suivant un axe délimité par leur mur mitoyen (Abydos). Il semble que l'on ait évité d'ouvrir deux baies, en regard l'une de l'autre. Cette caractéristique peut d'ailleurs être aussi retrouvée dans l'entrée en chicane des forteresses ou dans le mur-paravent du temple égyptien, où l'on tâchait de masquer les baies des portes par des murs de manière à aménager des entrées coudées⁽¹⁾. Quant au plan des dégagements ou des pièces coudées en L, qui est une résultante de l'aménagement précédent, il se trouve déjà indiqué schématiquement par certains hiéroglyphes architecturaux figurant des plans de cours de palais ou de résidences⁽²⁾ (fig. 1),

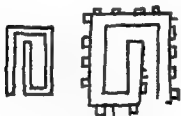
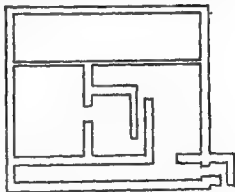


Fig. 1. Hiéroglyphe d'un cour avec entrée à dédales.

Fig. 2. →
Dessin égyptien composite d'une hutte de mommification de plan asymétrique (tombe de Qar).



dans certains dessins égyptiens⁽³⁾ (fig. 2) et dans des constructions

(1) Alexandre BADAWY : Le dessin architectural chez les anciens Egyptiens, 1948, p. 42, 173, fig. 211 c. (cf. H. RIEM : Bemerkungen zur Baukunst des Alten Reichs, I, Abb. 24.

(2) Alexandre BADAWY : *op. cit.* fig. 43, 44 a.

(3) *Ibid.* fig. 246.

village des travailleurs de la pierre à Deir el Medineh ⁽¹⁾, pour serviteurs ou soldats autour du temple de Medinet Habou ⁽²⁾, pour les serviteurs du grand palais à 'Amarna ⁽³⁾, pour les dames du palais à Thèbes ⁽⁴⁾ et à Medinet Habou ⁽⁵⁾. Ailleurs ce sont les temples qui aménagent des habitations en série pour leur personnel : grandes maisons mitoyennes le long de la voie menant à la tombe de Khentkaous à Giza ⁽⁶⁾, maisons des prêtres de service au grand temple à 'Amarna ⁽⁷⁾.

Ces installations s'échelonnent sur toute l'histoire de l'Égypte pharaonique, depuis l'Ancien Empire. L'idée de la maison mitoyenne n'est donc pas neuve. Rien ne prouve, cependant, que le système fut connu à l'époque prédynastique. Les restes mis au jour ne consistent qu'en huttes indépendantes, quelquefois alignées le long d'une allée ⁽⁸⁾. Il se peut, cependant, qu'avec l'emploi de la brique et la découverte du plan quadrangulaire l'idée de la maison mitoyenne ait aussi été réalisée. Il faudra, sans doute, attendre que les cités archaïques d'Hierakonpolis, de Neqada, d'El Kâb aient été fouillées pour pouvoir se prononcer.

I.—LE PLAN

Il semble que l'on puisse distinguer deux types de plans pour la maison mitoyenne. Sous l'Ancien et le Moyen Empire c'est un plan asymétrique, où les axes des portes se butent constamment à des murs. Quoique apparaissant déjà au Moyen

(1) B. BRUYÈRE : Fouilles de Deir el Medineh (1934-1935), III, p. 35 fol.

(2) U. HÖLSCHER : The Excavations of Medinet Habu, IV, 1951.

(3) J.D.S. PENDLEBURY : The City of Akhenaten. III. 1951, p. 33, pl. XIII A.

(4) H. RICKE : Der Grundriss des Amarna Wohnhauses, 1932, S. 61.

(5) *Ibid.* S. 68.

(6) S. HASSAN : Excavations at Giza. IV, 1932-1933, 1943, p. 35-46.

(7) J.D.S. PENDLEBURY : The City of Akhenaten, III. 1951, p. 7, pl. VII-VIII.

(8) H. JUNKER : Vorläufiger Bericht über die ... Grabung auf der neolithischen Siedlung von Merimde-Benisaham, 1933, S. 57-64.

LA MAISON MITOYENNE DE PLAN UNIFORME DANS L'EGYPTE PHARAONIQUE

PAR

Dr. ALEXANDRE BADAWY

Parmi les programmes architecturaux que s'est proposés l'Egyptien celui de l'habitation de plan uniforme, répétée en de longues séries suivant un ensemble urbaniste bien défini, est, certes, des plus intéressants. Car ici l'architecte ne jouit plus d'une liberté presque illimitée, comme dans le projet d'un palais, à Tell el 'Amarna ou à Medinet-Habou, ou d'une villa de grand personnage à Tell el 'Amarna : ses moyens se trouvent réduits, tant dans la conception du plan que dans sa réalisation. Il s'agit, en effet, de satisfaire à certains facteurs qui n'entrent pas en jeu dans d'autres programmes : l'économie dans la superficie occupée, les matériaux et la main-d'œuvre, et l'ordonnance des unités d'habitation en groupes desservis par des rues, de manière à en assurer l'hygiène et à en faciliter le contrôle. Car il semble que ces projets aient été dus, en Egypte, à l'initiative des différentes institutions. C'est tantôt le gouvernement qui en est responsable, comme pour les cités ouvrières à Kahoûn⁽¹⁾ ou à 'Amarna⁽²⁾, pour employés à 'Amarna⁽³⁾. C'est aussi le roi, comme pour l'installation de maisons pour artisans en Abydos⁽⁴⁾, pour le

(¹) W. FL. PETRIE : Illahun, Kahun and Garob. 1891, p. 5. W. FL. PETRIE : Kahun, Garob and Hawara. 1890.

(²) T. ERIC PEET—C. LEONARD WOOLLEY : The City of Akhenaten, I, 1923, p. 51 fol.

(³) J.D.S. PENDLEBURY : The City of Akhenaten, III, 1951, p. 122.

(⁴) E.R. AYRTON, C.T. GURBELLY and A.E.P. WEISALL : Abydos III, 1904, p. 37 fol.

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

	PAGE
DR. ALEXANDRE BADAWY	
La Maison Mitoyenne de Plan Uniforme dans l'Egypte Pharonique	1
GIRGIS MATTHEA	
Interim Payments in Greek and Demotic Documents ...	59
GIRGIS MATTHEA	
The Prosmetrùmena in Demotic Taxation Receipts ...	61
GIRGIS MATTHEA	
The Chōmatikon : Its form and Nature in Demotic and Greek Texts	63
DR. M. S. KEAFAGA	
*Υλας	65
LOUIS AWAD	
The Essential Prometheus	93
DR. WAHNEB KAMEL	
The Uersus Fescennini	151
DR. RAHHAD RUSHDY	
The English Travel-Book (1780-1850). A Popular Literary Form	159
DR. KAMAL EL-DEN SAMEH	
Minerets in North Africa and Spain	181
MURAD KAMIL	
De Certains Termes Techniques en Langue Arabique	189
M. MITWALLY	
Some Luo Handicrafts	197
MUSTAFA AMER and IBRAHIM RIZKANA	
Excavations in Wadi Digla	201
Y. SHAWKI MUSTAFA	
A Contribution to the Knowledge of Animal Life in Pre-Amnastic Egypt	207

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

BULLETIN
OF
THE FACULTY OF ARTS



DECEMBER 1953
VOL. XV—PART II

CAIRO
CAIRO UNIVERSITY PRESS,
1954

Bibliotheca Alexandrina



0542794